تحفة الأبرار

تأليف

محمد الله بن محمد زكريا الجرنباوي

طبع بالمطبع الأزهرية المصرية

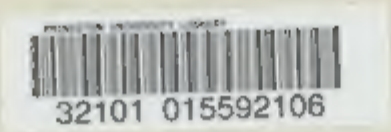
32101 015592106

PRINCETON UNIVERSITY LIBRARY

This book is due on the latest date stamped below. Please return or renew by this date.

Jūybārī

المجلد الواحد والأربعون

من كتاب

تفسير البصائر

تأليف

يعسوب الدين رستگار الجويباري

حقوق الطبع والتقليد محفوظة
للمؤلف

ايران - قم
مطبعة فيض

(Arab)
BP130
.4
.J89
mujallad 41

بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله الذي علا بحوله، ودنا بطوله، الذي لا يحول ولا يزول
أنشأ الخلق إنشاء، وابتدأه ابتداء، بلا روية أجالها، ولا تجربة
استفادها، ولا حركة أحدثها، ولا همامة نفس اضطرب فيها،
أحال الأشياء لأوقاتها، ولاءم بين مختلفاتها، وغرز غرائزها، و
ألزمها أشباحها، عالما بها قبل ابتدائها، محيطا بحدودها و
انتهائها، عارفا بقرائنها وأحنائها.

ثم أنشأ سبحانه فتق الأجواء، وشق الأرجاء، وسكائك الهواء،
فأجرى فيها ماء متلاطما تياره، متراكما زخاره، حملة على متن
الريح العاصفة، والزعزع القاصفة، فأمرها بردّه، وسلطها
على شدّه، وقرنها إلى حدّه، الهواء من تحتها فيق، والماء من فوقها
رفيق، ثم أنشأ سبحانه ريحا اعتقم مهبها، وأدام مربها، وأعصف
مجراها، وأبعد منشأها، فأمرها بتصفيق الماء الزخار، وإثارة موج
البحار، فمخضته مخض السقاء، وعصفت به عصفها بالفضاء،

32101 015592106

تَرُدُّ أَوَّلَهُ إِلَى آخِرِهِ ، وَسَاجِيَهُ إِلَى مَائِرِهِ ، حَتَّى عَبَّ عُبَابُهُ ، وَرَمَى بِالزَّبَدِ رُكَامُهُ ، فَرَفَعَهُ فِي هَوَاءٍ مُنْفَتِقٍ ، وَجَوٍّ مُنْفَهِقٍ ، فَسَوَّى مِنْهُ سَبْعَ سَمَوَاتٍ جَعَلَ سُفْلاَهُنَّ مَوْجاً مَكْفُوفاً ، وَعُلْيَاهُنَّ سَقْفاً مَحْفُوظاً وَسَمْكاً مَرْفُوعاً ، بِغَيْرِ عَمَدٍ يَدْعَمُهَا ، وَلاَ دِسَارٍ يَنْظِمُهَا . ثُمَّ زَيَّنَهَا بِزِينَةِ الْكَوَاكِبِ ، وَضِيَاءِ الثَّوَاقِبِ ، وَأَجْرَى فِيهَا سِرَاجاً مُسْتَطِيراً ، وَقَمَراً مُنِيراً ، فِي فَلَكٍ دَائِرٍ ، وَسَقْفٍ سَائِرٍ ، وَرَقِيمٍ مَائِرٍ .

قَدَّرَ مَا خَلَقَ فَأَحْكَمَ تَقْدِيرَهُ ، وَدَبَّرَهُ فَأَلْطَفَ تَدْبِيرَهُ ، وَوَجَّهَهُ لِوِجْهَتِهِ فَلَمْ يَتَعَدَّ حُدُودَ مَنْزِلَتِهِ ، وَلَمْ يَقْصُرْ دُونَ الاِنْتِهَاءِ إِلَى غَايَتِهِ ، وَلَمْ يَسْتَصْعِبْ إِذْ أُمِرَ بِالْمُضِيِّ عَلَى إِرَادَتِهِ ، وَالسَّلاَمُ عَلَى رَسُولِ اللهِ ، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ الطَّيِّبِينَ الطَّاهِرِينَ .

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالذّٰرِيٰتِ ذَرْوًا ۝١ فَالْحٰمِلٰتِ وِقْرًا ۝٢ فَالْجٰرِيٰتِ يُسْرًا ۝٣ فَالْمُقَسِّمٰتِ اَمْرًا ۝٤ اِنَّمَا
تُوْعَدُوْنَ لَصَادِقٌ ۝٥ وَّاِنَّ الدِّيْنَ لَوَاقِعٌ ۝٦ وَالسَّمَآءِ ذَاتِ الْحُبُكِ ۝٧ اِنَّكُمْ لَفِيْ قَوْلٍ مُّخْتَلِفٍ ۝٨
يُّؤْفَكُ عَنْهُ مَنْ اُفِكَ ۝٩ قُتِلَ الْخَرّٰصُوْنَ ۝١٠ الَّذِيْنَ هُمْ فِيْ غَمْرَةٍ سَاهُوْنَ ۝١١ يَسْـَٔلُوْنَ اَيَّانَ
يَوْمُ الدِّيْنِ ۝١٢ يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُوْنَ ۝١٣ ذُوْقُوْا فِتْنَتَكُمْ هٰذَا الَّذِيْ كُنْتُمْ بِهٖ تَسْتَعْجِلُوْنَ
۝١٤ اِنَّ الْمُتَّقِيْنَ فِيْ جَنّٰتٍ وَّعُيُوْنٍ ۝١٥ اٰخِذِيْنَ مَآ اٰتٰىهُمْ رَبُّهُمْ اِنَّهُمْ كَانُوْا قَبْلَ ذٰلِكَ
مُحْسِنِيْنَ ۝١٦ كَانُوْا قَلِيْلًا مِّنَ الَّيْلِ مَا يَهْجَعُوْنَ ۝١٧ وَبِالْاَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُوْنَ ۝١٨
وَفِيْٓ اَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَالْمَحْرُوْمِ ۝١٩ وَفِي الْاَرْضِ اٰيٰتٌ لِّلْمُوْقِنِيْنَ ۝٢٠ وَفِيْٓ اَنْفُسِكُمْ
اَفَلَا تُبْصِرُوْنَ ۝٢١ وَفِي السَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوْعَدُوْنَ ۝٢٢ فَوَرَبِّ السَّمَآءِ وَالْاَرْضِ اِنَّهٗ لَحَقٌّ
مِّثْلَ مَآ اَنَّكُمْ تَنْطِقُوْنَ ۝٢٣ هَلْ اَتٰىكَ حَدِيْثُ ضَيْفِ اِبْرٰهِيْمَ الْمُكْرَمِيْنَ ۝٢٤ اِذْ دَخَلُوْا عَلَيْهِ فَقَالُوْا
سَلٰمًا قَالَ سَلٰمٌ قَوْمٌ مُّنْكَرُوْنَ ۝٢٥ فَرَاغَ اِلٰٓى اَهْلِهٖ فَجَآءَ بِعِجْلٍ سَمِيْنٍ ۝٢٦ فَقَرَّبَهٗٓ اِلَيْهِمْ قَالَ اَلَا
تَاْكُلُوْنَ ۝٢٧ فَاَوْجَسَ مِنْهُمْ خِيْفَةً قَالُوْا لَا تَخَفْ وَبَشَّرُوْهُ بِغُلٰمٍ عَلِيْمٍ ۝٢٨ فَاَقْبَلَتِ امْرَاَتُهٗ فِيْ صَرَّةٍ
فَصَكَّتْ وَجْهَهَا وَقَالَتْ عَجُوْزٌ عَقِيْمٌ ۝٢٩ قَالُوْا كَذٰلِكِ قَالَ رَبُّكِ اِنَّهٗ هُوَ الْحَكِيْمُ الْعَلِيْمُ ۝٣٠

قال فما خطبكم أيها المرسلون ﴿٣١﴾ قالوا إنا أرسلنا إلى قوم مجرمين ﴿٣٢﴾ لنرسل عليهم حجارة من
طين ﴿٣٣﴾ مسومة عند ربك للمسرفين ﴿٣٤﴾ فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين ﴿٣٥﴾ فما وجدنا فيها
غير بيت من المسلمين ﴿٣٦﴾ وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الأليم ﴿٣٧﴾ وفي موسى إذ أرسلناه
إلى فرعون بسلطان مبين ﴿٣٨﴾ فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون ﴿٣٩﴾ فأخذناه وجنوده
فنبذناهم في اليم وهو مليم ﴿٤٠﴾ وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم ﴿٤١﴾ ما تذر من شيء
أتت عليه إلا جعلته كالرميم ﴿٤٢﴾ وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين ﴿٤٣﴾ فعتوا عن أمر ربهم
فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون ﴿٤٤﴾ فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين ﴿٤٥﴾ وقوم
نوح من قبل إنهم كانوا قوما فاسقين ﴿٤٦﴾ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴿٤٧﴾ والأرض
فرشناها فنعم الماهدون ﴿٤٨﴾ ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون ﴿٤٩﴾
ففروا إلى الله إني لكم منه نذير مبين ﴿٥٠﴾ ولا تجعلوا مع الله إلها آخر إني لكم منه
نذير مبين ﴿٥١﴾ كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون ﴿٥٢﴾
أتواصوا به بل هم قوم طاغون ﴿٥٣﴾ فتول عنهم فما أنت بملوم ﴿٥٤﴾ وذكر فإن الذكرى
تنفع المؤمنين ﴿٥٥﴾ وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون ﴿٥٦﴾ ما أريد منهم من رزق
وما أريد أن يطعمون ﴿٥٧﴾ إن الله هو الرزاق ذو القوة المتين ﴿٥٨﴾ فإن للذين ظلموا ذنوبا
مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون ﴿٥٩﴾ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون ﴿٦٠﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق رحمة الله تعالى عليه في ثواب الاعمال باسناده عن داود بن فرقد عن أبي عبد الله عليه السلام قال: من قرأ سورة «والذاريات» في يومه أو في ليلته أصلح الله عز وجل له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره سراج يزهر الى يوم القيامة.

أقول: رواه الطبرسي في المجمع والبحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار.

وذلك لانّ من قرأ السورة متدبّراً فيها وجعل نفسه في زمرة المحسنين الذين لا تفوت عنهم صلاة الليل وهم مستغفرون بالاسحار وينفقون من أموالهم ذوي الحاجات وما اليها من صالح الاعمال..

اذ قال الله تعالى: «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون وبالاسحارهم يستغفرون وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» السورة: ١٧ ـ ١٩).

فكانت هذه حاله وخصاله أصلح الله عزوجل له معيشته وأتاه برزق واسع ونور له في قبره بسراج يزهر ويسعى نوره بين يديه يوم القيامة، قال الله تعالى: «استغفروا ربكم انّه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدراراً ويمددكم بأموال وبنين ويجعل لكم جنات ويجعل لكم أنهاراً» نوح: ١٠ ـ ١٢).

وقال: «استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يرسل السماء عليكم مدراراً ويزدكم قوة الى قوتكم» هود: ٥٢).

وقال : «وان استغفروا ربكم ثم توبوا اليه يمتعكم متاعاً حسناً الى أجل مسمّى ويؤت كل ذي فضل فضله» هود : ٣).

وقال «وما لكم ألاّ تنفقوا في سبيل الله ـ من ذا الذي يقرض الله قرضاً حسناً فيضاعفه له وله أجر كريم ، يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك الفوز العظيم» الحديد : ١٠ـ١٢)

وفي تفسير البرهان وروى عن النبي صلى الله عليه وآله قال : من قرأ هذه السورة أعطاه الله بعدد كل ريح هبت ودرت في الدنيا عشر حسنات .

وفي المجمع ابيّ عن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله من قرأ سورة الذاريات أعطي من الاجر عشر حسنات بعدد كل ريح هبت ودرت في الدنيا

وفي البرهان قال رسول الله صلى الله عليه وآله من كتبها في اناء وشربها زال عنه وجع البطن وان علقت على الحامل المتعسرة ولدت سريعاً .

أقول : ان رواية ابيّ مردودة سنداً ولكن مضمونها مؤيدة بما تحتويه رواية داود بن فرقد الموثقة المؤيدة بالايات القرآنيّة .

وأما الرواية الاخيرة ـ وان كان فيها ما لا يخفى سنداً ـ فمن غير بعيد أن يكون من خواص السورة ما جاء فيها .

﴿ الغرض ﴾

غرض السورة توكيد كون ما يوعد به النّاس من البعث والجزاء، وانه وعد صادق وأمر واقع لامحالة بطريق أقسام ربانيه بمشاهد كون الله تعالى وبوامير وعظيم خلقه تذكيراً بعظمة خالق الكون وقدرته على تحقيق ما أوعد النّاس به مع حملة شديدة على المكذبين الجاحدين والتذكير بما كان عليه زعماء الكفار من اعراض، وحمل النّاس على الاعراض والارتداد عن الدعوة وتهديد وتقريع يتمثلان من لعط «قتل» فهم ساهون في غمرة الجهالة عن فهم الحق وادراك الحقيقة ومع تبوبه بالمتقين وأعمالهم الصالحة ومصائرهم في الآخرة

وفي السورة لفت نظر السامعين ـ وخاصة الكفار الذين يجادلون في صحة ما يتلى عليهم وما يوعدون به ـ الى ما في الارض من مشاهد وآيات تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وعظمته وصحة ما يعد به نبيّه وقدرته جلّ وعلا عليه كافية لاقناع ما حسنت نيته ورغب في معرفة الحق واليقين

ولفت نظر أيضاً الى ما في تكوين الانسان الجسماني والعقلي والى السّماء وما فيها من أسباب رزق الناس وحياتهم.

وفيها اشارة الى حوادث ورسالات بعض الرسل ومصائر أممهم، لحمل السامعين على الارعواء والايقاظ.

ولفت نظر ثالث الى بعض مشاهد قدرة الله وافضاله من رفع السّماء وبنائها بقوله تعالى: ومن بسط الارض وتمهيدها بأحسن وجه، ومن خلق كل شيء زوجين ليتمّ التماثل والتناسب في ملكوت الله تعالى.

ومن كل ذلك تذكرة من شأنها أن تدعو السامعين الى التدبّر في عظمة الله تعالى وقدرته على تحقيق ما أوعد الناس به .

وفي سلسلتها انذار السامعين ودعوتهم الى أن يفرّوا الى الله تعالى وأن لا يدعوا مع الله الهاً آخر ، وهذا هو مهمّة الرسالة : اني لكم منه نذير مبين .

وفي عقبها اشارة الى أن الكفّار في قولهم للنبي ﷺ تجاه الدعوة انه ساحر أو مجنون ليس بدعاً انما يفعلون كما كان يفعل الذين من قبلهم حيث كانوا يقولون لكل نبيّ أتى اليهم مثل ذلك ، ولكنه لا بد له ﷺ من التذكير وهذا مهمته فانه نافع لمن أراد الحق والهداية ، ورغب في الايمان حتماً

مع تقرير غرض خلق الجن والانس وهو العبادة لله وحده .

وفي ختام السورة انذار قوي للكفّار ، وعود على ما بدأت :

« انّما توعدون لصادق وان الدين لواقع ـ فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون » .

﴿ النزول ﴾

سورة الذاريات مكية نزلت بعد سورة الاحقاف وقبل سورة الغاشية وهي السورة الستون نزولا و لحادية والخمسون مصحفاً وتشتمل على ستين آية سقت عليها ٣٤٧٩/ آية نزولا و ٤٦٧٥/ آية مصحفاً على التحقيق.

ومشتملة على ٣٦٠/ كلمة وقيل: ٣٧٠/ كلمة وعلى ١٢٨٦ حرفاً وقيل: ١٢٨٧ حرفاً وقيل ١٢٨٩/ حرفاً وقيل ١٢٣٨/ حرفاً على ما في بعض التفاسير.

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي باسناده عن عبد الله بن عباس في قوله تعالى: «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» قال: نزلت في علي بن أبي طالب والحسن والحسين وفاطمة عليهم السلام وكان علي عليه السلام يصلي ثلثي الليل الاخير ويصلي الثلث الاول منه، كان السحر جلس في الاستغفار و لدعاء وكان ورده في كل ليلة سبعين ركعة ختم فيها القرآن.

وفي الدر المنثور: عن الحسن بن محمد بن الحنفية قال. بعث رسول الله صلى الله عليه وآله سرية فأصابوا وغنموا فجاء قوم بعدما فرغوا فنزلت: «ومن أموالهم حق للسائل والمحروم».

وفي المجمع: وروى بالاسناد عن مجاهد قال: خرج علي بن ابيطالب عليه السلام مغتماً مشتملا في قميصه فقال. لما نزلت: «فتول عنهم فما أنت بملوم» لم يبق أحد منا الا أيقن بالهلكة حين قيل للنبي صلى الله عليه وآله: «فتول عنهم» فلما نزل: «وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين» طابت أنفسنا.

وفيه : قال المفسرون : لما نزلت هذه الآية : «فتول عنهم فما أنت بملوم» حزن رسول الله ﷺ والمؤمنون وظنوا ان الوحي قد انقطع وان العذاب قد حل حتى نزلت الآية الثانية.

﴿ القراءة ﴾

قرأ حمزة وأبو عمرو : «والذاريات ذروا» بادغام التاء في الدال ، وقرأ حمزة وعاصم (مثل ما) بالمم ، والباقون سوى حفص بالفتح على البناء لاضافة (مثل) الى غير متمكن ، أو على انه لحق حقاً مثل نطقكم .

وقرأ حمزة (سلم) بكسر السين وسكون اللام والباقون (سلام) .

وقرأ أبو عمرو (الصعقة) بسكون العين للمرة ، وهي الصوت الذي يكون عن الصاعقة ، والباقون (الصاعقة) وهي التي تقع من السماء .

وقرأ أبو عمرو (قوم نوح) بالجر عطفاً على قوله تعالى : «وفي موسى» أي في ارسال موسى آيات واضحة ، وفي قوم نوح آية والباقون بالفتح على تقدير: وأهلكنا قوم نوح ، أو أغرقنا قوم نوح.

﴿ الوقف والوصل ﴾

(ذروا ط) للعطف والجواب الاتي (وقرا لا) كما تقدم (يسرا لا) كذلك (امرا لا) للجواب الاتي (لصادق لا) للعطف (لواقع ط) لتمام الكلام بالجواب (الحبك لا) لجواب القسم الاتي (مختلف لا) لمكان السفة الاتية وهي: «يؤفك عنه» (افك ط) لتمام الكلام.

(الخراصون لا) لمكان الصفة الآتية (ساهون لا) لأن «يسئلون» صلة بعد صلة(الدين ط) ، بناء على ان عامل «يوم» مستقر، أى يقال لهم ذوقوا (فتنتكم ط) لتمام الكلام.

(وعيون لا) لمكان الحال (راهم ط) لتمام الكلام (محسنين ط) كالمتقدم (يهجعون ج) لتمام الكلام والعطف (للموقنين لا) للعطف (وفى أنفسكم ط) لمكان الاستفهام (والارض لا) لجواب القسم (المكرمين م) لان عامل «اذ» محذوف وهو اذكر ولو وصل لأوهم انه ظرف للاتيان

(سلاما ط) لتمام الكلام (سلام ج) لحق المحذوف مع اتحاد القائل أى أنتم قوم منكرون(سمين لا) للعطف(تأكلون ر) للآية مع العطف(خيفة ط) لتمام الجملة (لاتخف ط) كالمتقدم(كذلك لا)للتعلق بما بعده(ربك ط)لتمام الكلام(محرمين لا) لذكر غرض الارسال (طين لا) لمكان الصفة الآتية (المؤمنين ج) لذكر مع العطف بالفاء واتصال المعنى (المسلمين ج) كما تقدم

(الاليم ط) لتناهى القصة وحكم العربية الوصل للعطف على قوله تعالى « وفى الارض آيات » (مبين ط) كما تقدم (العقيم ج) لاحتمال ما بعده الاستئناف والحال أى غير تاركته (كالرميم ط) لتناهى القصة

(منتصرين لا) على القراءتين فيما بعده للعطف أى وفى قوم نوح أو أخذنا قوم نوح(من قبل ط) لتمام الكلام وما بعده اخبار بما كانوا عليه من الفسق(فاسقين ع) (الى الله ط) لتمام الكلام (مبين ج) للاية والعطف (آخر ط) لانتهاء النهى .

(اتواصوا به ج)لأن بل للاضراب معنى مع العطف لفظاً (مطغون ج)للاية مع اتفاق الجملتين .

﴿ اللغة ﴾

١٠ - الذرو والذاريات - ٥١٥

ذرت الريح الشيء تذروه ذروا - من باب دعا - : قلعته و أطارته و بددته وأذهبته قال تعالى « فأصبح هشيماً تذروه الرياح » الكهف:٤٥) وذرأ الحنطة يذروها : نقاها في الريح فتخلصت من تبنها.

الذاريات الريح التي تذرو التراب و غيره وتفرقه و تبدده بعد رفعه عن مكانه ، قال تعالى: « والذاريات ذروا ».

ذروه السنام وذراه اعلاه ، ومنه قيل أنا في ذراك اى في أعلى مكان من حسبك ، ومنه الحديث: « على ذروة كل بعير شيطان» والمذروان طرفا الاليتين.

الذرو من الحديث : ما ارتفع اليك وترامى من حواشيه وأطرافه من قولهم. ذرأ الي فلان : ارتفع وقصد .

ومنه حديث الامام علي عليه السلام « يذرو الرواية ذرو الريح الهشيم» أي يسرد الرواية كما تنسف الريح هشيم النبت .

في النهاية : في الحديث : « ان الله خلق في الجنة ريحاً من دونها باب مغلق لو فتح ذلك الباب لاذرت ما بين السماء والارض » و في رواية : « لاذرت الدنيا و ما فيها ».

ومنه الحديث ان رجلا قال لاولاده: « اذا متّ فاحرقوني ثم ذروني في الريح».

وفي الحديث. «أول الثلاثة يدخلون النار منهم ذو ذروة لا يعطي حق من ملكه.

٦٢ ـ الوقر ـ ١٦٩٥

وقرت الأذن توقر وقراً ـ من باب علم ـ : أصابها ثقل أو صمّت فلا تسمع، يقال الوقر ـ بفتح الواو ـ لثقل السمع أو صمم الأذن ، قال الله تعالى . « وفي آذانهم وقراً » الانعام : ٢٥)

وقر يقر وقاراً و وقارة ـ من باب ضرب ـ كان حليماً ورزيناً ، يقال : الوقار للعظمة كما كان من شأن الحليم الرزين العظمة . قال الله تعالى « مالكم لاترجون لله وقاراً » نوح : ١٣)

وقر الرجل يوقر ـ من باب كرم ـ رزن وثبت فهو وقور ، وفي الحديث . « الايمان ما وقر في القلوب » أي ثبت وسكن ، وقال تعالى . «وقرن في بيوتكن» الاحزاب : ٣٣) أي اطمئن وسكن فيها .

وفي الحديث « التعلم في الصغر كالوقرة في الحجر » الوقرة : النقرة في الصخرة أراد انه يثبت العلم في القلب حال الصغر ثبات هذه النقرة في الحجر

وقّره توقيراً. عظّمه وبجّله . قال تعالى. «وتعزّروه وتوقّروه» الفتح ٩) وفي الحديث : « من وقّر صاحب بدعة فقد اعان على هدم الاسلام » أي عظمه ومنه «وقّروا كباركم» أي عظّموهم وارفعوا شأنهم ومنزلتهم والموقّر: المجرب العاقل ، الوقر : ثقل الحمل على ظهر أو في بطن .

الوقر ـ بكسر الواو ـ : الحمل يكون على ظهر أو رأس ويخصّ بعضهم به الحمل الثقيل وأكثر مايكون على البغل والحمار ويقال لحمل البعير .

و في الحديث : « اشتريت أرضاً الى جنب ضيعتي فلما وقرت المال ـ أي حملته ـ الى من اشتريتها منه خبرت ان الارض وقف » .

قال الله تعالى : « فالحاملات وقراً » الذاريات . ٢)

أوقر الدين فلاناً : أثقله ، استوقر الابل استيقاراً : سمنت .

في المفردات : الوقر : الثقل في الاذن والوقار : السكون والحلم والوقير : القطيع العظيم من الضأن كأن فيها وقاراً لكثرتها وبطء سيرها .

٥ ـ الحبك ـ ٢٩٣

حبك يحبك حبكاً ـ من باب ضرب ونصر ـ شد وأحكم ، حبكه : وثقه وخططه وحبك الحبل على الحمل : شده به ، وحبك العقدة : وثقها ، أحبك الشيء أحكمه وأجاد عمله وصنعه احتبك الثوب : مثل حبكه

الحبك جمع الحبيكة وهي تطلق على الطريقة التي تحلقها الرياح الهادئة في الرمال أو الماء والطريقة من طرائق النجوم .

والحبيكة المحبوكة أي المتقنة من قولهم ثوب حبيك و محبوك أي محكم النسج وكلا المعنيين فسر قوله تعالى « والسماء ذات الحبك » الذاريات : ٧)

حبك الحمام : سواد ما فوق حناحيه وهو الخط الاسود على حناحيه .

في المفردات : قال تعالى : « والسماء ذات الحبك » هي ذات الطرائق فمن الناس من تصور منها الطرائق المحسوسة بالنجوم والمجرة ، و منهم من اعتبر ذلك بما فيها من الطرائق المعقولة المدركة بالبصيرة والى ذلك أشار بقوله تعالى : « الذين يذكرون الله قياماً » الاية ، وأصله من قولهم : بعير محبوك القرى أي محكمه والاحتباك : شد الازار .

وفي اللسان : الحبك : الشد واحتبك بازاره : احتبى به وشده الى يديه ، الحبكة الحبل يشد به على الوسط ، والتحبيك : التوثيق ، الحبك : تكسر كل شيء كالرملة اذا مرت عليها الريح الساكنة والماء القائم اذا مرت به الريح ،

والكمرة الحدة تكسّرها حبث، المحبوك الشديد الخلق من الفرس وغيره.

١٩ ـ الخرص ـ ٤٠٧

خرص في شيء يخرص خرصاً فهو خارص ـ من باب نصر ـ : حدس فيه وقال بالظن والتخمين

خرص المال : أصلحه وخرص الثمر أي قدره بالظن وتخرّص فلان على الباطل واخترصه اقتعله

ويقال فيه ثلاثة أمثلة خرْص وهم خرّاصون والخرْص الكذّاب خرص خرصاً من باب نصر إذا حزر ما على النخل من الرطب تمراً وما في الكرم من العنب زبيباً، وفي الحديث « كان النبي ﷺ يبعث الخرّاص على النخل حين يطلع بدو صلاحها فيخرصونه رطباً كذا وتمراً كذا ».

خرص : ألقى القول عن ظنّ وتخمين دون علم ويقين تشبيهاً بفعل الخارص قال تعالى « ما لهم بذلك من علم إن هم إلا يخرصون » الزخرف ٢٠، ويستعمل في الكذب وقد جاء في القرآن على هذا المعنى الذي، قال تعالى «قتل الخرّاصون» الذاريات : ١٠)

الخرص اسم من خرص تقول كم خرص أرضك أي كم قدرها وتخمّن فيها

في المفردات : الخرص حزر الثمرة، وقوله تعالى « قتل الخرّاصون » قيل لعن الكذّابون والحقيقة ذلك أن كلّ قول مقبول عن ظنّ وتخمين يقال خرص سواء كان مطابقاً للشيء أو مخالفاً له من حيث أن صاحبه لم يقله عن علم ولا علة ظنّ ولاستماع ما اعتمد فيه على الظن والتخمين كفعل الخارص في خرصه، وكل من قال قولاً على هذا النحو قد يسمّى كاذباً وإن كان قوله مطابقاً للمقول المخبر عنه كما حكي عن المنافقين في قوله عزّ وجلّ . « إذا جاءك المنافقون قالوا نشهد إنك لرسول الله والله يعلم إنك لرسوله والله يشهد أنّ

المنافقين لكاذبون».

وفي اللسان: أصل الخرص: التظنّي فيما لا تستيقنه ومنه خرص النخل و الكرم اذا حزرت التمر لان الحزر انما هو تقدير بظنّ لا احاطة والخَرْص ـ بالتحريك ـ: جوع مع برد، ورجل خرص جائع مقرور.

٣٤ ـ الغمر ـ ١١٠٣

غمره الماء يغمره غمراً ـ من باب نصر وعلم ـ: علاه وغطّاه، أصل الغمر: الستر و التغطية ومنه يقال غمر لقوم فلانٌ اذا غلبهم شرفاً، أرض غامرة اذا كان الماء يغلبها فيغمرها

من المادّة الغمرة معظم الماء الساتر للمقرّ، ومنه الغمر: ما له أثر الشيء وبقية الرجل السخي والفرس الشديد العدو، وغمرة الشيء شدته ومزدحمه، وغمرات الموت: شدائده، وفي وصف ائمّة أهل البيت عليهم السلام. «كم فرّج الله عنّا غمرات الكروب» أي شدائده

و منه المغمور في الضلالة و الجهالة و ورد ممن المادة الغمرة والغمرات مادّياً للموت معنوياً للضلالة و الجهالة فيهما تغمران صاحبهما فيهما و تستران عنهما الهدى والمعرفة.

قال الله تعالى «الذين هم في غمرة ـ هون» الذاريات ١١)

وقال: «بل قلوبهم في غمرة» المؤمنون: ٦٣).

وقال: «في غمرات الموت» الأنعام: ٩٣).

يقال: دخلت في غمار الناس وغمرة الناس، أي في جمعهم المتكاثف.

هو أغمرهم: أوسعهم فضلا، وفي الدعاء: «الحمد لله الذي من خشيته تموج البحار ومن يسبّح في غمراتها» و في الحديث. «فقذفهم في غمرات جهنّم» أي

المواضع التي يكثر فيها النار

المغمور : الذي ليس بمشهور. وغمرة كل شيء : منهمكه وشدته كغمرة الهم والموت ونحوهما.

و الغمرة : فوق العلة و العلة فوق السهو فالمعنى انهم في غاية العلة والجهل والسهو .

١٠ ـ الهجع ـ ١٥٩٤

هجع يهجع هجوعاً ـ من باب منع ـ : نام ليلا .

يقال أتيت فلاناً بعد هجعة اى بعد نومة خفيفة من اول الليل

قال الله تعالى «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» الذاريات ١٧) ، وفي الدعاء : «وطال هجوعي وقل قيامي»

الهجوع : النومة الخفيفة ، الهجعة : الغفة والجهد ، رجل هجع عاقل من حديث النبي ﷺ «ارسل على طول هجعة من الامم» .

الهجع : العاقل السريع الاستقامة الى كل احد ، هجع القوم نوموا ، هجع جوعه : كسر ، فانكسر ولم يشبع بعد لازم ومتعد ، طريق تهجع : أى واسع ، الهاجع : اسم فاعل جمعه هجوع وهجع وهواجع .

في المفردات : الهجوع : النوم ليلا قال . «كانوا قليلا من الليل ما يهجعون» وذلك يصح أن يكون معناه كان هجوعهم قليلا من الاوقات الليلية ويجوز أن يكون معناه لم يكونوا يهجعون والقليل يعبّر به عن النفي والمتروك لقلته ولقيته بعد هجعة أى بعد نومة .

٨٤ - الروغ - ٦١٢

راغ يروغ روغاً وروغاناً - من باب نصر - مال وحاد، راغ الى كذا: مال اليه وأقبل عليه سراً، وراغ عليه: اقبل عليه سراً، قال الله تعالى: «فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين» الذاريات ٢٦) أى رجع الى أهله من حال اخفاء منه لرجوعه، وراغ الثعلب عن الطريق: حاد عنه وذهب هكذا وهكذا اى يمنة ويسرة فى سرعة فلا يستقر فى جهة مكراً وخديعة، يقال: هو ثعلب روّاغ وهذا أروغ من الثعلب فهو رائغ، راوغه: صارعه وخادعه، طريق رائغ أى مائل، ومنه حديث قس: «خرجت أريد بعيراً شرد منى» أى أطلبه بكل طريق

قال معاوية بن أبى سفيان لعبد الله بن الزبير: «انما أنت ثعلب روّاغ كلما خرجت من حجر الضحرت من حجر» روّغ فلان الثريدة: دسمها وروّاها، وروّغ له لقمة: شرّبها بالدسم، ويقال: هو يراوغ فلاناً: اذا كان يحيد عما يريده عليه راوغ بعضهم بعضاً: خادعه، تروغت الدابة: تمرّغت، يقال: فلان يروغ عن الحق: مال عنه، ومنه حديث الاحنف: «فعدلت الى رائغة من روائغ المدينة» اى طريق يعدل ويميل عن الطريق الاعظم.

١٣ - الوجس - ١٦٤٦

وجس فلان يجس وجساً ووجاساً - من باب ضرب - : فزع مما وقع في قلبه أو سمعه من صوت أو غيره خفي . الوجس الصوت الخفي وفزعة القلب ، الوجس اضطراب الخوف وأوجس الشيء استحاساً أحسّه وشعر به أو أضمره ، يقال أوجس فزعاً أو خوفاً وهو من الوجس للصوت الخفي وكثر استعماله في شعور الخوف ، ويطلق الوجس على الفزع يقع في القلب ، قال الله تعالى «فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشّروه بغلام عليم» الذاريات ٢٨) ، وفي الحديث «دخلت الجنة فسمعت في جانبها وجساً فقيل : هذا بلال»

وفي الحديث «انه نهى عن الوجس» وهو أن يجامع الرجل امرأته ويسمع غيرهما حسهما ، يقال . توجّست الطّعام والشراب ان تتذوّقه قليلا قليلا ، والاوجس الدهر ، يقال سجيس عجيس الاوجس أي لا أفعله طول الدهر .

في المفردات : الوجس . الصوت الخفي والتوجّس التسمّع ، والاحساس وجود ذلك في النفس ، قال : « فأوجس منهم خيفة »

والوجس قالوا هو حاله تحصل من النفس عند الهاجس لأن الهاجس مبتدأ التفكير ثم يكون الواجس الخاطر .

٣٧ ـ الصك ـ ٨٦٧

صكّه يصكه صكّاً ـ من باب نصر ـ: ضربه شديداً.

أصل المعنى تلاقي شيئين بشدة حتى كأن أحدهما يصرع الآخر، وصكّ الباب: أعنفه بصفق اصطكت الركبتان: اضطربت وصرّ من احداهما الأخرى عند المشي والعدو، فيؤثر فيهما

وورد منه فيه بشه الضرب مافي «صكّت وجهها» الذاريات ٢٩) أي لطمت بأطراف الأصابع بيد مبسوطة جهتها. وأصكّ القوم بالسيوف: ضربوا بها، ومنه الحديث «اصطكوا بالسيوف» أي ضربوا بها، والصك: كتاب كالسجل يكتب في المعاملات، وفي الحديث «من رحل بشهد شهادة زور على رجل مسلم الا كتب الله له مكانه صكّاً من النار».

وفي الحديث: «نهى عن بيع صك الورق حتى يقبض».

وجمع الصكّ: صكاك ومنه حديث ملك الموت و قد سئل هل تعلم نفس من تقبض؟ قال: لا انما هي صكاك تنزل من السماء اقبض نفس فلان بن فلان.

الصكيك: الضعيف.

وفي اللسان: المصكوك: المزيوف والصكّ الذي يكتب للعهدة معرّب أصله «چك» ويجمع صكاك وصكوك، ومنه الحديث في النهي عن شراء الصكاك.

وفيه: وفي القاموس وشرحه وفي حديث أبي هريرة قال لمروان: أحللت بيع الصكاك، وهي جمع صك وهو الكتب وذلك ان الامراء كانوا يكتبون الناس بأرزاقهم وأعطياتهم كتباً فيبيعون مافيها قبل أن يقبضوها معجّلا ويعطون المشتري الصك ليمضي ويقبضه فنهوا عن ذلك لانّه بيع مالم يقبض.

٦٩ ـ العقم ـ ١٠٣٤

عقم يعقم عقماً ـ بضم العين في المصدر وفتحها مع سكون القاف وفتحها ـ من باب علم وضرب ـ : يبس وسكت.

أصل العقم: السد والمنع والقطع، من الحسي العقم اليبس نقول: عقمت مفاصل يديه ورجليه اذا يبست وعقمها بدون وصف الرحم لدى لا معطي الولد فهي عقيم قال تعالى «وقالت عجوز عقيم» (الذاريات ٢٩) وتوصف الريح بالعقم يقال: ريح عقيم وقال تعالى: «الريح العقيم» (الذاريات ٤١) وهي التي أهلك بها عاد وهي الريح الدبور ضد الريح اللاقح سميت عقيماً لانها لا تلقح شجراً ولا تنشىء سحاباً ولا تحمل مطراً.

وتوصف الحرب بالعقم فيقال حرب عقيم لكثرة فيها القتلى وتترك النساء أيامى وتوصف يوم القيامة بها قال تعالى «عذاب يوم عقيم» (الحج ٥٥) لانه لا يوم بعده ولانقطاع رحمة الله تعالى يومئذ عن الكافرين وانقطاع فرحهم وانقطاع الليل بعده.

المعقومة من الارحام أي المسدودة التي لا تلد، وفي الحديث «سوآء ولود خير من حسناء عقيم» وفي الحديث «اليمين الفاجرة التي يقطع بها مال المسلم تعقم الرحم» يريد انها تقطع الصلة والمعروف بين الناس، وعقل عقيم: لا خير فيه ولا ينفع صاحبه، قال رسول الله ﷺ: «العقل عقلان فأمّا عقل صاحب الدنيا فعقيم وأما عقل صاحب الاخرة فمثمر» الدنيا عقيم: لانها لاترد على صاحبها خيراً.

المدث عقيم أي لا ينفع فيه سب لانّه يقتل في طلبه الاب والولد والاخ والعم فسمي به لتقطع صلة الرحم بالتزاحم عليه.

عاقم حاصم، والعقم الرحل الشيء الحلق، يقال أمت عقام لايصلح لهوى وحرب عقام أى شديدة ورحل عقم أى لا يولد، عقم الحلق ضيقه، ويقال فلان عقمى الكلام عامضه الذى لا يعرفه الناس، وجمع العقيم: عقائم وعقم وعقماء وعقام وعقمى.

فى المفردات أصل العقم: اليبس المانع من قبول الاثر يقال عقمت معاصله ودواء عقام لا يقبل البرء والعقيم من النساء التى لا تقبل ماء الفحل.

٧٢ - الرميم - ٦٠٠

رمّ الحبل يرمّ رمّاً ورميماً - من باب ضرب وضرب - انقطع، ورمّ الميت وأرمّ بلى فهو رميم، والرميم نبات الارض اذا يبس ودبس، والرمم الحلق البالى من كل شيء.

قال الله تعالى «هل تحس منهم من أحد أو تسمع لهم ركزا» (الحاقة ٦٩: ٨). الرميم البالى من العظام قال تعالى حكاية عن منكرى البعث «من يحيى العظام وهى رميم» (يس: ٧٨).

الرمة - بالكسر والتشديد - العظام البالية ومنه الحديث «نهى ان يستنجى بالرمة والروث» وذلك للحرمة أو لاحتمال نجاستها أو لانها لاتقوم مقام الحجر لملاستها.

ورممت الشيء رمة ومرمة اذا أصلحته بعد ما فسد ورمّ الامر اصلاحه بعد انتشاره، ومنه الحديث «لايكون العقل طابع الا فى ثلاث: تزود لمعاد أو مرمة لمعاش ولذة من غير محرم».

والرمة - بالضم والتشديد - قطعة من الحبل يشد بها الاسير أو القاتل اذا قيد الى القصاص، ومنه سمى «الرمة» ومنه قولهم «دفع الشيء برمته» واصله

انّ رجلا دفع الى رجل بعيراً يحمل على عنقه فقيل ذلك لكل من دفع شيئاً يحمله، و في حديث الامام علي عليه السلام يدمّ الدنيا : «وأسابها رمام» أي بالية و هي قصعة حمل بالية، والرمرام : حشيش الربيع. وأرمّ : سكت وخاف وفي الحديث : «فلما سمعوا ذلك أرمّوا ورهبوا» أي سكتوا وخافوا.

في المفردات : الرمّ اصلاح الشيء البالي والرمّة تختصّ بالعظم البالي والرمّة تختصّ بالحبل البالي، والرمّ : القتات من الحشب والتبن و أرمّت عظامه اذا سحقت حتى اذا نفخ فيها لم يسمع لها دوي وترمرم القوم اذا حرّكوا افواههم بالكلام ولم يصرّحوا.

٣٤ ـ الزوج ـ ٦٥١

زاج ينهم يزوج زوجاً ـ من باب نصر ـ : حرّش وأغرى وزوّجه امرأة ـ من باب التفعيل ـ أنكحها اياه وجعلها له زوجاً وعقد له عليها، قال تعالى «فلما قضى زيد منها وطراً زوجناكها» الاحزاب : ٣٧)

وزوجه بامرأة أنكحه اياها، قال تعالى «وزوجناهم بحور عين» الطور ٢٠)

الزوج النعل، الزوجة امرأة الرجل، جمعها زوجات، ويطلق الزوج على كل واحد منهما، قال تعالى في الرجل «قد سمع الله قول التي تجادلك في زوجها» المجادلة ١)

وفي المرأة «اسكن أنت وزوجك الجنة» الاعراف ١٩)

الزوج الفرد اذا كان معه آخر يقترن به للتناسل الذكر زوج والانثى زوج وهما زوجان والجمع منهما أزواج.

الزوج: ضد الفرد وخلافه يقال: زوج أو فرد، والزوج : الصنف والنوع من كل شيء، قال تعالى «ومن كل شيء خلقنا زوجين» الذاريات ٤٩)

وفيه تنبيه الى أن كل ما في العالم زوج من حيث انّ له سداً أو مثلا.

وروح الاشياء جعلها أصنافاً وقرن بينها. وراوح فلان فلاناً خالطه، وأروح بينهما: قرنهما، وتراوح الكلام، وارتوح أشبه بعضه بعضاً من السجع أو الوزن.

ارتوح - من باب الافتعال - على قلب التاء دالا لكون الراء فاء الفعل، والازواج: القرناء

قال تعالى «احشروا الذين ظلموا وازواجهم» الصافات ٢٢).

أى أقرانهم المقتدين بهم فى عقيدتهم وأعمالهم.

الريح جيد الشئ معرب ريك بالفارسية وهو عند المتحيين كتاب معروف تعرف به أحوال حركات الكواكب وبؤخذ منه التقويم.

فى المفردات يقال لكل واحد من القرينين من الذكر والانثى فى الحيوانات المتزاوجة زوج ولكل قرينين فيها وفى غيرها زوج كالخف والنعل، ولكل ما يقترن بآخر مماثلا له أو مضاداً زوج

٣٢ - الرزق - ٥٦٠

ورقه يرزقه رزقاً - من باب ضرب - أوصل اليه رزقاً وأعطاه من الخير فهو وارق وذاك مرزوق.

الرزق - بالكسر - اسم لما يعطيه الله وينتفع به وقد يوضع موضع المصدر وهو مفتوح الراء.

قال الله تعالى: «كلوا واشربوا من رزق الله» البقرة ٦٠).

وقال «وفى السماء رزقكم» الذاريات ٢٢) أى تقدير رزقكم، وقيل: عنى به المطر لانه سبب الرزق، وفى الحديث: «قسم الله الارزاق» قدرها لعباده لكل واحد منهم نصيباً.

والرازق يقال لخالق الرزق ومعطيه والسبب له وهو الله الذى خلق

الارزاق واعطى الخلائق أرزاقها وأوصلها اليهم .

قال الله تعالى: «ان الله هو الرزاق» الذاريات: ٥٨).

وقال «وما من دابة في الارض الا على الله رزقها» هود: ٦).

وقال: «قل من يرزقكم من السماء والارض ـ فسيقولون الله» يونس: ٣١)

والرزق نوعان: ظاهرة مادّيّة للابدان كالاقوات، باطنة معنوية للقلوب والنفوس كالمعارف والعلوم والجاه والمقام وما اليها

والرزق أيضاً نوعان: دنيويّة، قال تعالى: «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض» الشورى ـ ٢٧)

اخرويّة، قال تعالى: «ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله أمواتاً بل أحياء عند ربهم يرزقون» آل عمران ١٦٩)

ارتزق: طلب منه الرزق.

في المفردات الرزق يقال للعطاء الجاري تارة دنيوياً كان أم اخرويّاً، وللنصيب تارة ولما يصل الى الجوف ويتغذى به تارة.

٧٩ ـ القوة ـ ١٢٧١

قوى الشخص أو الشيء يقوى قوّة ـ من باب علم ـ . تماسكت أجزاؤه وصلب فهو قوى ضد ضعف، يقال قوى جسمه وقوى عقله وقوى مركزه وقويت عزيمته أو ارادته.

وجاء للقوة في القرآن الكريم معان:

١ ـ القدرة أو الاستطاعة ماديّة كانت أم معنويّة قال تعالى: «وأعدّوا لهم ما استطعتم من قوة» الانفال: ٦٠).

وقال: «ان القوة لله جميعاً» البقرة: ١٦٥) أي القدرة التي هي من صفات الله تعالى.

٢ ـ الجد وصدق العزيمة، قال تعالى: «خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه» البقرة ٦٣).

٣ ـ شدة الابرام في غزل الصوف أو نحوه، قال: «ولاتكونوا كالتي نقضت غزلها من بعد قوة أنكاثاً» النحل ٩٢).

القوى جمع القوة، قال تعالى: «ان هو الا وحي يوحى علّمه شديد القوى» النجم ٥) أي ملك قواه شديدة.

المقوي: اسم فاعل من أقوى الرجل يقوي اذا نزل القواء أي القفر ويكنى بذلك عن الفقر، جمعه مقوون، قال تعالى: «نحن جعلناها تذكرة و متاعاً للمقوين» الواقعة ٧٣) أي المسافرين المحتاجين.

أقوى اذا استغنى، أي صار ذا قوّة وغنى، و أقوى اذا افتقر، أي زالت قوّته، فهو من الاضداد.

اقتوى: تشدد وكان ذا قوة، واقتوى: استخلص، و اقتواه: اختصّه لنفسه، جمع قوىّ: أقوياء.

في المفردات: القوّة تستعمل تارة في معنى القدرة، نحو قوله: «خذوا ما آتيناكم بقوة» وتارة للتهيّؤ الموجود في الشيء، نحو ان يقال: «النوى بالقوة نخل» أي متهيّء ومترشّح أن يكون منه ذلك.

ويستعمل ذلك في البدن تارة وفي القلب اخرى وفي المعاون من خارج تارة وفي القدرة الالهيّة تارة اخرى.

ففي البدن نحو قوله: «وقالوا من أشد منّا قوّة ـ فأعينوني بقوّة» والقوّة ههنا قوة البدن بدلالة انّه رغب عن القوة الخارجيّة فقال: «ما مكّنني فيه ربي خير» وفي القلب نحو قوله: «يا يحيى خذ الكتاب بقوة» أي بقوّة قلب.

وفي المعاون من خارج نحو قوله: «لو انّ لي بكم قوّة» قيل معناه: من اتقوّى به من الجند وما أتقوّى به من المال، ونحو قوله: «قالوا نحن اولوا قوّة وأولوا بأس شديد».

وفي القدرة الالهيّة نحو قوله : «انّ الله قويّ عزيز وكان الله قويّاً عزيزاً» وقوله «ان الله هو الرزّاق ذوالقوة المتين» فعام فيما اختص الله تعالى به من القدرة وما جعله للخلق .

٣ ـ المتين ـ ١٤٠١

متن يمتن متانة فهو متين ـ من باب كرم ـ صلب وقوي واشتدّ و منه حبل متين . والمتن من الارض ما صلب و ارتفع

يقال : رجل متين أي شديد القوّة

وفي أسماء الله تعالى المتين ، وهو القوي الذي لايلحقه في أفعاله مشقة ولا تعب ولايعتريه وهن ولايمسّه لغوب ، والمعنى في وصفه بالقوة والمتانة ، انه قادر بليغ الاقتدار على كل شيء

قال تعالى . «انّ الله هو الرزاق ذوالقوة المتين» الذاريات ٥٨)

وفي وصفه بالكيد والمتانة ، انّه قوي لطيف لايغلب

قال تعالى : «انّ كيدي متين» الاعراف ١٨٣) .

متن بالمكان يمتن متوناً ـ من باب نصر ـ أقام وحلف وصرف ومدّ وبكع

متن فلان زيداً بالسوط متناً ، صرعه به ، أيّ موضع كان ، وقيل ، صرعه به صرعاً شديداً ، ومتن الشيء ، مدّه ، ومتن الكبش ، شق صفنه و استخرج بيضته بعروقها ، متن الخيمة ، صربها بحبوطها وأحد مدّ أطنابها ، ومتن المرأة نكحها ، متنه : ماطله ، ماتن فلاناً باعده في الغاية ، ومانن الرجل فعل به مثل ما يفعل به ، وأمتنه صرب متنه ، والماتن واسع الاصل . المتان ـ بالكسر ـ ما بين كل عمودين ، وفي الحديث «ومتن بالناس يوم كذا» أي سار بهم يوم أجمع ، ومتن في الارض اذا ذهب .

في اللسان : المتن من كل شيء ما صلب ظهره والجمع متون والمتان ومتن الرمح والسهم وسطهما .

وفي القاموس : وشرحه المتن النكاح والحلف والضرب بالسوط والذهاب في الارض والمد وما صلب من الارض وارتفع واستوى .

والمتن لرحل الصلب القوى ، ومتنا الظهر مكتنفا الصلب عن يمين وشمال من عصب ولحم ، وقيل هو ما اتصل بالظهر الى العجز .

﴿ النحو ﴾

١ - (والذاريات ذروا)

الواو للقسم و « الذاريات » مجرور بها على حذف فعل القسم ، أى أقسم بالذاريات

وقيل الذاريات صفة لموصوف محذوف على تقدير ورب الرياح الذاريات « ذروا » مصدر عامله « الذاريات » وهى جمع الذاريه على وزن الدارية .

٢ - (فالحاملات وقرا)

الفاء للعطف و « الحاملات » جمع الحاملة مجرورة بالعطف على « الذاريات » و « وقرا » مفعول الحاملات ويحتمل الحال ولم يقل . أوقاراً باعتبار جنس المطر وهو واحد .

٣ - (فالجاريات يسرا)

« فالجاريات » عطف على « الذاريات » و « يسرا » مصدر فى موضع الحال أى ميسرة أو صفة لمصدر محذوف أى جريا يسرا .

٤ - (فالمقسمات أمرا)

عطف على « الذاريات » و « المقسمات » جمع المقسمة من باب التفعيل

و «أمراً» مفعول به ويحتمل الحال .

٥ ـ (انما توعدون لصادق)

«انّ» حرف تأكيد و «ما» موصولة في موضع نصب اسمها و«توعدون» فعل مضارع لجمع الخطاب من الايعاد صله للموصول على حذف العائد ، أى توعدونه و«لصادق» واللام للتأكيد ومدخولها خبر لحرف التأكيد والجملة جواب القسم. وقيل : «ما» مصدرية و «توعدون» من الوعد .

٦ ـ (وان الدين لواقع)

الآية عطف على ما قبلها من جواب القسم

٧ ـ (والسماء ذات الحبك)

الواو للقسم و «السماء» مجرور بواو «ذات الحبك» صفه من «السماء» و«الحبك» جمع الحبيكة .

٨ ـ (انكم لفى قول مختلف)

«انّ» حرف تأكيد والضمير لجمع الخطاب في موضع نصب اسمها و «لفى قول» اللام للتأكيد والجار والمجرور متعلّق بمحذوف وهو خبر لحرف التأكيد و«مختلف» نعت من «قول» والجملة جواب القسم .

٩ ـ (يؤفك عنه من افك)

«يؤفك» فعل مضارع مبنىّ للمفعول وفاعله الضمير «من» وفى ضمير «عنه» وجوه : أحدها ـ راجع الى «ما» وهو الظاهر ثانيها ـ راجع الى القرآن من حيث اشتماله على وعد البعث والجزاء ثالثها ـ : راجع الى النبى ﷺ والمعنى يصرف عن الايمان به من صرف رابعها ـ : راجع الى قول مختلف و«عن» للتعليل والجملة صفة لقول ، والمعنى : انكم لفى قول مختلف يوفك بسببه من افك وهو فعل ماض مبنى للمفعول .

١٠ - (قتل الخراصون)

«قتل» فعل ماض مبنيٌ للمفعول و « الخراصون » جمع الخرّاص للمبالغة فاعل ليابى من «قتل».

١١ - (الذين هم في غمرة ساهون)

«الّذين» في موضع رفع نعت من «الخرّاصون» و «هم» مبتدأ و«في غمرة» متعلق بقوله «ساهون» وهو خبره والجملة صلة الموصول.

١٢ - (يسئلون ايان يوم الدين)

«يسئلون» في موضع رفع نعت ثان من «الخرّاصون» وقيل في موضع نصب حال منهم. و«ايّان» للزمان استفهاماً مبتدأ و «يوم الدين» خبره وقيل: العكس

١٣ - (يوم هم على النار يفتنون)

في «يوم» وجوه أحدها - في موضع رفع على البدل من «يوم» الاوّل الاّ انّه بني لانّه اضيف الى غير متمكّن وبني على الفتح لانّه أخف - ثانيها - في موضع نصب على تقدير «الجزاء يوم الخ» ثالثها - هو معرب وفتح على حكم الظرف دائما - : على تقدير أعني يومهم

و «هم» مبتدأ و«على النّار» متعلّق بقوله «يفتنون» وهو خبر المبتدأ عدّي بعلى لأن المعنى انّهم يجرون على دخول النار، و قيل: هو بمعنى في أي يلقون في النّار.

١٤ - (ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون)

« ذوقوا » فعل أمر لجمع الخطاب و« فتنتكم » مفعول به و « هذا » مبتدأ و«الّذي» موصولة و« كنتم» فعل ماض لجمع الخطاب من أفعال النّاقصة و « به » متعلق بقوله: «تستعجلون» والضمير عائد الصلة و«تستعجلون» في موضع نصب خبر لفعل الناقص والجملة صلة الموصول و تمامها خبر المبتدأ.

١٥ - (ان المتقين في جنات وعيون)

«انّ» حرف تأكيد و «المتقين» اسمها و «في جنّات» جمع جنّة متعلق بمحذوف وهو خبرها أي مستقرّون فيها و «وعيون» جمع عين عطف على «جنات»

١٦ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

«آخذين» حال من «المتقين» او من ضمير الخبر و «ما» موصولة في موضع نصب مفعول به للحال و «آتى» فعل ماض من باب الافعال و «هم» في موضع نصب مفعول به و «ربّهم» فاعل الفعل والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي آتاه اياهم و «انهم» حرف تأكيد واسمها و «كانوا» فعل ماض ناقص والواو اقيمت مقام إسمه و «قبل ذلك» متعلق بقوله «محسنين» وهو خبر الفعل الناقص والجملة خبر لحرف التأكيد

١٧ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

«كانوا» فعل ماض من أفعال الناقصة إسمها الواو وفي خبرها وجهان أحدهما «ما يهجعون» وفي «ما» على هذا وجهان أحدهما زائدة أي كانوا يهجعون قليلا و «قليلا» نعت لظرف أي زمانا قليلا والنعت لمصدر أي هجوعاً قليلا والثاني نافية وهذا مردود لانّ النفي لا يتقدّم عليه ما في حيّزه وقليلا من خبره

ثانيهما: إنّ «قليلا» خبر كان وفي «ما» على هذا أيضاً وجهان. أحدهما: مصدرية أي كانوا قليلا هجوعهم ويحمل على هذا أن يكون «ما يهجعون» بدلا من إسم كان بدل الاشتمال وعلى هذا لا يجوز أن يتعلق «من الليل» بيهجعون لما فيه من تقديم معمول المصدر عليه وإنّما هو منصوب على التبيين أي يتعلّق بفعل محذوف يفسّره يهجعون. ولكن ليس فيه مدح لانّ كلّ الناس يهجعون في الليل ثانيهما: موصولة على حذف العائد و «قليلا» خبر كان والمعنى: كانوا قليل من الليل الّذي يهجعون فيه.

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

الواو للعطف و«بالاسحار» الباء بمعنى «في» والاسحار جمع السحر متعلق بفعل الاستغفار و «هم» مبتدأ و «يستغفرون» خبره والجملة عطف على ما قبلها.

١٩ - (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)

الواو للعطف وما يليها عطف على ما قبلها.

٢٠ - (وفي الارض آيات للموقنين)

«في الارض» خبر مقدم و«آيات» مبتدأ مؤخر.

٢١ - (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

الواو للعطف و «في أنفسكم» خبر لمبتدأ محذوف أي وفي أنفسكم آيات.

٢٢ - (وفي السماء رزقكم وما توعدون)

الواو للعطف و «في السماء» متعلق بمحذوف وهو خبر و «رزقكم» مبتدأ و «ما» موصولة و «توعدون» فعل مضارع لجمع المخاطب صلة على حذف العائد أي توعدونه.

٢٣ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

الفاء للتفريع والواو للقسم و«رب» مجرور بها اضيف إلى «السماء» «والارض» عطف على السماء والتقدير فأقسم برب السماء ورب الارض و «انه لحق» جواب القسم وفي الضمير وجوه: أحدها - راجع إلى «ما توعدون» ثانيها - راجع إلى مجموع «في السماء رزقكم وما توعدون» ثالثها - عائد إلى الله تعالى رابعها - عائد إلى القرآن، وغيرها من الوجوه الضعيفة، والاول هو الظاهر.

و «مثل» نعت من «لحق» بني لانه اضيف إلى غير متمكن وبني على الفتح لانه اخف و«ما» موصولة و «انكم» على كسر الهمزة وما بعدها صلة على حذف العائد ومصدرية على فتحها وهو الصواب فالمعنى: انه لحق حقاً مثل نطقكم.

٢٤ - (هل أتيك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

«هل» حرف إستفهام و«أتى» فعل ماض وضمير الخطاب للنبي صلى الله عليه وآله في موضع نصب على مفعول به و«حديث» فاعل الفعل أضيف إلى «ضيف» اضيف إلى «ابراهيم» و «المكرمين» نعت من «ضيف ابراهيم».

٢٥ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

«إذ» ظرف لحديث وقيل لضيف وقيل للمكرمين و «دخلوا» فعل ماض لجمع الغيبة فاعله «الواو» القائمة مقام الضمير الراجع إلى الضيف و «عليه» متعلّق بفعل الدخول والضمير راجع إلى «ابراهيم» و «قالوا» الفاء للتعريب و القائلون هم الضيف و «سلاماً» منصوب على المصدرية أي نسلّم عليك سلاما أو بوقوع القول عليه

و«قال» فاعل لفعل ضمير مستكن راجع إلى «ابراهيم» و«سلام» مبتدأ خبره محذوف أي سلام عليكم أو خبر لمحذوف أي أمري سلام، و«قوم منكرون» مبتدأ وخبر في موضع خبر سلام من «ضيف» وقيل حكاية قول إبراهيم في نفسه على أنه لما رآهم إستنكرهم وحدّث نفسه أن هؤلاء قوم منكرون وقيل إنه حكاية قوله عليه السلام لهم على تقدير: أنتم قوم منكرون.

٢٦ - (فراغ الى اهله فجاء بعجل سمين)

الفاء للتعريب والفعلان الماضيان فاعلهما ضميران مستكنان فيهما راجعان إلى ابراهيم و «سمين» نعت من «بعجل» والفاء الثانية فصيحة.

٢٧ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

الفاء للتعريب و«قرّبه» فعل ماض فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى ابراهيم وضمير الوصل في موضع نصب على المفعول به راجع إلى العجل و«إليهم» متعلّق بفعل التقريب وضمير الجمع راجع إلى الضيف و«قال» فعل ماض والقائل هو إبراهيم و«ألا» للعرض وهو طلب ليّن كما انّ التحضيض طلب بحث و«تأكلون» فعل

مضارع لجمع الخطاب للمتيقد.

٢٨ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم)

الفاء فصيحة على تقدير فلم يمدّوا إليه ايديهم فلمّا رأى ذلك نكرهم «فأوجس» وهو فعل ماض من باب الافعال فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى ابراهيم «منهم» متعلق به «خيفة» مفعول به «قالوا» القائلون هم الضيف «لا تخف» فعل مضارع مجزوم لأبراهيم عليه السلام مجزوم بحرف النهي «وبشروه» فعل ماض فاعله الواو القائمة مقام ضمير الجمع الراجع إلى الضيف وضمير الوصل في موضع نصب على المفعول به راجع إلى ابراهيم عليه السلام «بغلام» متعلق بفعل التبشير «عليم» نعت من «غلام».

٢٩ - (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

الفاء للتعريب «في صرّة» حال من الضمير «هو» «عجوز» خبر المحذوف و(عقيم) فعيل بمعنى مفعول لاتثبت فيه الهاء صفة من «عجوز».

٣٠ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

القائلون هم الضيف و (كذلك) في موضع نصب بقوله (قال ربك) وقيل: الكاف في (كذلك) صفة مصدر محذوف وتقديره قال ربك قولا كذلك أي مثل ذلك، والخطاب لامرأة ابراهيم عليه السلام.

٣١ - (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

القائل هو إبراهيم عليه السلام والفاء للتعريب و «ما» للاستفهام مبتدأ و «خطبكم» خبره و قيل: العكس.

٣٢ - (قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين)

القائلون هم الضيف و«إنّا» حرف تأكيد مع إسمها وكسر الهمزة لوقوعها مقول القول و«أرسلنا» فعل ماض مبنيّ للمفعول من باب الافعال للتكلم مع الغير،

٣٣ ـ (لنرسل عليهم حجارة من طين)

اللام للصيرورة وتسمّى لام العاقبة وقد تسمّى بلام العلّة ومدخولها منصوب بأن مقدّرة، و «عليهم» متعلّق بفعل الارسال والضمير راجع إلى المجرمين و«حجارة» مفعول بها و«من طين» متعلّق بمحذوف نعت من «حجارة» أُوحل منها

٣٤ ـ (مسومة عند ربك للمسرفين)

«مسوّمة» نعت من «حجارة» أوحال من ضمير متعلّق الجار والمجرور و«عند» ظرف للمسوّمة واللام في «للمسرفين» للعهد

٣٥ ـ (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

الفاء فصيحة ومدخولها فعل ماض للتكلم مع الغير من باب الافعال و «من» موصولة في موضع نصب على المفعولية و «كان» فعل ماض من أفعال الناقصة إسمه ضمير مستكن فيه راجع الى «من» و «فيها» متعلق بفعل محذوف وهو خبر لفعل الناقص والضمير راجع الى القرية المفهومة من السياق و «من المؤمنين» بيان لمن أو للمقيمين في القرية.

٣٦ ـ (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

الفاء للتفريع ومدخولها حرف نفي و «وجدنا» فعل ماض للتكلم مع الغير و«غير بيت» مفعول به.

٣٧ ـ (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

«آية» مفعول بها و «للذين» متعلق بمحذوف صفة للاية أي آية ثابتة و«العذاب» مفعول به و «الاليم» صفة للعذاب

٣٨ ـ (وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

عطف على قوله «وتركنا فيها آية» فالتقدير وتركنا في موسى آية وقيل عطف على قوله: «وفي الارض آيات» و «اذ» ظرف لتركنا، وقيل لآية، وقيل نعت لها. و «بسلطان» متعلق بفعل الارسال والباء بمعنى مع حال من موسى عليه السلام

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

«الباء» للتفريع ومدخولها فعل ماض من باب التفعل ، فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى فرعون و «بركنه» متعلق به حال من فرعون والباء بمعنى مع وقيل : للتعدية و «أو» للتنويع ، فقد يقال هو ساحر وتارة اخرى هو مجنون أو تكون للترديد وهو الظاهر .

٤٠ - (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)

«وهو مليم» الواو للحال أى والحال ان فرعون أتى من الكفر والطغيان بما يلام عليه

٤١ - (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)

عطف على ما تقدم أى وتركنا في عاد آية و «الريح» مفعول به و «العقيم» نعت لها

٤٢ - (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)

«ما» حرف نفي و «تذر» فعل مضارع فاعله ضمير مستكن فيه راجع الى الريح ، و «من شيء» «من» زائدة ومدخولها مفعول به و «أتت» نعت من «شيء» ، و «عليه» الضمير راجع الى «شيء» وفعل «أتت - و - جعلت» ضميران مستكنان فيهما راجعان الى الريح .

٤٣ - ٤٤ (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)

عطف على ما تقدم أى وتركنا في ثمود آية و «قيل» القائل هو صالح عليه السلام و «تمتعوا» فعل أمر لجمع المخاطب من باب التفعل و «وهم ينظرون» جملة حالية

٤٥ - (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

«الفاء» للتفريع ومدخولها حرف نفي و «استطاعوا» فعل ماض لجمع الغيبة من باب الاستفعال و «ما كانوا منتصرين» عطف على «ما استطاعوا» .

٤٦ - (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)

عطف على القصص السابقة والتقدير وأهلكنا قوم نوح و «من قبل» مبنيّ لنية المضاف اليه أى، من قبل عاد وثمود و «فاسقين» نعت من «قوما».

٤٨ - (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)

«السماء» منصوبة بفعل محذوف يفسّره المذكور بعدها و «بأيد» جمع يد بمعنى القدرة والمراد بها القوة والقدرة و «لموسعون» اللام للتأكيد ومدخولها اسم فاعل من باب الافعال جيء بصيغة الجمع للتعظيم

٤٨ - (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

عطف على ما قبلها و «نعم الماهدون» على حذف المخصوص أى نحن

٤٩ - (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

«من كل شيء» متعلق بخلقنا ويجوز أن يكون نعتاً من «زوجين» قدّم فصار حالا و «تذكّرون» فعل مضارع لخطاب الجمع المذكر على حذف التاء من باب التفعل.

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

«الى» للتعريض ومدخولها فعل أمر لجمع المخاطب و «لكم» حال من ضمير التكلم و «منه» متعلق بنذير و «مبين» صفة للنذير.

٥١ - (ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين)

«الواو» للعطف و «لا» حرف نهى و «تجعلوا» مجزوم بحرف النهى و «إلهاً» مفعول به و «آخر» نعت من «إلهاً» و «آخر» غير منصرف لمكان الوصف ووزن الفعل.

٥٢ - (كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

«كذلك» خبر لمحذوف أى الامر كذلك و «ما» حرف نفى و «الذين» فى موضع نصب على المفعول به و «من قبلهم» متعلّق بمحذوف وهو صلة الموصول، أى كانوا من قبلهم و «من» زائدة جيء بها للتأكيد و «رسول» فاعل لأتى.

٥٣ - (أتواصوا به بل هم قوم طاغون)

الهمزة للاستفهام الانكاري و«تواصوا» فعل ماض لجمع الغيب من باب التفاعل وضمير «به» راجع إلى القول و«بل» حرف إضراب و«هم» مبتدأ و«قوم» خبره و«طاغون» نعت من «قوم».

٥٤ - (فتول عنهم فما أنت بملوم)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل أمر خطاب للنبي الكريم ﷺ و«عنهم» متعلق به والضمير راجع إلى «قومه» والفاء تفيد أيضاً التفريع وتحتمل الفصيحة و«ما» حرف نفي و«أنت» إسمه و«بملوم» خبره على زيادة الباء لتأكيد.

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

الواو للعطف و«ذكر» فعل أمر خطاب للرسول ﷺ والفاء للتفريع و«الذكرى» إسم لحرف التأكيد و«تنفع» في موضع رفع خبره و«المؤمنين» مفعول به

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

«ليعبدون» اللام للغاية أو للغرض ومدخولها منصوب بأن مقدرة والنون للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها وللامكان في «الجن والانس» للجنس.

٥٧ - (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

«ما» حرف نفي و«اريد» فعل تكلم وحده من المضارع و«منهم» متعلق به والضمير راجع إلى الجن والانس، وقيل: إلى الكفار، و«من رزق» مفعول به على زيادة «من» و«يطعمون» إن للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها.

٥٨ - (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

«الرزاق» للمبالغة و«ذو القوة» نعت من «الله» و«المتين» صفة أخرى له.

٥٩ - (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)

الفاء للتفريع و «ذنوباً» جمع الذنب بالتحريك اريد بها النصيب و «فلا يستعجلون» الفاء للتفريع ومدخولها حرف نهي والفعل مجزوم بحرف النهي وهو من باب الاستفعال والنون للوقاية على حذف ياء التكلم لدلالة الكسرة عليها و«ذنوباً» اسم لحرف التأكيد و«مثل ذنوب» نعت من «ذنوباً»

٦٠ - (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون)

الفاء للتفريع ومدخولها مبتدأ و «للذين» متعلّق بمحذوف، أي ويل ثابت لهم و«الذي» نعت من «يومهم» و «يوعدون» صلة على حذف العائد أي يوعدونه

﴿ البيان ﴾

٤ - ١ (والذاريات ذروا فالحاملات وقرا فالجاريات يسرا فالمقسمات أمرا)

ان السرّ في محيي القسم بغير الله في بعض أوائل السّور مع ما نهاه رسول الله ﷺ عن الحلف بغير الله: أن العرب كانت تعتقد أن محمداً ﷺ رجل قويّ الحجّة عالم في المجادلة وإقامة الدّليل فأقسم لهم القرآن الكريم على لسان النّبيّ الكريم ﷺ بكل شريف ليعلموا صدقه وانهم كانوا يعتقدون ان الايمان الكاذبة تدع الديار وتوجب الهلاك وتضرّ صاحبها، وقد كان إكثار القسم دليلا على صدقه ﷺ.

وان وجه القسم في المقام بالاربع تعظيم لها لما فيها من العبر من هبوب الرياح تارة وسكونها اخرى، ودعوة للناس الى توحيد الربوبية ليثبت به يوم الجزاء الذي وعد الله ويندفع بذلك إنكار المنكرين للجزاء وذلك انّ تلك الرياح على أنحائها و إختلاف هبوبها جنوباً و شمالا وصبيها و نكبائها و جريانها و سكونها وما اليها من الاختلاف كما ينبىء عنه صيغ الجمع.

تقتضي مسكناً لها ومحركاً لا تشبه الاجسام وفي محيثها وقت الحاجة لتنشئة السحاب وتدرية الطعام ما يقتضي مصرفاً لها قادراً عليها وما في عصوفها تارة وليبها اخرى ما يقتضي قاهراً لها.

ومن محمل يحمل السحاب الماء وأمسكه من غير عماد وأعاث بمطره العباد وأحيى البلاد بعد موتها وصرفه في وقت العمى عنه بما لو دام لصاروا إلى الهلاك والدمار ومن تسخير البحر الملح والعذب مجريها وتقدير الريح للسفن والبحار بما لو زاد لغرق ولو كدلهلك وبما في هدايه النفوس الى تدبير مصالحها وما في عظم النفع بها فيما ينقل من بلد إلى بلد ومن العطف وعظم الفائدة وجلالة المنزلة للملائكة وتقسيم الامور بأذن الله تعالى في قوله

ومن دفع الاقذار ومن كتابة الحسنات والسيئات ومن قبض الارواح ومن إستغفارهم للمؤمنين واللعن على الفجار والكافرين

فتشير الايات الاربع على هذا إلى عامة التدبير حيث تذكر أنموذجاً مما يدبّر به الامر في البرّ وهو الذاريات ذروا وتذكر أنموذجاً مما يدبّر به الامر في البحر وهو الجاريات يسراً وتذكر أنموذجاً مما يدبّر به الامر في الجوّ وهو الحاملات وقراً وتسمّ الجميع بالملائكة الذين هم وسائط التدبير وهم المقسّمات أمراً فلكل واحد منهم وظيفة في الكون فتقسم الملائكة باقسام الوظائف لهم فالايات في معنى أن يقال. اقسم بعامّة الاسباب التي يتمّ بها أمر التدبير في العالم أنّ كذا وكذا.

ومن المحتمل أن تكون العاءات لترتيب الاقسام باعتبار ما بينها من التفاوت في الدلالة على كمال القدرة الالهيّة والاّ فهي لترتيب ما صدر عن الرياح من الافاعيل فانّها تذرو الاتربة الى الجوّ حتّى تعقد سحاباً فتجري به باسطة له إلى ما أمرت به فتقسم المطر على أقطار من الارض.

ففي تخصيص الامور المذكورة بالاقسام بها رمز إلى شهادته بتحقيق مضمون الجملة المقسم عليها من حيث انّها أمور بديعة مخالفة لمقتضى الطبيعة فمن قدر

عليها فهو قادر على البعث الموعود والجزاء.

٥ - (انما توعدون لصادق)

إن تسأل كيف وصف الله تعالى الموعود - وهو يوم البعث أو البعث - بأنّه صادق، والصادق وصف للقائل لا للوعد ؟.

تجيب عنه هذا من قبيل المجاز في النسبة، فالصادق بمعنى المصدوق كما في قوله تعالى «فهو في عيشة راضية» القارعة ٧) وقوله «خلق من ماء دافق» الطارق ٦) أو نسب لصدق، فإن المصدر قد جاء على وزن اسم الفاعل كقولهم قمت قائماً، ولحقت بهم اللائمة أي اللوم، أو اشارة الى أنّ هذا الوعد ذاتي وانه هو ذاته الصادق الذي ينطق بالصدق

٦ - (وان الدين لواقع)

بيان لما يقع يوم البعث من الجزاء بالجزاء على طريق العطف فليس بمنزلة التفسير على ما قيل فتدبر.

٧ - (والسماء ذات الحبك)

في الاقسام بالسماء ذات الطرائق توطئة لتذكير إختلاف الناس و تشتّت طرائقهم.

٨ - (انكم لفي قول مختلف)

جواب القسم وتأكيده بالتأكيدين والخطاب لهم وتنكير القول من التقريع والتنديد ما لا يخفى.

٩ - (يؤفك عنه من افك)

في الالتفات من الخطاب إلى الغيبة وإسناد الفعلين مبنيّين للمفعول تعميم بعد تخصيص ففي الاية شمول لكل من سلك مسلكهم كما تدلّ عليه الاية التالية.

١٠ ـ (قتل الخراصون)

هذا دعاء عليهم كقوله تعالى : « قتل الانسان ما أكفره »

وأصل الدعاء بالقتل والهلاك ثم جرى مجرى اللعن كأنه قيل : لعن هؤلاء المنكرون للبعث والجزاء ليس أمامهم الا الغرض والتخمين.

وفيه دلالة على أن المنكرين لم يكونوا جازمين في الانكار بل كانوا شاكين فيه .

١١ ـ (الذين هم في غمرة ساهون)

نعت المخرّاصين بوصف لازم سيهاً إلى إستحقاقهم هذا الدعاء .

١٢ ـ (يسئلون ايان يوم الدين)

سؤال على سبيل الاستعجال إستهزاء .

١٣ ـ (يوم هم على النار يفتنون)

جواب عن سؤالهم على سبيل الاستهزاء وعدل فيه عن بيان وقت يوم الدين إلى بيان أحوالهم فيه لما أن وقته من الغيب الذى لايعلمه إلا الله تعالى إذ قال: « لايجلّيها لوقتها الا هو » الاعراف : ١٨٧) .

١٤ ـ (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

حكاية خطاب من الله تعالى أو من الملائكة باذنه جلّ وعلا للمخرّاصين وهم يومئذ على النار يفتنون هذا مواجهة لهم بالعذاب ولقاء لهم بما يسوءهم .

١٥ ـ (ان المتقين في جنات وعيون)

بيان لحال المتقين يوم الدين بعد ذكر حال منكريه ، وفي تنكير جنات وعيون إشارة إلى عظم قدرهما كأنهما بحيث لايقدر الواصفون على وصفهما أو باعتبار كثرتها باختلاف درجات المتقين فيها وفي الآية إشعار إلى إستحقاقهم بهما

كما تدلّ عليه الاية التالية .

ان تسئل : كيف قال تعالى « إنّ المتقين في جنات وعيون » وليسوا هم في الجنة في العيون ؟

تجيب عنه : انّ العيون كثيرة تحدق بالمتقين من كلّ ناحية فهم في مجموعها لا في كل واحدة منها ، ونظير الاية قوله تعالى : « ان المتقين في جنات ونهر » القمر ٥٤) لانّه سيعلم أنهار إلاّ انّه عدل عنها رعاية للفواصل

١٦ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

بيان لحال المتقين وإستمتاعهم بنعم الله تعالى في الجنة وتعليل لذلك بما كانوا عليه من عقيدة حسنة ومن حسن العمل

١٧ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

بيان لكيفيّة إحسانهم وعملهم في تقليل نومهم وإستراحتهم حيث كانوا يقضون أكثر أوقات ليلهم بعبادة الله تعالى أو اكثر لياليهم بها .

وذلك لانّ القليل من الليل لو أخذ بالقليل إلى مجموع زمان كل ليلة فكانوا يهجعون كل ليلة زماناً منه ويصلّون أكثرها ولو أخذ إلى مجموع الليالي فكانوا يهجعون في قليل من الليل ويقومون للصلاة في أكثرها اى لايعوتهم صلاة الليل إلاّ في قليل من الليالي .

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

وفيه تنبيه إلى فضل السحر الذى هم قطعوه إستغفاراً وإشارة إلى أنّهم يرون انّ ماقاموا به من صلاة وتسبيح وذكر لم يستوف ما لله من حق عليهم في عبادته وتسبيحه فهم لهذا كانوا يستغفرون ربّهم ليتجاوز عن تقصيرهم في حقّه ولم في الاستغفار من الاثر وفي الايتين بيان لبرّهم في حنب الله تعالى وهي قيام الليل والاستغفار بالاسحار .

١٩ - (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)

بيان لسيرتهم في جنب الناس - وانّهم يعرفون صفاء فطرتهم ان للسائل والمحروم حقاً في أموالهم - إثر بيان سيرتهم في جنب الله تعالى وفي هذا صورة رائعة لاثر الايمان في قلوبهم من دون ريب

٢٠ - (وفي الارض آيات للموقنين)

لفت نظر الناس إلى ما في الارض من مشاهد وآيات تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وقدرته وعظمته وعلى وحدة التدبير القائمة بوحدانية مدبّره من بر وبحر وسهل وجبل ومعادن وعيون وأنهار وعلى صحة ما يتدبر به ربّه الكريم ﷻ وقدرته تعالى عليه وفيها آيات كافية لاقناع من حسنت بيّنته ورغب في معرفة الحق واليقين في قوله تعالى «للموقنين» إشارة إلى أنّه لا ينتفع بتلك الايات الكونيّة ولا يقف على مواقع الهدى منها إلا أهل اليقين الذين يطلبون المعرفة والعلم بالنظر والتدبر.

٢١ - (وفي انفسكم أفلا تبصرون)

لفت نظر بطريق الالتفات إلى ما في تكوين الانسان الجسماني والعقلي ومآله من مختلف الاحوال ومآله من عجائب الآثار والافعال كلها تدل على مدبّر واحد.

وسؤال انكاري وتعجبي في صدد ما في تكوين الانسان عما إذا كان المشركون لا يدركون ذلك ولا تذهلهم روعته وعجائبه فعموا عن مشاهد القدرة الالهيّة وآثارها الناطقة في كل ما خلق الله تعالى.

٢٢ - (وفي السماء رزقكم وما توعدون)

لفت نظر إلى السماء وما فيها من أسباب الرزق ومآلك الحياة.

٢٣ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

تفريع لما تقدّم حيث انتهى بقسم برب السماء والارض اللتين إحتوتا ما

احتوتاه من الآيات الآفاقية والانفسيّة والبراهين القاطعة على أنّ ما يسمعه المخاطبون من بدء وما يتلى عليهم من قرآن كريم حقّ لا صح الارتياب فيه، ومثله مثل حاسّة النطق في الناس الّتي لا يصح الارتياب فيها، وهل ينكر الانسان وجوده وهو حيّ ناطق؟ واختار النطق لانّه صفة دالة على وجود الانسان لأنّ النطق هو الصّفة المميزة للانسان في عالم الحيوان الدالة على أنّ وراء الحيوان إنساناً ذا حسّ وادراك وأنّه اذا غابت عنه المحسّات والمدركات فلن يغيب عنه الاحساس عن وجوده وادراك أنّه موجود فما جاء به النبيّ الكريم ﷺ من الوعد فهو واقع لا محالة لامتراء فيه، كما أخبر به الله تعالى على سبيل القطع واليقين

٢٤ - (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

أتى بالقصص بأسلوب الاستفهام تفخيماً لشأن الحديث كما تقول لمخاطبك: هل بلغك كذا وكذا وأنت تعلم أنّه لم يبلغه توجيهاً لانظاره حتّى يصغي إليه ويهتمّ بأمره فلوجاء على سورة الخبر لم كان له من الروعة و الجلال كما يكون عليه سورة الاستفهام، وتنبيهاً إلى أنّ رسول الله ﷺ لم يعلم به إلا بطريق الوحي.

وفي تخصيص إبراهيم بالذكر من بين الانبياء لكونه شيخ المرسلين ولانّ العرب تجلّه و تحترمه وتدعي انّهم على دينه ولكون رسول الله ﷺ على ملّته و ملّته.

و«ضيف» بمعنى ضيوف من قبيل إطلاق المفرد على الجمع كقوله تعالى حكاية عن لوط مخاطباً لقومه: «انّ هؤلاء ضيفي فلا تفضحون» (الحجر ٦٨) وأشار اليهم بالجمع كما وصفوا هنا بصفة الجمع «المكرمين»

٢٥ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون)

الظرف لتقييد الحديث أو الخبر الذي يورده الله تعالى على النبيّ الكريم ﷺ فيما كان بين الملائكة وبين إبراهيم على هذا الوقت الّذي دخلوا عليه فيه، فقالوا لابراهيم هذه الكلمة تسلاماً» ايذاناً بأنّهم مشوا إليه أمناً وسلاماً ولا يريدون به

سوءاً فردّ إبراهيم على ضيفه إدخال سلام تحيّتهم الموحرة الخاطفة.

٢٦ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

بيان أدب أخلاقيّ اذ ذهب إبراهيم الى أهله في خفية من غير أن يكاشف ضيفه بما يريد من اكرامهم واعداد الطعام لهم ومن أدب المضيف أن يخفي أمره وأن يعاجله بالقرى من دون أن يشعر به الضيف حذراً من أن يكفّه.

الفاء الثانية فصيحة تفصح عن جمل قد حذفت لدلالة الحال عليها وابتدأ بكلمة سرعة المجيء بالطعام أي فذبح عجلا فجاء به وإنّما جاء بعجل سمين عامّة مال ابراهيم عليه السلام البقر.

٢٧ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

وفي تقريبه من الايجاز مالا يخفى أي قرّبه اليهم فلم يمدّوا أيديهم إليه ولم يقبلوا على أكل منه كما هو شأن الضيف حين يقدّم إليه الطعام فلما رأى ذلك منهم نكرهم وأوجس منهم خيفة فحرّضهم وقال: ألا تأكلون.

٣٠ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

اشارة الى ما بشّروها به مما لها ولزوجها وهي عجوز عقيم وبعلها شيخ كبير. وتعليل لما أراد الله تعالى بذلك

٣١ - (قال فما خطبكم ايها المرسلون)

وفي نداء ابراهيم عليه السلام للملائكة باسم المرسلين لا باسم الملائكة اشارة الى أنّهم ليسوا مجرد ملائكة عابرين به بل انّهم محمّلون برسالة من ربّ العالمين هو يسئلهم عن محتوى ما أرسلوا به اليه.

٣٢ - (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

بيان لاستحقاق القوم بالعذاب وهو الاجرام.

٣٣ - (لنرسل عليهم حجارة من طين)

تعليل وتقرير للسبب الّذي من أجله ارسلوا الى القوم المجرمين ، و في وصف الحجارة بأنّها من طين إشارة إلى أنّ هذا الطين الذي لا يرجو يعمل بقدرة الله تعالى فعل الحجارة الصلدة فيهلك ويدمر ، وكأنّه الصّواعق المنقضّة من السّماء

٣٤ - (مسومة عند ربك للمسرفين)

في الآية استعارة و ذلك انّ السوّمة المعلمة وأصل ذلك مستعمل في تسويم الخيل في الحرب أي تعليمها بعلامات تميزها من خيل العدوّ فشبهت هذه الحجارة بها لانّها معلمة بعلامات تدلّ على مكروه المعاصين وشرور المعتدين كما كانت للخيل المسوّمة داله على دلك في لقاء الاعداء وإرسال هذه للمرّاك كارسال تلك للهلاك .

وقيل التسويم في تلك الحجارة هو أن تحمل نكتة سوداء في حجر أبيض ونكتة بيضاء في حجر أسود .

و المراد من «عند ربك» انّ الله تعالى خلقها كذلك فقدّرها وهيّئها كذلك من غير أن يفعلها فاعل أو يحملها حامل فلاحل هذه الحال وجب أن يحمل لها هذا الاختصاص بقوله «عند ربّك» وقيل انها مسوّمة في سلطان الله و ملكوته أو في موضع العقاب المعدّ للمدنبين من خلقه كما يشعر بذلك قوله «للمسرفين» وفي وصف «ربّ» اشعار على أن هذا من شئون تربيته

٣٥ - (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

حكاية من الله تعالى على قوم لوط عليه السلام بطريق الاجمال بعد حكاية ما جرى بين الملائكة وبين إبراهيم عليه السلام من الكلام والقاء صحفه تصفح عن جمل قد حذفت ثقة بذكرها في مواضع اخر كأنّه قيل فسافروا ما أمروا به فاخرجنا

و في الآية إشعار بأنّ العذاب لا يرسل الاّ بالاستحقاق لاجراح المؤمنين الّذين لا يستحقّون العذاب عند نزوله وبأنّ القرية لا تعدّ أهلها ما دام فيها مؤمن

٣٦ - (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

تقرير لمن يستحق الملامة والتحذير من هذا البلاء الآتي على أهل القرية بسبب اسلامهم وهو بيت لوط عليه السلام ومن آمن من اهله

٣٧ - (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

الترك كناية عن الابقاء وفيها اشارة الى اهلاك المجرمين وجعل أرضهم عاليها سافلها وابقاء الآثار الواضحة من الدمار والهلاك الذي حل بالقرية وبأهلها الدالة على توحيد الربوبية وبطلان الشركاء وعلى نعمة الكفر والعصيان .

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحر او مجنون)

الركن كناية عن الجنود لأنهم كانوا كالركن له وقد يسمى أعوان المرء وانصاره أركانه وأعوانه اركان بهم يصول ولهم يؤول أو كناية عن قوته وسلطانه فان ذلك كالركن له والتابع منه وفي قوله «ساحر أو مجنون» دلالة على تردد فرعون في الحكم الذي يحكم به على موسى عليه السلام ولم يكن له به علم

٤٠ - (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)

في الآية دلالة على غاية عظم شأن القدرة الربانية وهو الاخذ ونهاية هوان أمر فرعون وجنوده وقمأة فرعون وقومه وقوله تعالى «وهو مليم» جملة حالية تصف الحال التي كان عليها فرعون حين سد هو وجنوده في اليم وفي افراد الضمير اشارة الى أنه هو وحده سبب ذلك وهو قدوتهم في الاهلاك وداعيتهم الى الضلال فتبعه قومه وخاصة حواشيه

٤١ - (وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)

في تسميتها استعارة حيث امتنعت من أن تأتي بفائدة مطلوبة من فوائد الرياح كتنشئة سحاب أو تلقيح شجر أو تدرية طعام أو نفع حيوان أو تصفيه هواء كالمرأة التي لا ترجى ولدها ولا يسمى عددها بل كان أثرها الاهلاك والدمار

٤٢ ـ (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)

بيان لعقم الرّيح واعدامها حيث انّها لاتترك شيئاً تمرّ عليه الا دمرته وجعلته فيتحوّل الى يكان بال متفتّت .

٤٣ ـ ٤٥ (وفي ثمود ـ وماكانوا منتصرين)

عطف حدث على حدث وقصة على قصة وفيها تقرير لسبب أحدهم وتصفية وبيان حالهم

٤٦ ـ (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)

في ختمها تعليل وتقرير كما استحقوا به الاهلاك والغرق

٤٧ ـ (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون)

رجوع الى السّياق السّابق في قوله تعالى « وفي الارض آيات للموقنين » بصدد بيان توحيد الرّبوبيّة وفي اشارة جميع الجمع لانّها دلّ على الوحدانيّة في التصرف والاستقلال وفي ختمها اشارة الى امتداد السّماء واتساعها

٤٨ ـ (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

ثناء من الله تعالى على ذاته على مايليه والجملة في معنى انّ الله تعالى يفعل ذلك على أحسن وجه نظير قوله تعالى « فتبارك الله أحسن الخالقين » المؤمنون ١٤)

٤٩ ـ (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

في الآيات الثلاث امر للنظر السامعين الى بعض مشاهد قدرة الله تعالى وأفعاله فهو الّذي رفع السماء وساها بقوّته وهو الّذي بسط الارض ومهدها على أحسن وجه وهو الّذي خلق من كلّ شيء زوجين ليتمّ التفاعل والتناسب في ملكوت الله تعالى فهو ذو القدرة الشاملة الواسعة ولنعم الباسط بسطه ولنعم الماهد تمهيده وانّ في كل هذا التذكرة من شأنها أن تدعو السّامعين الى التدبّر في عظمة الله تعالى وآلائه والاعتراف بها .

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

مقدّر لقول خوطب به الرسول ﷺ بطريق التلوين وكناية عن الامر بالطاعة والايمان لانّه أمنه من العقاب كأنّه فرّ لأمنه فهو استعارة تمثيليّة .

وفي الدّعوة ، لفرار الى الله تعالى اشارة الى أنّ هناك خطراً يتهدد الانسان اذا هو خرج عن امر ربه وحاد عن الصراط المستقيم انه حينئذ يقع تحت يد الشيطان وسلطانه ويفترسه كما يفترس الذئب ضالة الغنم .

وفي الفاء إحتمالان أحدهما - لترتب الامر على ما حكي من آثار عصيه الموجبة للفرار منها ومن أحكام رحمته المستدعية للفرار اليها فكأنّه قيل قل يا ايها النبي ﷺ لهم اذ كان الامر كذلك ففروا الى الله تعالى الذي هدمتموه بالايمان والطاعة كي تنجوا من عقابه وتفوزوا بثوابه .

ثانيهما - للعطف على جملة مقدّرة مترتبة على قوله تعالى «لعلكم تذكرون» كأنّه قيل قل يا أيّها الرّسول ﷺ لهم فتذكروا ففرّوا الى الله تعالى وقوله « انّي لكم منه نذير مبين» تعليل للامر بالفرار اليه جلّ وعلا أو لوجوب الامتثال به وان ذلك ليس من تلقاء نفسي ، وقوله - «انى لكم منه نذير مبين» بيان من الرسول ﷺ يدعو الناس الى الله وان يعجلوا بالفرار اليه جل وعلا وتلك الدعوة ليست من عنده وانما هو رسول الله بها اليهم .. انه نذير مبين من الله اليهم مبين لهم ما معه من كلمات ربه طريق الهدى وينذرهم من عذاب الله اذا هم خرجوا عن هذا الطريق وركبوا طريق الضلال .

٥١ - (ولا تجعلوا مع الله الها اخرانى لكم منه نذير مبين)

نهى موجب للفرار من سبب العقاب بعد الامر بالفرار من نفسه كما يشعر به قوله : «انى لكم منه نذير مبين» فكأنّه قيل وفرّوا من أن تجعلوا معه سبحانه اعتقاداً أو قولا أو عملا الهاً آخر وفيه تأكيد لما قبله من الامر بالفرار من العقاب اليه تعالى على سبيل النّهي عن سببه وايجاب الفرار منه ، والاية محكيّة عن لسان النبي ﷺ كما مضت .

٥٢ - كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

قوله تعالى «كذلك» كالتعليل لما تقدّم من انكارهم للبعث واختلافهم فى القول واشراكهم بالله سبحانه.وقوله تعالى «ما أتى الّذين من قبلهم» الخ بيان للمشبه بأن حالهم تلك شبيهة بحال أهل الضلال والشرك من قبلهم الذين لم يأتهم رسول من رسل الله يدعوهم الى التوحيد الا تلقوه بهذه المقولة الآثمة. «ساحر أو مجنون» وقد قالها من قبل فرعون. وفى هذا عزاء للنبى الكريم ﷺ ووعيد للمشركين بأن يلقوا المصير الّذى لقيه المكذّبون لرسل الله من قبلهم.

٥٣ - (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

انكار وتعجيب من حالهم واجتماعهم على تلك الكلمة الشنعة التى لا تكاد تخطر ببال أحد من العقلاء فضلا عن التفوّه بها أى أوصى بهذا القول الشنيع بعضهم بعضاً حتى اتّفقوا عليه «بل هم قوم طاغون» اضراب عن كون مدار اتّفاقهم على الشّر تواصيهم بذلك وتنبيه لكونه أمراً أقبح من التواصى وأشنع منه وهو الطغيان وهو منشأ جميع الفساد والشرور

٥٤ - (فتول عنهم فما انت بملوم)

تفريع على إستمرارهم وتوسيع على إصرارهم على العناد واللجاج، فلا يعنى الكف عن دعوتهم وإنذارهم وهذه مهمّته والاية التالية إستدركت هذه وامرته ﷺ بالاستمرار فى التذكير.

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

تفريع على الامر بالتولى عنهم فهو امر بالتذكير بعد النّهى عن الجدال معهم وفى ختامها تنويه بالمؤمنين ودوى النّيّات الحسنة والسريرة الصادقة فهم الذين ينتفعون بالتذكير والارشاد، وفيها تلقين جليل مستمر المدى لدعاة الاصلاح والمرشدين فعليهم أن يستمرّوا فى الدعوة ولا ييأسوا من بطء إستجابة الناس لدعوتهم وان دعوتهم لمؤثّرة نافعة حتماً لدى النفوس الطيّبة والقلوب الصافية

والنوايا السليمة.

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

مستأنف مؤكد للامر مقرر لمضمون تعليله فان كون خلقهم مغياً بعبادتهم لله تعالى مما يدعوهم إليه الرسول ﷺ إلى تذكيرهم الذي يوجب عليهم التذكر والاتعاظ.

وفي الآية إلتفات من سياق التكلم بالغير إلى التكلم وحده ولعل الوجه في ذلك ان الافعال المذكورة سابقاً لمسوقه إلى الله تعالى كالخلق وإرسال الرسل وإنزال العذاب كل ذلك مما يقبل توسط الوسائط كالملائكة وسائر الاسباب بخلاف الغرض من الخلق والايجاد فانه أمر يختص بالله جل وعلا لا يشركه فيه أحد

ولعل تقديم خلق الجن في الذكر لتقدمه على خلق الانس في الوجود. قال الله تعالى «ولقد خلقنا الانسان من صلصال من حمأ مسنون والجان خلقناه من قبل من نار السموم» الحجر: ٢٦ - ٢٧).

وقيل: وجه تقديم ذكر الجن هو ان العبادة سرية وجهرية وللسرية فضل على الجهرية وعبادة الجن سرية لا يدخلها الرياء وعبادة الانس جهرية يدخلها الرياء.

وفي إختصاص الجن والانس من بين المخلوقات بالذكر إشارة إلى انهما هما المخلوقان اللذان لهما إرادة عاملة، وهما بهذه الارادة يعملان فيؤمنان أو يكفران، ويطيعان أو يعصيان، ومن هنا وقع عليهما التكليف وحق عليهما الحساب والجزاء بما يعملان من خير أو شر.

٥٧ - (ما اريد منهم من رزق وأريد ان يطعمون)

هذا بيان لكون شأنه جل وعلا مع عباده متعالياً عن أن يكون كشأن السادة مع عبيدهم، حيث يملكونهم ليستعينوا بهم في تحصيل معايشهم وتهيئة أرزاقهم.

٥٨ ـ (ان الله هوالرزاق ذوالقوة المتين)

تعليل لقوله تعالى «ما اريد منهم» الخ وتلويح بأنّه حلّ وعلا عمى عنهم والالتفات من التكلم وحده إلى الغيبة لانهاء التعليل إلى إسم الجلالة الّذى منه يبتدىء كل شيء وإليه يرجع ، كأنّه قال : ما اريد منهم رزقا لانّى أنا الرّزاق لانّى أنا الله تعالى .

وصيغة المبالغة «الرزّاق» باعتبار كثرة المرزوقين تلازم كثرة الرزق ، وفى وصف «الله» أو «الرزاق» بالصّفتين «ذوالقوّة المتين» تنبيه على عدم عروض العجز والضعف بسبب كثرة المرزوقين ولا بكثرة الرزق وإضافتها إليهم .

٥٩ ـ (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا تستعجلون)

تفريع على مضامين السكرس للتحذير وتتمة لما صارو إليه وما يؤل إليه أمرهم ، وهم الذين أوقعوا أنفسهم ظلماً فدحاً يتحرّعون منه كؤوس البلاء والعذاب وتهديد لهم بأنّ الّذى كانوا يستعجلونه من العذاب إستخفافاً به وتكذيباً له هو واقع بهم لامحالة يوم لايجدون لهم وليّ ولا نصيراً . وفى حتمها إلتفت من الغيبة إلى التكلّم وحده ، مع الفاء لترتيب النّهى عن الاستعجال على ذلك

٦٠ ـ (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

الفاء لترتيب نعوت الويل لهم لما ظلموا وفى وضع الموصول لموضع ضميرهم تسجيل عليهم بما فى حيز الصّلة من الكفر واشعار بعلة الحكم وفى تبديل الظلم بالكفر تنبيه على أنّ المراد من الظلم فى الاية السابقة هوظلم الكفر .

والايتان الاخيرتان خاتمة لايات السّورة والسّياق وإنذاراً قويّاً للكفار وعوداً على ماابتدأت ودارت عليه السورة من الغرض

﴿ الاعجاز ﴾

إن السورة التي نقرأها اشير فيها إلى ستّ قصص من قصص الانبياء على سبيل الاجمال :

ومن وجوه الاعجاز القرآني هو إخبار القرون السالفة ، والامم البائدة والشرائع الدائرة ممّا كان لا يعلم منه القصة الواحدة إلاّ القليل من أحبار أهل الكتاب الذي قطع عمره في تعلّم ذلك ، مع احتلاط علمه بمينها ، فأوردها القرآن الكريم على وجهها وأتى بها على نصّها يعترف العالم منهم بصحّتها وصدقها وإن مثلها لم ينلها بتعليم .

وقد علموا أنّ محمّداً رسول الله الاعظم ﷺ كان اميّاً لا يقرأ ولا يكتب ولا اشتغل بمدارس ولا بتعلّم من أحد ، وهو كان غير غائب عنهم ولا جهل حاله أحد منهم .

وإنما حدثت هذه القصص في استمرار خطّ سير الدعوة الاسلاميّة لرسم معالم الطريق في خطّ الحركة بهذه العقيدة على مدار القرون .. ليس فقط في ماضيها التاريخيّ بل يكون في مستقبلها الى آخر الزّمان ، وليس للجماعة المسلمة الاولى فقط التي تلقّت هذا القرآن أوّل مرّة أو مرة بعد اخرى ، وتحرّكت به في وجه الجاهلية يومذاك

وانّما كان كذلك في كل جماعة مسلمة تواجه به الجاهلية الى آخر الزمان وهذا ما يجعل هذا القرآن كتاب الدعوة الاسلامية الخالد ودليلها في الحركة في كل حين فتقف أمام الدّعوة الواحدة الخالدة على لسان كلّ رسول لسان كل نبي

في كل رسالة ونبوّة.

دعوة توحيد العبادة والعبوديّة لله تعالى ودعوة البعث والجزاء والايمان به، فالعبادة لله وحده في كلّ شأن من شؤون الدين والآخرة، والدينونة لله وحده في أمره كلّه وخلع الدينونة لغير الله من عنقه في كل أمره، فيدعو الناس الى توحيد الالوهيّة وتوحيد الرّبوبيه وتوحيد القوامة وتوحيد الحاكمية وتوحيد مصدر الشريعة وتوحيدمنهج الحياة وتوحيد الجهة الّتي يدين لها النّاس الدينونة الشاملة

وانّ أصحاب الدّعوة الى الله تعالى من الانبياء و المرسلين عليهم السّلام في كل مكان وفي كل زمان في حاجة الى أن يقفوا طويلا أمام هذا المشهد الباهر ولم يؤمن بهم إلا قليل فكانوا جسمهم مواجهين عتى أعتى أهل الارض وأعتى أهل الارض وأكثر أهل الارض حضارة ماديّة في زمانهم.

قال الله تعالى «و في موسى إذ أرسلناه إلى فرعون بسلطان مبين فتولّى بركنه وقال ساحرأو مجنون ـ وفي ثمود إذقيل لهم تمتّعوا حتّى حين فعتوا عن أمر ربهم» الذاريات: ٣٨ ـ ٤٤).

فالعتاة المجرمة هم الّذين يبطشون بلارحمة و يصدّون النّاس عن الحق ويكفرون بالله تعالى ويكذبون آياته ويفترون برسله ويمكرون البعث و الحساب والجزاء، هم الّذين يمتحنهم الله تعالى بالنعمه والمال والقوّة والبنين والقدرة على التصنيع والتمدين لالمطلق العطاء وهم غافلون عن قدرته جلّ وعلا بأنّه قادر أن يذهب بهم ويستخلف غيرهم اذا شاء وهم لايضرّونه شيئاً ولايردون له قضاء و هو يعطي حيناً ويسلب حيناً آخر...

و من ثم لايقفون ولا يسكتون في دعوتهم النّاس إلى الله تعالى أمام قوى الجاهلية الطاغيّة من حولهم أمام القوّة الماديه وقوة الصناعة وقوة المال و قوة الانظمه والاجهزة والتجارات والخبرات، لانّهم حزب الله تعالى لايعتمدون على غيره ولايجدون لهم ناصراً سواه، ويعلمون أنّه جلّ وعلا وليّهم وناصرهم وكافيهم ومعينهم، فهو يعزّ الاولياء ويذلّ الاعداء..

ومن غير خفاء انّ لكل قصّة أثراً خاصّاً في قلوب سامعيها و تنشئهم عن أخبار الانبياء والرسل عليهم السلام وما حصل لهم و كيف قاموا بدعوتهم و كيف عالجوا أممهم وما انتهى اليه أمرهم ...

ففي الواقع القصّة بما هي حقيقتها مدرسة الهيّة معلموها الانبياء وتلاميذها الامم ، تبيّن فيها الاغراض الالهيّة من التوحيد والنبوة والمعاد والتشريع للفرد والجماعة والامة ...

ولقد سيقت للعبرة والعظة حيث يقف المسلمون و المشركون على أحوال من تقدّمهم من الامم فيعتبروا لو تدبّروا ويتعظوا بها ودوالاباب وفيها التسلية الكاملة للنبي ﷺ وأصحابه وأمته حيث يقفون على اخبار الرسل وأممهم وكيف كانت العاقبة لاهل التقوى واليقين و لدائرة على الكافرين والمعاندين وفيها تثبيت لهم وشحذ لعزائمهم .

وقد سيقت القصّة دليلا على صدق الرسول ﷺ و نّ جيء من السماء اذ هو بقصّ أخباراً م كان يعلمها هو ولا أحد من قومه ولايكون هذا الاّ بوحي من السماء «تلك من أنباء الغيب نوحيها اليك ما كنت تعلمها أنت ولاقومك من قبل هذا فاصبر انّ العاقبة للمتقين» هود : ٤٩) .

«وكلاّ نقص عليك من أنباء الرسل ما نثبّت به فؤادك وجاءك في هذه الحق وموعظة وذكرى للمؤمنين» هود : ١٢٠) .

وهي علاج للقلوب ودواء للنفوس، لما فيها من أخبار الامم وما حلّ بالمجرمين والفجار والكافرين من عاجل بأس الله تعالى فأهل اليقين وغيرهم إذا تلوها ترى لهم من ملكه و سلطانه و عظمته و جبروته و قدرته حيث يبطش بأعدائه ما تذهل منه النفوس و تشيب منه الرؤوس ، وفيها أحسن الدروس وأقوى الامثال التي تضرب لتحمل الدعاة والقائدين ففيها فوائد :

منها : لايمكن لكلّ واحد من الانسان على الاطلاق الاستدلال بالادلّة العقليّة في الاصول و الفروع ، فتذكر القصص التي هي كالموصل إلى الدلائل

العقلية الى العقول ...

منها : يبيّن في ضمن القصص أنواع الدلائل التي يستدلّون بها الانبياء عليهم السلام لاثبات المعارف والحقائق مع بيان شبهات الكفّار ، ثم الرّد عليهم ، ثم اصرار الكفّار واستكبارهم ، ثمّ بيان عاقبة أمرهم وعدابهم في الدنيا والاخرة ، فكان ذكر هذه القصص سبباً لايصال الدلائل والاجوبة عن الشبهات الى قلوب المستكرين و سبباً لازالة القسوة والغلظة عن قلوبهم لايسكن ذلك بيان الادلّة العقليّة الجافّة من غير قصّة تبين في ضمنها هذه المعارف ...

منها : كان ذكر هذه القصص من غير مطالعة كتب ولا تلمذ لاحد مصافاً عمّا يبين الحقائق ويخالف بعض المحرفات للكتب المحرفة معجزة عظيمة تدلّ على صحّة النبوة .

منها : لتليين القلوب و تخشع النفوس و إزالة العناد و العداوة و الحقد الحوف على الكفّار لانهم اذا استمعوا هذه القصص يتقرّر عندهم عاقبة أمر المؤمن ومآل أمر الكافر

﴿ التكرار ﴾

سورتان تشتمل كلّ واحدة منهما ستين آية : إحداهما - سورة الروم ثانيهما - سورة الذاريات .

وأشير في هذه السّورة إلى ستّ قصص من قصص الأنبياء عليهم السلام وأممهم على سبيل الاجمال ١- قصّة ابراهيم عليه السلام وضيفه ٢- قصّة هلاك قوم لوط عليه السلام ٣- قصّة موسى عليه السلام و اعراض فرعون وجنوده و هلاكه ٤- قصّة عاد وديارهم . ٥- قصّة ثمود وعتوّهم و هلاكهم ٦- قصّة نوح عليه السلام وقوم قومه . كلّ ذلك مما لا تدور عليه السّورة قص العرض وتشير في المقام الى صيغ خمس عشرة لغة - أوردنا معانيها اللغويّة على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة - الصيغ التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السّور القرآنيّة .

١- : جاءت كلمة (الذرو) على صيغها في القرآن الكريم نحو ثلاث مرّات: أحدها - . الكهف ٤٥) ثانيها وثالثها - : الذاريات : ١).

٢- : جائت كلمة (الوقر) على صيغها فيه نحو - تسع مرّات :

٣- - جاءت كلمة (الحبك) بلفظها فيه مرّة واحدة : الذاريات : ٧)

٤- جائت كلمة (الخرص) صيغها فيه نحو خمس مرّات ١٠-٢- الانعام: ١١٦ - ١٤٨) ٣- يونس - ٦٦) ٤- الزخرف - ٢٠) ٥- الذاريات : ١٠)

٥- جاءت كلمه (الغمرة) صيغي الجمع والافراد فيه أربع مرّات : ١ - : الذاريات - ١١) ٢-٣- المؤمنون . ٥٤ - ٦٣) ٤- الانعام . ٩٣)

٦- جاءت كلمه (الهجع) فيه بصيغة واحدة : الذاريات : ١٧)

٧ـ جاءت كلمة (الروع) فيه صيغة ثلاث مرات: ١ـ٢ـ : الصافات: ٩١ـ٩٣) ٣ـ : الذاريات : ٢٦)

٨ـ جاءت كلمة (الوجس) فيه بصيغه ثلاث مرّات: ١ـ هود : ٧٠) ٢ـ طه: ٦٧) ٣ـ : الذاريات : ٢٨)

٩ـ جاءت كلمه (الصك) صيغه واحدة . الذاريات ٢٩)

١٠ـ جاءت كلمة (العقم) صيغة فيه أربع مرّات : ١ـ٢ـ الذاريات . ٢٩ ـ ٤١) ٣ـ الحج : ٥٥) ٤ـ الشورى ٥٠)

١١ـ جاءت كلمة (الرميم) صيغه فيه مرّتين : ١ ـ الذاريات ٤٢) ٢ ـ يس : ٧٨)

١٢ـ جاءت كلمة (الروح) صيغها فيه نحو ٨١ مرّة

١٣ـ جاءت كلمة (الرزق) صيغها فيه نحو : ١٢٣ مرّة

١٤ـ جاءت كلمة (القوّة) صيغها فيه نحو . ٤٢ مرّة

١٥ـ جاءت كلمة (المتن) صيغه فيه ثلاث مرّات ١ـ الاعراف : ١٨٣) ٢ـ الذاريات : ٥٨) ٣ـ القلم : ٤٥)

والوجه في تكرير قوله تعالى على لسان النبي الكريم ﷺ « اني لكم منه نذير مبين » انّ الاول انذار لترك الامر بالفرار الى الله تعالى والثاني انذار لارتكاب النهي فمن أخذ الامر وترك النهي فقد نجى .

﴿ التناسب ﴾

انّ البحث في المقام على جهات ثلاث

أحدها ـ : التناسب بين هذه السّورة وما قبلها نزولا .

ثانيها ـ : التناسب بينها وسابقتها مصحفاً .

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السّورة نفسها .

اما الاولى : فانّ هذه السورة نزلت بعد سورة الاحقاف ولمّا جاءت فيها حكاية مواقف الكفّار و أقوالهم حينما كانت تتلى عليهم آيات الله الواضحة حيث كانوا يقولون انّ ما احتوته من اخبار البعث والحساب والجزاء الاخروي و غير ذلك من أمور هو سحر أو حيث كانوا يتّهمون النبي الكريم ﷺ بافتراء القرآن ونسبته الى الله كذباً .

وفيها صور من الجدل والمناظرة بينهم وبين النبيّ ﷺ وردود تنديديّة وحجج مفحمة في سياقها وانذار للكافرين وتطمين للمؤمنين بمصائر كل منهم يوم القيامة واستشهاد على صحة الدعوة المحمديّة وصدق القرآن الكريم بالتّوراة وموسى واسلام بعض بني اسرائيل وتنويه بالابناء الصّالحين وتنديد بالعاقين وتذكير بما كان من أمر عاد ورسولهم وهلاكهم وحكاية لاستماع جماعة من الجن للقرآن وتأثّرهم به وتدليل على قدرة الله جلّ وعلا على بعث الموتى .

جاء في هذه السّورة توكيد كونه موعد به النّاس من البعث والحساب والجزاء وانّه وعد صادق وأمر واقع لامحالة بطريق اقسام ربّانيه بمشاهد كون الله جل وعلا وتواميسه وعظيم خلقه تذكيراً بعظمة خالق الكون وقدرته على تحقيق

ما أوعد الناس به مع حمله شديدة على المنكرين الجاحدين والتذكير بما كان عليه زعماء الكفّار من اعراض وحمل الناس على الانصراف والارتداد عن الدعوة ولكنه لابدّ له ﷺ من التذكير وهذا مهمّته فإنّه نافع لمن أراد الحق والهدى و رغب في الايمان مع تقرير غرض خلق الجن والانس .

و اما الثانية فمناسبة هذه السّورة لما قبلها مصحّحاً بوجوه .

أحدها - . لمّا اشير في السّورة السابقة إلى البعث والجزاء والجنّة والنّار إفتتحت هذه السّورة بالاقسام الرّبّانية بأنّ ماوعدوا من ذلك صدق وانّ الجزاء واقع لا محالة .

ثانيها - . لمّا ذكر في السابقه موقف المشركين ومقولاتهم المنكرة للبعث ثم ختمت بتحليه النبي ﷺ بين المشركين المعاندين وبين ما ذكر من ضلال جاءت هذه السّورة لتلقّي هؤلاء المشركين بحديث محدّد عن البعث والحساب والجزاء .

ثالثها - لمّا اشير في السابقه إلى إهلاك كثير من القرون بسبب تكذيبهم وعيدالله جلّ وعلا على سبيل الاحتمال اشير في هذه السّوره إلى ما يمسّه عرضها

رابعها - لمّا بيّن تعالى الحشر بدلائله اذ قال «يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير» وكان المشركون يصرّون على إنكارهم للبعث عدة الاعصار لم يبق إلاّ اليمين فجاءت السّورة مفتتحة بها

خامسها - . لمّا ختمت السّابقة بالوعيد افتتحت هذه بتحقيق الوعيد بطريق الحلف واليمين .

وأما الثالثة : فمناسبة إفتتاح السّورة بالقسم لانّ المتكلم إذا بدأ كلامه بالقسم علم السامع انّ ههنا كلاماً عظيماً يحسن ان يصغى إليه فاذا وجّه همّه لسماعه حرح له الدليل والبرهان المبيّن في صورة اليمين ولمّا كان المشركون يصرّون على إنكار البعث فلابد وأن يحملهم الله تعالى على أن يحلفوا مما يجيء بهم من تحقيق البعث والحساب والجزاء .

ووجه مناسبة إفتتاحها بالاقسام بالروح وفي عقبها بالسماء ذات الحبك وفي إثرها برب السماء والارض فكلها دلائل على قدرة الله تعالى أحرجها في صورة اليمين لما يشاهدون من آثارها ونفعها العظيم لهم.

ثم جاء بجواب إخباراً بانّ ما يوعدون به الناس من البعث صادق لا ريب فيه وانّ الحساب والجزاء واقع لا محالة، وليست اخبار الله تعالى - وهي الحق المطلق - تحتاج إلى توكيد لتحقيقها بقسم ولكن أهل الضلال والعناد يشكّون في صحة هذه الاخبار إلى الله تعالى وتقريراً لموقف السامعين للقرآن الكريم ووقوعهم في إختلاف وإرتباك في شأن القرآن والدّعوة والتدبر الرّبانية والبعث وانّهم بسبب ذلك رغبوا عن الحق والهدى.

ثم التفت إلى الذين هم ساربون في الظن والتخمين متعامون عن الحقيقة وتدبّرها إلتفاتاً فيه تهديد وتقريع يتمثلان في لعن «قتل» فهم ساهون في غمرة الجهالة عن فهم الحق وإدراك الحقيقة ويظنّون يسئلون سئوال شكّ وإنكار عن موعدهم الذي يوعدون به ثمّ انتقل الى توكيد الامر فسوف يأتي الموعود ويلقون فيه ما كانوا يستعجلون به.

ثم أشار الى مصير المتقين في الاخرة جزاء بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا ثم أخذ يلفت نظر السامعين الى ما في الارض من مشاهد والى ما في تكوين الانسان الجسماني، والعقلي والى السماء وما فيها من أسباب رزق الناس وحياتهم تقوم براهين قاطعة على وجود الله تعالى وعظمته وصحة ما ينذر به نبيّه وقدرته عليه وانّه حقّ لا يصحّ الارتياب فيه ومثله مثل حاسّة النطق في الناس التي لا يصح الارتياب فيها.

ثم أشار الى ستّ قصص من قصص الانبياء عليهم السلام ومصائر أممهم حسب ما اقتضته حكمة التنزيل لحمل السامعين على الاهتداء والاتعاظ ثم أخذ يلفت نظر السامعين الى بعض مشاهد قدرة الله تعالى وأفضاله، وفي كلّ ذلك لتذكرة من شأنها أن تدعو السامعين الى التدبّر في عظمة الله جلّ وعلا وقدرته، فاداً

هتهم بذلك سنة ﷺ أن سارعوا و لجأوا هذه الى الله وفرّوا من غضبه والعصير الرهيب الّذى يستحقّه الجاحدون وأن لا تدعوا مع الله الهاً آخر

فجاءت الآيات الخمس عقب الفصل القصصي لتكون تسجيلا له ومقرّرة بأنّ النبيّ الكريم ﷺ إنّما بعث كما بعث الأنبياء وأنّ ما يدعو اليه هو ما دعوا اليه ومصدرة بمصير الجاحدين من الأمم السابقة

ثم أشار الى موقف الكفّار في قولهم للنبيّ ﷺ انّه ساحر أو مجنون انّما يقولون ذلك كما كان يفعل الّذين من قبلهم حيث كانوا يقولون ذلك سواء أكان الهم مثل ذلك وكانوا يتواصون بعضهم بعض بالقول أو لا

ثم أمر نبيه ﷺ أن يعرض عنهم ولا يحمّل نفسه هماً بل عليه أن يستمرّ في تذكير الّذى هو قمين بالتذكير والتذكّر

ثم ارجع ختام السورة الى مفتتحها فقرّر ما تقرّر

﴿ الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه ﴾

وقد وقع الاختلاف في سبب قوله تعالى «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» (١٩:)

ووجه الاختلاف ان الحق المذكور في الآية هل هو الزكاة المفروضة؟ أم هو فرض مالي آخر غيرها؟ وهو حق مندوب وليس بمفروض؟

فان كان الحق واجباً مما سوى الزكاة فالآية منسوخة لامحالة لان فرض الزكاة نسخ كل صدقة واجبة في القرآن الكريم، وان كان الحق هو الزكاة نفسها أو كان حقاً مستحباً غير مفروض فالآية غير منسوخة

ومما يتوهم ظاهر السياق حيث يصف المتقين المحسنين في أقوالهم وأعمالهم انهم يصدقون بسرهم في حسب الله تعالى وهي قيام الليل والاستغفار بالاسحار وهم عن ذلك محسنين عملهم وسيرتهم في حسب الناس وهي إعطاء السائل والمحروم على أنهم يرون بصدقة قصرهم ان في أموالهم حقاً لهم فيعملون بما يعملون بشراً لرحمته وايثاراً لمحبته

ويؤيد ذلك ما ورد من الروايات الشريفة عن أئمة أهل البيت عليهم السلام في بيان المراد من الحق منها

في الكافي باسناده عن سماعة بن مهران عن أبي عبد الله عليه السلام قال ان الله عز وجل فرض للفقراء في أموال الاغنياء فريضة لايحمدون الا بأدائها وهي الزكاة بها حقنوا دماءهم وبها سموا مسلمين ولكن الله عز وجل فرض في أموال الاغنياء حقوقاً غير الزكاة فقال عز وجل «والذين في أموالهم حق معلوم».

فالحق المعلوم من غير الزكاة وهو شيء يفرضه الرجل على نفسه في ماله

يجب عليه ان يفرضه على قدر طاقته وسعة ماله ويؤدي الّذي فرض على نفسه ان شاء في كل يوم وان شاء في كل جمعة وان شاء في كل شهر الحديث.

وفيه: باسناده عن أبي بصير قال كنّا عند أبي عبد الله عليه السلام ومعنا بعض أصحاب الاموال فذكروا الزكاة فقال أبو عبدالله عليه السلام: إنّ الزكاة ليس يحمد بها صاحبها وإنّما هو شيء ظاهر إنما حقن بها دمه وسمّي بها مسلماً ولو لم يؤدّها لم تقبل له صلاة.

وإن علمتم في أموالكم غير الزكاة فقلت أصلحك الله وما علمنا في أموالنا غير الزكاة؟ فقال سبحان الله أما تسمع الله عزوجلّ يقول في كتابه «والذين في اموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» قال فقلت ما هذا الحق المعلوم الذي علينا؟ قال هو الشيء يعمله الرجل في ماله يعطيه في اليوم أو في الجمعة أو في الشهر قلّ أو كثر غير أنّه يدوم عليه. الحديث

وفيه باسناده عن إسمعيل بن جابر عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّوجل «والذين في اموالهم حق معلوم للسائل المحروم»

أهو سوى الزكاة؟ فقال هو الرجل يؤتيه الله الثروة من المال فيخرج منه الالف والالفين والثلاثة الالاف والاقلّ والاكثر فيصل به رحمه ويحمل به الكلّ عن قومه

وغيرها من الروايات الواردة في ذلك وعلى هذا فلا نسخ في الآية الكريمة قطعاً.

في تفسير الجامع لاحكام القرآن: عن اصحاب انّه قال: قوله تعالى «فتولّ عنهم فما أنت بملوم» (الذاريات ٥٤) نسخ بقوله تعالى «وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين» (الذاريات: ٥٥).

اقول: ولا يخفى على الفطن الخبير ان الآية الاولى تسلية وتحديد لمسؤولية النبيّ الكريم صلى الله عليه وآله أي لست بمسئول عن التأثير والقبول وأمّا التذكير فذكّر وانت مسئول عنه والذكرى تنفع من ألقى السمع وهو شهيد كما دلّت الآية الثانية وكلّ من الآيتين تذكر حاسماً من مسئولية الرسول صلى الله عليه وآله سلباً وإيجاباً من غير

تصادم أصلا.

وقيل: نسخ بآية السيف، ومن غير حتمي" أنهما انّه لا تصادم بينهما أيضا أصلا

وفي الناسخ و المنسوخ للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه: نسخ قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» بقوله تعالى: «ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم» أي للرحمة خلقهم

اقول: لعلّ المراد بالنسخ هو البيان ورفع الابهام دون النسخ المصطلح وكثيراً ما ورد هذا المعنى في كلامهم عليهم السلام كما يظهر من الآيتين انّ المرض الاعلى هو الرحمة الخاصّة المترتّبة على العبادة وهي السعادة الخاصّة بالمعرفة بناء على نزول قوله تعالى «ولا يزالون» الخ بعد قوله تعالى: «وما خلقت الجن والانس» الخ.

وأمّا بناء على نزول العكس كما عليه ترتيب سورتي هود و الذاريات نزولا فالمعنى انّ الله تعالى خلقهم للرحمة فأمرهم بالعبادة ليبلغوا بها بها فتدبر و اغتنم.

وأمّا التشابه فلم أجد كلاماً من الباحثين يدل على ذلك، فظاهر آياته محكمات.

﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ ـ (والذاريات ذروا)

في الذاريات أقوال ١ ـ عن ابن عباس و مجاهد هي الرياح التي تذرو التراب وهشيم النبت والسحاب أي تمرّ فيها اقسم بها لما فيها من المنافع والوعيد.

٢ـ قيل : على تقدير ورب الذاريات .

٣ـ قيل : الذاريات النساء الولودات لانّ في ذراتهنّ ذرو الخلق لانّهن يذرين الاولاد فصرن ذاريات وأقسم بهنّ لما في ترائبهنّ من حيرة عباده الصالحين وخصّ النساء بذلك دون الرجال وإن كان كلّ واحد منهما ذارياً لامرين احدهما: لانّهن أوعية دون الرجال ولاجتماع الذرويين فيهنّ

ثانيهما ـ انّ الذرو فيهن أطول زماناً وهنّ بالمباشرة أقرب عهداً ، فكأنه شبه تتابع الاولاد بما يتطاير من الرياح .

٤ـ قيل هي الاسباب التي تذرى الخلائق على تشبيه الاسباب المعدة للمرور من العدم بالرياح المفرقة للحبوب ونحوها .

أقول: والاول هو المروي عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام

٢ ـ (فالحاملات وقرا)

في الحاملات أقوال :

١ ـ قيل : هي الرياح الحاملة للسحاب .

٢ـ قيل : هي السفن الموقرة بالناس وامتعتهم .

٣ـ قيل : هي الحوامل من جميع الحيوانات .

٤ـ قيل : هي الاسباب العاملة لمسبباتها مجازاً .

٥ـ قيل : هنّ النساء إذا ثقلن بالحمل .

٦ـ عن ابن عباس ومجاهد : هي السحائب التي يحملن ثقلا من الماء .

أقول: والاخير هو المروي عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام .

٣ ـ (فالجاريات يسرا)

في الجاريات أقوال :

١ـ هي السحائب التي تجري وتسير الى حيث شاء الله تعالى من بلاد الى بلاد

٢ـ قيل : هي الكواكب التي تجري في مدارها و مسارها إذ لكل حركة وإن اختلفت سرعة وبطأ .

٣ـ قيل : هي الكواكب السبعة السيّارة ، و يقال أخيراً للسبعة التي تسمّى بالسيّارات .

٤ـ قيل : هي الرياح التي تجري في مهابها جرياً سهلا .

٥ـ عن ابن عباس ومجاهد : هي السفن التي تجري في البحر سهلا يسيراً .

أقول: والاخير هو المروي .

٤ ـ (فالمقسمات أمرا)

في المقسمات أقوال :

١ـ قيل : هي السحب يقسّم الله تعالى بها أرزاق العباد ويمطر بها الامطار على أقطار الارض .

٢ـ قيل : هي الرياح التي تقسم السحب على الاقطار من الارض .

٣ـ قيل : هي الكواكب السيّارة .

٤ـ عن ابن عباس ومجاهد : هي الملائكة تنزل بأمر الله تعالى على من يشاء ، و عن القراء : تأتي الملائكة بأمر مختلف من الخصب والجدب والمطر و الموت والحوادث والخوارق .

أقول: والاخير هو المروى أيضاً .

٥- (انما توعدون لصادق)

في الموعود أقوال :

١- قيل هو الجنّة

٢- قيل : هو النّار

٣- قيل هو يوم البعث والحشر

٤- قيل أي الثواب والعقاب والخير والشّر .

٥- قيل أي يوم مدر

٦- قيل أي ما توعدون من أمر البعث والحساب والجزاء ، فالجنّة لاهلها والنّار لاصحابها

أقول: ظاهر سياق عطف قوله تعالى : « وان الدين لواقع » على هذه الاية وظاهر سياق ختم هذه السورة « فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون » وظاهر سياق ختم السورة السابقة بقوله « يوم تشقّق الارض عنهم سراعاً ذلك حشر علينا يسير » ق ٤٤) تؤيّد الثالث من الاقوال

٦- (وان الدين لواقع)

في الدين قولان أحدهما- قيل أي الجزاء والثاني- قيل: اى الحساب.

أقول: وعلى الأول جمهور المفسّرين وهو المؤيّد بظاهر سياق قوله تعالى: « يوم هم على النّار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون » الذاريات : ١٣ - ١٤)

٧- (والسماء ذات الحبك)

في الاية أقوال :

١- قيل اريد بالسماء ههنا السحب الّتي تظلّ الارض .

٢- عن عبد الله بن عمر : هي السماء السابعة .

٣ـ عن ابن عباس وقتادة ومجاهد والربيع أي ذات الخلق الحسن المستوى

٤ـ قيل : جعل الله تعالى في كل سماء أرضاً .

٥ـ قيل أي جعل الله تعالى كل سماء أرضاً بالاضافة إلى ما فوقها وسماء بالاضافة إلى ما تحتها فيكون التعدد باعتبار تعدد سطحيها .

٦ـ عن عكرمة والحسن وسعيد بن جبير أي ذات حسن وزينة بالنجوم قال تعالى : «انّا زينّا السماء الدنيا بزينة الكواكب» كما ان السماء إذا نسج الثوب أحسن حبكه اريد بها مسير الكواكب في مدارها أو تصعدها على طرائق الترتيب وقيل : ذات النجوم

٧ـ عن مجاهد أي البيان المتقن وقيل أي ذات لصفاقه وهي احكامها .

٨ـ قيل اريد بالحبك : الطرق المجرة التي في السماء سميت بذلك لانّها تأثير المجرّة

٩ـ عن ابن زيد أي ذات الشدّة قال تعالى : «و بنينا فوقكم سبعاً شداداً» المحبوك : الشديد الخلق من الفرس وغيره .

١٠ـ عن الضحاك : أي ذات الطرائق

أقول: والثالث والرابع والسادس والاخير هي المروية عن طريق ائمة اهل البيت عليهم السلام من غير تنافٍ بينها وبين بعض الاقوال الاخر قيل والاخير هو الاظهر لمناسبته لجواب القسم الذي هو إختلاف الناس وتشتّت طرقهم كما انّ الاقسام السابقة «والذاريات ذروا» الخ كانت مشتركة في معنى الجري والسير مناسبة لجوابها : «انما توعدون» الخ المتضمن لمعنى الرجوع إلى الله والسير إليه .

٨ـ (انكم لفي قول مختلف)

في الآية أقوال . ١ ـ قيل ان الخطاب للمعين من المسلمين الذين يقولون بالبعث والجزاء ومن المشركين الذين ينكرون لهما .

٢ ـ عن ابن زيد قال : خطاب للكفار المنكرين للبعث والجزاء فانهم إختلفوا فيهما فمنهم من نفى البعث والجزاء ومنهم من شك فيهما .

٣ ـ قيل : خطاب للمشركين حيث إختلفوا في عبادتهم للاصنام تارة بأنّها آلهتهم واخرى بأنّها شفعاء لهم يوم القيامة وهم كانوا يعترفون بأن الله تعالى خالقهم وهم يعبدون غيره.

٤ ـ عن قتادة أي يا أهل مكّة انكم لفي قول مختلف في محمّد ﷺ والقرآن فمنكم مصدق ومنكم مكذّب.

٥ ـ قيل أي يا أهل مكّة انكم لفي قول مختلف في أمر القرآن لعرض انكار ما يشتهه.

وذلك لانّهم يقولون : ان القرآن الكريم سحر والجائي به ساحر ويقولون تارة اخرى : انّه زجر والجائي به مجنون ويقولون ثالثة : انه القاء شيطاني الجن والجائي به كاهن. ويقولون رابعة : انّه شعر والجائي به شاعر ويقولون خامسة انّه افتراء والجائي به مفتر ويقولون سادسة : انّه من تعليم البشر علّمه ﷺ غيره من البشر ويقولون سابعة : انّه من أساطير الاولين اكتتبها محمد ﷺ

أقول : وظاهر السياق يؤيّد الثاني

٩ ـ (يؤفك عنه من افك).

في الاية أقوال ١ ـ عن الحسن وقتادة أي يصرف عن الايمان بالنبي الكريم ﷺ والقرآن من صرف عن الخير، فمن صرف عن الخير فهو صارف عن الايمان.

٢ ـ قيل : يصرف عن الحق والصواب من صرف

٣ ـ قيل : يصرف عن هذا القول الذي سمعه ومن أجله عن الايمان من صرف والصارف له نفسه وقيل : الصارف له رؤساء البدع وقادة الضلال لان العامة تبع لهم عميانا.

٤ ـ أي يصرف عن ذلك الاختلاف من عصمه الله تعالى.

٥ ـ قيل : أي يصرف عن أمر البعث والجزاء والحساب من هو مأفوك عن الحق

٦ ـ عن مجاهد : أي يفسد العقل عن الايمان من فسد.

٧ ـ قال الزمخشري : وقرئ يؤفن عن من أفن أي يحرمه من حرم .

٨ ـ عن قطرب : أي يخدع عنه من خدع .

٩ ـ قيل : اي يدفع عنه من دفع .

أقول : والخامس هو الانسب بظاهر السياق.

١٠ ـ (قتل الخراصون) .

فيها أقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة اي لعن المرتابون قال ابن عباس : هم الذين يقولون لسابعة وهم المقتسمون الذين إقتسموا عقبة مكة واقتسموا القول في أمر النبي والجبال والحراء وفي سبي ﷺ ليصرفوا الناس عن الايمان به وهم المتوهمون على غير أساس وهم أهل الظنون من غير علم ويقين.

وقال ابن الانباري إنما كان القتل بمعنى اللعنة هنا لان من لعنه الله فهو بمنزلة المقتول الهالك.

٢ ـ قيل : أي لعن الكذابون وهم الذين كذبوا على الله ورسوله ﷺ

٣ ـ عن ابن عباس الخراصون الكهنة المتكهنون الذين يتخرصون في الكذب والباطل فيتظنونه.

٤ ـ قيل هم المتنجمون ليس لهم من علم ولا يقين بما يقولون ولا دليل الا التخمين والفرض

٥ ـ عن الفراء الخراصون الذين يتخرصون بما لا يعلمون فيقولون إن محمداً ﷺ مجنون كذاب ساحر وشاعر .

أقول : والاول هو الظاهر من السياق .

١١ ـ (الذين هم في غمرة ساهون)

في الاية أقوال :

١ ـ عن ابن عباس أي هم في ضلالتهم وجهالتهم متمادون وعلى ما جاء به

الرسول ﷺ متمادون.

٢ ـ عن قتادة: أى هم فى عمى متردّدون وفى شبهة يتحيّرون

٣ ـ عن ابن زيد: أى هم فى غاية الجهل ساهون عن الحق وعمّا يرادبهم.

وذلك لانّ اول مراتب الجهل هو السهو ثم الغفلة ثم العمه فتكون الغمرة عبارة عن المبالغة فى الجهل.

أقول: والاقوال متقاربة المعنى

١٣ ـ (يوم هم على النار يفتنون).

فى الفتنة أقوال

١ ـ قيل: أى هم يفتنون ولذّ كما يفتن الذهب بالنّار.

٢ ـ قيل: أى هم ينعجون بالنّار

٣ ـ قيل: أى يطبخون بالنّار

٤ ـ قيل: أى هم يكذّبون

٥ ـ قيل: الفتنة: العذاب أى هم يعذّبون ويحرقون بالنّار.

أقول: وعلى الاخير اكثر المعتبرين وهو المروى عن الامام على بن أبيطالب عليه السلام.

١٤ ـ (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون).

فى الفتنة أقوال:

١ ـ عن ابن عباس: أى تعذيبكم.

٢ ـ عن مجاهد والضحاك: أى حريقكم

٣ ـ عن قتادة وابن زيد: أى عذابكم.

أقول: والاخيران متقاربان وعليهما جمهور المفسرين وهما المؤيّدان بما ورد عن الامام على عليه السلام.

١٦ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

في الآية قولان :

١ - عن الضحاك انه قال أي قابلين ما أعطاهم ربهم من الثواب في الجنة.

٢ - عن ابن عباس وسعيد بن جبير: أي عاملين ما أمرهم به ربهم مؤدين فرائضه وكانوا قبل أن يفرض عليهم الفرائض محسنين في أعمالهم .

أقول: والاول هو ظاهر السياق.

١٧ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

في الآية أقوال :

١ - عن قتادة وأبي العالية وأنس أي يتيقظون فكانوا يصلون ما بين صلاة المغرب و العشاء ولا ينامون بينهما ، وقيل بين العشاء والصبح .

٢ - عن ابن عباس وسعيد بن جبير ومطرف بن عبدالله ومجاهد وأبي العالية ايضاً: أي قل ليلة تأتي عليهم إلا يصلون فيها إما من أولها وامامن وسطها فيصلون حظاً من الليل للصلاة .

٣ - عن الزهري و ابراهيم النخعي و الضحاك و مقاتل و مجاهد وقتادة أيضاً والحسن: أي لا ينامون من الليل الا قليلا لان الهجوع بمعنى النوم فكانوا يصلون في أكثر أوقات الليل .

٤ - قيل أي انهم كانوا ينامون قليلا من الليالي تمامها بحيث يفوت منهم في بعض الليالي صلاة الليل فلا تفوتهم صلاة الليل الا في قليل من الليالي .

أقول: فالثالث بالنسبة إلى أوقات الليل والرابع بالنسبة إلى الليالي .

٥ - عن قتادة : أي يصلون العتمة وعلى هذا فمعناه للتجدد.

٦ - عن الضحاك بن مزاحم أي كان هؤلاء المحسنون قبل أن تفرض عليهم الفرائض قليلا من الناس من يفعل الاحسان ، ثم ابتدأ فقيل من الليل ما يهجعون.

أقول: والرابع هو المروي عن ائمة أهل البيت عليهم السلام

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

في الاية أقوال :

١ ـ عن مجاهد وابن عمر والضحاك ومقاتل والكلبي أي يصلون صلاة الليل والاستغفار باعتبار اشتمال صلاة الليل به .

٢ ـ قيل: أي يصلّون صلاة الوتر والاستغفار باعتبار إشتمالها به .

٣ ـ عن الحسن وابن زيد أي انّهم يصلّون أوّل الليل ثم يستغفرون في السحر فسئلوا لم تعالى المغفرة لدنوبهم وانّ السحر وقت مرجى فيه إجابة الدعاء

أقول: والذي هو المروي عن أئمة أهل البيت صلوات الله عليهم أجمعين.

١٩ - (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)

في الحق أقوال :

١ ـ عن محمد بن سيرين وقتادة : الحقّ هنا الزكاة المفروضة

٢ ـ عن ابن عباس انّه حقّ سوى الزكاة المفروضة يصل به رحماً أو يقري به ضيفاً أو يحمل به كلاً أو يعين به محروماً

٣ ـ قيل انّه يعمّ الزكاة المفروضة والصدقات المندوبة .

أقول: والثاني هو الانسب بوصف الاحسان وليس المقام مقام التشريع

وفي السائل والمحروم أقوال .

١ ـ عن ابن عباس وسعيد بن المسيب ومجاهد وابراهيم النخعي السائل هو الّذي يسئل الناس لفاقته ، والمحروم هو الّذي حرم المال وليس له في الاسلام سهم من الغنيمة ، والاصل ان المحروم هو الممنوع الرزق بترك السئوال أوذهاب المال أوجراحات الضيعة أوسقوط السهم من الغنيمة لان الانسان يسير فقيراً بهذه الوجوه.

٢ ـ عن قتادة والزهري : المحروم المتعفّف الذي لايسئل الناس شيئاً ولا يعلم بحاجته .

٣ ـ عن الحسن ومحمد بن الحنفية المحروم الذي يجيء بعد الغنيمة فيسقط سهمه منها .

٤ ـ عن سكرمه والضحاك: المحروم الذي لا يبقى له مال ولا يسعى له.

٥ ـ عن زيد بن أسلم: المحروم الذي أصيب ثمره أو زرعه أو نسل ماشيته.

٦ ـ قيل: المحروم هو المملوك.

٧ ـ قيل: المحروم: الحيوان الذي عمي الأسنان عقته.

أقول: والأول هو الأظهر.

٢١ ـ (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

فيه أقوال:

١ ـ عن قتادة: أي من طفا في بطن أمه حتى يعلم الله ما هو.

٢ ـ عن ابن زيد: معناه: وفي سبيل الخلاء تردون في أنفسكم ثم تردون إلى مواضعكم.

٣ ـ عن ابن عباس: في أنفسكم: وهو ما يجري في مطاعمكم ومشاربكم وحوائجكم دلالة لكم على أن خالقكم ومدبركم.

٤ ـ عن ابن عباس: بدأ بخلق الإنسان ثم الصور والألوان ثم أطوارهم.

٥ ـ عن ابن زيد: أي شراب واحد يشرب من مكان واحد ويخرج من مكانين ولو شرب ماء مختلفا لخرج متغيرا فدل ذلك على أنه في النفس.

٦ ـ عن ابن عباس: المعنى: خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم علقة ثم مضغة ولحم وعظام إلى نفخ الروح فجعل لكم السمع والأبصار والأفئدة.

٧ ـ عن السدي: أي في حياتكم وموتكم وفيما تدخلون وتخرجون من طعامكم.

٨ ـ عن الحسن: أي في الهرم بعد الشبيبة والموت والشيب بعد السواد.

أقول: والأول هو اللائق بالسياق وهو المؤيد بما مر آنفا من الروايات فتنظر.

٢٢ ـ (وفي السماء رزقكم وما توعدون)

في السماء رزقكم أقوال:

١ ـ عن سعيد بن جبير والضحاك والحسن ومجاهد وسفيان الثوري: أي وفي السماء سبب رزقكم وهو أن ينزل عليكم المطر والثلج بالسحاب فيخرج به الأرض

أنواع ما تقتاتونه وتلبسونه وتتمتعون به وكذلك الشمس والقمر والنجوم واختلاف مطالعها ومغاربها يعقب عليها الفصول الأربعة وتوالي الليل والنهار وما دخل في تسيير النباتات والحيوان وصحتها

٢ - عن ابن كيسان أي وعلى رب السماء والأرض كقوله تعالى «وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها»

٣ - عن سفيان الثوري: أي عند الله في السماء تقدير أرزاقكم على أن الأرزاق مكتوبة لكم في اللوح المحفوظ

٤ - قيل أي وفي أرزاقكم

أقول: والذات هو المروي عن الأئمة أهل البيت عليهم السلام

وفي قوله «وما توعدون» أقوال:

١ - عن عطاء أي من الثواب والعقاب

٢ - عن مجاهد والضحاك أي الجنة والنار

٣ - قيل أي وفي السماء تقدير أرزاقكم أي ما قسمه لكم مكتوب في أم الكتاب وجميع ما توعدون في السماء أيضاً لأن الملائكة تنزل من السماء لقبض الأرواح ولاستنساخ الأعمال ولإنزال العذاب يوم القيامة للجزاء والحساب، إذ قال «ويوم تشقق السماء بالغمام ونزل الملائكة تنزيلا»

٤ - عن مجاهد أيضاً أي من خير وشر

٥ - قيل من خير خاصة

٦ - قيل من شر خاصة

٧ - عن سفيان بن عيينة أي الجنة خاصة.

٨ - عن ابن سيرين والربيع: أي من أمر الساعة.

أقول: والأخير هو الأنسب بغرض السورة.

٢٣ - (فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

في قوله تعالى: «انه لحق» أقوال:

١ - عن الزجاج ن لله تعالى اقسم بسبعة ان ما ذكر من امر الرزق والايات حق لاشك فيه.

٢ - عن الكلبي أي ما قضى في الكتب كلها

٣ - قيل أي ما توعدون من أمر البعث والحساب والجزاء.

٤ - قيل أي إن ما جاء به الرسول ﷺ

٥ - قيل الضمير راجع الى أول السورة التي هي وغيرها من الأقوال

أقول : الثالث هو ظاهر السياق

٢٤ - (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

في المكرمين قولان قيل انهم مكرمون عند الله تعالى لقوله تعالى بل هم عباد مكرمون (الأنبياء ٢٦) وقوله تعالى ذكر رحمة ربك عبده زكريا (مريم ٢) الآية

٢ - عن محمد بن كعب انهم مكرمون لأكرام ابراهيم اياهم برفع مجلسهم وخدمتهم بنفسه وسؤالهم بنفسه أن كلوا من طعامه لأنهم دخلوا مدخل الأضياف

أقول : ولا منافاة بينهما

وفي عدد الملائكة أقوال

١ - عن ابن عباس ومقاتل انهم كانوا اثني عشر ملكاً

٢ - عن محمد بن كعب كان جبرئيل ومعه ستة أملاك

٣ - قيل هم ثلاثة جبرائيل وميكائيل وملك آخر

٤ - قيل هم أربعة وغيرها من الأقوال

أقول : ما ورد في المقدم ما يعتمد به الا ان صيغة الجمع وضميره تدل على انهم كانوا أكثر من اثنين

٢٥ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاماً قال سلام قوم منكرون)

في قوله تعالى : « قوم منكرون » أقوال :

١ ـ قيل اى غرباء لايعرفهم فلما رآهم استنكرهم وحدّث في نفسه انّ هؤلاء قوم منكرون

٢ـ قيل لانه عليه السلام رآهم على غير صورة البشر وعلى غير صورة الملائكة الذين كان يعرفهم فنكرهم فقال «قوم منكرون»

٣ـ قيل : أنكرهم لانهم دخلوا عليه من غير استئذان .

٤ـ عن أبي العالية أنكر سلامهم في ذلك الزمان وفي تلك الارض

٥ـ قيل : أي خافهم .

أقول : والاوّل هو الاظهر

٢٨ ـ (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

في الغلام قولان : أحدهما ـ عن مجاهد انّه اسمعيل ابن هاجر

ثانيهما ـ : انه اسحق ابن سارة وعليه جمهور المفسرين

أقول: والاوّل هو المؤيد بما يأتي من الآيات الكريمة والروايات الشريفة فخطأ المفسرون في ذلك جداً

وهذا لايتفق ما جاء في قوله تعالى « فبشّرناها باسحق » هود ٧١)

فأن بشّروا ابراهيم عليه السلام باسمعيل عليه السلام فلما سمعته سارة من وراء الحجاب وحدّث فبشّروها باسحق عليه السلام

٢٩ ـ (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

في قوله تعالى : «في صرّة فصكت» أقوال

١ـ عن ابن عباس و مجاهد وقتادة والضحاك أي في صيحة وصيحة وهي تلطم وجهها بأطراف أصابعها .

٢ـ عن عكرمة وقتادة ايضاً وسفيان الثوري ومقاتل والكلبي والسدي . أي في رنة وتأوّه و لم يكن هذا الاقبال من مكان الى مكان و هي تصرّ يدها على جبهتها على عادة النسوان عند التعجب .

٣ـ قيل: أي أقمت في جماعة من النساء وهي تسمع كلام الملائكة وغطت من الملائكة وجهها

أقول: ولا منافاة بين الاقوال فتدبّر واغتنم.

٣٤ ـ (مسومة عند ربك للمسرفين)

في المسومة أقوال

١ـ عن ابن عباس: أي الاحجار لايبقى فيه نقطة سوداء. وقيل: العكس.

٢ـ قيل: كانت معلّمة بسواد وبياض

٣ـ قيل: سود وحمر

٤ـ قيل: كانت معها مثلها حجارة العذاب

٥ـ قيل: على كل حجر إسم من يهلك به

٦ـ قيل: عليها أمثال الخواتم

٧ـ عن من رآها: كانت مصوحة ضيح الحجر

أقول: وعلى الخمس أكثر المفسرين

٣٦ ـ (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

في عدد المسلمين أقوال

١ـ عن سعيد بن جبير: أنهم كانوا ثلاثة عشر نفراً

٢ـ قيل: هم لوط وبناته

٣ـ قيل: هم لوط وبناته

أقول: والاخير هو الظاهر من قوله: «قال يا قوم هؤلاء بناتي هنّ أطهر لكم ـ قالوا لقد علمت ما لنا في بناتك من حق» (هود: ٧٨ ـ ٧٩)

٣٧ ـ (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

وفي الاية قولان أحدهما ـ: قيل: الاية المتروكة هي نفس القرية الخربة.

ثانيهما ـ: قيل: هي الحجارة المنضودة التي رجموا بها.

أقول : وعلى الاوّل أكثر المفسرين .

٣٨ - (وفي موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

وفي موسى قولان أحدهما - عن الفراء - أي وفي إرسال موسى وقصته وما حدث بينه وبين فرعون آيات واضحات على انّه عطف على قوله تعالى « وفي الارض آيات » لديهم - قيل أي وتركنا في موسى آية على انّه عطف على قوله تعالى « وتركنا فيها آية ».

أقول : والثاني هو الاصح وعليه أكثر المحققين

وفي قوله تعالى « بسلطان مبين » أقوال

١ - عن قتادة أي بحجة مبين

٢ - قيل أي بحجة بيّنة وهي العصا

٣ - قيل أي بالمعجزات من العصا واليد وغيرهما

أقول : وعلى الاخير أكثر المفسرين

٣٩ - (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

في « بركنه » أقوال

١ - عن مجاهد وابن زيد أي فأعرض فرعون عن قبول الحق إعتماداً بمجموعه وأنصاره ومنعه وعشيرته

٢ - عن ابن عباس وقتادة أي بقوّته

٣ - عن قتادة أيضاً أي على عدوّ الله على قومه

٤ - قيل بنفسه .

٥ - عن الاخفش أي بجنده كقوله تعالى « أعرض وثنى بجنبه » وهذا مبالغة في الاعراض عن الشيء

٦ - قيل ركنه هامان وزيره

أقول: والثاني هو الأشمل .

٤١ ـ (وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)

في الريح العقيم أقوال

١ ـ عن سعيد بن المسيب هي الريح الجنوب

٢ ـ عن مقاتل هي الدبور وفي رواية عن النبي ﷺ قال نصرت بالصبا وأهلكت عاد بالدبور

٣ ـ عن ابن عباس ومجاهد والضحاك هي الباردة هي الريح الشديدة التي لا تلقح شيئاً

٤ ـ عن [illegible] على [illegible]

٥ ـ عن مجاهد [illegible]

أقول: و[illegible] هو المروي و[illegible] للريح

٤٥ ـ (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

١ ـ عن قتادة أي لم ينهضوا من [illegible] وما كانوا ممتنعين من العذاب حين أهلكوا وما كان لهم نصر ينصرهم

٢ ـ قيل أي ما أطاقوا أن ينتقموا عذاب الله وأن يمنعوه ويقوموا به.

٣ ـ عن ابن عباس أي وهنت أجسامهم ونفدت أرواحهم في العذاب

٤ ـ قيل : أي ما كانوا ممتنعين بصبر أنفسهم من عذاب الله

أقول : وعلى الأول جمهور المفسرين

٤٧ ـ (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)

في قوله تعالى : « وانا لموسعون » أقوال:

١ ـ عن ابن عباس أي لقادرون على خلق ما هو أعظم منها .

٢ ـ عن الحسن : أي لموسعون الرزق على الخلق بالمطر.

٣ ـ قيل أي وانا لذو سعة بخلقها وخلق غيرها لا يضيق علينا شيء نريده .

٤ ـ قيل : إشارة الى امتداد السماء واتساعها .

٥ ـ قيل اريد بها توسعة خلق السماء وكنّا قادرين على ما أوسعناها .

٦ ـ قيل : اشارة الى سعة السماء وسعة ما بين سماء و سماء اخرى الى سبع سموات

أقول: و لاوّل هو لائق المؤيد بظاهر قوله تعالى «و السماء ذات الحبك» ويؤيد به القول الثالث و الرابع و الخامس

٤٩ ـ (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

فيها أقوال

١ ـ عن ابن عباس : اى الذكر و الانثى

٢ ـ عن الحسن ومجاهد : أى وخلقنا من كل شيء صنفين من الحيوان و الناس والروح و الجسم

٣ ـ قيل : اراد بالزوجين الامثال التي يشبه بعضها بالاخر في و منفعل كالذكر و الانثى و الحلو و الحامض و الصيف و الشتاء

أقول: و ظاهر الاطلاق يناسب الثاني والمراد منطبق المتقابلات

٥٠ ـ (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

في الآية أقوال

١ ـ عن ذي النون المصري : أي ففرّوا من الجهل الى العلم و من الكفر الى الشكر

٢ ـ قيل : أي فاهربوا من عذاب الله الى ثوابه ، ورحمته بالايمان والطاعة واجتناب المعصية فالتجأوا اليه ليخلصكم من أوصاف الذنوب بالتوبة و الاستغفار

٣ ـ عن سهل بن عبد الله : أي ففرّوا مما سوى الله إلى الله تعالى .

٤ ـ قيل : أي فاهربوا من الشرك إلى التوحيد ، و من الكفر الى الايمان ومن المعصية الى الطاعة .

أقول: والأخير هو الأنسب بظاهر اللفظ.

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

وفي الآية أقوال

١ - عن الحسن: أي ذكّر المؤمنين وأعرض عن الكفار.

٢ - قيل: أي ذكر الكفار ولا تجادلهم

٣ - قيل: أي ذكر على الإطلاق للكفار والمؤمنين

أقول: والأخير هو الأنسب بالإطلاق ولمؤدى الآيات التالية، ولا مصحح

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

في الآية أقوال

١ - عن مجاهد: أي الا ليعرفوني

وفيه: أن ظاهر الآية أن العبادة سبباً على أن المعتبر هي المعرفة الحاصلة بالعبادة لله تعالى لا مطلق معرفته، فلا يخلص بمعرفة أن المعرفة التي بالعبادة

٢ - قيل: أي إلا ليعبدون على أن اللام للغرض هو العبادة، بمعنى كونهم عابدين لله تعالى لا كونه معبوداً لهم، لأن العابدون لم يقل لأعبد أو لأكون معبوداً لهم

٣ - عن ابن عباس: أي إلا ليعبدوا لي بالعبودية طوعاً أو كرهاً، فأما المؤمن فيدعى في النعمة والرخاء وأما الكافر فيدعى في الشدة والبلاء دون النعمة والرخاء

٤ - قيل: أي مستعدين للعبادة ومتمكنين منها أتم استعداد وأكمل تمكن.

٥ - عن مجاهد أيضاً: والرخاء: أي الأوامر والنواهي

٦ - عن زيد بن أسلم وغيره: هو ما جبلوا عليه من الشقوة والسعادة فخلق السعداء من الجن والانس للعبادة وخلق الأشقياء منهم للمعصية.

٧ـ عن الضحاك والكلبي والفرّاء والقتبي ليعبدوه المؤمنون ويوحدوه على أنّ هذا خاص فيمن سبق في علم الله تعالى أنّه يعبده فحذف بلفظ العموم و معناه الخصوص، والمعنى وما خلقت أهل السعادة من الجن و الانس الا ليعبدون ويوحدوني

أقول: الاوّل والثاني و الرابع و الخامس هي المرويه عن أئمه أهل البيت عليهم السلام

٥٧ ـ (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

في الآية أقوال :

١ ـ عن ابن عباس أي ما اريد أن يرزقوا أنفسهم ولا أن يطعموها .

٢ ـ قيل أي ما اريد منهم أن يرزقوا عبادي ولا أن يطعموهم

٣ ـ قيل أي ما اريد أن اصرفهم في تحصيل رزقي فارزق بعد ولا في تحصيل طعام فيطعموني به

أقول : والثالث هو الانسب بظاهر السياق .

٥٩ ـ (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)

في الظلم أقوال

١ ـ قيل أي ظلموا على أنفسهم بتعريضها للعذاب لخالد في الآخره وللذلّه والحرمان في الحياه الدنيا بتكذيبهم الحق والكفر و الانكار للبعث و لحساب الجزاء

٢ ـ قيل أي ظلموا على الله تعالى حيث وضعوا الحقّ وجحدوه باطلا وسعوا في احياء الباطل

٣ ـ قيل أي ظلموا على النبي حيث صدّوهم عن سواء السبيل

أقول: والاول هو الانسب لما يأتي من قوله تعالى «فويل للذين كفروا» الخ

وفي قوله تعالى : «ذنوباً» اقوال :

١ ـ عن ابن عباس ومجاهد وقتادة أي سجلا من العذاب .

٢ ـ عن ابن زيد : أي نصيباً وافراً من العذاب .

٣ـ عن ابراهيم : أى طرفاً من العذاب

٤ عن الحسن أى دلواً من الدلاء، وهو مأخوذ من مقسمة الشيء الماء بالذنوب وهو الدلو العظيم المملوء.

أقول: وعلى الثانى جمهور المفسرين بعد التقارب بين الأقوال

٦٠ ـ (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

فى اليوم قول

١ فى أى اليوم الموعود لعبدة

٢ـ فى أى يوم من

٣ فى [illegible] اليوم

أقول: وعلى الأول [illegible] للمفسرين والثانى لا وجه غير بعيد

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (والذاريات ذروا)

ان الله جلّ وعلا اقسم بالرياح لما يشاهد من آثاره ومنافعها من الهبوب واللقاح وتفريق السحب وإثارة التراب وإطارة الدخان وإجراء السفن وما فيها من الآثار والمنافع وما فيها من الوعد كلها دالّ على توحيد الله وقدرته، فإن الله تعالى «إنّ في خلق السموات والأرض - وتصريف الرياح - لآيات لقوم يعقلون» (البقرة: ١٦٤)

وقال: «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه» (الحجر ٢٢)

وقال: «واضرب لهم مثل الحياة الدنيا كماء أنزلناه من السماء فاختلط به نبات الأرض فأصبح هشيماً تذروه الرياح وكان الله على كل شيء مقتدراً» (الكهف ٤٥)

وقال: «ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» (الروم ٤٦)

وقال: «والله الذي أرسل الرياح فتثير سحاباً فسقناه إلى بلد ميّت فأحيينا به الأرض بعد موتها كذلك النشور» (فاطر ٩)

٢ - (فالحاملات وقراً)

وأقسم تعالى بالسحائب التي يحمل ثقلاً من الماء من بلد إلى بلد فتصير موقرة به فترسل الأمطار مبشّرات برحمته تحيى بها الأنعام والزروع وتسقى بها البساتين وتخضر بها الحدائق والجنات وتصير الأرض القفر مروجاً وعليه يعتمد

الانسان في معاشه وما اليها من الآثار والمنافع التي يشاهدها الانسان فلها المنزلة العظمى في النفوس البشرية

وفيها آيات واضحة يدعو بها الناس إلى توحيد الربوبية لثبت له يوم البعث والحساب والجزاء التي وعدها الله تعالى ويندفع بذلك إنكار المنكرين لها

قال الله تعالى «هو الذي يريكم البرق خوفاً وطمعاً وينشىء السحاب الثقال» (الرعد ١٢).

وقال «ألم تر أن الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً فترى الودق يخرج من خلاله وينزل من السماء من جبال فيها من برد فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء» (النور ٤٣)

وقال «والله الذي يرسل الرياح فتثير سحاباً فيبسطه في السماء كيف يشاء ويجعله كسفاً فترى الودق يخرج من خلاله فإذا أصاب به من يشاء من عباده إذا هم مستبشرون وإن كانوا من قبل أن ينزل عليهم من قبله لمبلسين فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها إن ذلك لمحيي الموتى وهو على كل شيء قدير» (الروم ٤٨ - ٥٠)

وقال «وهو الذي يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته حتى إذا أقلت سحاباً ثقالاً سقناه لبلد ميت فأنزلنا به الماء فأخرجنا به من كل الثمرات كذلك نخرج الموتى لعلكم تذكرون» (الأعراف: ٥٧)

٣ - (فالجاريات يسراً)

وأقسم سبحانه بالسفن التي تشق في البحر في حال من اليسر مواتية لسيرها في ريح رخاء لا عاصفة ولا هامدة لما فيها من المنافع وما يشاهد في البحر من آيات واضحة تدل على قدرة كامله ومدبر حكيم.

قال الله تعالى: «ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام إن يشأ يسكن الريح فيظللن رواكد على ظهره إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور» (الشورى ٣٢-٣٣)

وقال «هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين

بهم بريح طيّبة وفرحوا بها جائتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا انهم احيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين فلما أنجاهم اذا هم يبغون في الارض بغير الحق » يونس ٢٢ـ٢٣)

وقال « ألم تر انّ الفلك تجري في البحر بنعمة الله ليريكم من آياته » لقمان : ٣١)

وقال « انّ في خلق السموات و الارض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس ـ لايات لقوم يعقلون » البقرة ١٦٤)

وقال « ومن آياته أن يرسل الرياح مبشّرات وليذيقكم من رحمته ولتجري الفلك بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون » الروم ٤٦) والجاريات جمع الجارية قال الله تعالى « انّا لمّا طغى الماء حملناكم في الجارية لنجعلها لكم تذكرة وتعيها اذن واعية » الحاقّة : ١١ ـ ١٢)

وفي الايات الثلاث نكتة لطيفة

وهي انّ الحشر والبعث الّذي يدور عليه غرض السورة و تشهد فقرته تتمّ امكانه بها ، وذلك لانّ أجزاء بدن الانسان إن كانت في الارض فتسير الرياح بها بالذرو وإن كانت في الجو فتحملها بالنقل و إن كانت في البحر فتجري بها السحاب منها

فالذي هو قادر على اجراء السفن في البحار كان قادرا على اجراء نبات الاحراء منها إلى البر وبعد ذلك تقسم الملائكة أرواح الخلائق على أجسادها باذن الله جلّ وعلا

٤ ـ (فالمقسمات أمرا)

اقسم الله جلّ و علا بالملائكة في حال حملهم لما يؤمرون به و هم الذين يقسّمون أوامر الله تعالى في خلقه و يتقاسمون الاعمال باذن الله في تدبير شؤن العالم على اختلاف مراتبهم حسب اختلاف امور العالم على ما اقتضته الحكمة الالهية فالتدبير واحد وانقسام المأمورين باعتبار انقسام الامور وتكثرها باعتبار تكثر الامور وأقسم بهم لكونهم وسائط التدبير الالهي و المنفذين لاوامر الله جلّ وعلا

ويفعلون ما يؤمرون من نزول على الأنبياء عليهم السلام ومن اهلاك قوم و نجاة آخرين وحفظ اعمال الناس خيرها وشرها وحفظهم ومن موت ومن اليهامن لامور

قال الله تعالى «الله يصطفي من الملائكة رسلا ومن الناس» الحج ٧٥)

وقال «هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين ـ قالوا انا أرسلنا الى قوم مجرمين لنرسل عليهم حجارة من طين مسومة عند ربك للمسرفين» الذاريات: ٢٤ـ٣٤)

وقال «له معقبات من بين يديه ومن خلفه يحفظونه من أمر الله» الرعد: ١١)

وقال «وان عليكم لحافظين كراماً كاتبين يعلمون ما تفعلون» الانفطار ١٠ ـ ١٢)

وقال «لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» التحريم ٦)

٥ـ (انما توعدون لصادق)

أي ان البعث والحشر الذي توعدون به لصادق لاريب فيه ولاينبغي فيه الارتياب، قال الله تعالى «فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون» الذاريات: ٦٠).

وقال: «ونفخ في الصور ذلك يوم الوعيد» ق: ٢٠)

وقال «هذا يومكم الذي كنتم توعدون يوم نطوي السماء كطي السجل للكتب كما بدأنا اول خلق نعيده وعداً علينا انا كنا فاعلين» الانبياء: ١٠٣ـ١٠٤).

وقد كانوا يسئلون على سبيل الاستهزاء عن زمن وقع فيه الجزاء والاصالة وعن نفس الجزاء بالتبع كما يظهر من قوله تعالى حكاية عنهم «يسئلون أيان يوم الدين» الذاريات: ١٢)

فأجابهم على طريق السؤال اولا فقال «يوم هم على النار يفتنون» الذاريات ١٣)

٦ـ (وان الدين لواقع)

ان الدين في سياق الخطاب للمشركين والمنكرين للبعث والجزاء والمعنى: وان الجزاء الذي كنتم تكذبون به واقع لامحالة كما تفصح عن ذلك السورة التالية

مصحفاً ادقال تعالى « فويل يومئذ للمكذبين الذين هم في خوض يلعبون يوم يدعون الى نار جهنم دعّ هذه النار التي كنتم بها تكذّبون أفسحر هذا أم أنتم لاتبصرون اصلوها فاصبروا أو لاتصبروا سواء عليكم انّما تجزون ما كنتم تعملون» الطور ١١ - ١٦)

وما ورد انّ ما يوعدون يعني في علي عليه السلام وهو الدين فمن باب التأويل فتدبر واغتنم

٧ - (والسماء ذات الحبك)

أي وأقسم بالسماء ذات الطرائق والطرائق هي جمع الطريقة التي تظهر على الماء اذا تشتّى وتكسّر من مرّ الريح عليه

كقوله تعالى : « ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق » المؤمنون ١٧)

وبين كل سماء وسماء طريقة ولكل أهل ، قال الله تعالى « الذي خلق سبع سموات طباقاً » الملك : ٣)

وقال : « تسبّح له السموات السبع والارض ومن فيهنّ » الاسراء ٤٤)

٨ - (انكم لفي قول مختلف)

أي انكم اختلفتم فيما وعدتم به من أمر البعث والجزاء وقلتم فيه من غير علم ويقين وأنتم تسئلون عن يوم البعث والجزاء فيه وتنكرون لهم وترتابون فيه تارة اخرى

ويظهر هذا المعنى من قوله تعالى « قتل الخراصون - يسئلون أيان يوم الدين - انّه لحق مثل ما انكم تنطقون » الذاريات ١٠ - ٢٣)

٩ - (يؤفك عنه من افك)

أي يصرف عن الايمان بالبعث والحشر والجزاء والقرآن الكريم ومحمد رسول الله الخاتم صلى الله عليه وآله من هو مأفوك عن الاهتداء وجاحد بآيات الله جلّ وعلا .

قال الله تعالى: «وإذ لم يهتدوا به فسيقولون هذا إفك قديم» (الاحقاف ١١).

وقال: «كذلك يؤفك الذين كانوا بآيات الله يجحدون» غافر: ٦٣)

وما ورد من اختلاف الأمة المسلمة في الإمام علي عليه السلام وأنّ من أفك عن ولايته عليه السلام أفك عن الجنة، فمن التأويل فتدبّر وتفهم.

١٠ - (قتل الخراصون)

أي لعن القوّالون الخائضون في أمر البعث والحساب والجزاء المنكرون لها بغير علم ولا دليل إلا التخمين والفرض والحدس.

والخرّاص هو الذي يخرص الأشياء ويقدرها بحدسه وظنه دون أن يستند في ذلك إلى علم محقق كما يفعل الذي يخرص ما على النخل من تمر وما يعطي الزرع من حبّ.

قال الله تعالى: «وإذا قيل إنّ وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظنّ إلا ظنّاً وما نحن بمستيقنين» الجاثية: ٣٢)

١١ - (الذين هم في غمرة ساهون)

أي الخرّاصون هم في جهله وضلاله وارتيابه غافلون بهم عما لقيه من وعدوا به.

قال الله تعالى: «واقترب الوعد الحق فإذا هي شاخصة أبصار الذين كفروا يا ويلنا قد كنّا في غفلة من هذا بل كنا ظالمين» الأنبياء: ٩٧).

١٢ - (يسئلون أيان يوم الدين)

أي يسأل هؤلاء الخراصون ساخرين مستهزئين متى يكون البعث والحساب والجزاء التي وعدتنا بها.

قال الله تعالى: «يسئلونك عن الساعة أيّان مرساها قل إنما علمها عند ربي لا يجلّيها لوقتها إلا هو» الأعراف: ١٨٧).

١٣ - (يوم هم على النار يفتنون)

أى يكون البعث والحساب يوم هؤلاء الخرصون يعرضون على نار جهنم يعذبون بها

فى المحكم والمتشابه للسيد المرتضى رضوان الله تعالى عليه « سئلوه يعنى عليّا عن المتشابه فى تفسير فتنه فقال « ألم أحسب الناس أن يتركوا أن يقولوا آمنا وهم لا يفتنون » وقوله لموسى « وفتناك فتونا » ومنه فتنة الكفر وهو قوله تعالى « لقد ابتغوا الفتنة » فتنوا أى الأمور حتى جاء أمر الحق وظهر أمر الله »

وقوله تعالى « وما نتهم إلا كما فتن » يعنى هؤلاء الكفار وقوله سبحانه فى الذين استأذنوا رسول الله ﷺ فى غزوة تبوك أن يتخلفوا عنه من المنافقين فقال تعالى فيهم « ومنهم من يقول ائذن لى ولا تفتنى ألا فى الفتنة سقطوا وإن جهنم لمحيطة بالكافرين »

ومنه فتنه تعذب وهو قوله تعالى « يوم هم على النار يفتنون ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون » أى ذوقوا عذابكم

ومنه قوله تعالى « إن الذين فتنوا المؤمنين والمؤمنات ثم لم يتوبوا » أى عذبوا المؤمنين

ومنه فتنة المحنة للمال والولد كقوله تعالى « إنما أموالكم وأولادكم فتنة » أى إنما حملناهما فتنة لكم ومنه فتنة المرض وهو قوله تعالى « أو لا يرون أنهم يفتنون فى كل عام مرة أو مرتين ثم لا يتوبون ولا هم يذكرون » أى يمرضون ويقتلون

١٤ - (ذوقوا فتنتكم هذا الذى كنتم به تستعجلون)

أى يقال لهم ذوقوا عذابكم يا أيها الخراصون هذا الذى كنتم به تستعجلون فى الحياة الدنيا ساخرين مستهزئين مكذبين به ولكن الآن عرفتم صحته، قال الله تعالى « وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذى كنتم به تكذبون » السجدة : ٢٠) .

وقال: «قد قوا على نزيدكم (عدد ٢ الآية ٣٠)

وقال: «وقفوا إنهم مسئولون مالكم لا تناصرون بل هم اليوم مستسلمون وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون قالوا إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين قالوا بل لم تكونوا مؤمنين وما كان لنا عليكم من سلطان بل كنتم قوما طاغين فحق علينا قول ربنا إنا لذائقون فأغويناكم إنا كنا غاوين فإنهم يومئذ في العذاب مشتركون إنا كذلك نفعل بالمجرمين إنهم كانوا إذا قيل لهم لا إله إلا الله يستكبرون ويقولون أئنا لتاركو آلهتنا لشاعر مجنون بل جاء بالحق وصدق المرسلين إنكم لذائقو العذاب الأليم وما تجزون إلا ما كنتم تعملون» الصافات ٢٤ - ٣٩

١٥ - (ان المتقين في جنات وعيون)

أي إن الذين اتقوا الله تعالى بامتثال أوامره واجتناب نواهيه هم في بساتين وجنات لا يحيط الوصف بما فيها من النعيم المقيم وهم تجري من تحتهم الأنهار ولهم فيها ما يشتهون حيث كانوا يعملون

قال الله تعالى: «إن المتقين في مقام أمين في جنات وعيون يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوجناهم بحور عين يدعون فيها بكل فاكهة آمنين لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى ووقاهم عذاب الجحيم فضلا من ربك ذلك هو الفوز العظيم» الدخان ٥١ - ٥٧)

وقال: «وجوه يومئذ ناعمة لسعيها في جنة عالية لا تسمع فيها لاغية فيها عين جارية فيها سرر مرفوعة وأكواب موضوعة ونمارق مصفوفة وزرابي مبثوثة» الغاشية ٨ - ١٦)

وقال: «إن المتقين في ظلال وعيون وفواكه مما يشتهون كلوا واشربوا هنيئا بما كنتم تعملون» المرسلات ٤١ - ٤٣)

١٦ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

أي آخذين ما أعطاهم ربهم من الخير والكرامات في الجنة لأنهم كانوا في الحياة الدنيا يعملون الطاعات ويحسنون إلى غيرهم بوجوه الإحسان، كقوله تعالى: «إن المتقين في جنات ونعيم فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب

الجحيم كلوا و شربوا هنيئاً بما كنتم تعملون» (طور ١٧ - ١٩).

١٧ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

أي كان هؤلاء المتقون المحسنون ينامون قليلا من ليالي بعمرها بحيث يفوت منهم صلاة الليل في بعض الليالي - فما تفوتهم صلاة الليل الاّ في قليل من الليالي

١٨ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

أي وكان هؤلاء المتقون المحسنون يصلّون وقت السحر صلاة الليل ومنها ركعة الوتر فيستغفرون فيها.

وهم الذين يصفهم الله تعالى في قوله: «الصّابرين والصّادقين والقانتين والمنفقين والمستغفرين بالاسحار» (آل عمران ١٧)

١٩ - (وفي أموالهم حق للسائل والمحروم)

أي وجعل هؤلاء المتقون المحسنون في أموالهم جزء معلوماً مقدّراً وعيّنوه للسائل المحتاج وهو الذي يسأل لعضلة يطلبها أو فقره والمحروم المتعفّف الذي لا يعلم حاجته ولا يسأل الناس بتعفّف

وقد قال الله تعالى: «والذين في أموالهم حق معلوم للسائل والمحروم» (المعارج ٢٤ - ٢٥)

فمن جملة صفة المتقين المحسنين أنهم يقدّرون بصفاء قلوبهم في أموالهم نصيباً وحظّاً معيّناً لهما ويلزمون أنفسهم باخراجه

وليس المراد به ما أوجبه الشرع و الاّ لقال يؤدّون ما أوجبنا عليهم أو ما يجب عليه لأنّ الآية نزلت بمكة قبل أن تشرّعت فرائض الزكاة في المدينة بل المراد به ما ألزموا أنفسهم بالاحسان وتسمية ما التزموا باخراجه حقّاً لا تدلّ على وجوبه، لأنّ الحقّ قد يطلق على الوظيفة المقدّرة و لو لم تكن واجبة

ويمكن أن تستدل بالآية على الترسب في بعض الأعوام ونحوه وتعيين شيء منها لمعرفة الكونيين ولو بالتوصيف غير الحسابي أو الرقمي

٢٠- (وفي الأرض آيات للموقنين)

أي وفي الأرض من جبالها وسهلها وبحارها وأنواع نباتها وأقسام حيوانها ومعادنها وكنوزها بلا عمد وبسطها للتصرف للخلق عليها

وفي دوابها على حولها وفي ليلها ونهارها وشرقها وغربها وجنوبها وشمالها وفي عيونها وأنهارها وفي مياهها المختلفة بعضها لبعض الملائمة بعضها لبعض وفي نظام واحد مشترك من بدء الخلق وحتى الآن على القدرة والعلم والحكمة

وفي أصنافها وأشكالها وألوانها وطعومها حجج باهرة على أن خلقها وتدبير أمرها ينتهي إلى خالق مدبر قدير عليم حكيم.

فأي جزء منها من جبالها وأنهارها وجهة وليس من جهات التدبير العام الحكيم فيها كانت آية بينة وبرهاناً ساطعاً على وحدانية ربها لا شريك له يتجلى فيه الحق لأهل النظر والبصر

لأن وجوه عبر والتفكر فيها حيثما تدبرتها ترى ملكوت السموات والأرض شاهداً لتدبير الإلهي والإبداع في هذا العالم الواسع، وفي هذا الجو الشاسع وفي هذه الأرض بمساحتها كلها علامات تدل على قدرة الله جل وعلا على البعث والنشور

فانظر إلى عود النبات بعد أن صار هشيماً إلى تقدير الأقوات وفيها لقوام الحيوانات وإلى البلدان التي فيها آثار الهلاك السابق والأمم الماضية، فانظر ثم انظر

والموقنون هم يعرفون وحدانية ربهم وقدرته على البعث والنشور وصدق نبوة نبيهم وهم يستفيدون تلك الآيات والآثار ويتدبرون فيها ويعتبرون بها

فكل قلب لا يقين فيه فهو ميت جامد جاف لا يرى ولا يدرك الحقائق التي

وراءه ولا يعلم الاّ ظاهراً من الحياة الدنيا ، وأمّا حقيقتها فمحجوبة عنه ، لانّ القلوب الجوفاء لا تفتح لحقيقة الوجود ولا تفتح القلوب الاّ بمفتاح الايمان ولا تراه الاّ نور اليقين ، فالقلب الذي يخلو عن الايمان يحرم عن نعمة اليقين ويحرم عن ادراك الحقائق وليس صاحب القلب الخاوي الاّ حرّاصاً بلا اساس ودليل وعلم لا يتبع الاّ هواه وأهل الاهواء

٢١ - (وفي أنفسكم أفلا تبصرون)

أي وفي أنفسكم أيها الحرّاثون المكرّمون للبذر النشور والحساب والجزاء دلالة واضحة على ذلك، من حال إلى حال ومن ضعف الى بعده من حال النطفة الى الطفولية ومن الصغر الى الشباب ومنه إلى الكهولة ومنها إلى الشيخوخة ومنها الى الكبر ومنه الى الموت ومن ضعف الى قوة ومنها الضعف ، والقدرة بعد العجز وبالعكس والغنى بعد الفقر وبالعكس والعلم بعد الجهل وبالعكس

وفي اختلاف الألسنة والالوان وفي درجات العقول والافهام وفي اختلاف الاعضاء وتعدد وظائف كلّ منها على وجه يحار فيه العقل ويدهش به العقل آيات واضحة تدلّ على كمال قدرة الله تعالى وعلمه وحكمته وبديع صنعه وتدبيره

وفي هذا السمع وفي هذا البصر وفي هذا اللسان وفي ذاك القلب آية واضحة على خالق مدبر حكيم لا اله الا هو

كيف ولا يدري أحد ما هو اسود؟ وما ذاك أحمر؟ وما هو أبيض؟ وما ذاك أصفر؟ وما هذا الكلام الذي ينطلق به؟ وما هذا الصمت؟ أيّ شيء هو؟ أم هو مصنع في جوفه يجعل الله فيه العقل أفلا ترى أحد ما ذاك العقل وما صفته وكيف؟!

أفلا تنظرون في ذلك فتتفكروا فيه فتعلموا حقيقة ما وراء ظاهر الحياة الدّنيا فتعترفوا بها؟!

ولعمري اذا وقف الانسان في تكوينه الجسماني وفي أسرار هذا الجسد وفي

تكوينه الروحي و في أسرار النفس في مظهره و في باطنه و وقف تتأمل في عجائب النفس و أسرارها وفي جسده وحكمه تدهش و يتحير تكوين أعضائه وتوزيعها ووظائفها وطريقة أدائها لهذه الوظائف وفي عملية الهضم والامتصاص وفي عملية النفس والاحتراق وفي دوره الدم في القلب والعروق

وفي الجهاز العصبي و تركيبه وادارته للجسم وفي العقد و قرارها وعلاقتها بنمو الجسد وشامه وانتظامه وفي سابق هذه الاجهزة كلها وتعاونها و تجاذبها الكلام الدقيق و في أسرار روحه وطرقها المعلومة والمجهولة وفي ادراكها للمدركات و طريقة ادراكها وفي حفظها وتذكرها هذه المعلومات و لنشوء المختزنة أين و كيف هذه الصور والرؤى والمشاهد؟ كيف انطبعت وأين؟ و كيف تستدعى فتحيء؟ ثم في أسرار هذا الجنس في توالده وتوارثه جسده و جسده تحمل كل رصيد الجنس البشري من الخصائص وتحمل معها خصائص لابوين والاجداد القريبين والقديمين

فأين تكمن هذه الخصائص في تلك الخلية الصغيرة و كيف تهتدي بدائها الى طريقها التاريخي الطويل فتمثله أدق تمثيل و تنهض الى اعادة هذا الكائن الانساني العجيب و في أسرار الجنين و دورته في الارحام و انفصاله عن امه و اعتماده على نفسه ؟!

ويؤدن نفسه و رئته بالحركة لاول الحياة فتشتد تدهش العقول و تحير الالباب ثم في نطق الانسان بعد أشهر وسنه بالكلمات و الجمل والعبارات و في أسرار التكلم والمخارج . .

قال الله تعالى « سنريهم آياتنا في الآفاق و في أنفسهم حتى يتبين لهم انه الحق أو لم يكف بربك انه على كل شيء شهيد ألا انهم في مرية من لقاء ربهم ألا انه بكل شيء محيط » فصلت : ٥٣ ـ ٥٤).

٢٢ ـ (وفي السماء رزقكم و ماتوعدون)

أي و في السماء تقدير رزقكم على أن الارزاق مكتوبة لكم في اللوح المحفوظ تنزل من السماء الى الارض على عدد قطر المطر الى كل نفس

بما قدّر لها ، قال تعالى : « وان من شيء الاّ عندنا خزائنه و ما ننزله الا بقدر معلوم» الحجر : ٢١) .

وفي السماء ما توعدون من أمر الساعة وجزاء كم من الخير و غيره

قال الله تعالى « قالوا ءاذا متنا و كنا تراباً و عظاماً ءانا لمبعوثون لقد وعدنا نحن وابآؤنا هذا من قبل ان هذا الا أساطير الأولين قل لمن الارض ان كنتم تعلمون سيقولون لله قل أفلا تذكرون قل من رب السموات السبع و رب العرش العظيم سيقولون لله قل أفلا تتقون » المؤمنون : ٨٣ـ٩٥) .

٢٣ ـ (فورب السماء و الارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

أقسم الله تعالى بجلاله و كبريائه أنّ ما وعدكم به من أمر القيامة و البعث و الجزاء حق لامرية فيه فلا تشكّوا فيه كما لا تشكون في نطقكم حين تنطقون كما تتيقنون أنّ هذا لحق كما انك ترى وتسمع

٢٤ ـ (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

أي هل بلغك يا محمّد خبر حديث ضيف ابراهيم . وضيوفه من الملائكة الذين وفدوا عليه وهم ذاهبون في مهمّتهم الى قوم لوط فأكرمهم ابراهيم عليهم السلام وهم عند الله مكرمون فشيء البشر كلهم عن ذلك قال تعالى « و نبئهم عن ضيف ابراهيم » الحجر : ٥١)

٢٥ ـ (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

أي حين دخل الملائكة على ابراهيم بيته فقالوا له على طريق التحية أسلم سلاما عليك فردّ عليهم التحية بأحسن منها قال سلام عليكم و قال في نفسه انّ هؤلاء قوم لا نعرفهم و ذلك أنّه ظنّهم من الانس فلم يعرفهم

و هذا لا ينافي ما جاء في قوله تعالى « فلمّا رآى أيديهم لا تصل اليه نكرهم » هود : ٧٠) .

بأنّ ما في هذه السورة حديث نفسه بالنكر وما في سورة هود اظهاره له ، اذ

قال تعالى حكاية عنه « قال إنكم وحلون » الحجر : ٥٢)

٢٦ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

أي فذهب إبراهيم عليه السلام في خفية من ضيفه إلى أهله لأن من آداب المضيف أن يبادر بالقرى حذراً من أن تلحقه الشفقة أو يعيره منظر أهله فجاء مسرعاً ضيفه بعجل سمين قد شواه لهم .

قال تعالى : « فما لبث أن جاء بعجل حنيذ » هود : ٦٩) .

٢٧ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

أي فوضع إبراهيم عليه السلام العجل المشوي بين أيديهم ليأكلوه فلم يمدوا أيديهم إليه ولما رآهم لا يأكلون منه عرض عنهم إذ قال لهم ألا تأكلون منه .

قال الله تعالى : « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه » هود : ٧٠)

وفي هذا تلطف منه في نفاره وعرض حسن إذ استنطم كلامه وعمله آداب الضيافة حين جاء بطعام من حيث لا يشعرون وأتى بأفضل ماله وهو عجل فتي مشوي ووضعه بين أيديهم ولم يطعمه بعدا منهم حتى يدنوا إليه ويتلطف في العرض إذ قال : ألا تأكلون ؟

٢٨ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم)

ولما رأى ابراهيم عليه السلام اعراض الملائكة عن طعامه أضمر منهم خيفة وظن أنهم يريدون به سوءاً أو وقع في نفسه إنهم ملائكة أرسلوا للعذاب ، قال تعالى : « فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم وأوجس منهم خيفة » هود . ٧٠)

وذلك لأن أكل الضيف أمنة ودليل على سروره وانشراح صدره والطعام حرمة وفي الاعراض عنه وحشة موحشة لسوء الظن ، فلما شاهدوا منه الخوف قالوا تطميناً له لا تخف يا ابراهيم انا أرسلنا إلى قوم لوط وبشروه بغلام عليم وهو اسمعيل بن هاجر وقد كان ابراهيم عليه السلام سئل الله تعالى ويطلب من الله جل وعلا

إناً صالحاً منها فستجاب دعاءه ، قال الله تعالى حكاية عن ابراهيم عليه السلام : « رب هب لي من الصالحين فبشّرناه بغلام حليم فلمّا بلغ معه السعي قال يا بني إني أرى في المنام انّي اذبحك فانظر ماذا ترى قال يا أبت إفعل ما تؤمر ستجدني إن شاء الله من الصابرين » الصافات ١٠٠ - ١٠٢).

٢٩ - (فأقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

كانت سارة امرأة ابراهيم عليه السلام في زاوية بيتها تنظر إليهم وتسمع بشارتهم لابراهيم عليه السلام بغلام عليم فأقبلت في صحّة وصيحة فلطمت وجهها متعجّبة من البشارة راعمة إنّ العلام سيولد منها وقالت كيف البشارة ؟ فبشروها باسحق فبشّر بابراهيم غير ما بشّر به سارة هو باسمعيل وهي باسحق ، قال الله تعالى « فبشرناها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب قالت يا ويلتنا أألد وأنا عجوز وهذا بعلي شيخاً إنّ هذا لشيء عجيب قالوا أتعجبين من أمر الله رحمة الله وبركاته عليكم أهل البيت إنه حميد مجيد » هود : ٧١ - ٧٣) .

٣٠ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

أي قالت الملائكة لسارة كما قلنا لك وأخبرناك قال ربّك إنّك ستلدين غلاماً فلا تشكّي فيه ولا تستبعدي - وهي كانت تستبعد الولادة لسنّي كبر السن والعقم وقد كانت لا تلد في عنفوان شبابها والآن قد عجزت وأيست فأحرى بها الآن ألاّ تلد - فانّا لا نقول من تلقاء أنفسنا وانما نتحرك بوحيه تعالى وهو حكيم يفعل على سبيل الحكمة وعليم بمصالح خلقه .

٣١ - (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

لمّا علم ابراهيم عليه السلام أنهم الملائكة بالبشارة وقيل : بمجيء العجل وأنهم لا ينزلون مجتمعين الا لأمر عظيم سألهم عنه فقال : فما شأنكم الذي أرسلتم لأجله سوى البشارة ولأي أمر جئتم أيها المرسلون .

٣٢ - (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

قالت الملائكة لابراهيم انا ارسلنا الى قوم عاصين لله تعالى كافرين لنعمة استحقوا العذاب والهلاك والدمار ، يعنون قوم لوط .

٣٣ - (لنرسل عليهم حجارة من طين)

لنرسل بأمر الله تعالى على قوم لوط من السماء حجارة من طين طيناً متحجراً سماه الله حلا وعلا سجيلا مهيئة للاحراق والهلاك

قال الله تعالى « وأمطرنا عليها حجارة من سجيل منضود » هود ٨٢)

٣٤ - (مسومة عند ربك للمسرفين)

أى معلمة عند الله تعالى بعلامة العذاب المخصوص عليها اسم من يرمى بها قد أعد لرجم من قضى برجمه من المتمادين في الضلالة ، المجاوزين الحد في الفجور

قال الله تعالى « و لوطاً اذ قال لقومه أتأتون الفاحشة ما سبقكم بها من أحد من العالمين انكم لتأتون الرجال شهوة من دون النساء بل أنتم قوم مسرفون» الاعراف : ٨٠ - ٨١)

و قال « و تذرون ما خلق لكم ربكم من أزواجكم بل أنتم قوم عادون » الشعراء : ١٦٦)

٣٥ - (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

أى فلما ذهب الملائكة الى قوم لوط عليه السلام لاهلاكهم اخرجنا من كان في قرية لوط من المؤمنين وذلك لان الله تعالى لا يهلك قرية وفيها مستغفر ومصلح و ما يهلكها الا وأهلها ظالمون .

قال الله تعالى « و ما كان ربك ليهلك القرى بظلم و أهلها مصلحون » هود : ١١٧) .

وقال . « و ما كان الله معذبهم وهم يستغفرون » الانفال . ٣٣)

و قال . « وما كنا مهلكي القرى الا وأهلها ظالمون » القصص ٥٩) .

٣٦ - (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

أى فما وجدنا فى القرية غير بيت واحد من المسلمين الّذين استحقوا النجاة من هذا البلاء الآتى على القرية و اهلها و هو بيت لوط اى أخى ابراهيم عليه السلام و من آمن بالله تعالى من اهله فاسلموا وجههم لله تعالى ظاهراً و باطناً و انقادوا لاوامر الله واجتنبوا عن نواهيه الا امرأته فكانت من الغابرين .

قال الله تعالى « فأنجيناه و أهله الا امرأته كانت من الغابرين » الاعراف : ٨٣)

و قوله « قالوا يا لوط انا رسل ربك لن يصلوا اليك فاسر باهلك بقطع من الليل و لا يلتفت منكم احد الا امرأتك انه مصيبها ما اصابهم انّ موعدهم الصبح » هود ٨١)

و قوله « ثمّ دمرنا الاخرين » الشعراء ١٧٢)

٣٧ - (و تركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

أى و أبقينا فى قرية قوم لوط من آثار التدمير و الاهلاك الّتى يشاهدها النّاس علامة و عبرة لاهل ذلك الزمان و من بعدهم الذين يخافون العذاب الاليم لانّهم المنتفعون

قال الله تعالى « انّ فى ذلك لايات للمتوسمين » الحجر : ٧٥)

و قال « و لقد تركنا منها آية بينة لقوم يعقلون » العنكبوت : ٣٥)

وفى ذلك كله دلالة على توحيد الربوبية و كمال القدرة الالهية و بطلان الشرك

٣٨ - (وفى موسى اذ أرسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

اى و ترك فى قصص موسى عليه السلام علامة فيها عبرة لقوم يعقلون اذ أرسلناه الى فرعون بحجج ظاهرة و دلائل واضحة على صدق نبوته من العصا و اليد البيضاء وغيرهما من المعجزات .

٣٩ - (فتولى بركنه و قال ساحر او مجنون)

أى فاعرض فرعون عن التدبر فيما جاءه موسى عليه السلام من الايات وعن النظر

في السلطان المبين معتزاً بقوته معتمداً بسلطانه وكان يقول تحقيراً لشأن موسى عليه السلام هو ساحر أو مجنون كما كان يقول الله كذاب أو مسحور، وفي ذلك دلالة على اضطراب فرعون وجهله وتردده في الحكم على موسى (ع) فان الساحر هو اللطيف الحيلة وذلك ينافي صفة المجنون المختلط العقل فكيف يوصف شخص واحد بهاتين الصفتين وهذا هو شأن أئمة الكفر في كل حين وشأن قادة الضلالة في كل وقت حين يقهرهم الحق وتسقط من بين أيديهم الحجة على دعواه وكان غرضه صرف القوم عن النظر والتدبر فيما جاء به من الآيات والبينات لعين خوفاً على ملكه ان يذهب وعلى دولته ان يلحقها الدمار وابقاء على ماله من النفوذ والسلطان في البلاد

قال الله تعالى حكاية عن فرعون «قال ان رسولكم الذي ارسل اليكم لمجنون فالقى عصاه فاذا هي ثعبان مبين ونزع يده فاذا هي بيضاء للناظرين قال للملاء حوله ان هذا لساحر عليم» الشعراء ٢٧ ـ ٣٤)

وقال: «ولقد أرسلنا موسى بآياتنا وسلطان مبين الى فرعون وهامان وقارون فقالوا ساحر كذاب فلما جاءهم بالحق من عندنا قالوا اقتلوا ابناء الذين آمنوا معه واستحيوا نساءهم» المؤمن: ٢٤ ـ ٢٥)

وقال: «ولقد آتينا موسى تسع آيات بينات ـ فقال له فرعون اني لأظنك يا موسى مسحوراً» الاسراء: ١٠١).

٤٠ (فأخذه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)

أي فأخذ فرعون وجنوده فصرعناهم وألقيناهم في البحر وفرعون هو الذي قد أتى ما ينبغي أن يلام عليه حينئذ وفي كل وقت من الكفر والاستكبار والتكذيب والعتو وملام في نعمة الله تعالى وفي عبده وهو أضلهم وانتهوه، قال الله تعالى «واستكبر هو وجنوده في الأرض بغير الحق وظنوا انهم الينا لا يرجعون فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم فانظر كيف كان عاقبة الظالمين وجعلناهم ائمة يدعون الى النار ويوم القيامة لا ينصرون واتبعناهم في هذه الدنيا لعنة ويوم القيامة هم من المقبوحين» القصص: ٣٩ ـ ٤١).

وقال « ولقد أوحينا إلى موسى أن أسر بعبادي فاضرب لهم طريقاً في البحر يبساً لا تخاف دركاً ولا تخشى فأتبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ما غشيهم وأضل فرعون قومه » طه : ٧٧ - ٧٩)

٤١ - (وفي عاد اذ أرسلنا عليهم الريح العقيم)

وتركنا في قصة عاد علامة فيها عبرة وعظة لقوم يتفكرون إذ أرسلنا عليهم الريح لا رحمة فيها ولا بركة ولا منفعة وإنما كانت هي ريح الهلاك والدمار والنقمة على القوم الضالين ولم تبق أحداً منهم

قال الله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » الحاقة : ٦ - ٨)

وقال « تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين » الاحقاف : ٢٥)

٤٢ - (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)

أي ما تترك هذه الريح ولا تبقي شيئاً حين تمر عليه إلا جعلته كالشيء الهالك البالي من نبات الارض اذا يبس ودرس

قال الله تعالى « وأما عاد فأهلكوا بريح صرصر عاتية سخرها عليهم سبع ليال وثمانية أيام حسوماً فترى القوم فيها صرعى كأنهم أعجاز نخل خاوية فهل ترى لهم من باقية » الحاقة : ٦ - ٨)

وقال « تدمر كل شيء بأمر ربها فأصبحوا لا يرى إلا مساكنهم كذلك نجزي القوم المجرمين » الاحقاف : ٢٥)

٤٣ - (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)

وفي ثمود أيضاً آية فيها عبرة وعظة لقوم يعلمون ، إذ قال لهم صالح نبيهم - لما عقروا الناقة - تمتعوا ثلاثة أيام

وذلك ليرجعوا فيها عن كفرهم وعتوهم ولكن لم ينفعهم ذلك فحق عليهم

كلمة العذاب

قال الله تعالى « فعقروها فقال تمتعوا في داركم ثلاثة ايام ذلك وعد غير مكذوب » هود : ٦٥).

٤٤ ـ (فعتوا عن امر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)

أي فلم يرجعوا عن الكفر والعتوّ ولم يتوبوا إلى الله تعالى فأخذتهم الصاعقة بعد الأيّام الثلاثة وهم ينظرون إليها جهاراً لا يقدرون على دفعها ، وقوله تعالى « فأخذتهم الصاعقة » هذا لا ينافي ما جاء في موضع آخر من ذكر الرجفة والصيحة بعد الصاعقة لجواز تحقّقها معاً في حقّهم . قال الله تعالى « وعتوا عن أمر ربّهم وقالوا ياصالح ائتنا بما تعدنا إن كنت من المرسلين فأخذتهم الرجفة فأصبحوا في دارهم جاثمين » الاعراف : ٧٧ـ٧٨)

وقال « فلمّا جاء أمرنا نجّينا صالحاً والذين آمنوا معه برحمة منّا ومن خزي يومئذ ـ واخذ الذين ظلموا الصيحة » هود ٦٦ـ٦٧)

وقال « انّا ارسلنا عليهم صيحة واحدة فكانوا كهشيم المحتظر » القمر ٣١)

٤٥ ـ (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

أي فما تمكّنوا من قيام من مجلسهم ليفرّوا من عذاب الله تعالى أو يدفعوا عن انفسهم العذاب لانّهم لم يمهلوا حتّى بمقدار أن يقوموا من مجلسهم وما كان لهم ناصر لندفع عنهم العذاب وما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون

قال الله تعالى « فأخذتهم الصيحة مصبحين فما أغنى عنهم ما كانوا يكسبون » الحجر : ٨٣ـ٨٤)

وقال « فانظر كيف كان عاقبة مكرهم انا دمّرناهم وقومهم اجمعين ، فتلك بيوتهم خاوية بما ظلموا انّ في ذلك لآية لقوم يعلمون» النمل ٥١ـ٥٢)

٤٦ ـ (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوماً فاسقين)

أي واهلكنا قوم نوح من قبل لوط وعاد وثمود وموسى لانّ هؤلاء الهالكين كانوا قوماً خارجين عن حظيرة الدين ودائرة الايمان وكذّبوا رسولنا نوحاً عليه السلام وعصوا الله جلّ وعلا .

٤٧ - (والسماء بنيناها بأيد وانا لموسعون)

أي و خلقنا السماء و رفعناها على حسن نظمها بقوّة و قدرة و انّا لقادرون على خلق ما هو أعظم من هذه السماء الدنيا إلى سبع سموات ، فكل سماء أوسع مما تحتها .

قال الله تعالى : « الّذي خلق سبع سموات طباقا » الملك ٣)

٤٨ - (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

أي فرشنا الارض بسطاً على أحسن وجه وجعلناها صالحة لسكنى الانسان والحيوان فنعم الماهدون نحن إذ فعلنا ذلك لمصالح العباد ومنافعهم، قال الله تعالى « الّذي جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وانزل من السماء ماء فاخرجنا به ازواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا انعامكم انّ في ذلك لآيات لاولي النهى منها خلقناكم وفيها نعيدكم ومنها نخرجكم تارة اخرى» طه ٥٣-٥٥)

وقال « الّذي جعل لكم الارض مهداً وجعل لكم فيها سبلا لعلكم تهتدون والّذي نزّل من السماء ماء بقدر فانشرنا به بلدة ميتا كذلك تخرجون ، والّذي خلق الازواج كلّها وجعل لكم من الفلك والانعام ما تركبون لتستووا على ظهوره ثم تذكروا نعمة ربكم اذا استويتم عليه وتقولوا سبحان الّذي سخر لنا هذا وما كنّا له مقرنين وانّا الى ربّنا لمنقلبون» الزخرف : ١٠-١٤)

٤٩ (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

أي وخلقنا من كل شيء صنفين ونوعين وجنسين : من الذكر والانثى ومن الحر والعبد ومن الروح والجسم ومن الليل والنهار ومن البر والبحر ومن النور والظلمة ومن الشقاء والسعادة ومن الهدى والضلالة ومن الحياة والموت ومن البياض والسواد ومن الباطل والحق ومن الايمان والكفر ومن الخير والشر ..

قال الله تعالى « وهو الّذي مدّ الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار انّ في ذلك لآيات لقوم

يتفكرون» الرعد: ٣).

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

أى قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين المنكرين للبعث والحساب والجزاء ففروا من الشرك إلى التوحيد ومن الانكار و التكذيب الى الايمان و التصديق انى لكم من الله مخوف من عقابه الذى احل بهؤلاء الامم التى قص عليكم قصصها مبين لكم ما ارسلت به

قال تعالى «ان ربكم الله الذى خلق السموات والارض فى ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الامر ما من شفيع الا من بعد اذنه ذلكم الله ربكم فاعبدوه أفلا تذكرون اليه مرجعكم جميعاً وعد الله حقاً انه يبدؤا الخلق ثم يعيده ليجزى الذين آمنوا وعملوا الصالحات بالقسط و الذين كفروا لهم شراب من حميم و عذاب اليم بما كانوا يكفرون» يونس ٣-٤)

وقال «ذلكم الله ربكم له الملك لا اله الا هو فأنى تصرفون» الزمر ٦)

وما ورد فى معنى ففروا أى حجوا فهو من باب التأويل

٥١ - (ولا تجعلوا مع الله الها آخر انى لكم منه نذير مبين)

أى ولا تجعلوا لله اندادا ولا تعبدوا مع الله جل وعلا الذى خلقكم معبوداً آخر من الاصنام و الاوثان وما اليها من الالهة المصنوعة المتوهمة إذ لا شريك له فى الالوهية والمعبودية

قال الله تعالى «يا ايها الناس اعبدوا ربكم الذى خلقكم والذين من قبلكم لعلكم تتقون الذى جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء وأنزل من السماء ماء فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم فلا تجعلوا لله أنداداً وانتم تعلمون» البقرة. ٢١-٢٢).

٥٢ - (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

أى كما كذبت قومك قريش ومن اليهم وما جئت به اليهم وقالوا لك انت ساحر أو مجنون - فعلت الامم التى كانوا قبل قريش إذ قالوا لرسلهم اليهم مثل

مقالة مشركي قريش لك .

فهم لـسوا ببدع في الامم ولأمت ببدع في الرسل فكلهم قد كذّبوا وأنكروا وأوذوا رسلهم وهم صبروا حتى أتاهم نصر الله جلّ وعلا في الحياة الدنيا ، هذا هو فرعون يقول « ساحر أو مجنون » .

قال الله تعالى « وان يكذّبوك فقد كذبت قبلهم قوم نوح وعاد وثمود وقوم ابراهيم وقوم لوط واصحاب مدين وكذّب موسى فأمليت للكافرين ثم أخذتهم فكيف كان نكير » الحج : ٤٢ـ٤٤)

وقال « قد نعلم انه ليحزنك الذي يقولون فانهم لا يكذبونك ولكن الظالمين بآيات الله يجحدون ولقد كذّبت رسل من قبلك فصبروا على ما كذّبوا وأوذوا حتى أتاهم نصرنا ولا مبدّل لكلمات الله ولقد جاءك من نبأ المرسلين » الانعام : ٣٣ـ٣٤)

وقال « انا لننصر رسلنا والذين آمنوا في الحياة الدنيا » المؤمن : ٥١) .

وقال « حتى إذا استيئس الرّسل وظنوا انهم قد كذبوا جاءهم نصرنا فنجّي من نشاء ولا يردّ بأسنا عن القوم المجرمين » يوسف : ١١٠) .

٥٣ ـ (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

أي كان موسى أوّلهم آخرهم بالتكذيب والاستهزاء والانكار لما جاءه الرسول وتواطئوا عليه ، فكان متأخرهم يقولون مقالة متقدّميهم وعلة ذلك انهم قوم طاغون

قال الله تعالى « وما يأتيهم من رسول الا كانوا به يستهزؤن ـ لا يؤمنون به وقد خلت سنة الأوّلين » الحجر : ١١ـ١٣) .

وقال تعالى « والذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها اولئك أصحاب النار هم فيها خالدون ـ قال ادخلوا في امم قد خلت من قبلكم من الجن والانس في النار كلما دخلت امة لعنت اختها حتى إذا ادّارکوا فيها جميعاً قالت اخراهم لاولاهم ربنا هؤلاء أضلونا فآتهم عذاباً ضعفاً من النار قال لكل ضعف ولكن لا تعلمون

وقالت اولاهم لاخراهم فما كان لكم علينا من فضل فذوقوا العذاب بما كنتم تكسبون» الاعراف : ٣٦ـ٣٩) .

٥٤ - (فتول عنهم فما أنت بملوم)

أي فاعرض يا أيها الرسول ﷺ عن المشركين المستهزئين المنكرين ، وصفح عنهم فما انت بملوم في كفرهم وجحودهم بل انما اللوم عليهم من حيث انهم كذبوا وأنكروا للمنعة والحسد والجراءة وما كانوا يوعدون

قال تعالى «فاصدع بما تؤمر واعرض عن المشركين انا كفيناك المستهزئين» الحجر : ٩٤ ـ ٩٥)

وقال «فتول عنهم وقل سلام فسوف يعلمون» القمر ٦ـ١٧)

٥٥ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

وقد أمر الناس بتدبر ما نزل من القرآن لان المؤمنين ينتفعون به

قال الله تعالى «فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون أم يقولون شاعر. نتربص به ريب المنون» الطور ٢٩ ـ ٣٢)

فعرض الدعوة على الناس وكشف معالم الدين لهم بما تتلى عليهم من آيات الله تعالى وان لم ينتفع به كثير منهم ولم يأخذوا طريقهم فله أمر مطلوب من النبي الكريم ﷺ

فان كثيراً من الناس ينتفعون به ويقيمون وجوههم عنده كما ان المؤمنين الذين آمنوا واستجابوا الدعوة لحق يزيدهم هذا التذكير ايماناً وينفع من قلوبهم موقع النفع فتقوى بقينهم وتثبت أقدامهم على طريق الحق .

قال الله تعالى «إنما المؤمنون الذين إذا ذكر الله وجلت قلوبهم وإذا تليت عليهم آياته زادتهم ايماناً وعلى ربهم يتوكلون» الانفال ٢)

٥٦ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

إنّ الله تعالى خلق الجن والانس لرحمة ولا ينال بها أحد إلاّ بالعبادة فأمرهم الله جلّ وعلا بها ، وحقيقة العبادة نصب العبد نفسه في مقام الذلّة والعبودية وتوجيه وجهه الى مقام ربّه وانقطاعه عن نفسه وعن كلّ شيء سوى الله جلّ وعلا فيذكر ربّه وهذا هو المراد من فسّر العبادة بالمعرفة الّتي تحصل بالعبادة فاعبد ربّك حتّى يأتيك اليقين

قال الله تعالى «ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربّك ولذلك خلقهم» هود: ١١٨ - ١١٩) أي للرحمة خلقهم

قال الله سبحانه «ورحمتي وسعت كلّ شيء فسأكتبها للذين يتّقون ويؤتون الزكاة والّذين هم بآياتنا يؤمنون» الاعراف: ١٥٦).

وقال «تلك الجنّة الّتي نورث من عبادنا من كان تقيّا» مريم ٦٣)

وقال «أو عجبتم أن جاءكم ذكر من ربّكم على رجل منكم لينذركم ولتتّقوا ولعلّكم ترحمون» الاعراف: ٦٣)

وقال «وإذا جاءك الّذين يؤمنون بآياتنا فقل سلام عليكم كتب ربّكم على نفسه الرحمة انّه من عمل منكم سوءاً بجهالة ثمّ تاب من بعده وأصلح فانّه غفور رحيم وكذلك نفصّل الآيات ولتستبين سبيل المجرمين قل انّي نهيت أن أعبد الّذين يدعون من دون الله قل لا أتّبع أهواءكم قد ضللت اذا وما أنا من المهتدين» الانعام ٥٤ - ٥٦)

وقال «انّ الله ربّي وربّكم فاعبدوه هذا صراط مستقيم» آل عمران ٥١)

وقال «والمؤمنون والمؤمنات بعضهم أولياء بعض يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر ويقيمون الصّلاة ويؤتون الزكاة ويطيعون الله ورسوله أولئك سيرحمهم الله انّ الله عزيز حكيم وعد الله المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيّبة في جنات عدن ورضوان من الله أكبر ذلك هو الفوز العظيم» التوبة: ٧١ - ٧٢).

٥٧ - (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

أي ما اريد من الجن و لانس ان ضرفهم في تحصيل رزق ورزق به ولا في تحصيل طعام يطعموني به بل انفعل عليهم برزقهم وبما يصلحهم وبما يعيشون به هنيئاً من عندي فليشتغلوا بما يقال به الى رحمتي الاخرى في الدار الاخرة فاني انا الرزاق والمعطي .

وان الله تعالى غني عن عبادة عباده وعن ايمان المؤمنين به ، فما يريد من العبادة والايمان لذة لذاته المقدسة ولا انتفاعاً لنفسه و انما أمرهم بالعبادة ليدلوا بها برحمته التي خلقهم لنيلهم بها بحسن اختيارهم

قال الله تعالى « وأمر اهلك بالصلاة و اصطبر عليها لا نسئلك رزقاً نحن نرزقك والعاقبة للتقوى » طه : ١٣٢)

وقال « لكم فيها رزقاً فابتغوا عند الله الرزق و اعبدوه واشكروا له اليه ترجعون» العنكبوت : ١٧)

٥٨ - (ان الله هو الرزاق ذوالقوة المتين)

ان الله هو الرزاق لعباده ولخلقه كله وهو الذي يفيض رزقه عليهم و يمنحهم من فضله ما يمسك عليهم وجودهم ويقيم به حياتهم وهم الفقراء اليه في جميع أحوالهم وشئونهم وهو ذوالقدرة الشديد الذي يستحيل عليه العجز والضعف وهو القادر بذاته على على أمره غير محتاج الى أحد من خلقه

قال الله تعالى « الله لطيف بعباده يرزق من يشاء و هو القوي العزيز » الشورى : ١٩)

وقال تعالى « وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها » هود ٦) .

وقال « هل من خالق غير الله يرزقكم من السماء والارض » فاطر ٣)

وقال « يا أيها الناس أنتم الفقراء إلى الله والله هو الغني الحميد إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد و ما ذلك على الله بعزيز » فاطر ١٥ - ١٧).

٥٩ - (فان للذين ظلموا ذنوباً مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)

أى فان للذين ظلموا على أنفسهم بالكفر والانكار لما كانوا يوعدون نصيباً من العذاب مثل نصيب أصحابهم الذين هلكوا من الامم السالفة من قوم لوط وعاد وثمود و من قرعون و أتباعه و من قوم نوح عليه السلام فلا يطلبوا منّى ان اعجل فى إنزال العذاب بهم إذ قالوا - يا محمد - « ائتنا بما تعدنا إن كنت من الصادقين » الاحقاف ٢٢) وان على ما تعدهم لقادرون فلا يعوتون منه إمّا فى هذه الحياة الدنيا و إمّا فى الدار الاخرة.

قال « وإن على أن نريك ما نعدهم لقادرون » المؤمنون ٩٥)

وقال « وان ما نرينّك بعض الذى نعدهم أو نتوفينك فانما عليك البلاغ وعلينا الحساب » الرعد: ٤٠)

٦٠ - (فويل للذين كفروا من يومهم الذى يوعدون)

أى فويل لذين كفروا بالله من اهل مكّة و من إليهم و كذّبوا رسوله صلى الله عليه و آله و أنكروا البعث والحساب والجزاء من يومهم الّذى كانوا يوعدون به من البعث والحساب والجزاء

قال الله تعالى « فويل للذين كفروا من مشهد يوم عظيم اسمع بهم وأبصر يوم يأتوننا لكن الظالمون اليوم فى ضلال مبين وانذرهم يوم الحسرة إذ قضى الامر وهم فى غفلة و هم لايؤمنون » مريم ٣٧ - ٣٩)

وقال « فذرهم يخوضوا و يلعبوا حتى يلاقوا يومهم الّذى يوعدون يوم يخرجون من الاجداث سراعاً كانّهم إلى نصب يوفضون خاشعة أبصارهم ترهقهم ذلة ذلك اليوم الّذى كانوا يوعدون » المعارج: ٤٢ - ٤٤)

﴿ جملة المعاني ﴾

٤٦٧٦ - (والذاريات ذروا)

إنّ الله تعالى أقسم بالرياح لما نشاهد من آثارها و منافعها و مضارها من الوعد والوعيد .

٤٦٧٧ - (فالحاملات وقرا)

وأقسم جل وعلا بالسحائب التي تحمل ثقلا من الماء من بلد إلى بلد

٤٦٧٨ - (فالجاريات يسرا)

وأقسم سبحانه بالسفن التي تسابق في البحار بالرياح فتجري سهلا يسير

٤٦٧٩ - (فالمقسمات أمرا)

وأقسم عز اسمه بالملائكة حال حملهم لما يؤمرون به الذين يقسمون أو من الله تعالى في خلقه

٤٦٨٠ - (انما توعدون لصادق)

أقسم لله جل وعز بهذه الأشياء الأربعة بأنّ البعث والحشر والحساب والجزاء التي كان يعد بها الناس لصادق لا ريب فيه .

٤٦٨١ - (وان الدين لواقع)

وان الجزاء الذي كان يعدبه واقع لامحالة .

٤٦٨٢ - (والسماء ذات الحبك)

وأقسم الله تعالى بالسماء ذات المسالك والطرائق .

٤٦٨٣ - (انكم لفي قول مختلف)

بأنكم اختلفتم فيما وعدتم به من أمر البعث والجزاء وقلتم فيه من غير علم .

٤٦٨٤ - (يؤفك عنه من افك)

أي يصرف عن الايمان بالبعث ، و ما جاء به النبي ﷺ من هو مأفوك عن الاهتداء .

٤٦٨٥ - (قتل الخراصون)

أي لعن القوّالون المنكرون للبعث من غير دليل ولا علم

٤٦٨٦ - (الذين هم في غمرة ساهون)

أي هؤلاء الخرّاصون في جهلة و ارتياب أحاطت بهم غافلون عن حقيقة ما وعدوا به

٤٦٨٧ - (يسئلون أيان يوم الدين)

أي يسئلك هؤلاء الخرّاصون على طريق الاستهزاء متى يكون البعث والجزاء

٤٦٨٨ - (يوم هم على النار يفتنون)

أي قل لهم انّ البعث والجزاء يوم هم يعرضون على نار جهنّم و يعذّبون بها .

٤٦٨٩ - (ذوقوا فتنتكم هذا الذي كنتم به تستعجلون)

أي يقال لهم يومئذ ذوقوا عذابكم بالنار ايّها الخراصون المنكرون و كنتم به تستعجلون .

٤٦٩٠ - (ان المتقين في جنات و عيون)

أي انّ الذين اتقوا هم في جنات لايقدر الواصفون على وصفها لعظم قدرها

تحيط بهم عيون من عسل و لبن و ماء لم يتغيّر طعمه .

٤٦٩١ - (آخذين ما آتاهم ربهم انهم كانوا قبل ذلك محسنين)

أى آخذين ما أعطاهم ربّهم من الخير فى الجنة لانهم كانوا فى الحياة الدنيا يحسنون عقيدتهم و عملهم .

٤٦٩٢ - (كانوا قليلا من الليل ما يهجعون)

اى كان هؤلاء المتقون المحسنون ينامون قليلا من الليالى تمام الليل بحيث يفوت منهم صلاته فى بعض الليالى فلا تفوتهم الا فى قليل من الليالى .

٤٦٩٣ - (وبالاسحار هم يستغفرون)

و كانوا هم وقت السحر يستغفرون الله لانفسهم وللمؤمنين و المؤمنات .

٤٦٩٤ - (وفى اموالهم حق للسائل والمحروم)

أى وجعل هؤلاء المحسنون فى أموالهم سهاما فطرتهم حقاً للطالب المحتاج والمحروم المتعفف .

٤٦٩٥ - (وفى الارض آيات للمؤمنين)

أى و فى الارض من جبالها و سهلها و برّها و بحرها و ما على ظهرها و ما فى بطنها دلائل قاطعة على وحدانية خالقها و كمال قدرته و عايه علمه وحكمته .

٤٦٩٦ - (وفى انفسكم أفلا تبصرون)

أى وفى انفسكم ايها المنكرون للبعث والجزاء دلالة واضحة على ذلك افلا تنظرون فيها فتتفكّروا فيها فتعلموا حقيّته ما وراء هذه الحياة الدنيا

٤٦٩٧ - (وفى السماء رزقكم و ما توعدون)

أى وفى السماء تقدير أرزاقكم وامرها توعدون به من أمر الساعة

٤٦٩٨ - (فورب السماء والارض انه لحق مثل ما انكم تنطقون)

أقسم الله تعالى بوحدانية ربوبيته . انّ ما وعدكم به أيها المنكرون من أمر البعث والجزاء حقّ لامرية فيه فلا تشكّوا فيه كما لا تشكّون في نطقكم حين تنطقون

٤٦٩٩ - (هل أتاك حديث ضيف ابراهيم المكرمين)

أي عندك يا محمد ﷺ نبأ ما حدث بين ابراهيم عليه السلام وضيوفه من الملائكة المكرمين .

٤٧٠٠ - (اذ دخلوا عليه فقالوا سلاما قال سلام قوم منكرون)

حين دخلوا على ابراهيم عليه السلام فقالوا له على طريق التحيّة اسلّم سلاماً عليك فردّ عليهم التحيّة بأحسن منها وقال سلام عليكم وقال في نفسه من هؤلاء لا نعرفهم

٤٧٠١ - (فراغ الى أهله فجاء بعجل سمين)

اي فذهب ابراهيم عليه السلام في خفية من ضيفه الى أهله فجاء مسرعاً بعجل سمين قد شوّاه لهم

٤٧٠٢ - (فقربه اليهم قال ألا تأكلون)

أي فوضع ابراهيم عليه السلام العجل المشوي بين أيديهم قال ألا تأكلونه .

٤٧٠٣ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لا تخف وبشروه بغلام عليم)

فأضمر منهم خيفة لظنّه انهم يريدون به سوءاً . ولمّا وقع من نفسه انّهم ملائكة ارسلوا للعذاب قالوا له لا تخف يا ابراهيم وبشروه باسمعيل عليه السلام

٤٧٠٤ - (فاقبلت امرأته في صرة فصكت وجهها وقالت عجوز عقيم)

فجاءت سارة امرأة ابراهيم عليه السلام في صيحة اذ سمعت البشارة فلطمت وجهها متعجبة من البشارة زاعمة انّ الغلام سيولد منها وقالت: كيف البشارة أألد وأنا عجوز

لم اكن والداً فبشّروها باسحق .

٤٧٠٥ - (قالوا كذلك قال ربك انه هو الحكيم العليم)

قالت الملائكة لسارة : كما اخبرناك قال ربك انّ الله هو حكيم يفعل بحكمته وعليم بمصالح خلقه .

٤٧٠٦ - (قال فما خطبكم أيها المرسلون)

لمّا علم ابراهيم عليه السلام انهم الملائكة قال فما شأنكم الذي ارسلتم لاجله ايّها المرسلون

٤٧٠٧ - (قالوا انا ارسلنا الى قوم مجرمين)

قالت الملائكة لابراهيم عليه السلام انا ارسلنا الى قوم اجرموا فاستحقوا الهلاك وهم قوم لوط .

٤٧٠٨ - (لنرسل عليهم حجارة من طين)

لنرسل بأمر الله تعالى على اهلاك قوم لوط بحجارة من طين مهيّئة للاحراق

٤٧٠٩ - (مسومة عند ربك للمسرفين)

معلمة عند الله جل وعلا بعلامة العذاب للمجاوزين الحدّ في الفجور

٤٧١٠ - (فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين)

فلما ذهبت الملائكة الى قوم لوط عليه السلام لاهلاكهم أخرج الله تعالى المؤمنين من قريتهم

٤٧١١ - (فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين)

قال الله تعالى فما وجدنا في تلك القرية غير بيت واحد من المسلمين الذين استحقوا للنجاة من الهلاك وهو بيت لوط وبناته معه .

٤٧١٣ - (وتركنا فيها آية للذين يخافون العذاب الاليم)

وأبقينا في قرية قوم لوط من آثار الهلاك والتدمير علامة فيها عبرة للذين يخافون العذاب الاليم لانّهم يعتبرون .

٤٧١٤ - (وفي موسى اذ ارسلناه الى فرعون بسلطان مبين)

وتركنا في قصّة موسى عليه السلام علامة فيها عبرة لقوم يعقلون اذ أرسلناه الى فرعون بحجج ظاهرة و دلائل قاطعة على صدق نبوّته من العصا واليد البيضاء .

٤٧١٤ - (فتولى بركنه وقال ساحر أو مجنون)

فاعرض فرعون عن التدبر فيما جاء به موسى عليه السلام قال من غير علم . انّه ساحر أو مجنون .

٤٧١٥ - (فأخذناه وجنوده فنبذناهم في اليم وهو مليم)

فاخذنا فرعون وجيشه وأتباعه وحواشيه فألقيناهم في البحر وكان فرعون حينئذ يلام على ما فعله من قبل من الكفر والطغيان .

٤٧١٦ - (وفي عاد اذ ارسلنا عليهم الريح العقيم)

وتركنا في قصّة عاد علامة فيها عبرة لقوم يتفكّرون إذ أطلقنا عليهم الريح العقيم فيها .

٤٧١٧ - (ما تذر من شيء أتت عليه الا جعلته كالرميم)

ما تترك هذه الريح ولا تبقي شيئاً حين تمرّ عليه إلاّ جعلته كالشيء الهالك البالي .

٤٧١٨ - (وفي ثمود اذ قيل لهم تمتعوا حتى حين)

وأبقينا في ثمود أيضا آية فيها عبرة لقوم يعلمون إذ قال لهم صالح نبيّهم عليه السلام لما عقروا الناقة تمتّعوا ثلاثة ايام .

٤٧١٩ ـ (فعتوا عن أمر ربهم فأخذتهم الصاعقة وهم ينظرون)

فلم يرجعوا عن الكفر والطغيان فاخذتهم الصاعقة بعد الأيام الثلاثة وهم ينظرون اليها لايقدرون على دفعها.

٤٧٢٠ ـ (فما استطاعوا من قيام وما كانوا منتصرين)

فما كانوا متمكنين من قيام من محلهم ليفروا من عذاب الله تعالى أو يدفعوا عن انفسهم العذاب وما كان لهم ناصر يدفع عنهم العذاب

٤٧٢١ ـ (وقوم نوح من قبل انهم كانوا قوما فاسقين)

واهلك قوم نوح من قبل قوم لوط وعاد وثمود وموسى لانهم كانوا خارجين عن حظيرة الدين

٤٧٢٢ ـ (والسماء بنيناها بايد وانا لموسعون)

و خلقنا السماء و رفعناها على حسن نظامها بقوة و انا على خلق ما هو أعظم لقادرون

٤٧٢٣ ـ (والارض فرشناها فنعم الماهدون)

وبسطنا الارض بسطاً على أحسن وجه وجعلناها صالحة لسكنى الانسان والحيوان فنعم الماهدون نحن.

٤٧٢٤ ـ (ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون)

وخلقنا من كل شيء صنفين ونوعين وجنسين من الذكر والانثى ومن الجن والانس ومن الروح والجسم ...

٤٧٢٥ ـ (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

قل يا محمد ﷺ لهؤلاء المشركين البعث والجزاء ففروا إلى الله تعالى انى لكم من الله مخوف من عقابه الذى أحله بهؤلاء الامم السالفة..

٤٧٢٦ - (ولا تجعلوا مع الله الهاً آخر انى لكم منه نذير مبين)

ولا تجعلوا لله سبحانه أنداداً ولا تعبدوا مع الله معبوداً آخر انّى لكم من الله تعالى نذير مبين.

٤٧٢٧ - (كذلك ما اتى الذين من قبلهم من رسول الا قالوا ساحر أو مجنون)

كما كذّبك قومك قريش وقالوا لك انك ساحر أو مجنون فعلت الامم الّتى كانوا قبل قريش إذ قالوا لرسلهم مثل مقاله قومك

٤٧٢٨ - (اتواصوا به بل هم قوم طاغون)

كان يوصى بعضهم بعضاً بالانكار و تواطئوا عليه لانّهم كانوا قوم طاغين

٤٧٢٩ - (فتول عنهم فما انت بملوم)

فاعرض ايّها الرسول ﷺ عن المشركين فما أنت بملوم فى كفرهم وانكار

٤٧٣٠ - (وذكر فان الذكرى تنفع المؤمنين)

وذكّر ايّها الرسول ﷺ الناس بما انزل اليك لان المؤمنين منهم منتفعون به

٤٧٣١ - (وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون)

انّ الله تعالى خلق الجنّ والانس لترحمه ولا ينال بها أحد منهم إلا بالعبادة فأمرهم بها ليبالوا بها

٤٧٣٢ - (ما اريد منهم من رزق وما اريد ان يطعمون)

ما اريد من الجن والانس فى خلقهم ان اصرفهم فى تحصيل رزق فارتزق به ولا فى تحصيل طعام يطعمونى به.

٤٧٣٣ - (ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين)

وحال انّ الله جلّ وعلا هو يرزق خلقه على كثرتهم وهو ذو القدرة الشديد

والفال على أمره.

٤٧٣٤ - (فان للذين ظلموا ذنوبا مثل ذنوب أصحابهم فلا يستعجلون)

فان للذين ظلموا على انفسهم بالكفر والانكار لما يوعدون به نصيباً من العذاب مثل نصيب أصرابهم من الامم السالفة فلا يظلموا حتى أستعجل في إنزال العذاب بهم.

٤٧٣٥ - (فويل للذين كفروا من يومهم الذي يوعدون)

فويل للذين كفروا بالله وانكروا البعث والجزاء من يومهم الذي كانوا يوعدون به من البعث والجزاء

﴿ بحث روائي ﴾

في المجمع قال أبو جعفر وأبو عبدالله عليهما السلام لا يحور لاحد أن يقسم الاّ بالله تعالى والله يقسم بما شاء من خلقه

وفي الاحتجاج : عن الاصبغ بن نباته قال خطب أمير المؤمنين عليه السلام على منبر الكوفة فحمد الله وأثنى عليه ثم قال سلوني قبل أن تفقدوني فقام اليه ابن الكواء فقال يا أمير المؤمنين ما الذّاريات ذروا ؟ قال الرياح قال فما الحاملات وقرا ؟ قال السحاب ، قال فما الجاريات يسرا ؟ قال السفن قال : فما المقسمات امرا ؟ قال : الملائكة .

وفي تفسير القمي : حدّثني أبي عن ابن أبي عمير عن حمّاد عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله تعالى : « والذاريات ذروا »

فقال ابن الكوّاء سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن « الذاريات ذروا » قال الريح وعن « فالحاملات وقرا » فقال هي السحاب وعن « فالجاريات يسرا » فقال هي السفن وعن « فالمقسّمات أمرا » فقال الملائكة

وفي الدر المنثور : بالاسناد عن علي بن أبيطالب عليه السلام في « والذاريات ذروا » قال الرياح « فالحاملات وقرا » قال السحاب « فالجاريات يسرا » قال السفن « فالمقسّمات امرا » قال : الملائكة

وفي تفسير ابن كثير : بالاسناد عن أبي الطفيل : انه سمع عليا عليه السلام انه صعد منبر الكوفة فقال : لا تسئلوني عن آية في كتاب الله ولا عن سنّة عن رسول الله صلى الله عليه وآله الاّ أنبأتكم بذلك فقام اليه ابن الكواء فقال : يا أمير المؤمنين ما معنى

قوله تعالى: «والذاريات ذروا» قال علي عليه السلام. الريح قال «والحاملات وقراً» قال السحاب قال «والجاريات يسراً» قال السفن قال «فالمقسمات أمراً» قال: الملائكة.

وفي شرح ابن أبي الحديد: وجاء رجل الى عمر فقال: ان صبيغ التميمي لقنت يا امير المؤمنين فجعل يسئلنا عن تفسير حروف من القرآن.

فقال: اللهم امكني منه فبينا عمر يوما جالس بعد ذلك إذ دخل الدار وعليه ثياب وعمامة فتقدم فأكب حتى إذا فرغ قال: يا أمير المؤمنين ما معنى قوله تعالى: «والذاريات ذروا فالحاملات وقرا»!

قال: ويحك انت هو!

فقام إليه فحسر عن ذراعيه فلم يزل يجلده حتى سقطت عمامته فدا له فقال والذي نفس عمر بيده لو وجدتك محلوقاً لضربت رأسك ثم أمر به فجعل في بيت ثم كان يخرجه كل يوم فيضربه مئة فاذا برأ أخرجه فضربه مأة اخرى ثم حمله على قتب وسيّره إلى البصرة.

وكتب إلى أبي موسى - الاشعري - يأمره أن يحرّم على الناس مجالسته وأن يقوم في الناس خطيباً ثم يقول: ان صبيغا قد انتعى لعلم فأحطه فلم يزل وضيعا في قومه وعند الناس حتى هلك وقد كان من قبل سيد قومه

أقول: رواه الالوسي في (روح المعاني) عن سعيد بن المسيب

وفي الجامع لاحكام القرآن: بالاسناد عن السائب ابن يزيد ان رجلا قال لعمر انّي مررت برجل يسئل عن تفسير مشكل القرآن فقال عمر اللهم امكني منه فدخل الرجل على عمر يوماً وهو لابس ثياباً وعمامة وعمر يقرأ القرآن فلما فرغ قام إليه الرجل فقال يا امير المؤمنين ما «والذاريات ذروا» فقام عمر فحسر عن ذراعيه وجعل يجلده ثم قال: ألبسوه ثيابه واحملوه على قتب وابعثوا به حيث ثم ليقم خطيبا فليقل ان صبيغا طلب العلم فأخطأه فلم يزل وضيعا في قومه بعد ان كان سيداً فيهم.

أقول: أفمن كان يدّعي الخلافة الالهية - وعليه حل المشكلات - يجوز له أن يجيب السائل بالضرب والتشهير بالحطأ وهو لايريد الأحل ما اشكل عليه من القرآن الكريم؟ افمن كان هذا شأنه يليق لذلك؟!

فالقصاء على من له عقل سليم وانصاف.

وفي تفسير الجامع لاحكام القرآن: عن عامر بن واثلة. انّ إبن الكواء سئل علياً رضي الله عنه فقال: يا امير المؤمنين ما «الداريات ذروا»؟ قال: ويلك سل تفقهاً ولا تسأل تعنتاً «والداريات ذروا» الرياح «فالحاملات وقرا» السحاب «فالجاريات يسرا» السفن «فالمقسمات امرا» الملائكة

وفيه: وروى الحرث عن علي رضي الله عنه «والداريات ذروا» قال: الرياح «فالحاملات وقرا» قال السحاب تحمل الماء كما تحمل ذوات الاربع لوقر «فالجاريات يسرا» قال السفن موقرة «فالمقسمات أمرا» قال: الملائكة تأتي بامر مختلف جبرئيل بالعلظة وميكائيل صاحب الرحمة وملك الموت يأتي بالموت.

وفي تفسير الطبري: باسناده عن القاسم إبن أبي برة قال سمعت أبا الطفيل قال سمعت علياً رضي الله عنه يقول لاتسألوني عن كتاب ناطق ولاسنة ماضية الاّ حدثتكم فسئله إبن الكواء عن الداريات فقال هي الرياح.

وفي التهذيب: عن الصادق عليه السلام في قوله الله عزوجل «فالمقسمات امرا» قال الملائكة تقسم أرزاق بني آدم من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس فمن نام فيما بينهما نام عن رزقه.

وفي تفسير القمي باسناده عن أبي حمزة قال: سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول في قول الله «انما توعدون لصادق» يعني في علي عليه السلام و «ان الدين لواقع» يعني علياً عليه السلام وعلي هو الدين وقوله: «والسماء ذات الحبك» قال السماء رسول الله صلى الله عليه وآله وعلي عليه السلام ذات الحبك.

وفيه: باسناده عن الحسين بن الحالد عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قلت له: أخبرني عن قول الله عزوجل: «والسماء ذات الحبك» فقال هي محبوكة الى الارض

وشك بين اصابعه قلت - كيف يكون محمولة الى الارض والله يقول: رفع السماء بغير عمد ترونها ، فقال سبحان الله ألست الله يقول بغير عمد ترونها ؟ قلت: بلى فقال: ثم عمد ولكن لا ترونها قلت كيف ذلك جعلني الله فداك ؟ قال فمسط كفه اليسرى ثم وضع اليمنى عليها فقال: هذه أرض الدنيا والسماء التي عليها فوقها قبة والارض الثانية فوقها سماء الدنيا والسماء الثانية فوقها قبة والارض الثالثة فوق السماء الثانية والسماء الثالثة فوقها قبة والارض الرابعة فوق السماء الثالثة والسماء الرابعة فوقها قبة والارض الخامسة فوق السماء الرابعة والسماء الخامسة فوقها قبة والارض السادسة فوق السماء الخامسة والسماء السادسة فوقها قبة والارض السابعة فوق السماء السادسة والسماء السابعة فوقها قبة والعرش والكرسي تبارك وتعالى فوق السماء السابعة وهو قوله عز وجل « الذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهن يتنزل الامر بينهن » فأما صاحب الامر فهو رسول الله ﷺ والوصي بعد رسول الله قائم على وجه الارض فاذا تنزل إليه من فوق السماء من بين السموات والارضين قلت : فما تحتنا الا أرض واحدة ؟ فقال ما تحتنا الا أرض واحدة وان الست لهن فوقنا

وفي المجمع « ذات الحبك » ذات الطرائق الحسنة لكنك لا ترى تلك الحبك لبعدها عنا . وقيل : ذات الحسن والزينة عن علي عليه السلام

وفي الدر المنثور: عن علي عليه السلام انه سئل عن قوله والسماء ذات الحبك » قال : ذات الخلق الحسن

وفي جوامع الجامع : وعن علي عليه السلام : حسنها وزينتها

وفي الكافي: باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام في قوله « انكم لفي قول مختلف » في أمر الولاية « يؤفك عنه من افك » قال من افك عن الولاية افك عن الجنة .

وفي بصائر الدرجات: عن أبي جعفر عليه السلام قال وأما قوله « انكم لفي قول مختلف » فانه على عليه السلام يعني انه لمختلف عليه فاختلف هذه الامة في ولايته فمن استقام على ولايه علي عليه السلام دخل الجنة ومن خالف ولاية علي دخل النار .

وأمّا قوله : « يؤفك عنه من أفك » فانه يعني عليّاً عليه السلام من فك عن ولايته عن الجنّة فذلك قوله : « يؤفك عنه من أفك » .

١٠ ـ (قتل الخراصون)

في تفسير القمي : في قوله « قتل الخرّاصون » قال : الذين هم يخرصون بآرائهم من غير علم « لاهية » ، وقوله « الذين هم في غمرة ساهون » قال : أي في ضلال وهي الّتي لا تذكر الله .

وفي الاختصاص : عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عزّ وجلّ « يوم هم على النار يفتنون » قال : يحشرون في الكرّة كما تكسر الدهر حتّى يرجع كلّ شيء إلى شبهه يعني إلى حقيقته .

أقول : الكرّة الرجعة كقوله تعالى « تلك إذاً كرّة خاسرة » (النازعات ١٢) لعلّ المراد فتنتهم حتى يظهر حقّهم .

وفي الكافي : باسناده عن عليّ بن مسلم قال : سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول : إنّ العبد ليوقف ثلاث مرّات من أوّل يوم ينظر الله إليه إلى يوم القيامة قبل أن يذهب فيسأل وسألته عن قول الله عزّ وجلّ « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » قال : كانوا أقلّ ليلتهم لا ينامون فيها .

وفي التهذيب : باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام قال : « كانوا قليلا من الليل ما يهجعون » قال : كان لقوم لا ينامون الليل كلّه يقضي أحدهم فيقول الحمدلله ولا إله إلّا الله والله أكبر .

وفيه : باسناده عن معاوية بن عمّار قال : سمعت أبا عبدالله عليه السلام يقول في قول الله عزّ وجلّ « وبالاسحار هم يستغفرون » في الوتر في آخر الليل سبعين مرّة .

وفي الدرّ المنثور : قال رسول الله صلى الله عليه وآله : إنّ آخر الليل في التهجّد أحبّ إليّ من أوّله ، لأنّ الله يقول « وبالاسحار هم يستغفرون » .

وفي الكافي : باسناده عن صفوان الجمّال عن أبي عبدالله عليه السلام في قوله

عروض «للسائل والمحروم» قال المحروم المحارف الذي حرم كدّ يده في الشراء والبيع

أقول: رواه الشيخ قدس سرّه في التهذيب

و في رواية اخرى: عن أبي جعفر و أبي عبدالله عليهما السلام انهما قالا المحروم المرحوم الذي ليس بقفد بأس، لم يبسط له في الرزق وهو المحارف

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى «وفي أموالهم حق للسائل والمحروم» قال السائل الذي يسأل، والمحروم الذي قد منع كدّه

وفي تفسير محاسن التأويل: عن الامام الحسن بن علي عليهما السلام قال قال رسول الله ﷺ للسائل حق وإن جاء على فرس

أقول: وهذا قد مضى ما يتعلق به

٣٠ـ (وفي الارض آيات للموقنين)

في تفسير القمي: في قوله تعالى «وفي الارض آيات للموقنين» قال في كل شيء خلقه آية، وقال الشاعر «وفي كل شيء له آية تدل على أنه واحد

وفيه: في قوله تعالى «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» قال سمعت سمعاً بصمعك مرة وبصرك مرة وشمك مرة وذوقك مرة ولمسك مرة فهذه من آيات الله

أقول: «في المجمع عن الصادق عليه السلام

وفي التوحيد: بإسناده عن هشام بن سالم قال سألت أبا عبدالله عليه السلام فقلت له بم عرفت ربك؟ قال بما عرف نفسه لعباده، عرفت فسخ عزمي، وانحلال عقدي

وفي الكافي: بإسناده عن أبي الحسن الرضا عليه السلام في حديث ـ قال له زنديق فأخبرني متى كان؟ فقال أبو الحسن عليه السلام لما نظرت إلى جسدي فلم يمكني فيه زيادة ولا نقصان في العرض والطول ودفع المكاره عنه وجر المنفعة إليه علمت أن لهذا البيت بانياً فأقررت به مع ما أرى من دوران الفلك بقدرته وإنشاء السحاب وتصريف الرياح ومجرى الشمس والقمر والنجوم وغير ذلك من

الايات المحيات البينات علمت أنّ لهذا مقدّراً أو ممثّلاً.

وفيه: في حديث ـ قال أبو عبدالله عليه السلام لابن أبي العوجاء ويلك وكيف يحتجب عنك من أراك قدرته في نفسك، تشوك ولم تكن، وكرك بعد صفرك، وقوّتك بعد ضعفك وضعفك بعد قوّتك، وسقمك بعد صحتك، وصحتك بعد سقمك ورضاك بعد غضبك، وغضبك بعد رضاك، وحزنك بعد فرحك، وفرحك بعد حزنك وبغضك بعد حبّك، وحبّك بعد بغضك، وعزمك بعد أنائك، وأنائك بعد عزمك، وشهوتك بعد كراهيتك، وكراهيتك بعد شهوتك، ورغبتك بعد رهبتك، ورهبتك بعد رغبتك، ورجاءك بعد يأسك، ويأسك بعد رجائك، وخاطرك بما لم تكن في وهمك، وعزوب ما أنت معتقده عن ذهنك، وما زال يعدد على قدرته الّتي هي في نفسي الّتي لا أدفعها حتّى ظننت أنّه سيظهر مما يبني وبينه

وفي الدرّ المنثور: عن علي بن أبي طالب عليه السلام «وفي أنفسكم أفلا تبصرون» قال: سبيل الغائط والبول

وفي قرب الاسناد: باسناده عن علي بن الحسين عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إنّ الرزق ينزل من السماء إلى الارض على عدد قطر المطر إلى كل نفس بما قدّر لها ولكن لله فضول، فاسئلوا الله من فضله

وفي ارشاد المفيد قدس سره عن علي عليه السلام في حديث اطلبوا الرزق فانه مضمون لطالبه

وفي غيبة الشيخ رضوان الله تعالى عليه بالاسناد عن ابن عباس في قوله. «وفي السماء رزقكم وما توعدون» قال هو خروج المهدي عليه السلام

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى «وفي السماء رزقكم وما توعدون» قال المطر ينزل من السماء فيخرج به أقوات العالم من الارض، وما توعدون من أخبار القيامة والرجعة والاخبار الّتي في السماء ثم أقسم عزّوجلّ بنفسه «فورب السماء والارض انّه لحق مثل ما انكم تنطقون» يعني ما وعدتكم.

٢٨ - (فأوجس منهم خيفة قالوا لاتخف وبشروه بغلام عليم)

في العلل: في حديث - باسناده عن أبي بصير عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تعالى «وبشروه بغلام عليم» قال: والغلام العليم هو اسمعيل بن هاجر

وفيه: باسناده عن أبي بصير وغيره عن أحدهما عليه السلام قال: ان الملائكة لما جائت في هلاك قوم لوط «قالوا انا مهلكوا أهل هذه القرية» قالت سارة وعجبت من قلتهم وكثرة أهل القرية، فقالت: ومن يطيق قوم لوط؟ فبشروها باسحق ومن وراء اسحق يعقوب فصكت وجهها وقالت: عجوز عقيم وهي يومئذ ابنة تسعين سنة وابراهيم يومئذ ابن عشرين ومأة سنة. الحديث.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «فصكت وجهها» أي عطفته لما بشرها جبرئيل باسحق.

وفي المجمع: «فاقبلت امرأته في صرة» وقيل: في جماعة عن الصادق عليه السلام.

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى: «وفي عاد إذ أرسلنا عليهم الريح العقيم» وهي التي لاتلقح الشجر ولا تمت النبات، وقوله تعالى: «وفي ثمود إذ قيل لهم تمتعوا حتى حين» قال: الحين هنا ثلاثة أيام.

وفي الدر المنثور: عن علي بن أبطالب عليه السلام قال الريح العقيم النكباء.

وفي التوحيد باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أبا جعفر عليه السلام فقلت قوله عز وجل «يا ابليس ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي» قال: اليد في كلام العرب القوة والنعمة قال «واذكر عبدنا داود ذا الايد» وقال: «والسماء بنيناها بأيد» أي بقوة وقال: «وايدهم بروح منه» أي قواهم ويقال لفلان: عندي يد بيضاء أي نعمة.

وفيه باسناده عن عبد الله بن يونس عن أبي عبد الله عليه السلام قال: بينا امير المؤمنين عليه السلام يخطب على منبر الكوفة إذ قام رجل يقال له ذعلب وربما اللسان ذليق في الخطب شجاع القلب فقال يا امير المؤمنين هل رأيت ربك؟ فقال: ويلك يا ذعلب أكنت أعبد ربا لم أره؟! قال: يا أمير المؤمنين كيف رأيته؟

فقال ويلك يا دعلب لم ترهُ العيون بمشاهدة الأبصار ولكن رأته القلوب بحقائق الإيمان ويلك يا دعلب ان ربّي لطيف اللطافة فلا يوصف باللطف ، عظيم العظمة لا يوصف بالعظم ، كبير الكبرياء لا يوصف بالكبر ، جليل الجلالة لا يوصف بالغلظ ، قبل كل شيء فلا يقال : شيء قبله ، وبعد كل شيء لا يقال له : بعد ، شاء الأشياء لا بهمّة ، درّاك لا بحديقة ، هو في الأشياء كلها غير ممتازج بها ، ولا بائن منها ، ظاهر لا بتأويل المباشرة ، متجلّي لا باستهلال رؤية ، باطن لا بمسافة ، قريب لا بمداناة ، لطيف لا بتجسم ، موجود لا بعد عدم ، فاعل لا باضطراب آلة ، مقدّر لا بحركة ، مريد لا بهامة ، سميع لا بآلة ، بصير لا بأداة ، لا تحويه الأماكن ، ولا تصحبه الأوقات ، ولا تحدّه الصفات ولا تأخذه السنات ، سبق الأوقات كونه ، والعدم وجوده والابتداء أزله بتشعيره المشاعر عرف أن لا مشعر له ، وبتجهير الجواهر عرف أن لا جوهر له ، وبمصادمة بين الأشياء عرف أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأشياء عرف أن لا قرين له ، ضاد النور بالظلمة ، والجسو بالبلل ، والصرد بالحرور ، مؤلف بين متعادياتها ، مفرق بين متدانياتها ، دالّة بتفريقها على مفرقها وبتأليفها على مؤلفها

ودلك قوله عزّ وجل « ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون » فرّق بينها وبين قبل وبعد ليعلم أن لا فعل له ولا بعد شاهدة بغرايزها ان لا غريزة لمغرزها ، محيرة بتوقيتها ان لا وقت لموقتها ، حجب بعضها عن بعض ليعلم ان لا حجاب بينه وبين خلقه غير خلقه كان ربّاً ولا مربوب وإلهاً إذ لا مألوه وعالماً إذ لا معلوم وسميعاً إذ لا مسموع ـ قال فحرّ دعلب مغشياً عليه ثم أفاق وقال ما سمعت بهذا الكلام ولا أعود الى شيء من ذلك .

وفي أمالي الشيخ قدس سره ، باسناده عن محمد بن زيد الطبري قال سمعت الرضا عليه السلام يتكلم في توحيد الله ـ إلى أن قال ـ لا تصحبه الأوقات ولا تضمنه الأماكن ولا تأخذه السنات ولا تحدّه الصفات ولا تقيّده الأدوات ، سبق الأوقات كونه والعدم وجوده والابتداء أزله ، بمخلوقاته الأشياء علم أن لا شبه له ، وبمضادته بين الأشياء علم أن لا ضدّ له ، وبمقارنته بين الأمور عرف ان لا قرين له ، ضادّ النور

«لظلمة والشر بالخير، مؤلف بين متضاداتها، مفرق بين متدانياتها، ففرقها دلّ على مفرّقها وبتأليفها على مؤلفها، قال الله تعالى «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» له معنى الربوبية اذ لا مربوب وحقيقة الالهيّة إذ لا مألوه ومعنى العالم ولا معلوم ليس متى حلق استحق معنى الخالق ولا من حيث احدث استفاد معنى المحدث، الحديث.

٥٠ - (ففروا الى الله انى لكم منه نذير مبين)

في الكافي: باسناده عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام قال: «ففرّوا الى الله انّي لكم منه نذير مبين» قال: حجّوا الى الله عزّ وجل.

وفي العيون: باسناده عن زيد بن علي عن آبائه عليهم السلام في قوله تعالى «ففرّوا الى الله» يعني حجّوا الى بيت الله يعني الكعبة بيت فمن حجّ بيت الله فقد قصد الى الله والمساجد بيوت الله فمن سعى اليها فقد سعى الى الله وقصد اليه

وفيه: باسناده عن ابي بصير عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام انّهما قالا: ان الناس لما كذبوا رسول الله صلى الله عليه وآله هم الله تبارك وتعالى بهلاك اهل الارض الاّ عليّاً فما سواه بقوله «فتولّ عنهم فما أنت بملوم» ثم ندا له فرحم المؤمنين ثم قال لنبيه صلى الله عليه وآله «وذكّر فان الذكرى تنفع المؤمنين».

أقول: وسيأتي كلام في البحث المدهمي انشاء الله تعالى فانتظر.

وفي التوحيد: باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» قال: خلقهم لأمرهم بالعبادة قال: وسئلته عن قوله عزّ وجلّ: «ولا يزالون مختلفين الا من رحم ربك ولذلك خلقهم» قال: خلقهم ليفعلوا ما يستوجبون رحمته فيرحمهم.

وفيه: باسناده عن حميل بن دراج عن أبي عبدالله عليه السلام قال سئلته عن قول الله عزّ وجلّ: «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» قال: خلقهم للعبادة قلت خاصّة أم عامّة؟ قال: لا بل عامّة.

وفيه: باسناده عن محمد بن أبي عمير قال: سئلت أبا الحسن موسى بن جعفر

عليهما السلام عن معنى قول رسول الله ﷺ: الشقي من شقي في بطن امّه والسعيد من سعد في بطن امّه؟ فقال الشقي من علم الله وهو في بطن امّه انه يستعمل أعمال الاشقياء والسعيد من علم الله وهو في بطن امّه انه يستعمل أعمال السعداء قلت: فما معنى قوله ﷺ اعملوا فكل ميسّر لما خلق له فقال ان الله عزّ وجلّ خلق الجن والانس ليعبدوه ولم يخلقهم ليعصوه وذلك قوله عزّ وجلّ «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» فيسّر كلاً لما خلق له فويل (فالويل ـ خ) لمن استحب العمى على الهدى.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «وما خلقت الجن والانس الاليعبدون» قال خلقتهم للامر والنهي والتكليف وليست خلقه حتى أن يعبدوه ولكن خلقه إختيار ليختبرهم بالامر والنهي فمن يطع الله ومن يعصي

وفي تفسير العياشي عن يعقوب بن سعيد عن أبي عبدالله عليه السلام قال سئلته عن قول الله «وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون» قال خلقهم للعبادة قال قلت قوله «ولا يزالون مختلفين الاّ من رحم ربك ولذلك خلقهم» فقال ثرات هذه بعد ذلك

وفي العلل: باسناده عن ابي عبدالله عليه السلام قال خرج الحسن بن علي عليه السلام على أصحابه فقال أيها الناس ان الله عزّ وجلّ ذكره ما خلق العباد الاّ ليعرفوه فاذا عرفوه عبدوه فاذا عبدوه استغنوا بعبادته عن عبادة من سواه. فقال له رجل بابي انت وامّي فما معرفة الله؟ قال معرفة أهل كل زمان امامهم الذي تجب عليهم طاعته

أقول: وذلك لان معرفة الله تعالى امّا تحصل من معرفة الامام اذهو السبيل إلى معرفته جلّ وعلا.

وما يستفاد من الروايات الواردة في الأئمة الشريفة انّ هناك أغراضاً ثلاثة مترتّبة: المعرفة والتكليف والعبادة.

﴿ بحث مذهبي ﴾

إختلفت الكلمات في خلق الجنة والنار فذهب طائفة من المفسرين وغيرهم إلى خلقهما الآن مستدلين في خلق الجنة بقوله تعالى : « وقلنا يا آدم اسكن انت وزوجك الجنة وكلا منها رغدا حيث شئتما » البقرة : ٣٥) .

وقوله « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين » آل عمران : ١٣٣) .

وقوله تعالى : « وازلفت الجنة للمتقين » الشعراء : ٩٠) .

وقوله تعالى « عندها جنة المأوى » الشعراء ١٥) وغيرها من الايات الكريمة

وفي خلق النار بقوله تعالى : « وفي السماء رزقكم وما توعدون » الذاريات : ٢٢) .

وقوله تعالى « واتقوا النار التي اعدّت للكافرين » آل عمران ١٣١) .

وقوله تعالى : « وبرّزت الجحيم للغاوين » الشعراء . ٩١)

وقوله تعالى . « انا اعتدنا للظالمين نارا أحاط بهم سرادقها ـ انّا اعتدنا جهنم للكافرين نزلا » الكهف : ٢٩ ـ ١٠٢) .

وقوله تعالى : « ويعذّب المنافقين والمنافقات والمشركين والمشركات الظانّين بالله ظنّ السوء عليهم دائرة السوء وغضب الله عليهم ولعنهم وأعدّ لهم جهنّم وساءت مصيرا » الفتح : ٦) وغيرها من الايات .

وبعضهم من ذهب إلى خلق الجنة دون النار مستدلا بقوله تعالى « ان الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء » الاعراف : ٤٠) .

ولا يخفى على القارئ الخبير أن الآية الكريمة لا تدل على مدّعاه

وأنكر الآخرون كلا المذهبين من غير دليل وعلم إلا الخرص والتخمين.

وقد أشبعنا الكلام في خلق الجنة والنار في هذا التفسير فراجع

واستدل من ذهب إلى أن الإيمان والإسلام حقيقة واحدة بقوله تعالى: «فأخرجنا من كان فيها من المؤمنين فما وجدنا فيها غير بيت من المسلمين» (الذاريات: ٣٥ ـ ٣٦).

ولكنّ التدبر في المقام يلهمنا أن الآيتين لا تدلان على ذلك، ولا تعدد وحدة حقيقة الإيمان والإسلام بل إنّما المقام يصدّقان أنّ الإيمان والإسلام صفتا مدح توجبان السلامة والنجاة.

وإنّ الآيات الكريمة والروايات الشريفة تفرق بين الإيمان والإسلام ومن الآيات قوله تعالى: «قالت الأعراب آمنّا قل لم تؤمنوا ولكن قولوا أسلمنا ولما يدخل الإيمان في قلوبكم» (الحجرات: ١٤)

وفي الروايات مذكور صحيحاً عن الإمام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال: والفرق بين المسلم والمؤمن أنّ المسلم إنّما يكون مؤمناً أن يكون مطيعاً لله على منهج ما هو عليه في الظاهر فإذا فعل ذلك بالظاهر كان مسلماً وإذا فعل ذلك بالظاهر والباطن بخضوع وتقرب بعلم كان مؤمناً فقد يكون العبد مسلماً ولا يكون مؤمناً إلا وهو مسلم.

واستدل من ذهب إلى أنّ الأرض غير كرويّة بقوله تعالى: «والأرض فرشناها فنعم الماهدون» (الذاريات: ٤٨).

على أن البسط والفرش والتسطيح تنافي كرويّتها.

قال الله تعالى: «والله جعل لكم الأرض بساطاً» (نوح: ١٩)

وقال: «وإلى الأرض كيف سطحت» (الغاشية: ٢٠).

وقال: «وهو الذي مدّ الأرض» (الرعد: ٣).

وقيل: لا تنافيها من غير بيان وجهه.

واستدل من ذهب إلى أنّ دحوالارض كان بعد خلق السماء - لانّ بناء البيت يكون قبل الفرش - بقوله تعالى: « والارض فرشناها ».

أقول: ولا يخفى على القارىء الخبير إن الاية تدل على العكس فان الفرش على ما فسّرته الايات الكريمة هو البسط و هو قبل البناء و السقف وان التقديم في الذكر لا يلازم التقديم في الوجود.

قال تعالى: « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً » الانبياء: ٣٢).

تبصرة: انّ قوله تعالى: « و ما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » ردّ على ثلاثة مذاهب أحدها - على من ذهب إلى انّ طائفة من الجن والانس خلقت للعبادة والاخرون للكفر والمعصية

و ذلك لدخول لامي الجنس على الجن و الانس تشملان للجميع، وهذا لا ينافي الكفر والعصيان من بعضهم لانّ الغايه لا يلزم وجودها كما في قولك. بريت هذا القلم لاكتب به فانك قد لا تكتب به و أمّ المقدم فقد تترك طائفة منهم العبادة سوء اختياره ولن يرضى الله تعالى من عباده الكفر والعصيان ادقال: « ولا يرضى لعباده الكفر وان تشكروا يرضه لكم » الزمر ٧)

ثانيها - ردّ على من ذهب إلى انّه لاتكليف للجن فانّ الاية تدل على انّ الجن والانس في العبادة على شرع سواء.

ثالثها - ردعلى من أنكر الارادة والاختيار للجن فان الاية تدل على انّ الجن والانس يستعدان للتكليف و لا تكليف على أحد الاوله إرادة و اختيار وله استطاعة أن يمتثل أو يمتنع.

قال الله تعالى: « لا يكلّف الله نفساً الا وسعها » البقرة: ٢٨٦) فتدبّروا عتبر.

﴿ الأرض وانشاؤها ﴾

قال الله تعالى «وفي الأرض آيات للموقنين» الذاريات ٢٠

فلا بدّ من البحث حول الأرض من ناحية العلم إجمالاً لما فيها من آيات الدالة على وجود الله وعلى لطيف تدبيره وعلى ما أودع فيها وفيما بينها من البراهين الساطعة على عظيم قدرته وواسع رحمته، لما فيها من العبر لمن يخشى

وقال الامام مولى الموحدين علي بن ابيطالب عليه السلام في خطبة له من خطب التوحيد ما هذا لفظه: وأجمدها بعد رطوبة أكنافها فجعلها لخلقه مهاداً، وبسطها لهم فراشاً فوق بحر لجّي راكد لا يجري، وقائم لا يسري، تكركره الرياح العواصف وتمخضه الغمام الذوارف انّ في ذلك لعبرة لمن يخشى»

قوله عليه السلام «وتكركره» التكركر تصريف الريح السحاب اذا جمعته بعد تفريق «والرياح العواصف» الشديدة الهبوب و«تمخضه» تحرّكه والغمام الذوارف «أي السحب المواطر».

في نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام «خلق الخلائق على غير مثال خلا من غيره ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه، وأنشأ الارض فأمسكها من غير اشتغال وأرساها على غير قرار، وأقامها بغير قوائم، ورفعها بغير دعائم، وحصّنها من الاود والاعوجاج، ومنعها من التهافت والانفراج

أرسى أوتادها وضرب أسدادها واستفاض عيونها، وحدّ أوديتها فلم تهن ما بناه، ولا ضعف ما قوّاه، هو الظاهر عليها بسلطانه وعظمته، وهو الباطن لها بعلمه ومعرفته، والدالي على كل شيء منها بحلاله وعزته، لا يعجزه شيء منها طلبه ولا يمتنع عليه فيغلبه، ولا يفوته السريع منها فيسبقه ولا يحتاج الى دليل فيرفقه.

خضعت الأشياء له ، وذلّت مستكينة لعظمته ، لا تستطيع الهرب من سلطانه إلى غيره ، فتمتنع من نفعه وضرّه ، ولا كفء له فيكافئه ولا نظير له فيساويه .

هو الذي لها بعد وجودها حتّى يصير موجودها كمفقودها وليس فناء ما لديها بعد إبتدائها بأعجب من إنشائها واختراعها وكيف ولو اجتمع جميع حيوانها من طيرها وبهائمها وما كان من مراحها وسائمها وأصناف أساحيّها وأجناسها ومتلبّدة أممها وأكيسها على أحداث بعوضة ما قدرت على أحداثها ، ولا عرفت كيف السبيل الى ايجادها ، ولتحيّرت عقولها في علم ذلك وتاهت وتحيرت قواها وتدهت وارتجعت خاسئة حسيرة عارفة بأنها مقهورة مقرّة بالعجز عن انشائها مذعنة بالضعف عن افنائها »

أقول: بيّن الامام أمير المؤمنين عليّ عليه السلام بذكر انّ الله جلّ وعلا خلق الخلق غير محتذ لمثال ولا مستفيد من غيره كيفيّة الصنعة بخلاف الواحد منّا فانّ الواحد منّا لابدّ أن يحتذي في الصنعة كالبنّاء والنجّار والصانع وغيرها

وقوله عليه السلام « ولم يستعن على خلقها بأحد من خلقه » لانه تعالى قادر لذاته لا يعجزه شيء

ثم ذكر عليه السلام أنشأ الله جلّ وعلا الارض ، وانه أمسكها من غير اشتغال منه بامساكها وغير ذلك من أفعاله ومخلوقاته ليس كالواحد منّا يمسك الثقيل فيشتغل بامساكه عن كثير من اموره

وقال : « وأرساها على غير قرار » : جعلها راسية على غير قرار تتمكّن عليه بل واقفة بارادته التي اقتضت وقوفها او لانّ العلّة يجذبها من جميع جهاتها - كما قيل - أو لانّه يدفعها من جميع جهاتها أو لانّ أحد ضديها صاعد بالطبع والآخر هابط بالطبع فاقتضى التعادل وقوفها او لانها طالبة للمركز فوقفت

وقوله عليه السلام : « من الاود » الاعوجاج وكرّر لاختلاف اللفظ .

و « من التهافت » من التساقط و « أسدادها » جمع سدّ وهو الخلل

و « استفاض عيونها » . جعلها فائضة . و « خدّ أوديتها » شقّها .

وقوله عليه السلام : « فلم يهن ما ساه » لم يضعف ، و « هو الظاهر » الغالب القاهر ، « الباطن » العالم الخبير ، « من مراحها » : موضع الأنعام الذى تأوى اليه ، « إسناحها » : جمع السنيح وهو الأصل .

وقوله عليه السلام : « لو اجتمع جميع الحيوان على أحداث نعوصة » فى معنى قوله تعالى « ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له » الحج : ٧٣) .

« الارض ونظرية قطعة ناريتها »

إعلم أنّ هناك نظرية واهية لاتنتهي على علم وأيّ دليل الاّ الخرص والتخمين وقلّدها من لا تحقيق له ولا تدبّر في جواب بحث

وهذه هي نظريه (لابلاس) إذ زعم أنّ الارض كانت في الابتداء قطعة نارية ملتهبة في درجات عالية من الحرارة عند ما انفصلت عن الشمس ما كان يستطيع ولا يمكن أن يعيش على سطحها ادراك اىّ كائن حيّ فاذاً لاحيوان ولا نبات ولا ميكروب حتى اذا بردت

وتبعها كثير من الناس عمياء بدون سؤال .

كيف تحوّلت الارض على مرّ هذه العصور من الحدية الى السيولة الى الصلابه ؟ و كيف ان الارض كانت مطمورة في مياه المحيطات ؟ و كيف انّ الامواج تعلو وتهبط على القشرة الارضية ؟ و كيف انّ القشرة الارضية قد تكوّنت نتيجة تفاعلات طبيعية كيمياوية ؟ و كيف انّ هذا التفاعل مع الزمن قد ادّى الى تكوين سطح الارض التي نعيش عليها ؟ و كيف دارت هذه الارض في الفضاء في حركة دقيقة منظمة وفي فصول متتابعة ؟ ؟ ؟

ومن أين إذن جائت هذه الحيوية والروح للحيوان والنبات والميكروبات؟ أنّى للصدفة أن تضع معادلات دقيقه وقوانين تربط أجزاء العالم بعضها ببعض ؟ أنّى لها أن تخلق الروح والعقل ؟ ثم كيف وجدت هذه الاجزاء المترتبة ؟ . . .

هل وجدت في آن واحد ـ وهذا ما لا يوافق عليه العقل لما يشاهد من موجودات جديدة ـ أم وجدت تباعاً ؟

وان المادى تشبث بخرص (لابلاس) ويقول : انّ الشمس والكواكب التابعة

لها كانت في البداية قطعة من السديم ثم انتزعت منها هذه الكواكب والى مسافات معينة وصارت تدور حول الشمس بحكم الجاذبية ، وان الارض كانت ابتداء قطعة من نار : (معادن مذابة) .

ويقول . وبذلك يظهر لنا إذا نزلنا الى باطن الارض مسافة بعيدة فان درجة الحرارة تزيد (٣٠) درجة مئوية لكل كيلومتر عمقاً ، وهكذا تستمر نحو عمق (٥٠) كيلومتراً من سطح الارض درجة انصهار الصخر وهي تقع ما بين ١٢٠٠ درجة مئوية و ١٨٠٠ . والبراكين وما يخرج منها من صخر منصهر خير دليل على ذلك .

والكرة الارضية هذه على هذا تتألف من قشرة كروية جامدة سمكها نحو ٥٠ كيلومتراً ، تلتف حول قلب الارض التي هي نار حامية من صخر منصهر

هذا كانت الارض عند انفصالها عن الشمس ناراً حامية فلا يبقى فيها كائن حي ولا أساس للحيوية ، فكيف يقول المادي في وجود الكائن الحي على وجه الارض . وكذا النبات وما فيه من نظم وجمال ؟

وكيف بالتحليل العلمي يمكن إرجاع عقل الانسان الى المادة الأولى الأزلية لا سيما بعد الاعتراف بأنّ الارض كانت قطعة نار سيّالة حامية ، ومن أوجع في المادة الاولى هذا العقل الحيّار لتصح دساتير رياضية رصينة في هذا العالم الوسيع وتسلسل هذه المادة وتتدرج مراحل تكاد لا تتناهى :

مراحل معقوله حكيمة ، ثم نظر في حاجة ما سيوجد في المستقبل فتهيّئها قبلا ، وهل للمادة الصمّاء غير العاقلة (على ما يقوله المادي) أن تفكر في مستقبل الاشياء وحاجاتها ، وتعيّش مثلاً أوقاتاً لخروج السنّ والشعر في الانسان والحيوان . . . الخ .

حقاً ان التفكير المادي تفكير عامي فجّ ، لا يمت بالاسلوب العلمي بصلة ، قال الله تعالى فيهم : « وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون » الجاثية . ٢٤) .

وقال : « إن يتبعون إلا الظنّ وما تهوى الانفس » النجم . ٢٣) .

يقول روبسية في كتاب (الفلسفة الحسية):

« ان الفلاسفة الحسيين يريدون الابتعاد عن كل وهم وخيال ، وبناء فلسفتهم على المشاهدة الحسية ، ولكنهم يعيدون عما يدعون كل البعد، وهل من الفلسفة الحسية ان يقال جزافاً بقدم المادة وأبديتها، وهل من الفلسفة الحسية الحكم بعدم وجود عالم أرفع منها ، وهل منها الاعتماد على إفتراضات علمية عرضته ومتزلزلة وبناء مذهب إلحادي عليها ؟

وهل يصدق الحس فيما يعطي من معطيات وهو المصحح له ؟ أليس العقل؟ فكيف يجوز الاعتماد على فلسفة حسية أساسها الحواس

وكيف يجوز الاعتماد على نظريات علمية لا ثبات لها ولا إستقرار ؟

وكيف يجوز أن تبنى فلسفة الحياة الاجتماعية من إقتصادية وأخلاقية وإدارية على نظريات تتبدل من حين إلى حين ؟

ألم يدرس المدى تاريخ العلوم ؟ ألم يتتبع تغير النظريات وتحولها؟ وهل الفرضيات (Hypothese) دستور رياضي محرد لا يقبل الشك والارتياب ؟

وهل وجود أتباع كثيرين لنظرية ما يدل على صحتها وقد قال الله تعالى فيهم « ان يتبعون إلا الظن وإن هم إلا يخرصون » الانعام ١١٦)

إن المدى يقول ان المادة مقودة بنواميس ثابتة غير متزلزلة ، ولا بد من السؤال عنه ، من ذا الذي قد هذه المادة حتى أمست مقودة تماماً لهذه النواميس؟

هل المادة نفسها فكرت فوضعت هذه النواميس والقوانين ؟

فما بال الانسان وهو ذو عقل لم يعلم لحد الآن إلا شيئاً يسيراً جداً عن حقائق حياة النبات والحيوان والدساتير الرياضية المودعة في هذا العالم ؟

إذن عقل المادة في الارض أعظم بكثير من عقل هذا الانسان المتكامل علمياً يوماً بعد يوم ، ومع ذلك يشكو جهلا مريراً لا نهاية له .

ثم ان القوانين والمعادلات الرياضية التي تعمل في تنظيم هذا الكون وربط الارض بالسماء وربط أجزاء السماء بعضها ببعض بمعادلات لا تعد ولا تحصى (وقد

وحدت تباعاً) كيف كانت موجودة في الازل في المادة ؟ والمادة كانت مشكلة من ماذا ؟ ومن الّذي شكلها ؟

انّ العلم الحديث يقول بعدم وجود مادة في الازل كما أشعنا الكلام فيه في تفسير فاتحة الكتاب فراجع .

وانّما طاقات أوجدها الله جل وعلا بكلمة ارادته ، فصارت مواد كما يشاء سبحانه .

وتتلاشى هذه المواد فتكون طاقات ، وهذه بدورها تتلاشى فلا يبقى إلا وجه الله ذو الجلال والاكرام .

ثم كيف قطعت الطاقات هذه المراحل الحكيمة الّتي هي في غاية الاتقان وتمام الدقة وتكاد لا تتناهى . وذلك لانّ الكون على حد تعبير (آينشتاين) مجموعة دساتير رياضيّة .

وأينّ الدستور والعقل من المادة ؟ وان المادي ينفي العقل عن المادة حتمية أن يقول : ان العاقل الفعّال والمسيّر للمادة هو الله تعالى

وهكذا يستدل الفيلسوف الفرنسي (بركسون) على وجود الله تعالى ، ثم ليقل المادي اذا كانت المادة فاقدة العقل فكيف تحدث هذه العوالم المعقولة المتقنة بدساتيرها وخصائصها من مادة بلا عقل ؟ كيف يجوز الاعتماد والاعتناء على ما يظنّه المادي وليس له أساس ولا له أب معين ؟

يكتب دون تدقيق وتحقيق ، ويدّعي ما هو متهافت العرى والاوصال بعيداً عن المنطق الطبيعي والعقلي ، وينسب من عنديته وهديته الى العلم ويسمّي مدعيته وهوى نفسه نظريات علميّة ليست هي إلا حمقه وجهالة

وان المادي كلما عجز عن جواب مسئلة تعرض عليه يقول « ان كنّا نجهل السبب الآن فان العلم سيكشف لنا ذلك » .

﴿ قطر الارض و حجمها ﴾

جاء في المقام كلام طويل من الدخيل نذكر اجماله .

ان الارض سيارة ثالثة بعداً عن الشمس ، وهي شبيهة بالكرة مسطحة نحو القطبين ، و قطرها القطبي ٧٨٩٩ ميلا و قطرها عند خط الاستواء ٧٩٢٥ ميلا ومحيطها ٢٥٠٠٠ ميلا .

وفي كلام : قطرها بين القطبين ١٢٧١٤ كيلومتراً = ٧٩٠٠ ميل ويزيد قطرها الاستوائي بنحو ٤٣ كيلومتراً .

أما حجمها فلا يزيد على $\frac{1}{٣٣٣٤٠٠}$ فقط من حجم الشمس .

وفي كلام : محيط الارض يبلغ (٤٠) مليون متر

ونصف قطر خط الاستواء ٦٣٧٨٫٤٠٠ متر .

السطح الكلي للارض يبلغ (٥٠٩) مليون كيلومتر مربع .

مياه البحار تشغل منه ٣٨٣٫٠٠٠٫٠٠٠ كيلومتراً مربعاً .

اليابسة من الارض ١٢٦ مليون كيلومتر مربعاً .

حجم الارض يزيد على ألف مليارد كيلومتر مكعب ١٫٧٩٫٥٠٠٫٠٠٠٫٠٠٠ أي اكثر من ألف ألف ألف ألف كيلومتر مكعب .

وفي كلام : ما يجيء في الرسم :

وان كثافة الارض أكثر من كثافة الماء خمس مرّات ونصف مرة . للاكن المختلفة على سطح الارض سرعة تخالف بها أماكن اخرى منها فانّها تنقص تدريجاً وتزداد كلّما اقتربنا من خط الاستواء حيث هي ١٠٠٠ ميل في كل ساعة. واننّا

لا نحس بهذه الحركة لان الهواء يدور معها .

ولو وقفت الارض فجأة لهلك جميع من عليها من شدة الصدمة ، ولطرنا نحن وبيوتنا والاشجار والصخور والاثقال والمحيطات في الجو ، وحركتها في غاية البساطة ، حتى ان الارض في مدى ٢٠٠٠ سنة لم تتغير في دورانها جزءاً من مائة جزء من الثانية

الارض تدور في فلك اهليلجي حول الشمس على بعد ٩١ مليون وخمس مائة ألف ميل في الدائرة السماوية دائرة فلك البروج ، ومحور الارض يكون مع قلكها زاوية تقدر ٢٣ درجة و ٢٨ دقيقة ، وهذه الزاوية تسمى ميل دائرة فلك البروج على خط الاستواء ، وان طول فصول السنة والنسبة بين طول النهار والليل تختلف في كل من المنطقتين المحمودية والشمالية لا في الاعتدالين حيث يكون النهار والليل متساويين

عندما تصل الارض الى المدار الصيفي تكون الشمس عمودية في الاماكن الواقعة في عرض ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة شمالا ، ولو رسمت شعتها خطاً لامعاً على وجه الارض عند دورانها لرسمت خط السرطان حيث تصل الشمس إلى معظم ميلها شمالا ، ومعظم ارتفاعها فوق الافق ، ومكان شروقها وغروبها على بعد ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة الى شمال نقطتي الشرق والغرب ، وترى أي الشمس كلها ثابتة في المدار مدة يوم أي يومين أي فصل الصيف عندنا والنهار أطول من الليل

وأما في المنطقة المعتدلة الجنوبية حيث يكون فصل الشتاء يكون النهار أقصر ما يكون والدائرة التي فصل النهار عن الليل هوت على الفصل الشمالي ٢٣ درجة و٢٨ دقيقة

الارض في فصل الشتاء أقرب إلى الشمس منها في فصل الصيف بـ ٣٠٠٠٠٠٠ ميل ، ولكن لا يحصل منه تأثير في المنطقة الشمالية بسبب كثرة ميل أشعة الشمس

الهواء الكروي يحيط بالارض من كل الجهات إلى ارتفاع ٥٠٠ ميل وهو يكثف كلما قرب الى الارض ويلطف كلما بعد عنها ، وأشعة نور الشمس في مرورها

على هذه الطبقات المختلفة الكثافة تميل أكثر فأكثر الى الخط العمودى كلما ازدادت الكثافة فتظهر الكواكب السماوية لنا فى مواضعها الحقيقية على حسب انحراف الشعاع الواصل منها الينا .

تبعد الأرض عن الشمس نحو ٩١٥٠٠٠٠٠ ميل ، وسعاع النور يسرى فى الفضاء بسرعة ١٨٣٠٠٠ ميل فى الثانية فلا نرى الشمس بعد شروقها الا بعد نحو ثمان دقائق ونصف، ولا نراها إلا كما كانت فى موضعها قبل ثمان دقائق ونصف . لان موقع الاجرام السماوية يتغير بواسطة الانكسار ، ويحدث أيضاً تغيّر فيه بواسطة سير النور وسير الارض فى فلكها

﴿ حركة الأرض ودورانها ﴾

ان للارض حركتين حركة تتم في أربع وعشرين ساعة وعليها مدار حساب الايام وحركة تتم في سنة وبها يكون اختلاف الفصول وعليها مدار حساب السنة الشمسية

وان الارض تدور على محورها بسرعة ١٦٠٠ كيلومتراً في الساعة على خط الاستواء على ما جاء في كلام الحكماء

وعن بعضهم ان سرعة دوران الارض في الثانية الواحدة ٤٦٥ كم في خط الاستواء و ٤١٩ كم في عرض مصر و ٣٠٥ كم في باريس، ولا تزال قوة السرعة تقل الى القطبين وما بينهما.

وعن بعضهم: للارض حركتان حركة في دورانها حول الشمس على شكل اهليلجي أو قطع ناقص وحركة اخرى مع الشمس وبقية كواكب المجموعة الشمسية بسرعة ٧٠٠٠٠ كيلومتر تقريباً في الساعة الواحدة على شكل لولبي في هذا الفضاء اللانهائي نحو النجمة المسماة بالسر الواقع كي تدع مستقرها، كما أخبرنا الله تعالى في كتابه الكريم بقوله «والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز العليم» يس: ٣٨).

وقيل: تدور محورها بسرعة ١٠٠٠ ميل في الساعة وحول الشمس بسرعة ١٨ ميلا في الثانية، وعلى أي تقدير كانت الحركة يعتبر اكتشاف حركة الارض بدورانها حول نفسها وحول الشمس من أروع ما اكتشفه العلم الحديث، وقد سبق القرآن الكريم هذا الاكتشاف نحو أربعة عشر قرناً اذ كان ينادي بقوله تعالى: «وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب» النمل: ٨٨).

على ان الارض وما عليها من الجبال تتحرك كما يتحرك السحاب ، وتمر كما يمرّ .

ويقول حجة علماء الفلك (سيمون) بشأن حركة الارض ضمن المجموعه الشمسية : « انّ من أعظم الحقائق التي اكتشفها العقل البشري في كافة العصور هي : انّ الشمس والكواكب السيارة التي هي في المجموعة الشمسيه (مجموعتنا هذه) وأقمارها تجري في الفضاء متجهه نحو برج النسر بسرعة غير معهودة لنا على الارض يكفي لتصورها أننا لو سرنا بسرعة مليون ميل يومياً ، فلن نصل مجموعتنا الشمسيّة إلى هذا البرج الا بعد مليون وصف مليون سنة من وقتنا الحاضر وهذه دون مراء إحدى معجزات القرآن العلمية »

وقد كان يعرف المسلمون حركة الارض قبل أن يكتشفها (غاليلة) في القرن السابع عشر الميلادي

في تفسير روح الجنان لابي الفتوح الرازي وهو كان يعيش في القرن السادس الهجري نذكر ما نشرات عن الي حركة الارض اذ قال

ترى الارض مثل الطود تحسب انهم　　وقوف لعدم والركاب تهملج

ومن الآيات الكريمة التي تدل على حركة الارض قوله تعالى « هو الذي جعل لكم الارض ذلولا فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور » الملك ١٥ - ١٦)

وقد ذهب قدماء المفسرين في معنى تذليل الارض للانسان إلى أنّ الارض مذلّله للسير فيها بالقدم وعلى الدابه في البر وبالفلك التي تمخر البحار في البحر ومذللة للزرع والجني والحصاد والحياة فيها بما تحويه من هواء وماء وتربة تصلح للزرع والانماء .

وقال المتأخرون منهم انّ وصف (ذلولا) الذي يطلق عادة على الدابة اطلق على الارض ، اريد به ان هذه الارض التي نراها ثابتة مستقرة ساكنة وهي متحركة بركبها تدور حول نفسها بسرعة ألف ميل في الساعة ثم تدور مع هذا

حول الشمس بسرعة حوالي خمسة وستين ألف ميل في الساعة .

ثم تركض هي والشمس والمجموعة الشمسيّة كلّها بمعدل عشرين ألف ميل في الساعة ، ومع هذا الركض كلّه يبقى الانسان على ظهرها آمناً مستريحاً مطمئناً معافى ، لا تتمزق أوصاله ولا تتناثر أشلاؤه بل لا يرتج مخّه ولا يدوخ ولا يقع مرّة عن ظهر هذه الدابة الدلول وهذه الحركات الثلاث لها حكمة وقد عرف اثر اثنتين منها في حياة هذا الانسان بل في الحياة كلّها على ظهر هذه الارض

فدورة الارض حول نفسها هي الّتي ينشأ عنها الليل والنهار ولو كان الليل سرمداً لجمدت الحياة كلّها من البرد ، ولو كان النهار سرمداً لاحترقت الحياة كلها من الحرّ .

ودورتها حول الشمس هي التي تنشأ عنها الفصول ، ولو دام فصل واحد على الارض ما قامت الحياة في شكلها هذا كما أرادها الله تعالى .

أمّا الحركة الثالثة فلم يكشف ستار الغيب عن حكمتها بعد ولا شك انّ لها ارتباطاً بالتناسق الكوني الكبير .

وهذه الدابة الدلول التي تتحرك كل هذه الحركات الهائلة في وقت واحد ثابتة على وضع واحد في أثناء الحركة - يحدده ميل محورها بمقدار ٢٣ر٥٦٥ .

لانّ هذا الميل هو الذي ينشأ عنه الفصول الاربعة مع حركة الارض حول الشمس ، ولو كان لواحتل في اثناء الحركة لاختلّت الفصول الّتي تترتب عليها دورة النبات بل دورة الحياة كلها في هذه الحياة الدنيا .

والله جلّ وعلا جعل هذه الارض ذلولا للبشر بأن جعل لها جاذبية تشدهم اليها في اثناء حركاتها الكبرى كما جعل لها سمكاً جوياً يسمح بسهولة الحركة فوقها ولو كان السمك الجوي أقل من هذا لتعذر أو تعسّر على الانسان أن يسير ويتنقل - حسب درجة قلة السمك - فاما أن يسحقه أو يعوقه ولو كان أخف لاسطربت خطى الانسان ، أو لانجرت تحاويفه لزيادة ضغطه الذاتي على ضغط الهواء حوله كما يقع لمن يرتقون في طبقات الجو العليا بدون تكييف لسمك الهواء .

والله تعالى جعل الارض ذلولا ببسط سطحها وتكوين هذه التربة اللينة فوق السطح، لتربة الخصبة الصالحة للحياة، وأثّ مافيها من النبات والارزاق التي يحملها راكبو هذه الدابة الذلول

والله جلّ وعلا جعل الارض ذلولا بأن جعل الهواء المحيط بها محتويا للعناصر التي تحتاج إليها الحياة النباتية والحيوانية والبشرية بالنسب الدقيقة التي لو اختلت ما قامت الحياة وما عاشت إن قدر لها أن تقوم من الاساس، فنسبة الاكسيجين فيه هي ٢١% تقريباً ونسبة الآزوت أو النتروجين هي ٧٨% تقريباً والبقية من ثاني اكسيد الكربون ونسبة ثلاثة أجزاء من عشرة آلاف وعناصر اخرى.

وهذه النسب هي اللازمة بالضبط لقيام الحياة على وجه الارض، والله تعالى جعل الارض ذلولا بالآلاف من هذه الموافقات الضرورية لقيام الحياة

ومنها حجم الارض، ومنها حجم الشمس، ومنها حجم القمر، ومنها بعد الارض عن الشمس والقمر، ومنها درجة حرارة الشمس، ومنها سمك قشرة الارض ودرجة سرعتها وميل محورها، ومنها توزيع الماء واليابس فيها، ومنها كثافة الهواء المحيط بها، ومنها ومنها

وهذه الموافقات مجتمعة هي التي جعلت الارض ذلولا بأمر الله تعالى وتدبيره وهي التي جعلت فيها رزقاً بارادة الله جلّ وعلا وقدرته، وهي التي سمحت بوجود الحياة وبحياة هذا الانسان على وجه خاص، والنص القرآني يشير إلى هذه الحقائق ليعيها كل فرد وكل جيل بالقدر الذي يطيق وبالقدر الذي يبلغ اليه علمه وملاحظته ليشهد بيد الله ـ الذي بيده الملك ـ وهي تتولاه وتتولى كل شيء حوله.

وتدلل له الارض وتحفظه وتحفظها، ولو تراخت لحظة واحدة عن الحفظ لاختل هذا الكون كلّه وتحطم بمن عليه وماعليه.

خاطب الله تعالى البشرية فقال «أأمنتم من في السماء أن يخسف بكم الارض فاذا هي تمور».

الارض الذلول التي تمشون على ظهرها وتحملونها فتتناولون من رزق الله فيها

نصيبكم ، فهل تعرفون كيف تتحول هذه الارض الى دابة عيردلول ولاحلوف ؟

إذا أذن الله تعالى لها بأن تضطرب قليلا فيرتج كل شيء فوقها أو يتحطم ويمور كل ماعليها ، لا تمسكه قوة ولا حيله ذلك عند الزلازل والبراكين التي أمسك الله برمامها فلاتثور الا بقدر فيتحطم فيها كل ماشيد الانسان على ظهرها أو يغوص في جوفها عندما تفتح أحد أفواهها وتخسف كسفه منها . وهي تمور . .

فلايملك البشر من هذا الامر شيئاً ولايستطيع والقرآن الكريم يذكر الانسان الذين يخدعهم سكون الدابة وسلامة مقدمتها ويغريهم الامان نسيان خالقها .

يذكرهم بما لايملكون من أمره شيئاً ، وان الارض الثابتة تحت أقدامهم ترتج وتمور

ويذكرهم بأن رجاع جميع الامور الظاهرة الى السبب الاول وردّ الامر بحاله و ردّه الى من بيده الملك وهو على كل شيء قدير ، فالخسف و الحاصب والبراكين و الزلازل و العواصف وسائر القوى الكونية و الظواهر الطبيعية ليس بأيدي البشر من أمرها شيء انما أمرها الى الله تعالى

وكل ما يذكره البشر عنها فروض يحاولون بها تفسير حدوثها ولكنهم لا يتدخلون في أحداثها ولا يحمون أنفسهم منها فأولى لهم أن يتوجهوا في أمرها إلى خالق العالم ومشيء نواميسه التي تحكم هذه الظواهر فيتذكروا الله الذي بيده الملك وهو على كل شيء قدير

وعن الداخلين إن أبرد محل يسكن فيه الانسان شمالي سيبريا الشرقي ، وأشد الاماكن حراً على الارض صحراء افريقيا حيث تصل درجة الحرارة إلى ١٢٢ وفيه عدد سكان الدنيا مليار و نصف ، ويموت منهم كل سنة ٣٢ مليونا تقريباً مئة الف كل يوم وأكثر من أربعة آلاف كل ساعة .

ولكن كل ٦٧ شخصاً تموت في كل دقيقة يولد بدلها سبعون طفلا

﴿ الكنيسة وحركة الارض ﴾

فقد أجمع علماء اليونان قبل الميلاد على أنّ الارض ثابتة لاحراك لها وان الشمس و الانجم تدور حولها وكانت الكنيسة تعتقد هذه النظرية وتحميها حتى كان القرن السابع عشر الميلادي وجاء (غاليله) بمرقبه وتلسكوبه لدى العلماء اللاهوتيين

ان الارض تتحرك حول الشمس وحصل من جراء هذه العقيدة شجار عنيف بين الكنيسة المعتقدة بسكون الارض والعلماء الكونيين الذين يقولون بحركتها فأعدم نتيجة هذا التصادم في الرأي كثير منهم.

حقاً كانت القرون الوسطى في أوروبا قروناً مملوءة بالظلام والجهل والضلال و كانت الكنيسة تقوم بشتى انواع الظلم و التسلط بشأن من لا يوافقها في معتقداتها ومراعمها السخيفة الباطلة فتقتل وتحرق وتعذب وتسجن من لا يوافقها في الرأي بالنسبة إلى العلوم الكونية التي تستند على التجربة و المشاهدة و الاستقراء و الاستنتاج.

و قد ألفت الكنيسة كتاباً في علم الجغرافية كله أباطيل و خرافات أسمته الجغرافية المسيحية (Christian Geography)

وفي هذا الكتاب ان الارض مركز العالم وهي ثابتة لاحراك لها وتؤكد على ما دوّنه (بطلميوس) اليوناني في علم الهيأة والفلك ومن خالف فهو كافر بسطر الكنيسة ولكن المنجم اللاهوتي (كوبرنيك) قام برصد الكواكب ثلاثين سنة و علم علم اليقين:

ان هيأة بطلميوس هيأة باطلة لأساس لها إلا الحرص والتخمين وان الكواكب

ومن جملتها الارض تدور حول الشمس وليست الارض مركز للعالم وانما هي كاحد الكواكب التي تدور حول الشمس ، وبما ان الحقائق التي لمسها (كوبرنيك) في كشفياته كانت تخالف أباطيل الكنيسة دوّن رسالته في العلك باللغة الاتينية مع شيء من الابهام والتورية لايطلع على مقصوده الا من اشتغل بعلم الهيئة ولكن (جردانو برونو) العالم الايطالي الجريء صار يصرح بما قاله (كوبرنيك) فحكم عليه من قبل كنيسة روما ان يحرق حياً وقد أحرق ولكن بعد ٣٠٠ سنة بتمثاله في الساحة التي أعدم فيها تمثالا تخليداً لذكراه .

حتى جاء (غاليله) بمرقبه الذي كان يقرب البعد ويسهل للراصد مشاهدة مسافات بعيدة فوجه تلسكوبه لاول مرة نحو السماء وإذ به يشاهد لاول مرة ان للمشتري اربع توابع أقمار تدور كلها حوله وشاهد حدائق في قمر ناهدا وتضاريس في قمر ناهدا وتضاريس في قمر ناهدا استناداً على ما لها من ظلال .

لما اكتشافات (غاليله) كانت صريحة قاضية على هيأة بطليموس الخاطئة وأيدت نظريات (كوبرنيك) لهيئي الهيئة في قبلت نظريات بطليموس وارسطو !

فقامت قيامة الكنيسة و لمحاكم ضدّ (غاليله) وقالوا انّ تلسكوبه انما هو جهاز شيطاني و هو من قبيل السحر وتعددت شجة هذه المحالفات محكمة تفتيش العقائد في روما بشأن (غاليلة) وتعذر عالمنا أن يتنازل عن عقيدته التي تؤيدها الايات القرآنية والتجارب وأن يتوب من رأيه ونظره في شأن الارض والسماء أمام (البابا) فخضع في توبته للبابا وركع وانحنى بكل خضوع ومع ذلك ارسل الى بيته ومنع من ان يلاقيه احد وان محاكم التفتيش صارت تراقبه مراقبة شديدة طوال حياته .

وقد اعدمت الكنيسة رجالا كثيرين من علماء العلوم الطبيعيّة والكونيّة لانّ تجاربهم العلمية كانت تعطي من النتائج ما يتنافى مع معتقدات الكنيسة الخرافية فحصل شجار بين الكنيسة والعلم الحديث فقال علماء أوروبا المحدثون : ان هناك تنافياً بين الدين والعلم والعلم لا يوافق الدين : (الكنيسة) في شيء . .

وقد تفاقم هذا العداء بين الدين والعلم في اوروبا حتى قالوا : لا حاجة لنا الى الدين في تسيير امورنا الاجتماعية والاقتصادية والقضائية وان علم البشر كاف لسن القوانين وتنظيم الانظمة في شتى المجالات !!؟

وبعد هؤلاء الكنيسة لظلمها الفاحش ومخالفتها للعلم المادي الصريح الذي تؤيّده التجارب والمختبرات وبعد الكنيسة بعد الدين من أصله وظهر قوم يرون ان العلوم البشرية كافية لتسيير شؤون البشر في جميع الحقول . وحدثت نظرية فلسفة جديدة سميت بـ (Laicisme) أي الطريقة المادية أو الحسابية أو الطريقة الدنيوية البحتة و (Laïque) باللغة الفرنسية أي ما هو غير منسوب الى الرهابية والرهبنة و (Laicite) أي عدم الانتساب الى طريقة الرهبنة أو الرهبان وقد ترجمت هذه الطريقة البشرية التي تعتمد على العلم البشري غير المستمد من السماء بالطريقة « العلمانية » أي تلك الطريقة التي تعتمد على ما يضعه البشر من نظم وقوانين في شتى الحقول في حقل القضاء والعقوبات والقصاص والسياسة الى ما هنالك دون استناد الى ما جاء في الدين

ولقد ترشحت هذه الفكرة « العلمانية » من الغرب الى الشرق نتيجة قياس مغلوط ومقايسة نظريات الكنيسة المغلوطة بحقائق الاسلام الناصعة التي فيها حياة البشر في الدنيا والآخرة فصار يقول قسم من ابناء الطبقة المثقفة ان الدين لا حق له في التدخل في شؤون الحياة السياسية .

وبما ان لفظ « العلمانية » يقترن في اذهان الناس بـ (التقدم) فان كل اقتراح لتنظيم الشؤون السياسية وتخطيط المناهج الاقتصادية والاجتماعية على أساس الدين ينظر اليه على انه حركة رجعية . أو على أحسن الفروض نظرية مثالية بعيدة عن مجال التطبيق العملي .

انّ هناك أسباباً خاصة بالغرب وحده جعلت أهله على غير وفاق مع الدين ـ دينهم هم ـ ومثل هذا الخلاف تنعكس آثاره على الاضطراب الاخلاقي والاجتماعي والسياسي الذي يسود اليوم أجزاء واسعة من العالم .

وبدلاً من ان يخضع المربيون سلوكهم وأفعالهم لمعيار القانون الاخلاقي الذي هو - على أيّة حال - العامة القصوى لجميع الاديان أصبحت « المصلحة » في اعتبار القوم هي القانون الوحيد المهيمن الذي يجب أن تعالج على ضوئه كافة الشؤون العامة ، وحيث ان وجهات النظر فيما تنطوي عليه صفة « المصلحة » تختلف عادة من جماعة الى جماعة ومن امة لاخرى .

فان النتيجة الطبيعية لذلك هي ما نراه اليوم من إصطدام مروع بين المصالح المختلفة في الحقل السياسي وهذا أمر طبيعي ، فان ما يبدو من الناحية العملية النافعة مفيداً لطائفة من الناس ، أو امة من الامم لايجب أن يكون - وفي الاغلب لايكون - مفيداً لطائفة أو امة اخرى .

وعلى هذا فانه ما لم يخضع البشر تصرفاتهم في هذه الحياة الدنيا لتوجيه عامة من الغايات الادبية ، أو لاعتبار خلقي معين فان مصالحهم الخاصة لابد أن تتصادم في نقطة أو اخرى ، وكلما إحتدم النضال بينهم تباعدت مصالحهم أكثر فأكثر واختلط عليهم الامر في معرفة الخير والشر في معاملة بعضهم بعضاً

وإذا كانت المصالح لاترتبط إلى مبدأ واحد تصادمت وشتت مذاهب شتى الاشتراكية والرأسمالية وغيرهما من الانظمة . فلو رجع البشر كلهم إلى دستور أخلاقي وأحكام يعينها الله تعالى من فوق عرشه وهو أعلم بمصالح البشر وما يصلحهم في الدنيا ويسعدهم في الاخرة لم يحدث أي خلاف أو اختلاف ولعاش البشر بهناء .

وان الدين الذي لم تمسه اليد البشرية المحرفة هو دين الاسلام قال تعالى « انا نحن نزلنا الذكر وانا له لحافظون » الحجر ٩) .

وان المذهب الذي لا إنحراف فيه هو مذهب الشيعة الامامية الاثنى عشرية على ما أشار اليه الله تعالى بمواضع كثيرة في كتابه الكريم منها قوله تعالى : « اولئك هم خير البرية » البينة : ٧) .

وردت فيه روايات كثيرة بأسانيد عديدة عن طريق العامة أوردناها في هذا التفسير بمواضعها

ولعمري لايسعد البشر في شرق الارض وغربها إلاّ بالتمسك بدين الاسلام الذي لن يبتعد عن المنطق الصحيح بحال : منطق لم تلوثه الشهوات والنزوات . .

فنحن العالم انما هي باعتناق الدين الاسلامي وحمله ديناً عالمياً ، وقد العصبية العمياء والحميّة الجاهلية والانانية المهلكة وحب الرئاسة الى ما هنالك من شهوات تضايقه لاتدع للعقل مجالا للحكم الصحيح ، وإختيار ما هو أصلح لدنياً موقته وآخرة دائمة أبدية

قال الله تعالى « فبشّر عبادي الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه اولئك الذين هداهم الله وأولئك هم اولوا الالباب » الزمر ١٨)

﴿ التوحيد والتدبر في الأرض ﴾

ولعمري من تدبّر في الأرض وما عليها وما في بطنها وما يحيط بها من الجو المكفوف وما سمى عليها من السماء يقرّ بوحدانية خالقها ويعترف بكمال حكمة صانعها، ويدعن بغاية علم بارئها ولا يكذّب من جاءه النبي الكريم ﷺ ولا يجعل نفسه في زمرة الذين هم في غمرة ساهون، ولا يترك ما أمره الله تعالى به ولا يرتكب ما نهاه عنه رب العالمين

في العيون باسناده عن الامام علي بن الحسين عليهما السلام في قوله عزوجل «الذي جعل لكم الارض فراشاً والسماء بناء»

قال: جعلها ملائمة لطبائعكم موافقة لاجسادكم ولم يجعلها شديدة الحمى والحرارة فتحرقكم، ولا شديدة البرودة فتجمدكم، ولا شديدة طيب الريح فتصدّع هاماتكم، ولا شديدة النتن فتعطبكم ولا شديدة اللين كالماء فتغرقكم، ولا شديدة الصلابة فتمتنع عليكم في دوركم وأبنيتكم ودفن موتاكم، ولكنه عزوجل جعل فيها من المتانة ما تنتفعون به وتتماسك عليها أبداتكم وبناتكم

وجعل فيها من اللين ما تنقاد به لحرثكم وقبوركم وكثير من منافعكم فذلك «جعل الارض فراشاً» ثم قال: «والسماء بناء» يعني سقفاً محفوظاً من فوقكم يدور فيها شمسها وقمرها ونجومها لمنافعكم.

ثم قال عزّوجلّ: «وأنزل من السماء ماء» يعني المطر ينزله من علو ليبلغ قلل جبالكم وتلالكم وهضابكم وأوهادكم، ثم فرّقه رذاذاً ووابلا وهطلا وطلاً لتنشفه أرضوكم.

ولم يجعل ذلك المطر نازلا عليكم قطعة واحدة فيفسد أرضكم وأشجاركم

وزروعكم وثماركم.

ثم قال عزّ وجلّ «فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم» يعني مما يخرجه من الارض رزقاً لكم «فلا تجعلوا لله اندادا» أي أشباهاً وأمثالا من الاصنام التي لاتعقل ولاتسمع ولاتبصر ولا تقدر على شيء «وأنتم تعلمون» انّه لاتقدر على شيء من هذه النعم لجهله التي أنعمها عليكم ربكم تبارك وتعالى

وفي نهج البلاغة قال الامام مولى الموحدين علي المرتضى عليه السلام:

«اللّهمّ ربّ السقف المرفوع والجوّ المكفوف الذي جعلته مغيضاً لليل والنهار ومجرى للشمس والقمر ومختلفاً للنجوم السيّارة وجعلت سكّانه سبطاً من ملائكتك لا يسأمون من عبادتك وربّ هذه الارض التي جعلتها قراراً للانام، ومدرجاً للهوامّ والانعام ومالا يحصى مما نرى ومما لا نرى، وربّ الجبال الرواسي التي جعلتها للارض أوتاداً وللخلق إعتماداً»

أقول «السقف المرفوع» السماء و«الجوّ المكفوف» أي الهواء المحيط بالارض و«مغيضاً» أي معيناً وذلك لان الهواء سبب لصعود البخار والبهار بواسطة حرارة الشمس «مطلوعها» أي الهواء يعقب الليل مرة والنهار اخرى و«لايسأمون» أي لا يملّون.

ان كرة الارض بحملتها وأحوالها وعمقها وما هو فيها وعليها وحركتها وحجمها ومحورها المنكوبة واقسام زمانها وإختلاف طبيعتها آيات لمن يعقل ويتفكر

قال الله تعالى «ألم تر أنّ الله أنزل من السماء ماء فأخرجنا به ثمرات مختلفاً ألوانها ومن الجبال جدد بيض وحمر مختلف ألوانها وغرابيب سود ومن الناس والدوابّ والانعام مختلف ألوانه» فاطر: ٢٧ ـ ٢٨)

وقال «وهو الذي مدّ الارض وجعل فيها رواسي وانهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار ان في ذلك لآيات لقوم يتفكّرون وفي الارض قطع متجاورات وجنات من اعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضل بعضها على بعض في الاكل ان في ذلك لآيات لقوم يعقلون»

الرعد ٣ ـ ٤)

وان في كيفية صورة الارض ودورانها في محورها وتسخيرها ومنافعها وما فيها للانسان وسائر أجسامنا منها وتشوقنا وتميلنا بها ومنها وفيها وعودنا اليها آيات لقوم يعقلون لقوم يؤمنون لقوم يشكرون

قال الله تعالى: «ومن آياته ان تقوم السماء والارض بأمره ـ كذلك نفصل الآيات لقوم يعقلون» الروم ٢٥ ـ ٢٨)

وقال «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ـ ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» العنكبوت: ٢٠ـ٢٤)

وقال «ألم تروا ان الله سخر لكم ما في السموات وما في الارض وأسبغ عليكم نعمه ظاهرة وباطنة ـ ألم تر أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته ان في ذلك لآيات لكل صبار شكور» لقمان ٢٠ ـ ٣١)

وقال: «والله أنبتكم من الارض نباتاً ثم يعيدكم فيها ويخرجكم إخراجاً والله جعل لكم الارض بساطاً لتسلكوا منها سبلاً فجاجاً» نوح ١٧ ـ ٢٠)

وقال: «ألم نجعل الارض كفاتاً أحياء وأمواتاً وجعلنا فيها رواسي شامخات وأسقيناكم ماء فراتاً» المرسلات ٢٥ ـ ٢٧)

وفي بحارها وبرازيها وجزائرها وأنواع منافعها عندها ومالحها، وفي عيونها وأنهارها، وفي معادنها وكهوفها وبراكينها وأملاحها ومعادنها وفي اختلاف تراثها ومناسقها آيات لقوم يتفكرون ولأولي الالباب

قال الله تعالى «وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون» فاطر ١٢)

وقال «ألم تر ان الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع في الارض ثم يخرج به زرعاً مختلفاً ألوانه ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يجعله حطاماً ان في ذلك لذكرى لأولي الالباب» الزمر: ٢١).

وقال «أمّن جعل الارض قراراً و جعل خلالها أنهاراً و جعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً» النمل: ٦١).

وفي إحيائها بعد إماتتها وفي ساعها ودوحوشها وفي تمهيدها للعيش الهنيء عليها للانسان، وفي مالها من الزينة والاحجار، وفي أقسام نباتها من كونها داء ودواء وغذاء للحيوان وطعاماً للانسان آيات لقوم يوقنون

قال الله تعالى «فانظر إلى آثار رحمت الله كيف يحيي الارض بعد موتها» الروم: ٥٠)

وقال «وآية لهم الارض الميتة أحييناها وأخرجنا منها حبّاً فمنه يأكلون وجعلنا فيها جنات من نخيل وأعناب وفجّرنا فيها من العيون ليأكلوا من ثمره وما عملته أيديهم أفلا يشكرون سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لايعلمون» يس: ٣٣-٣٦).

وقال «أولم يروا أنّا نسوق الماء إلى الارض الجرز فنخرج به زرعاً تأكل منه أنعامهم وأنفسهم أفلا يبصرون» السجدة: ٢٧)

وقال «ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الارض مخضرة» الحج ٦٣).

وقال «الذي جعل لكم الارض مهداً وسلك لكم فيها سبلا وأنزل من السماء فأخرجنا به أزواجاً من نبات شتّى كلوا وارعوا أنعامكم إنّ في ذلك لآيات لاولي النهى» طه: ٥٣ - ٥٤).

قال الله تعالى «وفي الارض آيات للموقنين» الذاريات ٢٠).

﴿ حقيقة الرزق الحلال والحرام منه ﴾

قال الله تعالى «وفي السماء رزقكم وما توعدون - ان الله هو الرزاق ذو القوة المتين» الذاريات: ٢٢ - ٥٨)

يدور البحث حول الرزق على أمور

منها: في حقيقة الرزق، وذكر الكلام والتحقيق في الحلال والحرام من الرزق

الرزق هو اسم لما يعطيه الله تعالى وينتفع به على وجه الصحيح شرعاً

قال الشيخ رضوان الله تعالى عليه في تفسير التبيان. أصل الرزق الحظ، فما جعله حظاً لهم فهو رزقهم

واختلف في كون الحرام رزقاً فذهب المعتزلة إلى ان الرزق هو كل ما صح انتفاع الحيوان به بالتغذي وليس الحرام برزق

مستدلين بقول النبي الكريم ﷺ «ان الله تعالى قسم الارزاق بين خلقه حلالا ولم يقسمها حراماً».

وذهبت الاشاعرة: إلى أن الرزق هو كل ما ينتفع به الانسان و الحيوان حلالا كان أم حراماً.

مستدلين بقول عمر بن قرة حيث قال: «يارسول الله ان الله كتب علي الشقوة فلا أراني ارزق إلا من دفي بكفي، أتأذن لي في العزف؟ فقال له رسول الله ﷺ بعد كلام «أي عدو الله ان الله قد رزقك طيباً فاخترت ما حرم الله عليك من رزقه مكان ما أحل الله لك من حلاله»

أقول . إن الرواية لو صحّت لا تدل على المدعى فتدبّر

وذهبت القدرية منهم إلى انّ الارزاق منقسمة ، فمنها ما رزقه الله للعبد فهو الحلال ومنها مارزقه العبد لنفسه فهو الحرام .

وقال الفخر في تفسيره «تعلق أصحابنا بهذه الآية، «وما من دابة في الارض إلا على الله رزقها» هود.٦) في اثبات ان الرزق قد يكون حراماً قالوا: لانّه ثبت ان إيصال الرزق إلى كل حيوان واجب على الله تعالى بحسب الوعد وبحسب الاستحقاق والله تعالى لايخل بالواجب ، ثم قد نرى إنساناً لايأكل من الحلال طول عمره فلو لم يكن الحرام رزقاً لكان الله تعالى ما أوصل رزقه إليه فيكون تعالى قد أخلّ بالواجب وذلك محال ، فعلمنا أنّ الحرام قد يكون رزقاً » .

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية فذهبوا إلى أنّ الرزق هو ما للحيّ الانتفاع به على وجه لايكون لاحد منعه منه وهذا لايطلق الا فيما هو حلال ، وأما الحرام فلايكون رزقاً لانّه منهي عنه ولصاحبه أيضاً منعه منه

وذلك لانّ الله تعالى مدح المتقين بالانفاق مما رزقه اذ قال : «الذين يقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون اولئك هم المؤمنون حقّاً » الانفال ٣٠ـ ٤) .

والمغصوب والحرام يستحق الذم على الانفاق بهما، فكيف يكون رزقاً وهما ممنوعان من التصرف فيهما والانفاق منهما بالاتفاق .

ويستفاد من تقديم الظرف في قوله : «مما رزقناهم» الحصر وهو يقتضي كون المال المنفق على ضربين : مارزقه الله تعالى ومالم يرزقه ، وانّ المدح انما هو على الانفاق مما رزقهم وهو الحلال لامما سوّلت لهم أنفسهم من الحرام ولو كان كل ما ينفقونه رزقاً من الله سبحانه لم يستقم الحصر .

وقال بعض المحققين : انّ الله تعالى قدّر لكل انسان رزقاً وجعل لنيله به طريقين : طريق مرضي وطريق مغضوب منهي عنه ليتم فرض الاختيار للانسان فهو مختار في النيل بما قدّر لهذين أحد الطريقين .

في تفسير العياشي باسناده عن الامام علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله في

قوله تعالى : «واسئلوا الله من فضله» .

«انّ الله تعالى خلق خلقه وقسّم لهم أرزاقهم من حلّها وعرض لهم بالحرام فمن انتهك حراماً نقص له من الحلال بقدر ما انتهك من الحرام وحوسب به»

قوله عليه السلام : «انتهك» أي تناول بالايحل .

وقال السيد الطباطبائي في الميزان : « لامتناع بين عدم كون نعم محرم رزقاً بحسب التشريع وكونه رزقاً بحسب التكوين إذ لاتخلف في التكوين حتى يستتبع ذلك فحاً وما يشبهه ، القرآن من عموم الرزق في قوله تعالى « وترزق من تشاء بغير حساب » آل عمران : ٢٧) .

انّما هو بحسب حال التكوين - الى أن قال - على أنّ الايات تسب الملك الذي لا مثال يعرد وفرعون والاموال والزخارف التي بيد أمثال قارون الى إنتاء الله تعالى فليس الاّ ان ذلك كله بدون الله تعالى أتاهم ذلك امتحاناً وفتنةً للحجة وجدلاً واستدراجاً ونحو ذلك ، وهذا كلّه بحسب تشريعيّة وإذا صحت النسبة التشريعية من غير محذور لزوم القبح فصحّة النسبة التكوينيّة التي لامحذور للحسن والقبح العقلائيين فيها أوضح» .

وفي تفسير العياشي : باسناده عن أبي البلاد عن أبي جعفر عليه السلام انّه قال : ليس من نفس الاّ وقد فرض الله لها رزقها حلالا يأتيها في عافية ، وعرض لها بالحرام من وجه آخر ، فان هي تناولت من الحرام شيئاً قاصّها به من الحلال الّذي فرض الله لها وعند الله سواهما فضل كبير .

وفي الكافي : باسناده عن محمد بن مرازم عن أبيه أو عمّه قال : شهدت أبا عبدالله عليه السلام وهو يحاسب وكيلا له والوكيل يكثر أن يقول : والله ما خنت والله ما خنت ، فقال له أبو عبدالله عليه السلام : يا هذا خيانتك وتضييعك عليّ مالي سواء ، لانّ الخيانة شرّها عليك ، ثم قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وآله : لو انّ أحدكم هرب من رزقه لتبعه حتى يدركه ، كما انّه إن هرب من أجله تبعه حتى يدركه ، من خان خيانة حسبت عليه من رزقه وكتب عليه وزرها

وفي تفسير ابن كثير : عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ : «انّ الله قسّم بينكم أخلاقكم كما قسّم بينكم أرزاقكم ، وانّ الله يعطي الدنيا من يحبّ ومن لا يحبّ ولا يعطي الدين الاّ من أحبّ ، فمن أعطاه الله الدين فقد أحبّه ، والّذي نفسي بيده لا يسلم عبد حتى يسلم قلبه ولسانه ولا يؤمن حتى يأمن جاره بوائقه ، قال : قلنا : وما بوائقه يا نبي الله ؟

قال غشّه وظلمه ، ولا يكسب عبد مالا حراماً فينفق منه فيبارك له فيه ، ولا يتصدّق فيقبل منه ، ولا يتركه خلف ظهره إلاّ كان زاده إلى النار ، انّ الله لا يمحو السيّء بالسيّء ولكن يمحو السيّء بالحسن ، انّ الخبيث لا يمحو الخبيث

وفي أمالي الصدوق رحمه الله تعالى عليه بإسناده عن مرازم بن حكيم عن أبي عبدالله عليه السلام عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ انّ الروح الامين جبرئيل أخبرني عن ربّي تبارك وتعالى انّه لن تموت نفس حتى تستكمل رزقها ، فاتقوا الله واجملوا في الطلب ، واعلموا انّ الرزق رزقان فرزق تطلبونه ورزق يطلبكم ، فاطلبوا أرزاقكم من حلال فانكم آكلوها حلالا ان طلبتموها من وجوهها وإن لم تطلبوها من وجوهها أكلتموها حراماً ، وهي أرزاقكم لابدّ لكم من أكلها

وذلك انّ الانسان لما تعلّق التكليف ببعض أفعاله المتعلقة بالارزاق كالاكل والشرب والنكاح واللباس والمسكن وما اليها ، والرزق مما تسطر إليه تكويناً كان لازم ذلك أن لا يتعلّق الحرمة والمنع الاّ بما له صدوحه والاّ كان تكليفاً بما لا يطاق ، قال الله تعالى «وما جعل عليكم في الدين من حرج» الحج ٧٨)

وقال: «ان الله لا يأمر بالفحشاء» الاعراف : ٢٨) .

وكان لازم ذلك انّ في موارد المحرمات أرزاقاً إلهيّة محللة هي الممدوحة للعبد، وهي الارزاق المنسوبة الى الله تعالى بحسب النظر التشريعي دون المحرمات فتحصل، انّ الرزق رزقان رزق تكويني وهو كل ما يستمد منه موجود في بقائه كيف كان ورزق تشريعي وهو الحلال الذي يستمد به الانسان في الحياة دون الحرام فانه ليس برزق منه تعالى .

﴿ اقسام الرزق ﴾

ان الرزق في الاصل على عامر . لحظ مطلقاً . إيقال اللهم ارزقني ولداً صالحاً وزوجة صالحة ، وارزقني علماً نافعاً وعملاً أعيش به سعيداً ، وارزقني زيارة بيتك الحرام وقبر نبيك وأهل بيته المعصومين ، وارزقني توفيقاً لطاعتك وبعداً عن معصيتك ومعرفة لحرمتك

فلا يقصر الرزق فيما يتغذى به الانسان من الروح والعقل الانساني أو ان لابد منها والاهتمام بها، وغذاء العقل إدراك المعارف والعلوم وغذاء الروح المعرفة والعمل الصالح ، اذبها تكمل وتزيد وتنمو، وبفقدها تنقص وتموت وتهلك

قال الطبرسي قدس سره في المجمع الارزاق نوعان ظاهرة للابدان كالاقوات ، وباطنة للقلوب كالمعارف والعلوم .

وان الرزق باعتبار آخر على قسمين رزق لابد أن يطلبه الانسان فيرزق ، ورزق يطلب صاحبه حتى يجده ويبشر عن الاخير برزق من حيث لا يحتسب ، ولايكون هذا الا للمتقين

و في رواية قال رسول الله ﷺ اذا أراد الله لاهل بيت خيراً رزقهم الرفق في المعيشة وحسن الخلق

وفي نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام الرزق رزقان رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان لم تأته أتاك ، فلا تحمل هم سنتك على هم يومك ، كفاك كل يوم ما فيه فان تكن السنة من عمرك فان الله تعالى جدّه سيؤتيك في كل غد جديد ما قسم لك وان لم تكن السنة من عمرك فما تصنع بالهم لما ليس لك ولن يسبقك الى

رزقك طالب ولن يغلبك عليه غالب ولن يعطيء عنك ما قد قدّر لك ؟ » .

وفيه: في موضع آخر أشار الى الاخير إذ قال عليه السلام : من لم يعط قاعداً لم يعط قائماً» .

وقد جاء في حديث انّ رسول الله صلى الله عليه وآله ناول أعرابياً تمرة وقال له : «خذها فلولم تأتها لأتتك» .

في شرح الحديد : وروى انّ رجلا لازم باب عمر فضجر منه قال له: يا هذا هاجرت الى الله تعالى أم الى باب عمر ؟ اذهب فتعلّم القرآن فانه سيغنيك عن باب عمر فذهب وغاب مدّة حتى افتقده عمر فاذا هو معتزل مشتغل بالعبادة ، فأتاه عمر فقال له : انّي اشتقت اليك فما الذي شغلك عنا !

قال انّي قرأت القرآن فأغناني عن عمر وآل عمر ، فقال . رحمك الله فما وجدت فيه ؟ قال وجدت فيه «وفي السماء رزقكم وما توعدون» فقلت رزقي في السماء وأنا أطلبه في الارض ، انّي لبئس الرجل فبكى عمر وقال صدقت

وفي النهج قال الامام علي عليه السلام «الرزق رزقان : طالب و مطلوب فمن طلب الدنيا طلبه الموت حتى يخرجه عنها ، ومن طلب الاخرة طلبته الدنيا حتى يستوفي منها رزقه »

أقول هذا تحريض على طلب الاخرة ووعد لمن طلبها بأنه سيكفي طلب الدنيا ، وان الدنيا ستطلبه حتى يستوفي رزقه منها .

قال الله تعالى « وما كان لنفس أن تموت الاّ باذن الله كتاباً مؤجّلا ومن يرد ثواب الدنيا نؤته منها ومن يرد ثواب الاخرة نؤته منها وسنجزي الشاكرين ـ فآتاهم الله ثواب الدنيا وحسن ثواب الاخرة » آل عمران . ١٤٥ ـ ١٤٨)

وفي الكافي باسناده عن الوليد بن صبيح قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول . من الناس من رزقه في التجارة ، و منهم من رزقه في السيف ، و منهم من رزقه في لسانه

و في النهج قال الامام علي عليه السلام . « و اعلم يا بنيّ أنّ **الرزق رزقان** ،

رزق تطلبه ورزق يطلبك ، فان أنت لم تأته أتاك .

ما أقبح الخضوع عند الحاجة والجفاء عند الغناء ! انما لك من دنياك ما أصلحت به منواك وان كنت جازعاً على ما هدّت من يديك فاجزع على كلّ ما لم يصل اليك » .

وفي البحار عن أبي سعيد الخدري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول عند منصرفه من احد والناس محدقون به وقد أسند ظهره الى طلحة ـ واحدة الطلح وهو شجر عظام من شجر العظاة ـ هناك أيّها الناس اقبلوا على ما كلّفتموه من إصلاح آخرتكم وأعرضوا عمّا ضمن لكم من دنياكم ولا تستعملوا جوارحاً عديت بمعصيته في التعرّض لسخطه بمعصيته ، و جعلوا شغلكم في التماس مغفرته

واصرفوا همّكم بالتقرّب الى طاعته من بدأ بمعصيته من الدنيا فاته نصيبه من الآخرة ولم يدرك منها ما يريد ومن بدأ بمعصيته من الآخرة وصل اليه نصيبه من الدنيا وأدرك من الآخرة ما يريد .

وقال ﷺ : ان الله يعطي الدنيا بعمل الآخرة ولا يعطي الآخرة بعمل الدنيا

وقال الشاعر

احبّ الصّالحين ولست منهم لعلّ الله ان يرزقني صلاحاً

﴿ طلب الرزق والاهتمام به ﴾

وقد وردت روايات كثيرة في عدم الركون إليه والاهتمام به والنهي عن الاهتمام به لأنه يوجب الدخول في الحرام أو في الشبهة وقد

في الكافي بإسناده عن عبد الله بن سنان قال أبو عبد الله عليه السلام في بعض طرق المدينة في يوم حار فقلت له جعلت فداك أين تريد في هذا الحر فقال عرض لي حاجة فقلت أفلا أرسل إليك فقال أفيعنيك أن تجيء في مثل هذا اليوم؟ قلت نعم قال لا عليك خرجت في طلب الرزق لأستغني عن مثلك.

وفيه: بإسناده عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي عبد الله عليه السلام قال كان محمد بن المنكدر يقول ما كنت أرى أن عليا بن الحسين عليه السلام يدع خلفا أفضل منه حتى رأيت ابنه محمد بن علي عليه السلام فأردت أن آتيه فأعظه فيتقصى فقال له بعض بنيه وعظت عمك فقال خرجت إلى بعض نواحي المدينة في ساعة حارة فلقيني أبو جعفر محمد بن علي وكان رجلا بدينا ثقيلا وهو متكئ على غلامين أسودين أو مولين فقلت في نفسي

سبحان الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا لأعظنه، فدنوت منه فسلمت عليه فرد علي السلام بنهر وهو يتصبب عرقا فقلت: أصلحك الله شيخ من أشياخ قريش في هذه الساعة على هذه الحال في طلب الدنيا، أرأيت لو جاءك أجلك وأنت على هذه الحال ما كنت تصنع؟

فقال لو جاءني الموت وأنا على هذه الحال جاءني وأنا في طاعة الله عز وجل أكف بها نفسي وعيالي عنك وعن الناس وإنما كنت أخاف أن لو جاءني الموت

وفيه باسناده عن معاوية بن عمار قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام

وفيه باسناده عن [illegible] قال سألت أبا عبد الله عليه السلام

وفي التهذيب باسناده عن [illegible] عن الرجل في سفر لم يقم

وفي أعلام الدين: [illegible]

وعن المحاسن: [illegible]

وفيه عن [illegible]

وفيه عن [illegible]

وفي الكافي: باسناده عن أبي بصير قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول إني لأعمل في بعض صلاتي حتى أعرف وإن أعلى ما يعلم الله عز وجل مني أن يقبل لي أو لا يقبل

وفيه: باسناده عن عمر بن يزيد قال قلت لأبي عبد الله عليه السلام جعلت فداك لا أقعد في بيتي ثلاثة أيام أو أربعة أيام أو خمسة أيام وأنا في قرية فقال أبو عبد الله عليه السلام هذا أحد الثلاثة الذين لا يستجاب لهم

وفيه: باسناده عن أبي خالد الكوفي رفعه إلى أبي جعفر عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله العبادة سبعون جزءا أفضلها طلب الحلال

وفيه: باسناده عن محمد بن مروان عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن في حكمة آل داود ينبغي للمسلم العاقل أن لا يرى ظاعنا إلا في ثلاث

مرمّة لمعاش، أو تزوّد لمعاد، أو لذّة في غير محرم، وسعي للعبد العاقل أن يكون له ساعة يصغي بها إلى عمله فيما بينه وبين الله عزّوجلّ، وساعة يلاقي إخوانه الذين يفاوضهم ويفاوضونه في أمر آخرته وساعة يخلي بين نفسه ولذاتها في غير محرم فإنها عون على تلك الساعتين

وفيه: بإسناده عن حفص بن البختري عن أبي عبدالله عليه السلام قال: إن كان الرجل منكم ليجيء فيعمل بقدر ما يقوت به نفسه وأهله ولا يطلب حراماً فهو كالمجاهد في سبيل الله

وفي نهج البلاغة: وشكى إليه عليه السلام رجل تعذّر الرزق فقال: به لا تجاهد الرزق جهاد الفجار ولا تتكل على القدر اتكال المستسلم فإنّ ابتغاء الفضل من السنّة والاجمال في الطلب من العفّة وليست العفّة دافعة رزقاً ولا الحرص جالباً فضلاً فإنّ الرزق مضمون وفي شدّة الحرص والتهالك على الطلب ما يكسب المآثم

وقال عليه السلام في موضع آخر من خطبة في الطلب: ارفقوا في الطلب فإنّ رفقه من حيث لا يحتسب

وفي البحار عن ابن عمر قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: امتي في الدنيا على ثلاثة أطباق أمّا الطبق الأوّل فلا يحبون جمع المال وادّخاره ولا يسعون في اقتنائه واحتكاره وتمرّ صاهم من الدنيا سدّ جوعته وستر عوراتهم وكفاهم منها ما ينتفع بهم الآخرة فأولئك الآمنون الذين لا خوف عليهم ولا هم يحزنون

وأمّا الطبق الثاني فإنهم يحبون جمع المال من أطيب وجوهه وأحسن سبله يصلون به أرحامهم ويسرّون به اخوانهم ويواسون به فقراءهم ولعلّ أحدهم على الرّصف أيسر عليه من أن يكتسب درهماً من غير حلّه أو يمنعه من حقّه أو يكون له خازناً الى يوم موته فأولئك الذين إن بوقش عنهم عذّبوا وإن عفى عنهم سلموا

وأمّا الطبق الثالث فإنهم يحبّون جمع المال من حلّ وحرم ومنعه مما افترض ووجب ان أنفقوه أنفقوا اسرافاً وبدراً وإن أمسكوه أمسكوه بخلاً واحتكاراً اولئك الذين ملكت الدنيا زمام قلوبهم حتى أوردتهم النار بذنوبهم.

قوله عليه السلام: «الرصف» الحديدة المحماة على النار

وفي أمالي الصدوق ... عن أبي حمزة عن الصدوق ... قال ان كان الله تعالى قد تكفل ... واعتمده ... ورزق مقسوماً والحرص لا ... ان كان الحق والجمع لا ... كان الخلف من الله عزّ وجلّ حقاً والفقد ...

وفي المحاسن ... لمؤمن صلوات الله عليه ... كان فيما وعظ لقمان ابنه انّه قال ... يستكثر من قصر نفسه وضعف بدنه في طلب الرزق ... الله تعالى خلقه في ثلاثة احوال من أمره وآتاه رزقه ... لم يكن له في واحدة منهنّ كسب ولا حيلة ... الله تسرّ فيه في الحال التي بعد ...

أمّا الاولى ... فانه كان في رحم امّه ... ملكين حيث لا يرد ... ولا حرّ ثم اخرجه من بين ... وأجرى له من ... فقذفه ... من غير حول ... ولا قوّة ثم فطم من ذلك ... وأجرى له من كسب ... فقذفه ... حتى اذا ... عقل ... لنفسه ... فقذفه ... الصدوق ... وجهه الخوف في ... فتر ... نفسه وعياله مخوفة العدم

وفي نهج البلاغة قال الامام علي ... لابنه الحسن ... لا تحملنّ همّ يومك الذي لم يأت على يومك الذي قد أتاك فانّه ان يكن من عمرك يأت الله فيه برزقك

أقول: ... الامام ... نهى في هذا الفصل ... عن الحرص على الدنيا والاهتمام لها وأعلمهم انّ الله جلّ وعلا قسم الرزق لكل حي من خلقه فلم يكلف فيه الانسان لاتاه رزقه من حيث لا يحتسب

وفي تحف العقول ... عن الصادق ... انه قال ... يا علي لا تهتم لرزق غد فانّ كل غد يأتي رزقه

وفي أعلام الدين ... عن أبي محمد العسكري ... قال ... دفع ... مسألة ... وحدث التحمل ... يكتب فان لكل يوم رزقاً جديداً واعلم انّ الحرص في المحال يسلب البهاء ويورث التعب والعناء فاصبر حتى يفتح الله لك ... فانه سهل الدخول فيه ... قد اقرب الصبح من الملهوف والأمن من الهارب المخوف فرّ ... كما كان العبر

نوعاً من أدب الله

و الحطوط مراتب فلا تحمل على ثمره لم تدرك و انّه تنالها في أوانها و اعلم أنّ المدبّر لك أعلم بالوقت الّذي يصلح حالك فثق بتدبيره في جميع امورك يصلح حالك ، ولا تعجل بحوّ لحث قبل وقتها فتحيق قصدك و تعدك ويعدك القنوط

وفي الدر المنثور عن عبدالله بن مسعود قال قال رسول الله ﷺ انّه ليس انّه ليس من شيء يقرّبكم من الجنة ويبعدكم من النار إلاّ وقد أمرتكم به و انّه ليس شيء يقرّبكم من النار ويبعدكم من الجنة إلاّ وقد نهيتكم عنه وان الروح الامين نفث في روعي انّه ليس من نفس تموت حتى تستوفي رزقها فاتقوا الله واجملوا في الطلب ولا يحملنّكم إستبطاء الرزق عني أن تطلبوه بمعصية الله فانه لا يدرك ما عند الله الاّ بطاعته

اقول : رواه الكليني في الكافي بإسناده عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه‌السلام قال خطب رسول الله ﷺ في حجة الوداع الحديث

وفي روايته قال ﷺ الا ان [illegible] فهو رزقه لا محالة فمن رضي بما رزقه الله فيه وسعه ومن لم يرض به لم يبارك له فيه ولم يسعه ، ثم ان الرزق ليطلب العبد كما يطلبه اجله

وقال ﷺ لو علم العبد كيف يأتيه رزقه حتى يأتيه لم يهتم كما لا يأتيه الطير يغدو خماصاً ويروح بطاناً

وفي ثواب الاعمال : بإسناده عن ابن أبي يعفور عن أبي عبدالله ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من صبح ومسى والآخرة أكبر همّه جعل الله الغنى في قلبه وجمع له أمره ولم يخرج من الدنيا حتى يستغني عنه ومن صبح ومسى والدنيا أكبر همّه جعل الله الفقر بين عينيه وشتّت عليه أمره ولم ينل من الدنيا الاّ ما قسم له

وفي الاختصاص: بإسناده عن أبي عبدالله ﷺ قال من صحه يقين المرء

المسلم أن لا يرضى الناس بسخط الله ولا يحمدهم على ما رزق الله ولا يلومهم على ما لم يؤته الله فإن رزق الله لا يسوقه حرص حريص ولا يرده كره كاره ولو أن أحدكم فر من رزقه كما يفر من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت

أقول: ولعمري إذا نظر اللبيب إلى الدودة المكلوبة داخل الصخرة كيف يرزقها العليم أن صانع العالم قد تكفل لكل ذي حياة بمادة تقيم حياته إلى انقضاء عمره

في تفسير روح البيان: روي أن موسى عليه السلام لما نزل عليه بالدعاء إلى فرعون للدعوة إلى الايمان تعلق قلبه بأحوال أهله قائلا يا رب من يقوم بأمرهم لي؟ فأمره الله تعالى أن يضرب بعصاه صخرة فضربها فانشقت وخرج منها صخرة ثانية ثم ضرب بعصاه عليها فانشقت وخرجت منها صخرة ثالثة ثم ضربها بعصاه فخرجت منها دودة وفي فمها شيء يجري مجرى الغذاء لها ورفع الحجاب عن سمع موسى فسمع الدودة تقول سبحان من يراني ويسمع كلامي ويعرف مكاني ويذكرني ولا ينساني

أقول: إن كل مفسري لهذه الآية [illegible] لا ينبغي لأحد أن يعتمد

﴿ الخلق والرزق ﴾

ولا ريب أنّ الانسان والحيوان وما إليهما لا يكفيها أصل الوجود لبقاء النسل لابدّ أن تستمدّ في بقائها بأمور أخر حتى حفظ وجودها وهي الرزق الّتي يتوقف عليه بقاء أنواع الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلا فالرزق مما لا يستغنى عنه موجود في بدئه وإن خلق الله جلّ وعلا هذه الأشياء لينتفعوا فقد خلق لها رزقاً فالتلازم بين الخلق والرزق مما لا شبهة فيه

وإليه أشار بقوله تعالى ﴿قل أئنكم لتكفرون بالذي خلق الأرض في يومين ـ وجعل فيها رواسي من فوقها وبارك فيها وقدّر فيها أقواتها في أربعة أيام﴾ فصلت ٩ـ ١٠) فقدّر الأقوات لعباده قبل أن يخلقهم

وقوله ﴿وما من دابّة في الأرض إلاّ على الله رزقها﴾ هود ٦)

تكفّل بأرزاق الخلق

في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن جابر بن يزيد الجعفي عن أبي جعفر محمّد بن علي الباقر عليه السلام قال: إنّ موسى بن عمران عليه السلام قال: يا ربّ رحمت بعاقصيت تميت الكبير وتنمّي الطفل الصغير، فقال الله جلّ جلاله: يا موسى أما ترضى لهم رازقاً وكفيلا، قال: بلى يا ربّ فنعم الوكيل أنت ونعم الكفيل

وفي الخصال: بإسناده عن حمّاد بن عيسى عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال أمير المؤمنين عليه السلام: كان فيما وعظ به لقمان ابنه أن قال له: يا بنيّ لبعثر من قصر بنفسه وضعفت نيّته في طلب الرزق إنّ الله تبارك وتعالى خلقه في ثلاثة أحوال من أمره وأتاه رزقه ولم يكن له في واحدة منها كسب ولا حيلة إنّ الله تبارك وتعالى سيرزقه

في الحال الرابعة

امّا ... ذلك وثقت ... في رحم أمّه ... فهذا ... فيرا ... ملكين حيث ... يؤذنه حرّ ... ولا برد ثمّ أخرجه من ذلك وأجرى له ... من لبن أمّه لحفظه وتربيته ... بعثه من حر حوا ... ولا قوّة ثم قطع من ذلك وأجرى له ... من كسب أبويه برأفة ... ورحمة له من قلوبهما لا يمكن غير ذلك حتّى تهيج تؤثره على أنفسهما في حوائج كثيرة حتّى ان كثيرا ... فقا ... و كتب ... له صك به أمره وطن ... لطفون ربه وحفظ الحقوق في ماله ... فمر على نفسه وعياله محافظ إقتار ... رق وسوء يقين بالخلف من الله تبارك وتعالى من الفاجر والآخر فلم ... لعبد هذا ... سي

أقول قوله عليه السلام «بعثه» ... تذكار له من هذه ... بحيره بعد فقره ... وضعه ... ادا قص عن الرضاع ... والحفظ ... للدلالة ... لعوص

وعن سعد السعود لسيد ... من ... قدس سره ... في هو ... عن ... بنت ... لنحو ... بن ... ول أقول لكم لا تهتمّوا لامر ... فانّ ... كفيون ولا ... تشربون ولا لاجسادكم ما تلبسون ليس النفس ... من الرزق ... لجسد ... من الدين ... انظروا الى طيور السماء التي لا تزرع ولا تحصد ولا تجمع

وربكم السموات ... تقوتها أفلستم ... من ... مهتم ... من مسلم يهتم فيقدر ان يزيد على قامته ذراعا واحدة ... فلماذا تهتمّون به ... لباس ...

وفي مكارم الاخلاق ... في وصية ... الكريم ... الى عبدالله بن مسعود يا ابن مسعود لا تهتمّ للرزق فان الله تعالى يقول ... وما من دابة في الارض الا على الله رزقها ... قال ... وفي السماء رزقكم وما توعدون ... وقال ... وان يمسسك الله بضر فلا كاشف له إلا هو وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير ...

وفي رواية عن رسول الله ... قال ... لما حورت سدرة المنتهى رأت بعض أغصانها الثمار معلّقة بعضها من بعضها اللبن ومن بعضها العسل ومن بعضها الدهن ويخرج من بعضها مثل دفق السمن ومن بعضها الشراب ومن بعضها كالمسك فهوى ذلك كلّه نحو الارض فقلت في نفسي أين مقرّ هذه الخارجات ... فأوحى الي ربّي

باتقل اهذه استها من هذا المكان الارفع لاعدوهم بيت لمؤمنين من منك وسيهم فقل لاماء البيت لاضيق صدو كم على سكانكم وانى كف حيفتهن ورقهن

وفي تفسير روح البيان: قال هرم لاويس القرني أين تأمرني ان اكون؟ وأومأ الى الشام فقال الهرم كيف المعيشة بها؟ قال ويس ان لهذه القلوب قد حالطها الشك فما تنفعها العطة

وفي البحار: من خط الشهيد رحمه الله قيل للصادق عليه السلام على ما بنيت معرفتك؟ فقال على ربعة أشياء علمت أن عملي لا يعمله غيري فاجتهدت، وعلمت أن الله عز وجل مطلع علي فاستحييت، وعلمت أن رزقي لا يأكله غيري فاطمأننت وعلمت أن آخر أمري الموت فاستعددت

وفي رواية: قال الله تعالى: عبدي خلقتكم لعلم ولم تخلقوا لجهل افلم يبدي لا تعمو فيما تكلفت لكم به فاصدوا مني أرزاقكم وإلي فارفعوا جوعكم

وفي رواية: قال الله تعالى: يا بني آدم انى كل يوم تأتي رزقك وانت تحزن؟ وينقص من عمرك وانت لاتحزن، تسبب ما يعصمك وعداك ما يكفيك

وقال: يا بني آدم انا خلقتك من تراب ثم من نطفة ولم أعي بخلقك افتعيى رغيف اسوقه اليك في حينه.

وفي سرح العيون: وجد مكتوباً على صخرة عند بئر قديمة فسئل الى قصة عاد الذين قالوا يا بني آدم لست بسالبك اجلك ولا سابق اجلك ولا مغلوب على رزقك ولا مرزوق ما ليس لك فعلام تقتل نفسك!

وفيه: صلّى معروف الكرخي خلف إمام فلما انفتل سئل ذلك الامام معروفا من اين تأكل؟ قال: إصبر علي حتى اعيد ما صليته خلفك قال لان من شك في الرزق شك في الرازق

اقول: والمراد بالامام امام الجماعة

وفيه: قيل لعلي عليه السلام لوسدّ على رجل باب بيت وترك فيه من اين كان يأتيه رزقه؟ قال من حيث كان يأتيه اجله

وفي النهج قال الامام علي عليه السلام «واعلموا علماً يقيناً أن الله لم يجعل للعبد وإن عظمت حيلته واشتدت طلبته وقويت مكيدته أكثر مما سمّى له في الذكر الحكيم ولم يحل بين العبد وبين أن يبلغ ما سمّى له في الذكر الحكيم، ولم يعرف لهذا العبد أن أعظم الناس خطراً في صفقته، والناس له أعوان فيما أعظم الناس شغلاً في مضرّته، والناس معه مسلمون ولسعي دون منتهى مصنوع له بالغيوب، وردّ أنفه المسلمة في شكرك وقصّر من عجلتك وقف عند منتهى رزقك

وجاء في الخبر المرفوع: «أجملوا في الطلب فانه ليس لعبد إلا ما كتب له، ولن يخرج عبد من الدنيا حتى يأتيه ما كتب له في الدنيا وهي راغمة»

وفي شرح الحديد في هرب من حتفه بالقرب قصة السلام عليك يا ابن بنت عمر فعل

وعليك السلام يا هرم بن حنان فقال هرم أتعرفني يا عبد فكيف عرفتني؟ قال: إني رأيت المؤمنين لتتم كلامه فعرفت بعضهم بعضاً قال أوصني، قال: عليك بسيف البحر قال فمن أين لي؟ قال قد كفتك حاجتك الموعظة، أفرّ إلى الله بدينك ونفسك من فورك

وفي البحار: في مواعظ عيسى عليه السلام لابن له يوصي له عنه أن لو أن ابن آدم فرّ من رزقه كما يفرّ من الموت لأدركه رزقه كما يدركه الموت

وفي العيون بإسناده عن الرضا عن أبيه موسى بن جعفر عنهم السلام قال سئل الصادق جعفر بن محمد عليه السلام عن بعض من يحبه فقير غير فقصده عائداً وجلس عنده ساعة فوجده وجعاً فقال له أحسن الله عزاءك به، قال: ما عزّاني الله فحسن ولكن عمّي لساني ما ترى بي شرّ سمّى بهن، فقال الصادق عليه السلام الذي ترجوه لتضعيف حسناتك ومحو سيئاتك فارجه لاصلاح حالك بعد

أما علمت أن رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا جاوزت سدرة المنتهى ذهبت عظامه

وقصعتها رأيت بعض ثمار قصاعها أقداحا معلّقة يقطر من بعضها العسل ومن بعضها السمن ومن بعضها الدهن ويخرج من بعضها شبه دقيق السميد ومن بعضها الشعير ومن بعضها كالسلق فيهوي ذلك كلّه نحو الأرض فقلت في نفسي أين مقرّ هذه الخارجات من هذه الأقداح؟ وذلك أنه لم يكن معي جبرئيل لأنّي كنت جاوزت مرتبته واختزل دوني فصدّاني دنّي عزّ وجلّ في سرّي يا محمد هذه اتّخذها من هذا المكان الأرفع لأعدّ منها بنات المؤمنين من أمتك وبيتهم، فقل لأباء البنات لأعفيّ صدوركم على وقتهنّ فإني كما خلقتهن أرزقهن

قوله عليه السلام: «السميد» الدقيق الأبيض و«كالسلق» حمل شجر السدر، و«اختزل»: انفرد وانقطع

وفي أعلام الدين عن أبي محمد العسكري عليه السلام قال: المقادير لا تدفع بالمعالجة والأرزاق المكتوبة لابناء بالشرة ولا تدفع بالامساك عنها

قال الله تعالى: «قل اللهم مالك الملك تؤتي الملك من تشاء - وترزق من تشاء بغير حساب» آل عمران: ٢٦ - ٢٧) أي بغير استحقاق

﴿ الرزق مقسوم ﴾

وقد جاءت آيات كريمة وروايات شريفة تدل على أن الارزاق مقسومة مقدّرة من عندالله جلّ وعلا ، ولكل نفس ما اقتضته الحكمة الالهيّة

والدليل على ذلك هو اختلاف أفراد الانسان فيه بالمعنى والفقر وهو بعدّ من الرزق ، وكل ما يريد أن يقتني من الارزاق ما لامرئ عليه ، ولا يكاد يتيسّر لاحد منهم جميع ما يتمنّاه ويرتضاه

فلو كان ذلك بيد الانسان لم يوجد معدم فقير في شيء منها ، بل لم يختلف اثنان فيها ، فاختلافهم فيها أوضح دليل على أنّ الرزق مقسوم بمشيّته تعالى دون الانسان .

وأمّا ارادة الانسان والعمل منه ، فمعنى الاسباب الناقصة لحصول المطلوب الذي هو الرزق ليتمّ الاختيار له في بعثه به ، فوراء الارادة والعمل أسباب كونيّة لاتحصى خارجة عن مقدرة الانسان ، لاتحصل المطلوب الا بحصولها جميعاً واجتماعها عليه وليست إلا بيد الله جلّ وعلا الذي إليه تنتهي الاسباب

ومن الايات القرآنية : قوله تعالى «أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف ٣٢)

وقوله تعالى : «وفي السماء رزقكم وما توعدون» الذاريات ٢٢) .

وقوله «وجعلنا لكم فيها معايش ـ وان من شيء الا عندنا خزائنه وما ننزّله الا بقدر معلوم» الحجر : ٢٠ ـ ٢١) وغيرها من الآيات .

وأما الروايات فمنها :

ما عن ابن عباس قال : قال رسول الله ﷺ : «أيّها الناس انّ الرزق مقسوم لن يعدو امرءاً ما كتب له فاجملوا في الطلب ، أيّها الناس انّ في القنوع لسعة وانّ في الاقتصاد للغنى ، وانّ في الزهد لراحة ، ولكلّ عمل جزاء ، وكلّ ما هو آت قريب »

وما عن إبن مسعود قال : قال رسول الله ﷺ : يقول الله تعالى : يا ابن آدم تؤتى كلّ يوم برزقك وأنت تحزن ، وتنقص كلّ يوم من عمرك وأنت تفرح فيما يكفيك وأنت تطلب ما يعصيك ، لا أعطى نهم ولا من كثر تشع

قيل : ثلاثة تدّخر القوت لنفسها : الانسان والنمل والفأرة ، وأمّا سائر الحيوانات من الطيور وغيرها أهليّاً كان أو وحشيّاً بحريّاً كانت أم برّيّاً فلا تدخر أقواتها وانما تأكل منها يقدر كفايتها يوماً فيوماً مع كثرة القوت لبعضها كما أشار اليه بقوله تعالى « لا تحمل رزقها » للكثرة « الله يرزقها » و « يرزق إياكم » العنكبوت : ٦٠)

و في رواية كان مكتوباً على سيف الحسين بن علي عليه السلام أربع كلمات الرزق مقسوم ، والحريص محروم ، والبخيل مذموم ، والحاسد مغموم

ومن غرر الحكم ودرر الكلم من الامام علي عليه السلام : الرزق مقسوم الحريص محروم ، البخيل مذموم ، الحسود مغموم ، الظالم ملوم .

وفي أمالي الصدوق رحمه الله تعالى باسناده عن أبان الاحمر عن الصادق جعفر بن محمد عليه السلام انّه جاء اليه رجل فقال له : بأبي أنت وامي علّمني رسول الله علّمني موعظة ! فقال عليه السلام : ان كان الله سبحانه و تعالى قد تكفّل بالرزق فاهتمامك لماذا ؟ وان كان الرزق مقسوماً والحرص لماذا ؟ وان كان الحساب حقاً فالجمع لماذا ؟ وان كان الثواب من الله فالبخل لماذا ؟ وان كان الخلف من الله عزوجل حقاً فالبخل لماذا ؟ وان كانت العقوبة من الله عزوجل النار فالمعصية لماذا ؟ وان كان الموت حقاً فالفرح لماذا ؟ وان كان العرض على الله عزوجل حقاً فالمكروه لماذا ؟

وان كان الشيطان عدواً فالعصمة لماذا؟ وان كان السير على الصراط حقاً فالحب لماذا؟ وان كان كل شيء بقضاء وقدر فالحرص لماذا؟ وان كانت الدنيا فانية فالطمأنينة اليها لماذا؟

و في تفسير العياشي : عن ابن الهديل عن أبي عبدالله عليه السلام قال: ان الله قسم الارزاق بين عباده وفصل فصلا كما لم يقسم بين أحد قال الله: «واسئلوا الله من فضله».

وفيه: عن الحسين بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال قلت له: جعلت فداك انهم يقولون ان النوم بعد الفجر مكروه لان الارزاق تقسم في ذلك الوقت فقال الارزاق موضوعة مقسومة قبل ان يقسم من طلوع الفجر الى طلوع الشمس وذلك قوله «واسئلوا الله من فضله» ثم قال وذكر الله بعد طلوع الفجر أبتغى في طلب الرزق من الضرب في الارض.

وفي أعلام الدين عن ابن عباس قال رسول الله صلى الله عليه وآله لبعض اصحابه ان الرزق مقسوم لن يعدو امرؤ ما قسم له فاجملوا في الطلب فان العمر محدود لن يتجاوز احد ما قدر له فبادروا قبل نفاد الاجل والاعمال محصية

﴿ الرزق و الاستحقاق ﴾

وقد اختلفت الكلمات و الآراء في استحقاق الانسان سعة الرزق وضيقه حيث ترى بعضهم في عيش هنيء بارد وسع والآخر في ضيق وتقتير .

و استفد من الآيات الكريمة والروايات الواردة في المقام انّ السعة ليست دليلا على مكانة ذي السعة عندالله تعالى ولاانّ الضيق دليلا على ضعة ذيه لديه جلّ وعلا ولاالسعة دليلاعلى رضى وقربى ولا الضيق على غضب وبعد

و ربّما هما ممحكا الامتحان يمتحن بهما الله سبحانه عباده لما تقتضي حكمته تعالى والبسط والقبض أمران يجريان وفق ارادة الله تعالى

وليس الاختبار لكشف ما يظهر من المبتلى لله سبحانه بل للناس تارة وللممتحن تارة اخرى لينقطع العذر عنه .

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام «وقدّر الارزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ثمّ قرن سعتها بعقابيل فاقتها وبرح أفراحها بمصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها ، ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجاً لاشطانها وقاطعاً لمرائر أقرانها »

قوله عليه السلام «عقابيل» : بقايا المرض واحدها عقبول و «اتراحها» : همومها و «خالجا» الجاذب «لاشطانها» الشطن الحبل «لمرائر» الحبال المفتولة على أكثر من طاق والاقران : الحبال .

وفيه قال عليه السلام «من الحكمة حمل المال في أيدي الجهال وهل وجد"

العقلاء لمات لجهلها جوعاً ولكنه حصر في أيدي الجهال ثم استنزلهم عنه العقلاء بلطفهم وفطنتهم ».

قال الشاعر :

ومن الدليل على القضاء وحكمه بؤس اللبيب وطيب عيش لاحمق

وفي الكافي: بإسناده عن الامام الحسين عن ابيه عليهما السلام قال « كل الرزق بالحمق وكل الحرمان بالعقل وكل البلاء بالصبر ».

قوله عليه السلام « وكل الرزق بالحمق » أي الاحمق في غالب أحواله مرزوق موسع عليه والعاقل محروم مقتر عليه

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام « وكل ثلاث ارزاق بالحمق والحرمان بالعقل والبلاء بالمنطق لعلم ان آدم ابليس لهما من لامر شيء ».

قال الله تعالى : « أهم يقسمون رحمت ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا » الزخرف ٣٢).

وقال « والله فضل بعضكم على بعض في الرزق فما الذين فضلوا برادي رزقهم على ما ملكت ايمانهم فهم فيه سواء» النحل: ٧١).

فلا علاقة بين الضيق في الرزق وبين الخبث والشر كما لا ملازمة بين السعة فيه وبين الطيب والاتقان ، فالغنى ليس دليلا على الطيب والمنزلة عند الله تعالى للغني ، ولا الفقر دليلا على الخبث والضعة او به حسن وعلا للفقير ، نعم هناك منطق وقياس للشيطان تبعه فرعون « كان يقول « أليس لي ملك مصر » وتبعه كثير الناس في طوال الاعصار ويتبعونه من غير دليل وعلم

وفي الاحتجاج : سئل زنديق الامام جعفر بن محمد عليه السلام عن حكمة اختلاف الناس في الرزق فلماذا استحق الذين أعطاهم وأوسع عليهم من رزقه الغنى والسعة ؟ ولماذا استحق الفقراء التقتير والضيق ؟

قال الامام عليه السلام : اختبر الاغنياء بما اعطاهم ليبطر كيف شكرهم؟ والفقراء انما منعهم لينظر كيف صبرهم ؟

ووجه آخر أنه عجّل لقوم في حشرهم ولقوم آخر ليوم حشرتهم إليه

ووجه آخر أنه عمّم أحسانه كل قوم وفضلهم على قدر احتمالهم

ولو كان الخلق كلهم أغنياء لحرمت الدنيا وفقد التدبير وصار أهلها إلى الفناء وللّه حكمة بصيرة لمعنى عوّد وجعل أسباب أرزاقهم في سائر الأعمال وأنواع الصناعات وذلك دائم في البقاء وأصح في التدبير ثم اختبر الأغنياء باستعطاف الفقراء كما ابتلى الضعفاء بحكمه من الحكيم الذي لا يعاب تدبيره

ومن الآيات التي تدل على أن القرآن ليس من تعليم البشر والجهل وما من أحد من البشر ممن لا علم له بالعلم وبشيء من العلوم العالم والجاهل في ذلك سواء كان [illegible] قولاً على جهالة بقوله تعالى وما أوتيتم من العلم إلا قليلاً (الإسراء ٨٥)

وقوله تعالى لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين (التين ٤-٥) ثم أنزلنا لكم من الأنعام ثمانية أزواج (الزمر ٦) وما من دابة في الأرض إلا على الله رزقها (هود ٦)

وقوله ولكم في الأرض مستقر ومتاع إلى حين (البقرة ٣٦)

وقوله والذين كفروا يتمتعون ويأكلون كما تأكل الأنعام (محمد ﷺ ١٢)

وغيرها من الآيات التي لا تحصى

وذلك لأمر بديهي نشاهده من الموجودات من الحيوان والإنسان وما إليها لا يمكنها أمر الوجود للبقاء من أنه لا بد أن تستعد في بقائها بأمور أخر خارجة من وجودها بل تضمنها إلى نفسها بالقوى والأسباب التي جرى بها الهواء والماء والشمس ونحوها

وهذا المعنى في الإنسان والحيوان واضح لا ريب فيه وهو الرزق الذي يتوقف عليه بقاء أنواع الحيوان من غير فرق في ذلك بينها أصلاً والرزق مما لا يستغني عنه موجود في بقائه وقد خلق الله تعالى هذه الأشياء لبقاء ما قد خلق لها أرزاق واستناد البقاء إليه جل وعلا يوجب استناد الرزق إليه من غير شك

قال الله تعالى «وفي السماء رزقكم وما توعدون» (الذاريات ٢٢).

فكون الرزق بهذا المعنى مرآة تكوينية غير مرتبط بعالم التكليف كالشمس في رابعة النهار فان الحدوث والبقاء وكل منهما امور تكوينية بلا امراء

والفقر والغنى وقلة المال وكثرته ليست بسعي كثير من العباد وان كان السعي سبباً ولكن على نحو العلة الناقصة متممها إرادة الله تعالى ومشيئته إذ كم من مواضع سعي فلا مال يمال فيموت فقيراً وكم من قاعد لم يسع كثير فليس معنى ذلك أن لا سعي للانسان في حياته بل حثه السعي وقال الله تعالى «وان ليس للانسان الا ما سعى» (النجم ٣٩).

ولكن ليس سعيه علة مستقلة

قال الله عز وجل «أولم يروا أن الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر» (الروم ٣٧) وفيها دليل واضح على كون الفقر والغنى بحكمة الله تعالى حيث بسط بحكمته على الانسان: «ان في ذلك لآيات لقوم يؤمنون» ومن هذا الشاعر

لقد ألان وطيء عيش لجهله ... فاشدد لك ان حكيم تم

وقال آخر

كم من أريب فهم قلة ... مستكمل العقل معدم

ومن جهول مكثر ماله ... ذلك تقدير العزيز العليم

فلا يعرف ذلك الا من آمن بان تقدير العزيز العليم وعلى هذا أمر الله تعالى رسوله ﷺ بالانفاق بعد ذكر حديث البسط والقبض بقوله «فلا ينبغي للانسان أن يتوقف في الانفاق بتوهم ان البسط له دائم وان القبض لا ينفق بالانفاق كما اذا قدر وقبض لا يريد الانفاق فليتذكر ان الله هو القابض والباسط فليتق الله في حقه والمسكين وابن السبيل ذلك خير للذين يريدون وجه الله وأولئك هم المفلحون» (الروم ٣٨).

وقال الشاعر.

اذا حادت الدنيا عليك فجدها ... على الناس طراً انها تتقلب

فلا الجود يفنيها اذا هي اقبلت ولا البخل يبقيها اذا هي ذهبت

وفي العلل : باسناده عن عبد الله بن سليمان قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول ان الله عز وجل أوسع في أرزاق الحمقى لتعتبر العقلاء ويعلموا ان الدنيا لا تنال بالعقل ولا بالحيلة

وفي شرح الحديد : أوحى الله تعالى إلى بعض انبيائه أتدري لم رزقت الاحمق ؟ قال لا قال ليعلم العاقل ان سبب الرزق ليس بالاجتهاد

وفي نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام من زاد عقله نقص حظه ومن جعل الله لاحد عقلا وافرا الا احتسب به عليه من رزقه

﴿ الحكمة واختلاف الناس في الرزق ﴾

إعلم أن الله تعالى قدّر لكل فرد من عباده رزقاً عرف قدره لحكمة من أفرادهم لمصالح ترجع إلى كل واحد وإلى المجتمع البشري

قال الله عز وجل ﴿ ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الأرض ولكن ينزل بقدر ما يشاء إنه بعباده خبير بصير ﴾ الشورى ٢٧

وذلك لأن الله سبحانه لو وسّع الرزق على عباده وسوّى بينهم وسواهم فيه لبغوا لنعمه وتنافسوا وتعالبوا وكان ذلك يؤدي إلى وقوع الفساد بينهم والقتل ونهب بعضهم على بعض كما نرى من المشاهد كثيراً من الأغنياء والأقوياء والأعياء لأن الفقير والعيي ولا يبالي القدير والفاجر وهكذا

ولكن الله جل وعلا قدّرهم على ما علم من مصلحتهم في عباده فوسع وقتر آخرين وإخراج بعضهم إلى بعض مسخراً بعضهم لبعض ولولا ذلك لما وقع المجتمع إذ لولا العيي والفقير والعالم والجاهل والقدير والفاجر لكان المجتمع أشبه شيء أفراده لم يوجد حتى ولا يتآلف ولا يتحاط ولا يتساعد ولا يتعاونه ولا يتراحم ولا يتواسى ولا يرؤس فيحترف العالم والمعلم ليعلم لأن كل بعيي يحتاج إلى أحلى العلم وأفضله في حياته

فاقتضت الله تعالى حكمته وإخراج الآخرين لم يكن يسخر منه سبحانه على عباده ولا يعجزه عن إغناء الجميع ولا يعدم في خزائنه مع كون الإنسان مفطوراً بالطبع فاقداً وجد العيي والقدرة ليطغى ﴿ كلا إن الإنسان ليطغى أن رآه استغنى ﴾ العلق ٦ ـ ٧)

في تفسير القمي : في قوله تعالى «ولو بسط الله الرزق لعباده لبغوا في الارض» قال الصادق عليه السلام: لو فعل لفعلوا ولكن جعلهم محتاجين بعضهم الى بعض واستعبدهم بذلك ولو جعلهم كلهم اغنياء لبغوا في الارض «ولكن ينزّل بقدر ما يشاء» مما يعلم انه يصلحهم في دينهم ودنياهم

وفي حديث : عن أبي ذر عن النبي صلى الله عليه وآله قال قال الله تعالى «انّ من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الاّ الفقر ولو أغنيته لافسده ذلك وانّ من عبادي المؤمنين من لا يصلح ايمانه الاّ الغنى ولو أفقرته لافسده ذلك انّي بعبادي خبير بصير»

«انّ الله تعالى يعلم أنّ عباده لا يطغون الّا بقدر وانه تعالى لو بسط لهم في الارض من نوع ما بسط في الآخرة من النعم لبغوا وطغوا ومن ثمّ جعل ارزاقهم في هذه الارض مقدّراً محدوداً بقدر ما يطيقون واستثنى قبضه المبسوط ليس يتحولون في بلاء لارض ويجتازون بمتجرها ويصلون إلى الدار الباقية سلام ليتبقوا فيض الله المذخور لهم بلا حدود ولا قيود ولا حساب

و قال «وان للمتقين لحسن مآب جنات عدن مفتّحة لهم الابواب ... ان هذا لرزقنا ماله من نفاد» ص: ٤٩-٥٤)

وقال «ومن عمل صالحا من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة يرزقون فيها بغير حساب» المؤمن: ٤٠)

ولفي إختلاف الناس في الرزق من الاعتبار بحال الغنى والحاجة وما فيه من صحة التكليف على المئونة كما قال تعالى «نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا» الزخرف: ٣٢).

وفي الخبر : «لا يزال الناس بخير ما تباينوا فاذا تساووا هلكوا»

وفي النهاية : لابن الاثير عن علي عليه السلام «لا يزال الناس بخير ما تفاضلوا فاذا تساووا هلكوا».

وذلك لان الناس لو كانوا كلهم ملوكا لم يكن ملك أصلا كما لو كانوا كلهم رعايا

لم تكن دعية أصلا.

وفي نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام: «وقدّر الارزاق فكثّرها وقلّلها وقسّمها على الضيق والسعة فعدل فيها ليبتلي من أراد بميسورها ومعسورها وليختبر بذلك الشكر والصبر من غنيّها وفقيرها ثم قرن بسعتها عقابيل فاقتها وبسلامتها طوارق آفاتها وبفرح افراحها غصص أتراحها وخلق الآجال فأطالها وقصّرها وقدّمها وأخّرها ووصل بالموت أسبابها وجعله خالجا لأنشطها وقاسما لمرائر اقرانها

قوله عليه السلام: «عقابيل» فروج صعبة تخرج بالشعة من نفاس المرض ووقتها فقرها «وطوارق آفاتها» متجددات المصائب «وبوادر اجتياحها» عمومها «وخالجا» جاذبا «ولأشطانها» الاشطان الحبال «ومرائر» جمع مرير وهو ما لطف وطال من الحبال واشتدّ فتله «واقرانها»: حبالها

وفي شرح الحديد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: «إن إعطاء هذا المال فتنة وإمساكه فتنة»

وفي الدر المنثور عن جرير بن عبد الله عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال: «الناس رجلان فموسّع عليه في الدنيا وموسّع عليه في الآخرة وموسع عليه في الدنيا ومقتر عليه في الآخرة ومقتر عليه في الدنيا وموسّع عليه في الآخرة ومقتر عليه في الدنيا والآخرة

وفي قرب الاسناد: باسناده عن إبن صدقة عن الصادق عليه السلام عن أبيه ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال: من عظمت عليه النعمة اشتدت مؤونة الناس عليه؟ قال هو قام بمؤونتهم احتمل زيادة النعمة عليه من الله وإن هو لم يفعل فقد عرض النعمة لزوالها

وفي البحار: بالاسناد عن عبد الرحمن بن الحجاج عن أبي الحسن موسى صلوات الله عليه قال: كان في بني اسرائيل رجل صالح وكانت له امرأة صالحة فرأت في النوم ان الله تعالى قد وقّت للتمتع العمر كذا وكذا سنة وجعل نصف عمرك في سعة وجعل النصف الآخر في ضيق فاختر لنفسك إما النصف الاول وإما النصف الآخر فقال الرجل:

ان لي زوجة صالحة وهي شريكتي في المعاش فأشاورها في ذلك وتعود الي

وحبرك فلما اصبح الرّجل قال لزوجته رأيت في النوم كذا وكذا؟ فقالت له فلان إختر النصف الاول وتحمّل العافية لعلّ الله سيرحمنا ويتمّم لنا النعمة فلمّا كان في الليلة الثانية أتى الاعمى فقال ما اخترت؟ فقال اخترت النصف الاوّل فقال ذلك لك وفضلت الدنيا عليه من كل وجه.

ولما ظهرت نعمته قال لزوجته قرّت عينك والمحتاجون فضلهم وبرّهم حتى رأوك فلان فهمهم فلمّا مضى نصف العمر وجاء حدّ الوقت رأى الرجل الذي رآه أوّلا في النوم فقال له ان الله تعالى قد شكر لك ذلك وذلك تمام عمرك سبعة مثل ما مضى

« الرزق والكفاف والرضا »

وما يوجب الرضا عن الرزق وان قلّ هو ذكر الموت والرضا هو المانع من الحزن على ما فوت ومن اكتساب الحرام والخوض في الفجور.

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام - ومن رضي برزق الله لم يحزن على ما فاته - ومن اكثر من ذكر الموت رضي من الدنيا باليسير

أقول:

يعدل الحزن على المنافع لديمومته سمّ يريده الرضا بالقضاء

ويقال: إذا أحببت ألاّ تجد أحداً فاكثر ذكر الموت

وفي تحف العقول: ومن وصية الامام علي عليه السلام لابنه الحسن المجتبى عليه السلام الله قال: من رضي من الدنيا بما يجزيه كان أيسر ما فيها يكفيه ومن لم يرض من الدنيا بما يجزيه لم يكن فيها شيء يكفيه

وفي الكافي باسناده عن الهيثم بن واقد عن أبي عبدالله عليه السلام قال: من رضي من الله باليسير من المعاش رضي الله منه باليسير من العمل

وفيه: باسناده عن عمرو بن أبي المقدام عن أبي جعفر عليه السلام قال: مكتوب في التوراة إن آدم لما كف شئت كف تندم ندامة، من رضي من الله بالقليل من الرزق قبل الله منه اليسير من العمل ومن رضي باليسير من الحلال خفّت مؤونته وزكت مكسبته وخرج من حدّ الفجور»

وفيه: باسناده عن محمد بن عرفه عن أبي الحسن الرضا عليه السلام قال: من لم يقنعه من الرزق إلاّ الكثير لم يكفه من العمل إلاّ الكثير ومن كفاه من الرزق

القليل فانه يكفيه من العمل القليل.

وفي نهج البلاغة قال الامام علي عليه السلام في ذكر حسان بن الارت - يرحم الله حسان بن الارت فلقد أسلم رغبا وهاجر طائعا وقنع بالكفاف ورضي عن الله وعاش مجاهدا.

وعن لبن ذكر المعاد وعمل لنجاة وقنع بالكفاف ورضي عن الله.

أقول حسان بن الارت بن جندله كان في الجاهلية قينا حدادا يعمل السيوف وهو قديم الاسلام، قيل انه كان سادس ستة وشهد بدرا وما بعدها من المشاهد وهو معدود في المعذبين في سبيل الله تعالى، سئله عمر بن الخطاب أيام خلافته ما لقيت من أهل مكة؟ فقال تعمر إلى ظهري فنظر فقال ما رأيت كاليوم ظهرا حسان أقطا حسان أو ما رأيت أوجعت عليها فما أطفأها إلا ودك ظهري.

وهو من الذين اشتراهم سبع نعم بمكة فاشتراه أبو بكر فاعتاقه.

وورد حسان إلى الكوفة ومات بها سنة سبع وثلاثين وقيل تسع وثلاثين بعد أن شهد مع الامام أمير المؤمنين عليه السلام صفين ونهروان وصلى عليه علي عليه السلام وكان سنه يومذاك ثلاثا وستين سنة ودفن بظهر الكوفة وهو أول من دفن بظهر الكوفة وعبد الله بن حسان هو الذي قتلته الخوارج فاحتج علي عليه السلام به وطلبهم بدمه.

وفي أعلام الدين عن الصادق عليه السلام قال إذا أحب الله عبدا ألهمه الطاعة والزمه القناعة وفقهه في الدين وقواه باليقين فاكتفى بالكفاف وإكتسى بالعفاف وإذا أبغض الله عبدا حبب اليه المال وسلط عليه وألهمه دنياه ووكله الى هواه فركب العناد وسفك الفساد وظلم العباد.

وفيه قال رسول الله صلى الله عليه وآله أن أفضل الناس عند أحد من الدين الكفاف وصاحب فيها العفاف وتزود للرحيل وتأهب للمسير.

وفي صحيفة السجادية في دعاء الامام زين العابدين عليه السلام - : واجعل

ما صرحت به من عدلك في وحيك واتسعه من قسمك في كتبك قاصداً لاهتضام بالرق الذي تكفلت به وحسماً للاشتغال بما صمنت الكفاية له فقلت وقولك الحق الأصدق وأقسمت وقسمك الأبر الأوثق «وفي السماء رزقكم وما توعدون» ثم قلت «فورب السماء والأرض انه لحق مثل ما أنكم تنطقون»

أقول: مستفاد من قوله تعالى «يا أيها الذين قل لأزواجك ان كنتن تردن الحياة الدنيا» الآيات (٢٨) الآية

ان رسول الله ﷺ إختار لنفسه ولأهل بيته معيشة الكفاف لا عدماً عن حسبة المتاع إذ فتحت له الأمر وكثرت عليه وعلى أهله واغنى من لم يكن له من مال ولا ولد ومع هذا فقد كان لنبي الله صفي ولا بد في نبوته ورسالته جوده بالصدقات والصلات والهبات والهدايا وكان ذلك لاستعلاء على متاع الحياة الدنيا ورغبة خالصة فيما عند الله عز وجل الذي يملك الكثير بعفو ويستغني ويحسن ولم يكن رسول الله ﷺ مكلفاً من عنده ولا في سريرته أن يعيش مثل هذه المعيشة التي أحدها نفسه وأهل بيته

فلم يكن الطيبات محرمة في عقيدته وشريعته ولم يحرمها على نفسه إذ كانت تقدم إليه عفواً بلا تكلف وتحصل بين يديه مصادفة وتأتيه لاحتراف ولا تشهياً لها ولا إنهماكاً فيها ولا إشتغالا بها

ولم يكلف أمته كذلك أن يعشوا عيشته التي اختارها لنفسه إلا أن يجتهد من يريد إستعلاء على الفوائد والمتاع والانطلاق من ثقلتها إلى حيث الحرية التامة من رغبات النفس وميولها وفي ذلك درس لمن لم يلاحظوا المسلمين بدرسهم فقال رسول الله الحاكم ﷺ لأزواجه حيث طلبن منه ما تشتهيه الأنفس

﴿ الدعاء ورزق الدنيا والآخرة ﴾

وقد جاءت آيات قرآنية وروايات عديدة تحث الانسان في طلب رزق الدنيا والآخرة من الله تعالى بالدعاء ـ وذلك لأنه هو المقدر لرزق كل واحد من افراد الانسان وبيده تعالى قد له في هذه الحياة الدنيا لامحاله قبل أن يموت لما جاء فيها ان الله تعالى فضلا ينبغي لكل عبد أن يطلبه منه جل وعلا إذ قال « واسئلوا الله من فضله » النساء : ٣٢)

فندعوه تعالى أن يرزقنا رزقاً حلالا ويحفظه عما يوجب الحرمان منه والارتزاق من الحرام وأن يزيدعليه بفضله ورزقه رزقاً حسناً في الآخرة بالايمان وصالح العمل في الحياة الدنيا

ومن الآيات الكريمة قوله تعالى « ان الذين تعبدون من دون الله لا يملكون لكم رزقا فابتغوا عندالله الرزق واعبدوه واشكروا له إليه ترجعون » العنكبوت ١٧)

وقوله تعالى « رجال لاتلهيهم تجارة ولابيع عن ذكر الله واقام الصلاة وايتاء الزكاة يخافون يوماً تتقلب فيه القلوب والابصار ليجزيهم الله أحسن ما عملوا ويزيدهم من فضله والله يرزق من يشاء بغير حساب» النور ٣٧ ـ ٣٨)

وفي التهذيب باسناده عن أبي بصير عن أبي عبدالله عن آبائه عليهم السلام قال « إذا فرغ أحدكم من الصلاة فليرفع يديه إلى السماء وليبسط في الدعاء ، فقال ابن سنان يا أمير المؤمنين ! أليس الله في كل مكان ؟ قال بلى ، قال فلم يرفع يديه إلى السماء ؟ فقال : أما تقرء « وفي السماء رزقكم وما توعدون »

فمن أين يطلب الرزق إلا من موضعه، وموضع الرزق ما وعد الله في السماء.

وفي قرب الاسناد: بإسناده عن ابن جعفر عن أخيه عليهما السلام قال: إذا عدوت في حاجتك بعد أن تصلي الغداة بعد التشهد فقل: اللهم إني عدوت ألتمس من فضلك كما أمرتني فارزقني من فضلك رزقاً حلالاً طيباً وأعطني فيما ترزقني العافية، تقول ذلك ثلاث مرات.

وفي مكارم الاخلاق: عن الصادق عليه السلام: اللهم إن كان رزقي في السماء فأنزله وإن كان في الأرض فأظهره وإن كان بعيداً فقربه وإن كان قريباً فسهله وإن كان قد أعطيتنيه فبارك لي فيه وحسبني عليه للمعاصي واقرني.

وفي المحاسن: عن الامام علي بن الحسين عليه السلام: اللهم لا أعلم لي موضعاً في شيء من طلبته بخطرت ببالي فيه فكرة في طلبه في البر والبحر وما هو حاول طالب كالحريص لا أدري في سهل أو في جبل أو في أرض أو في سماء أو في بحر أو في بر وعلى يدي من هو؟ ومن قبلي؟ وقد علمت أن علم ذلك كله عندك وأن أسبابه بيدك وأنت الذي تقسمه بلطفك وتسوقه برحمتك وتجعل رزقك لي واسعاً ومطلبه سهلاً وتأخذه قريباً ولا تعنيني بطلب ما لم تقدر لي فيه رزقاً وبارك لي فيه واصرفه عني عن عدائي وأنا إليك وإلى رحمتك فقير فجد علي بفضلك يا مولاي إنك ذو فضل عظيم.

أقول: رواه الصدوق في الفقيه مرسلاً عن الصادق عليه السلام مع تغيير الحمد من تعقيبات العشاء.

وفي الكافي: عن حفص عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال عيسى عليه السلام: اشتدت مؤونة الدنيا ومؤونة الآخرة أما مؤونة الدنيا فإنك لا تمد يدك إلى شيء منها إلا وجدت فاجراً قد سبقك إليه وأما مؤونة الآخرة فإنك لا تجد أعواناً يعينونك عليها.

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: واعجباً ممن يعمل للدنيا وهو يرزق فيها بغير عمل ولا يعمل للآخرة وهو لا يرزق فيها إلا بالعمل.

وفي أمالي ابن الشيخ: بإسناده عن حفص قال: سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول: قال عيسى بن مريم عليه السلام لأصحابه: تعملون للدنيا وأنتم ترزقون فيها بغير

عمل ولا تعملون للاخرة ثم لا ترجون فيها غير ذلك

ف الله تعالى ... والله يرزق من يشاء بغير حساب ، أي لا يرزق الله تعالى المؤمن على قد ... ته ولا الكافر على قدر كفره في نعيم الدنيا ، وانما يرزق في الاخرة فعلى قدر الايمان والعمل ، ويزيد على من يشاء من فضله فضل ... ق الدنيا للمؤمن والكافر والبر والفاجر والمطيع والعاصي فمن سعى وعمل كالات دنياه الموصلة اليها من طريق حلال ... ومن طريق حرام كالغش والاحتيال والسرقة والظلم والقتل

ولن ينال رزق الاخرة الا من آمن بالله تعالى ورسوله وما جاء به وعمل عملا صالحا

وفي ثواب الاعمال ... باسناده عن الصادق عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ ان الله عز وجل ليعطي على العمل ما لا يعطي على الثواب

وفي الموحد ... باسناده عن أبي عبدالله ﷺ في حديث مع بعض الزنادقة قال فما الفرق بين أن يرفعوا أيديهم الى السماء وبين أن يخسف بهم نحو الارض

قال أبو عبدالله ﷺ وذلك في علمه وحكمته وقدرته سواء والله عز وجل أمر أنبياءه وعباده برفع ايديهم الى السماء نحو العرش لأنه جعله معدن الرزق

وفي قرب الاسناد : باسناده عن الباقر ﷺ قال قال رسول الله ﷺ من طلب من الله حلالا فاعفا وجه وتعفف على عياله لقي الله عز وجل وهو عليه راض

قوله ﷺ وتعفف أي صبر عليه

وفي الكافي ... باسناده عن معاوية بن عمار قال سألت أبا عبدالله ﷺ أن يعلمني دعاء الرزق فعلمني دعاء ما رأيت أحدا يدعو به قال قل اللهم ارزقني من فضلك الواسع الحلال الطيب رزقا واسعا حلالا طيبا بلاغا للدنيا والاخرة صبا صبا هنيئا مريئا من غير كد ولا من أحد من خلقك الا بسعة من فضلك الواسعة فانك قلت وسئلوا الله من فضله ، فمن فضلك أسئل ومن عطيتك أسئل ومن يدك الملاء أسئل

﴿ الرزق من حيث لا يحتسب ﴾

قال الله تعالى: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره قد جعل الله لكل شيء قدراً ﴾ (الطلاق ٢ ـ ٣)

في مكارم الأخلاق: من موعظة النبي ﷺ لأبي ذر الغفاري رضي الله عنه: يا أبا ذر لو أن الناس كلهم أخذوا بهذه الآية لكفتهم: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ومن يتوكل على الله فهو حسبه إن الله بالغ أمره ﴾

وفي الكافي: بإسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أبى الله عز وجل إلا أن يجعل أرزاق المؤمنين من حيث لا يحتسبون

وفيه: عن الأحمسي عن بعض أصحابنا قال: كنا نرجو أن يعفى عن فلان فمات فجزع عليه فقال موسى بن عمران عليه السلام لأخيه هارون اذهب فكلم ملك الموت عز وجل في عبده فذهب فكلمه فقال له ملك الموت عز وجل إنا لا نقبض روح عبد حيث يريد بل حيث يريد العبد أن لا نقبض روحه فإن العبد ربما نظر إلى الشيء قد أعجبه فيقول يا رب أخر أجلي حتى أبني داري وأغرس شجري وإن العبد ربما نظر إلى الشيء يكرهه فيقول يا رب عجل موتي حتى يستريح جسدي فإذا رأى العبد ذلك فليرض بقضائي وليسلم لأمري فإن رأيه لا يكون أفضل من قضائي.

وفيه: بإسناده عن علي بن عبد العزيز قال: قال أبو عبد الله عليه السلام: ما فعل عمر بن مسلم؟ قلت: حبس فقال: أما إني أعلم أنه سيخلى عن نفسه ويترك لتجارته فقال: وجدته أما علم أن تارك الطلب لا يستجاب له؟ قد كان من أصحاب رسول الله ﷺ لما نزلت: ﴿ ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب ﴾

اعلقوا الأبواب وأقبلوا على العبادة وقالوا قد كفينا فبلغ ذلك النبي ﷺ فأرسل إليهم فقال: ما حملكم على ما صنعتم؟ قالوا: يا رسول الله تكفل لنا

بأرزاقنا فاقبلنا على العبادة فقال انّه من فعل ذلك لم يستجب له عليكم بالطلب

وفي البحار : عن النبي ﷺ قال أبى الله أن يرزق عبده الاّ من حيث لايعلم، فان العبد اذا لم يعلم وجه رزقه كثر دعاؤه

وفي أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه باسناده عن علي بن السري قال سمعت أبا عبدالله الصادق عليه السلام يقول إنّ الله عزّوجل جعل أرزاق المؤمنين من حيث لم يحتسبوا وذلك انّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه

وفي التوحيد : باسناده عن الامام علي بن الحسين عن أبيه عليهما السلام قال إنّ الله عزّوجلّ جعل أرزاق المؤمنين من حيث لايحتسبون وذلك انّ العبد إذا لم يعرف وجه رزقه كثر دعاؤه

وفي أعلام الدين : للديلمي عن النبي ﷺ قال ما من مؤمن إلاّ وله بابٍ يصعد منه عمله وبابٍ ينزل منه رزقه

وفي البحار : عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ما سدّ الله على مؤمن رزقاً بابه من وجه إلاّ فتح له من وجه آخر فأتاه إن لم يكن له في حسابه

وفي تحف العقول : قال رسول الله ﷺ : انّما تكون الضيعة إلى ذي دين أو ذي حسب، وجهد الضعفاء الحج وجهاد المرأة حسن التبعل لزوجها والتودد بصنف الدين وما ملك امرء قط على اقتصاد وستر لو افترق لتصدق أبى الله أن يجعل رزق عباده المؤمنين من حيث يحتسبون

وفي أمالي الصدوق رحمه الله تعالى عليه باسناده عن الصادق عليه السلام قال من همّ بترك كتب عليه خطيئة، انّ دانيال كان في زمن ملك جبّار عات أخذه فطرحه في جبّ وطرح معه السبع فلم تدنوا منه ولم تجرحه فأوحى الله إلى نبي من أنبيائه أن إئت دانيال بطعام قال وأين دانيال؟ قال تخرج من القرية فيستقبلك سبع فاتبعه فانه يدلّك، فأتت به السبع إلى ذلك الجب فاذا فيه دانيال فأدلى اليه الطعام، فقال دانيال الحمد لله الذي لايسى من ذكره الحمد لله الذي لايخيب من دعاه الحمد لله الذي من توكل عليه كفاه الحمد لله الذي من وثق به لم يكله

الى عبده الحمدلله الذى يجزى بالاحسان احساناً وبالصبر نجاتاً ثم قال الصدق عليه السلام: ان الله أبى أن يجعل أرزاق المتقين من حيث لا يحتسبون وان لا يقبل لاوليائه شهادة فى دولة الظالمين

وفى تفسير القمى باسناده عن محمد بن مسلم قال: سئلت أبا عبدالله عليه السلام عن قول الله عزوجل: «ومن يتق الله يجعل له مخرجاً ويرزقه من حيث لا يحتسب» قال: فى دنياه.

﴿ ما يزيد في الرزق ﴾

وقد سبق انّ لكل نفس رزقاً مقدّراً عند الله جل وعلا ينال به في الحياة الدنيا كافراً كان أو مؤمناً فاجراً أم براً مطيعاً أو عاصياً

ولكن هناك أصول قد ترد على الرزق يستطيع العبد أن يتقاه بها حسب امور على ما جاءت به الآيات القرآنيه والروايات الشريفه الآتيه

١ ـ حسن ثقة العبد بالله تعالى بأنه رازق رحيم رؤف بعباده وانه لا يغير نعمة أنعمها عليهم حتى يغيروا ما بأنفسهم

٢ ـ الحمد والشكر

٣ ـ الاستغفار

٤ ـ الدعاء وطلب الصلوات

٥ ـ العدل والقسط بين الناس سواء كانوا من أفراد الاسرة أم المجتمع

٦ ـ الصدق

٧ ـ أداء الامانة

٨ ـ كف الاذى عن الناس

٩ ـ حسن الجوار

١٠ ـ دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب .

١١ ـ صلة الرحم .

١٢ ـ الصدقة والبر في وجوه الخير .

١٣ ـ الاذان واتباع المؤذن في أذانه .

١٤ ـ الوقار والسكينة

١٥ ـ غسل الاعضاء وكسح الفناء

١٦ ـ السعر المباح

١٧ ـ النكاح والتزويج

في الكافي باسناده عن أبي الوليد حسن بن زياد الصيقل قال قال أبو عبدالله عليه السلام من صدق لسانه زكى عمله ومن حسنت نيته زيد في رزقه ومن حسن بر بأهل بيته مد له في عمره.

وفي كشف الغمة عن مالك بن أنس قال قال جعفر بن محمد عليه السلام يوماً لسفيان الثوري يا سفيان ما أنعم الله على عبد نعمة فحسنت بقاءها فاكثر من الحمد والشكر على الله، فان الله عز وجل في كتابه العزيز: «ولئن شكرتم لازيدنكم» واذا استطال الرزق فاكثر من الاستغفار فان الله عز وجل قال في كتابه «استغفروا ربكم انه كان غفاراً يرسل السماء عليكم مدرارا ويمددكم بأموال وبنين» يعني في الدنيا «ويجعل لكم جنات» يعني في الاخرة.

يا سفيان إذا حزبك أمر من سلطان وغيره فاكثر من قول «لاحول ولاقوة الا بالله» فانها مفتاح الفرج وكنز من كنوز الجنة.

وفيه عن ابن أبي حازم قال كنت عند جعفر بن محمد عليه السلام اذا جاءه آت فقال سفيان الثوري بالباب فقال إئذن له فدخل فقال له جعفر عليه السلام: يا سفيان بئسما دخلك السلطان وما أتى السلطان فهو خارج عن مروءته فقال سفيان: حدثني حتى اسمع وأقوم فقال جعفر عليه السلام حدثني أبي عن جدي ان رسول الله صلى الله عليه وآله قال من أنعم الله عليه نعمة فليحمد الله ومن استطال الرزق فليستغفر الله ومن حزبه أمر فليقل لاحول ولاقوة الا بالله.

فلما قام سفيان قال جعفر عليه السلام احدها يا سفيان ثلاثاً واثنان ثلاث

وفي الكافي باسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام في قوله تبارك وتعالى «ويستجيب الذين آمنوا وعملوا الصالحات ويزيدهم من فضله».

قال هو المؤمن يدعو لاخيه بظهر الغيب فيقول له الملك آمين، ويقول الله العزيز الجبار ولك مثلا ما سألت وقد أعطيت ما سألت لحبك اياه

وفيه باسناده عن عبدالله بن سنان عن أبي عبدالله عليه السلام قال دعاء المرء لاخيه بظهر الغيب يدر الرزق ويدفع المكروه

وفيه باسناده عن ابراهيم بن أبي رجاء عن أبي عبدالله عليه السلام قال حسن الجوار يزيد في الرزق

وفيه باسناده عن الحكم الحيط قال قال أبو عبدالله عليه السلام: حسن الجوار يعمر الديار ويزيد في الاعمار

وفي البحار قال الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام لرجل: أحدث شعراً يحدث الله لك رزقاً وأثرم ما عودت منه الخير

وفي أمالي المفيد قدس سره باسناده عن محمد بن هلال قال قال جعفر بن محمد الصادق عليه السلام اذا كانت لك حاجة فاغد فيها فان الارزاق تقسم قبل طلوع الشمس وان الله تعالى يدر لهذه الامة في بكورها وتصدق شيء عند البكور فان البلاء لا يتخطى الصدقة

وفي شرح الحديد قال عمر بن عبد العزيز الصلاة تبلغك نصف الطريق والصوم يبلغك باب الملك، والصدقة تدخلك عليه

وفي نهج البلاغة قال عليه السلام إلهي كف لا يحسن مني الظن وقد حسن منك المن إلهي ان عملتساءة لك لم تمنع لك حسنة وان أنت غفرت لم يمنع لسيئة

وفي البحار عن النبي صلى الله عليه وآله قال اكثروا الاستغفار فانه يحلب الرزق وقال صلى الله عليه وآله: من حسنت نيته زيد في رزقه

وفي الخصال عن أبي عبدالله عليه السلام قال عشر الاباء وكسح الفناء يجلب الرزق

وفي التوحيد باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال كف الاذى وقلة الصخب يزيدان في الرزق

قوله عليه السلام الصخب إختلاط الاصوات والصياح الشديد.

وفيه: باسناده عن داود بن سليمان الفراء عن علي بن موسى الرضا عليه السلام عن أبيه عن آبائه عن علي عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله لتوحيد نصف الدين واستنزل الرزق بالصدقة

وفي تحف العقول: عن الامام موسى بن جعفر عليه السلام قال: أداء الامانة و الصدق يجلبان الرزق، والخيانة والكذب يجلبان الفقر والنفاق

وفيه: عن الامام أبي جعفر محمد بن علي الباقر عليه السلام قال: من صدق لسانه زكى عمله ومن حسن نيته زيد في رزقه ومن حسن بر بأهله زيد في عمره

وفي عدة الداعي: قال الصادق عليه السلام من سره أن يبسط له في عمره ويسعد له في رزقه فليصل رحمه وليبر والديه وليتعهد من طاعة الله

وفي الكافي باسناده عن أبي حمزة قال قال أبو جعفر عليه السلام صلة الارحام تزكي الاعمال وتنمي الاموال وترفع البلوى وتيسر الحساب وتنسي في الاجل

وفيه باسناده عن أبي حمزة عن أبي عبدالله عليه السلام قال صلة الارحام تحسن الخلق وتسمح الكف وتطيب النفس وتزيد في الرزق وتنسي في الاجل

قوله عليه السلام «تسمح» الخ أي تجعله سمحا بالجود وتسهله إلى الانفاق مختارا لصدوره منها عالما. وقوله عليه السلام «تطيب النفس» أي تجعلها سمحة بالبذل والعفو والاحسان

وفيه باسناده عن سعيد بن هلال قال قال لي أبو عبدالله عليه السلام إن آل فلان مر بعضهم بعضا وتواصلون فقلت إنا نصل أموالهم فنسمن أموالنا فقال لا ما زالوا في ذلك حتى يتقاطعوا فاذا فعلوا ذلك انقشع عنهم أي انكشف وزال عنهم الاموال والانفس عنهم

وفيه باسناده عن أبي عبدالله عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن القوم ليكونون فجرة ولا يكونون برة فيصلون أرحامهم فتنمى أموالهم وتطول أعمارهم فكيف إذا كانوا أبرارا برة

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام من عمل بالعدل فيمن دونه ورق العدل ممن فوقه.

وفي العلل بسناده عن سليمان بن جعفر قال: قلت لابي الحسن موسى عليه السلام لأيّ علة يستحبّ للانسان اذا سمع الاذان أن يقول كما يقول المؤذّن وإن كان على البول والغائط؟ قال: إنّ ذلك يزيد في الرزق

وفي مكارم الاخلاق في صلة الرحم عن الرضا عليه السلام قال: شكى رجل الى أبي عبد الله عليه السلام الفقر، فقال: أذّن كلّما سمعت الاذان كما يؤذّن المؤذنون وغيرها من الروايات

ولا يخفى على الفاضل الخبير أنّ لكلّ واحد من الامور أثراً في تزييد الرزق لا بدّ من البحث فيه تركناه للاختصار.

﴿ ما ينقص به الرزق ﴾

وقد جاءت آيات كريمة و روايات عديدة ان أموراً توجب نقص الرزق المقدر فيصرف ويمحى عن الانسان.

أي قد يكون تقتير الرزق بسبب الذنب تعوبه أو لتحقير معصيته

ولنس هذا كثيراً بل هو بالنسبة الى غير المستدرجين قليل كثيراً من أصحاب الكبائر يوسع عليهم في أرزاقهم او يبقى عليهم الرزق الحلال فيعمون في الحرام ومن جملة أسباب قلة المعيشة ترك الشكر وسوء السيرة والكذب والفحش لنفرة الناس عنه وعن معاملته وما اليها من الامور يجمعها كلمة الذنب والمعصية

و أوضح دليل على ذلك هو قصة آدم عليه السلام وحواء في الجنة إذ أكلا فحرما.

في الكافي باسناده عن الحسين بن بشار عن أبي جعفر عليه السلام قال: ان العبد ليذنب الذنب فيردى عنه الرزق

وفيه باسناده عن أحمد بن محمد عن بعض رجاله قال: قال من فحش على أخيه المسلم نزع الله عنه توفيقه و وكله الى نفسه وأفسد عليه معيشته

أقول: المعصوم المروى عنه غير معلوم واحتمل ان يكون احمد بن محمد هو الزعفراني والمروى عنه هو الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام

وفي عقاب الاعمال باسناده عن الحسين بن سالم عن أبي عبدالله عليه السلام قال ايما نابت نشأ في قومه ثم لم يؤدب على معصيته فان الله اوشك يعجلهم به أن ينقص من أرزاقهم.

وفيه باسناده عن عبدالله بن بكير بن محمد الازدي عن بعض عبدالله عليه السلام قال

انّ المؤمن لينوى الذنب فيحرم رزقه.

وفي العلل باسناده عن الحسين بن الحسن الكندي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ الرجل ليكذب الكذبة فيحرم بها صلاة الليل فاذا حرم صلاة الليل حرم بها الرزق

وفي الخصال عن الامام أمير المؤمنين عليه السلام قال: اعتياد الكذب يورث الفقر

وفي الدر المنثور عن ابن مسعود قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إيّاكم والكذب فانّه مجانب للايمان وانّ العبد ليكذب الكذبة فينسى بها الذنب من العظم وانّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به قيام الليل، وانّ العبد ليذنب الذنب فيحرم به رزقاً قد كان هيّئ له ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وآله «وكأين من دابّة لا تحمل رزقها الله يرزقها وإيّاكم وهم يأثمون فأصبحت كالصريم» قد حرموا خير حنتهم بذنبهم

وفي تفسير البرهان عن العلل عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ الرجل ليذنب الذنب فيدرأ عنه الرزق وتلا هذه الآية «وإذ أقسموا ليصرمنها مصبحين ولا يستثنون فطاف عليها طائف من ربك وهم نائمون»

وفي المحاسن: عن بكر بن محمد الازدي عن أبي عبدالله عليه السلام قال: انّ المؤمن لينوى الذنب فيحرم الرزق

وفي الكافي: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبدالله عليه السلام قال: سمعته يقول: إنّ الذنب يحرم العبد الرزق

وفيه: باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي جعفر عليه السلام قال: انّ العبد يسئل الله الحاجة فيكون من شأنه قضاؤها الى أجل قريب أو الى وقت بطيء فيذنب العبد ذنباً فيقول الله تبارك وتعالى: للملك لا تقض حاجته واحرمه اياها فانّه تعرّض لسخطي واستوجب الحرمان منّي

وفي شرح الحديد: قال الامام علي عليه السلام: انّ العبد ليحرم نفسه الرزق الحلال بترك الصبر ولا يزداد على ما قدّر له

وفي المحاسن باسناده عن أبي حمزة عن أبي جعفر عليه السلام قال: سمعته يقول: ما من سنة أقل مطراً من سنة ولكن الله عز وجل يضعه حيث يشاء، ان الله اذا عمل قوم بالمعاصي صرف عنهم ما كان قدره لهم من المطر في تلك السنة الى غيرهم وفي القفر والبحار وليحدث الله ليعدل الجبل في حجرها يحبس المطر عن الامم التي هي بمحنتها لحصدها من بحيرتها وقد جعل الله له السبيل الى مسلك سوى محله أهل المعاصي، قال ثم قال أبو جعفر عليه السلام واعتبروا يا ولي الابصار.

﴿ الرزق والتوحيد ﴾

ومن أوضح دليل على وحدانية الله تعالى هو اختلاف الناس في الرزق على أنحائه ومن غير مرية ، ان كل انسان يريد أن يقتني من الارزاق ولكنه لا ينال بما أراد ولا يتيسر لاحد جميع ما يتمناه ويرتضيه ، وكم من مريد كثيراً ما نال بقليل وكم من مقل نال بكثير بما ما أراد

فلو كان الرزق بيد الانسان أو بالصدفة لم وجد معدم فقير في شيء من الارزاق بل لم يختلف إثنان فيها واختلافهم فيها دليل قاطع وبرهان واضح على أن الرزق بيد خالق العالم وحده ومشيئته بعد ما دل على وجوده وحده

قال الله تعالى « أو لم يروا ان الله يبسط الرزق لمن يشاء ويقدر ان في ذلك لايات لقوم يؤمنون » الروم : ٣٧)

فكما أنت لا تستطيع أن تزيد في حسنك ولا في حياتك كذلك لا تستطيع أن تزيد في رزقك فلا تتعب نفسك في طلب الرزق لان في القبض والبسط لايات دالة على وحدانية الله تعالى لقوم يستدلون بها على وجوده وكمال قدرته وسعة علمه وبهاء حكمته في تدبير أمره

نعم قال ابو بكر محمد بن دريد

فكم قوي قوي في نقاشه ... مهذب الرأي عنه الرزق ينحرف

وكم سفيه ضعيف في تقلبه ... كأنه من خليج البحر يغترف

هذا دليل على أن الاله له ... في الخلق سر خفي ليس ينكشف

سئل بعض المحققين : ما الدليل على أن للعالم صانعاً واحداً ؟ قال : ثلاثة

أشياء: ذل اللبيب، وفقر الاديب، وسقم الطبيب.

وقال بعض الظرفاء علمنا الفقر فاستفدنا الغنى وطلب الناس الغنى فاستفادهم الفقر.

فينبغي لكل عاقل أن يشكر قليله ان أراده الله جل وعلا له من الرزق ورضي ما رضاه قليلا أو كثيراً ولا يطلب ما يطغيه أكثر الناس ولا يترك ما يلزم طلبه

ومن غير هذا ان الرزق الذي سأل به الانسان أو يكتسبه متوقف على آلاف من الاسباب والشرائط وليس الانسان الذي يراه لنفسه إلا احد تلك الاسباب، ولا السبب الذي يركن اليه ويعتمد به نفسه إلا بعض تلك الاسباب

وعامة الاسباب منتهية إلى الله القادر المتعال وهو الذي يعطي ويمنع وهو الذي يبسط ويقدر وهو الذي يوسع ويضيق

اللهم وفقنا لحلالك الطيب وجنبنا عن الحرام بحق محمد وآله الطيبين صلواتك عليهم أجمعين

﴿ السماء و حقيقتها ﴾

قال الله تعالى ﴿ والسماء ذات الحبك ﴾ والسماء بنيناها بأيد وإنا لموسعون ﴾ (الذاريات ٧ ٤٧)

السماء لغة السمو لغة

قال الله تعالى ﴿ ولقد جعلنا في السماء بروجا وزينها للناظرين ﴾ (الحجر ١٦)

﴿ ... وأوحى في كل سماء أمرها وجعلنا فيها سراجا ﴾ (فصلت ١٢)

﴿ ... زينا السماء الدنيا بزينة الكواكب ﴾ (الصافات : ٦)

﴿ ... زينا السماء الدنيا بمصابيح وحفظا ﴾ (فصلت ١٢)

﴿ ... وأقوم يصعدون إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينا ﴾ (ق ٦)

﴿ ... والسماء ذات الروج ﴾ (البروج ١)

اختلف المفسرون في حقيقة السماء على أقوال كثيرة

فمنهم من يقول : كل شيء كان فوقك شيء فهو لك سماء ، لذلك سمي سقف البيت سماء لعلوه ، فسميت السماء سماء لعلوها على الأرض وعلو مكانها من خلقه

ومنهم من يقول : السماء هي الجو الواسع فوق رؤوس الناس فوقه وهو ذو طبقات أو جهات علوي يدخل فيها صفات الجو ولذلك سميت السماء

ومنهم من يقول : السماوات إنما هي مجموع جهة العلو على ما فيها من أجرام الجو والأرض كالنهار والهواء الستر كم فوق الأرض والسحاب والغمام

وفيها جميعاً مرفوعة على الأرض وإليها تهوي كالسقف لها وهذه الأجرام والكواكب كلها تحت السموات فمعنى هذا ما شاهدوه من السماء الأولى والسماوات التي لا يرى فوقهذه السماء ما في الأرض من الرسم وسماء فوق السماء التي بعدها خلاء فيها حتى ذلك

ومنهم من يقول: الأجلاء سبعة والخلاء الذي بعدها منها فما بعض جعلت للاستحكام

ومنهم من يقول: إن السماء التي سماء خلاء فيطلع كل خلاء أرض فوقها سماء وهي سقف الأرض وهذه السماء التي بعدها من السماوات هي كالمسامير التي فيها سماء

وقال المجلسي رضوان الله تعالى عليه في البحار: «ما خطر ببالي القاصر وهو ان يكون جميع الافلاك الثمانية التي اثبتوها لجميع الكواكب فلكاً واحداً سمي بالسماء الدنيا ويكون غيرها ست سموات اخر غير مكوكبة كما انهم يثبتون لكل من الكواكب افلاكاً كثيرة حرثيه ويعدّون الكلّ فلكاً واحداً كلياً فلا ينافي من اصولهم وانما يخالف مصطلحهم ولاعبرة بمخالفة الاصطلاح».

وذهب الفلكيون الاقدمون الى ان السماء جرم محسوس وان الكواكب مثبتة فيه

وذهب الفلكيون المحدثون الى أن السماء هي الفضاء الذي فوقنا مما لا يحدّه التصور تسبح الكواكب فيها سبحاً بلا ماسك لها إلا قدرة الله تعالى

اقول: ما جاء في الآيات الكريمة والروايات الشريفة من بناء السماء ورفعها بغير عمد ترونها وإمساكها وقيامها بأمر الله تعالى وكشطها وكونها سقفاً محفوظاً، وكونها سبع طرائق، وكونها طباقاً، وكون السماء الدنيا مزينة بزينة الكواكب ومن البعد بين سماء وسماء وما رأى رسول الله ﷺ ليلة المعراج في كل سماء، ومن اشقاقها وانفطارها وانفراج ابوابها وما اليها كلها تدل على انها فلك محيط علينا وعلى أرضنا شامل لسائر الاجرام من غير تنافي بينه وبين ما رسّموه

قال الله تعالى «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها» الرعد ٢).

وقال «ويمسك السماء أن تقع على الارض الاّ باذنه» الحج ٦٥)

وقال «ومن آياته أن تقوم السماء والارض بأمره» الروم ٢٥)

وقال: «وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً» الانبياء: ٣٢).

وقال «ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق» المؤمنون ١٧)

وقال: «الذي خلق سبع سموات طباقاً» الملك: ٣).

وقال: «إذا السماء انشقّت» الانشقاق: ١).

وقال: «إذا السماء انفطرت» الانفطار: ١).

وقال « وإذا السماء كشطت » التكوير ١)

وقال « وإذا السماء فرجت » المرسلات ٩) وغيرها من الآيات

وما اطلقت السماء على العلو العالي ، ولا العكس في الكتاب والسنة على ما توهم

قال الله تعالى « ألم يروا إلى الطير مسخرات في جو السماء » النحل ٧٩)

وقال « وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض » البقرة ١٦٤)

وراجع إلى ما أوردناه عن تفسير القمي في بحث الروح

﴿ السموات السبع ﴾

إختلفت كلمات المفسرين واليهود والحكماء وغيرهم قديماً وحديثاً في كون السموات والارض سبعاً إختلافاً شديداً

فمنهم من ذهب إلى أنّ هذا الكون الرحيب نظم سبعة أكوان، ولكل كون منها كواكب لا يحصى عددها ومن حملتها كوكب أرضي وبين كل كون وآخر ملايين الملايين من السنين الضوئية فقد عبّر الله تعالى عن هذه الاكوان السبعة بالسموات السبع

فالله تعالى: «الله الّذي خلق سبع سموات ومن الارض مثلهنّ» (الطلاق: ١٢)

على أن قوله تعالى «ومن الارض مثلهن» يشير إلى أنّ في كلّ كون من السبعة كوكباً أرضياً

ومنهم من ذهب إلى أنّ ذكر السبع لا يفيد الحصر بالسبعة وانّما خصّها الوحي بالذكر لانّ الذين خوطبوا بالقرآن الكريم آنذاك كانوا يسمعون الافلاك السبعة وكواكبها دون غيرها، فخاطبهم القرآن بما اعتقدوا أن يتخاصموا فيما بينهم

واستدلوا بما ورد عن ابن مسعود إذ قال: «ما السموات السبع وما فيهنّ وما بينهنّ والارضون السبع وما فيهنّ وما بينهنّ الا كحلقة ملقاة بأرض فلاة» على أن السبع ليس محدّداً للسماء والارض

في تفسير الطبري انّ ابن عباس سئل عن قوله تعالى «سبع سموات ومن

الارض منهن» فقال «لو حدثتكم عن تفسير هذه لكفرتم بعلم هذا وأنا لا أعقولهم لا تحمل فيشكون في صدق القرآن فيكفرون

ومنهم من ذهب إلى أن المراد من السموات السبع وصفها التي تدور في كل واحد منها الكواكب والسيارات ومن كل سماء من هذه السبع يتقرر بها النور والحرارة من كواكبها إلى ستة فالكرات الحاوية على خلافها فيما بين الارض والشمس

وهو المراد من قوله تعالى «ألم تروا كيف خلق الله سبع سموات طباقا» نوح ١٥

ومنهم من ذهب إلى انه لا يعلم من علم شيء في ذلك فيجب علينا الايمان فقط

أقول ان المستفاد من الاخبار الكثيرة المروية عن أئمة الهدى عليهم السلام سابقا وما يأتي هو الذي أشرنا إليه من التفصيل

وفي تفسير القمي عن أبيه عن عمر عمن حدثه عن أبي عبد الله عليه السلام في خبر إدريس عليه السلام يقول بينك الموت بينك السماء الرابعة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الرابعة إلى السماء الثالثة مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الثالثة خمسمائة عام ومن السماء الثالثة إلى الثانية مسيرة خمسمائة عام ومن السماء الثانية كذلك البحر

وفي البحار عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال سئلته عن السماوات السبع قال سبع سماوات لسن منها سماء إلا وفيها خلق وفيها غير الاخرى خلق حتى ينتهي إلى السابعة قلت والارضون كم منها قال خمس فيهن خلق من خلق الرب تبارك وتعالى هؤلاء لسن فيهن شيء

قوله عليه السلام «وتبارك هؤلاء» ان كان المراد بالهؤلاء الجسم المعروف كان المراد بالارضين الاجسام المحيطة بالسماء التي للسماوات سواء كانت المحيطة كالتراب أو لطيفة كالهواء وان كان المراد به الشيء الحالي كما هو الظاهر من معناه ويؤيده قوله عليه السلام بعده «ليس فيهما شيء» فيكون أحد الارضين بمعناه المعروف

وفي الدر المنثور : نقلا عن سعيد من كتاب العظمة عن ابن مسعود قال ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام وما بين كل سماء خمسمائة عام وغلظ

كل سماء وأرض مسيرة خمسمائة عام وما بين السماء السابعة إلى الكرسي مسيرة خمسمائة عام وما بين الكرسي والماء مسيرة خمسمائة عام والعرش على الماء

قال الله تعالى: «وهو الّذي خلق السموات والأرض في ستّة أيام وكان عرشه على الماء» هود: ٧)

وفيه: عن ابن عباس قال سيّد السموت السماء التي فيها العرش وسيّد الارضين الارض التي أنتم عليها

وفيه: عن علي عليه السلام قال: «السقف المرفوع. السماء، والبحر المسجور بحر في السماء تحت العرش»

وفيه: عن ابن عباس في قوله تعالى «في يوم كان مقداره خمسين ألف سنة» المعارج ٤)

قال منتهى أمره من أسفل الارضين إلى منتهى أمره من فوق سبع سموات مقداره خمسين ألف سنة ويوم كان مقداره ألف سنة يعني بذلك نزول الامر من السماء الى الارض ومن الارض الى السماء في يوم واحد فذلك مقداره ألف سنة لان ما بين السماء والارض مسيرة خمسمائة عام

﴿ السموات وأهلها ﴾

ان كثيراً من الآيات القرآنية والروايات الواردة بعد عدد على أن في السموات خلائق وسكاناً وهم يسبحون بحمد ربهم ويعبدون الله جل وعلا وأن جميعهم وكونهم كذلك وهم سموه كسموه ليس لنا دليل نقضي به دل الله تعالى ومن آياته خلق السموات والأرض وما بث فيهما من دابة وهو على جمعهم إذا يشاء قدير» الشورى ٢٩)

وقال «وله من في السموات والأرض ومن عنده لا يستكبرون عن عبادته ولا يستحسرون» الأنبياء ١٩)

وقال «ويوم ينفخ في الصور ففزع من في السموات ومن في الأرض إلا من شاء الله وكل أتوه داخرين» النمل: ٨٧)

وقال «إن كل من في السموات والأرض إلا آتي الرحمن عبداً لقد أحصاهم وعدهم عداً وكلهم آتيه يوم القيامة فرداً» مريم ٩٣ - ٩٥)

وقال «يسئله من في السموات والأرض كل يوم هو في شأن» الرحمن ٢٩)

وغيرها من الآيات الكريمة

في تفسير الفخر روى الزهري عن علي بن الحسين بن علي بن ابيطالب عليهم السلام عن ابن عباس قال بينما رسول الله ﷺ جالساً في نفر من أصحابه اذ رمي بنجم فاستنار فقال ما كنتم تقولون في الجاهلية اذا حدث مثل هذا؟ قالوا كنا نقول يولد عظيم أو يموت عظيم. قال النبي ﷺ فانها لا ترمى لموت أحد ولا لحياته.

ولكن ربك تعالى اذا قضى الامر في السماء سبّحت حملة العرش ثمّ سبّح أهل السماء ويسبّح أهل كل سماء حتى ينتهي التسبيح الى هذه السماء ويستخبر أهل السماء حملة العرش ماذا قال ربكم؟ فيخبرونهم ولا يزال ينتهي ذلك الخبر من سماء الى سماء الى أن ينتهي الخبر الى هذه السماء ويتخطف الجنّ فيرمون فما جاؤوا به فهو حق ولكنهم يزيدون فيه

﴿ زوجية ما سوى الله تعالى ﴾

قال الله تعالى ﴿ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون﴾ (الذاريات: ٤٩) لا بدّ من البحث إجمالاً في حقيقة الوحدة والزواج لتتذكر بما تحثنا الله الآية الكريمة

قال فيثاغورث - وهو رجل حكيم موحّد وكان شديد الفحص والنظر في علم العدد وكمّية شؤونه وخواصّه ومراتبه ونظامه - إنّ في معرفة العدد وكيفية شؤونه من الوحدة الّذي قبل الاثنين معرفة وحدانية الله تعالى وفي معرفة خواصّ الأعداد وكمّية ترتيبها ونظامها معرفة مخلوقات الله الذي جلّ وعلا وكمّية نظمها وترتيبها

وقال مراتب الموجودات ونظامها مطابقة لمراتب الأعداد والمفردات المثاليات عن الواحد وأنّ كلاً منها محتاج إلى الواحد

وقال بعض الحكماء: إنّ الواحد وما بعده محتاج إليه وهو العدّ

وقد بيّن الله تعالى بما أودع في المخلوقات نظمها وتمامها في الوجود كمراتب الأعداد في الواحد لتكون كثرتها دالة على وحدانيته وترتيبها ونظامها دالّين على إتقان حكمته في صنعها، ولتكون أنسب نسبتها إلى الّذي هو خالقها كنسبة الأعداد إلى الواحد الّذي قبل الاثنين الذي هو أصلها ومبدؤها ومنشؤها

وذلك إنّ الله سبحانه لما كان واحداً بالحقيقة من جميع الوجوه والمعاني لم يجز أن يكون المخلوق واحداً بالحقيقة، بل وجب أن يكون واحداً متكثراً مزدوجاً

وذلك انّه تعالى أوّل ما ابدأ بفعل واحد مفعولا واحداً متحداً فعله الذى هو علّة العلل فلم يكن واحداً بالحقيقة بل فيه ازدواج . ولذلك قالوا إنه أوجد أشياء مزدوجة ، وجعلها قوابل الموجودات وأصول الكائنات

فمن ذلك ما قالت الحكماء والفلاسفة

الهيولى والصورة ، ومنهم من قال النور والظلمة ، ومنهم من قال الجوهر والعرض ، ومنهم من قال الخير والشر ، ومنهم من قال اللوح والقلم ، ومنهم من قال العقل والنفس ، ومنهم من قال الموت والحياة ، ومنهم من قال الاثبات والنفى ، ومنهم من قال الايجاب والسلب ، ومنهم من قال الروحانى والجسمانى ومنهم من قال الحركة والسكون ، ومنهم من قال الوجود والعدم ، ومنهم من قال الكون والفساد ومنهم من قال الدنيا والآخرة ، ومنهم من قال العلّة والمعلول ومنهم من قال المبدأ والمعاد ومنهم من قال القبض والبسط

وعلى هذا القياس توجد أشياء كثيرة جعلها مزدوجة أو متضادّة كالمتحرّك والساكن والظاهر والباطن والعالى والسافل والجارح والداجل والعنيف واللطيف والحارّ والبارد والرطب واليابس والزائد والناقص والجيد والردى والناطق والصامت والذكر والانثى من كل زوجين اثنين

وهكذا توجد تصاريف أحوال الموجودات من الحيوان والنبات كالحياة والممات ، والنوم واليقظة ، والمرض والصحة ، والالم واللذة ، والبؤس والنعمة ، والسرور والغمّ والحزن والفرح والصلاح والفساد ، والضرّ والنفع ، والخير والشر والأدبار والاوبار ، والكفر والايمان ، والفجور والتقوى

قال الله تعالى « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها » الشمس ٧-٨)

وقال « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان ٣)

وقال : « وهديناه النجدين » البلد: ١٠) .

وهكذا توجد أحكام الامور الوضعيّة والشرعيّة كالامر والنهى والوعد

والوعد والترغيب والترهيب والطاعة والمعصية والمدح والذم والثواب والعقاب والحلال والحرام والحدود والاحكام والصواب والخطاء والحسن والقبح والصدق والكذب والحق والباطل

قالوا إنّ الله تعالى هو الواحد في كل الأبعاد، هو موجدها ومنشؤها، وهو الذي ذاته مذاته

ففي قوله تعالى «ومن كل شيء خلقنا زوجين» جملة معترضة تكشف عن قاعدة الخلق، وهي وعدة الزوجية في الاحياء وغيرها، وفي الذرات وفي غيرها لكلمة «كل شيء» وان الاحياء مخلوقة كالاحياء على أساس الزوجيّة، وهذا النص جاء منذ أربعة عشر قرناً لا يعرف فكرة الشرعموم الزوجيّة حتى في الاحياء فضلا عن عموم الزوجيّة في كل شيء، والبحوث العلميّة الحديثة تسير في طريق الوصول إلى حقيقة وهي ان بناء الكون كله يرجع إلى الذرة مؤلفة من زوجين الكهربائية الموجبة والكهربائية السالبة، فهما من هو «فرد واحد صمد لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد»

وقد كان البشر يعلم أنّ الزوجيّة متحكمة بأمر الله جلّ وعلا في كلّ شيء وهم الحماد حتى إذا اكتشف بطن الذرة وعلم أنّ ذرة كلّ عنصر من العناصر من هيدروجين وهليوم وكالسيوم والسيوم إلخ، تتألف من الكترون كهربائية سالبة، وبروتون كهربائية موجبة، ونيوترون كهربائيّة متعادلة،

وان الكترون يدور بسرعة فائقة حول البروتون فالكترون بمثابة الانثى والبروتون بمثابة الذكر

واكتشف العلم الحديث ان الزوجية متأصّلة في الاشياء كلها تطق به القرآن الكريم «ومن كل شيء خلقنا زوجين لعلكم تذكرون» أي لعلنا نتذكر انّ الوحدانية لله تعالى لا يشاركه فيها أحد

وقال في آية أخرى «سبحان الذي خلق الازواج كلها مما تنبت الارض ومن أنفسهم ومما لا يعلمون» يس: ٣٦).

فالوحدانيّة له جلّ وعلا والروحيّة متحلّيه في الذرة (الكترون والبروتون) وفي السماء والأرض وفي النبات والحيوان ، والله الذي جاء بهذا الكمال العالمي لايريد بهذا الانسان إلا الكمال والتكامل

علمه انّ هذه الروحيّة في الجماد أو العناصر في الذرّات كلّها وكذلك بالنسبة إلى تشكل الامطار في قوله تعالى «ألم تر انّ الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً» (النور : ٤٣)

و لتأليف هو الكهربائية التي تلعب دوراً هاماً في هطول الامطار على حد قوله تعالى «وأرسلنا الرياح لواقح فأنزلنا من السماء ماء فأسقيناكموه»

وهذا التلقيح هو التلقيح الكهربائي بين سحابه وسحابه ، أو بين ذرات بخار الماء لقوله تعالى «فأنزلنا من السماء ماء» بعد قوله «أرسلنا الرياح» ، فنزول الماء من السماء متوقف على هذا التلقيح الكهربائي ، وهذا من مكتشفات القرن العشرين

فالكون كلّه قوى كهربائيّة موجبة وسالبة : ذكر وأنثى ، والروحيّة سارية بأطرافها في هذا العالم الرحيب مع وحدة النسج لتفسر الوحدانيّة في الله جلّ وعلا الذي جلّت آلاؤه وتناهت ألطافه

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام في صفات الله تعالى «الا احد بلا تأويل عدد» أي انه ليس بمعنى العدد كما يقوله الناس «أوّل العدد أحد وواحد» فالمراد بأحديّته كونه لا يقبل التجزّي ، وباعتبار آخر كونه لا ثاني له في الربوبية وغيرها من الصفات العلى

﴿ زوجية الأشياء وتوحيد خالقها ﴾

و في الخبر ان الله تعالى انما خلق الضد ليعرف به لا ضد له وهو الله جل وعلا ما خلق شيئاً لحاجة الى الشيء ولا لحاجة الى ضده وانما خلق الضد ليعرف به الصانع الكامل تعالى وتقدس.

فخلق الزوجين وجعل لكل شيء منهما ضداً ولم يخلق شيئاً من لا شيء خلقه ليعلم المدكرون.

لان العلة العامة من إيجاد الاشياء لمعرفته الكاملة وهي لا تتحقق الا باثبات الصفات الكمالية وسلب النقائص لحقيقته المقدسة وهي أيضاً لا تتحقق الا بمعرفتها ولا يعرف شيء شيئاً لم يخلقه الله عز وجل، فخلق العلم وضده الجهل، وخلق القدرة وضده العجز، وخلق الموت وضده الحياة، وخلق الغنى وضدها الفقر.

ليستدل الانسان بقدرته على قدرة الله تعالى وبعجزه على انه سبحانه ليس بعاجز وإلا لكان ممكناً مثله. وليستدل بعلمه على علم الله تعالى وبجهله على انه سبحانه ليس بجاهل والا لكان ممكناً مثله، وليستدل بحياته بأنه تعالى حي، وبموته على انه جل وعلا لا يموت وإلا لكان ممكناً مثله.

في التوحيد: باسناده عن هشام بن سالم قال: دخلت على أبي عبد الله عليه السلام فقال لي: أتنعت الله؟ قلت: نعم، قال: هات فعلت هو السميع البصير قال: هذه صفة يشترك فيها المخلوقون قلت: فكيف نصفه؟ فقال هو نور لا ظلمة فيه، وحياة لا موت فيه، وعلم لا جهل فيه، وحق لا باطل فيه، فخرجت من عنده وأنا أعلم الناس بالتوحيد.

قال الصدوق: صوان الله تعالى عليه: وصفنا الله تبارك وتعالى بصفات الذات فنقول إنه لم يزل عليماً قديراً حياً سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً عالماً لا كريماً. فمتى قلنا إنه حي نفينا عنه ضد الحياة وهو الموت ومتى قلنا إنه عالم نفينا عنه ضد العلم وهو الجهل. ومتى قلنا إنه سميع نفينا عنه ضد السمع وهو الصمم ومتى قلنا إنه بصير نفينا عنه ضد البصر وهو العمى ومتى قلنا إنه عزيز نفينا عنه ضد العزة وهو الذلة. ومتى قلنا إنه حكيم نفينا عنه ضد الحكمة وهو الجهل. ومتى قلنا إنه غني نفينا عنه ضد الغنى وهو الفقر، ومتى قلنا إنه عدل نفينا عنه الجور وهو الظلم. ومتى قلنا إنه حليم نفينا عنه العجلة، ومتى قلنا إنه قدير نفينا عنه العجز.

ولو لم نقل ذلك أثبتنا معه أشياء لم تزل معه. ومتى قلنا إنه لم يزل حياً سميعاً بصيراً عزيزاً حكيماً عالماً لا كريماً. فلم نحصه بمعنى كل صفة من هذه الصفات التي هي صفات ذاته نفي ضدها أثبتنا أن الله لم يزل واحداً لا شيء معه إنتهى كلامه

ثم انظر كيف يتم الله تعالى الحجة على عباده بأتي دليل قاطع على وجوده وتوحيده بوبيته بقوله «ومن آياته أن خلق لكم من أنفسكم أزواجاً لتسكنوا إليها وجعل بينكم مودة ورحمة إن في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الروم: ٢٠)

أنني لبد كر أن يخلق لنفسه أنثى؟ ومن أين جاء هذه الجرأة؟ وكيف فكّر هذا الذكر أن يجعل الأنثى بشكل تؤدي الى استدامة النسل مع تعقد المراحل في شكل الجنين؟!

هذا ما يقوله الفيلسوف (موتشي) «حقاً إن إنكار الله تعالى ضرب من الجنون فهؤلاء المنكرون هم مجانين حتى على أنفسهم وعلى من هم على شاكلتهم سفيهم وظلمهم وفسقهم فذهبت عقولهم».

ومن هنا ينحصر حل وعلاج التذكر بالآيات الكونية وما أودع من حالات مختلفة تضبط بقوانين رياضية متقنة بالعقلاء دون غيرهم، أي أن العقلاء وهم

المؤمنون يعترفون بعظمة الخلق و يتدبرون في أجزاء الكون وحوادث العالم اذ خاطبهم بقوله: « لعلكم تذكرون »

فلا بصيرة ولا تذكر ولا اتعاظ لغير المؤمنين، فان الاستعداد والتوجه الى مقامات القدس لا يتم الا في نفس زكيه طاهره، فالمؤمنون هم الذين طهرت ارواحهم من خبيث العادة التي تحجبهم وراء الطبيعة والعروج الى حيث الطمأنينة والخلود الى ما لا عين رأت أو اذن سمعت أو خطر على قلب بشر

﴿ النطق والسكينة ﴾

قال الله تعالى «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» الذاريات: (٥٦).

في العلل: بإسناده عن جعفر بن محمد بن عمارة عن أبيه قال: سئلت الصادق جعفر بن محمد عليه السلام فقلت له لم خلق الله الخلق؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى لم يخلق الخلق عبثاً ولم يتركهم سدى بل خلقهم لإظهار قدرته وليكلفهم طاعته فيستوجبوا بذلك رضوانه وما خلقهم ليجر منهم منفعة ولا ليدفع بهم مضرة، بل خلقهم ليقمهم ويوصلهم إلى نعيم الأبد.

وفيه: بإسناده عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله صلى الله عليه وآله في صحف موسى بن عمران عليه السلام: يا عبدي لم أخلق الخلق لاستكثر بهم من قلة ولا لآنس بهم من وحشة، ولا لاستعين بهم على شيء عجز عنه، ولا ليرفع منفعة، ولا لدفع مضرة، ولو أن جميع حيي من أهل السماوات والأرض اجتمعوا على طاعتي كما يحب الذين لا يعتريهم في ذلك إلا ولا إعياء لم يزد ذلك في ملكي شيئاً، ولو جميع وتعالى عن ذلك.

وفيه: بإسناده عن أبي بصير قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قوله عز وجل «وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون» فقال: خلقهم ليأمرهم فيعبدوه.

قال: وسألته عن قوله عز وجل «ولا يزالون مختلفين إلا من رحم ربك ولذلك خلقهم» قال: خلقهم ليعبدوا فيستوجبوا بذلك رحمته فيرحمهم.

وفي الاحتجاج: روي أنه اعتل بأمير المؤمنين عليه السلام أن قوماً من أصحابه خاضوا في التعديل والتجريح، فخرج حتى صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه،

ثم قال: ليس الله تعالى لجميع خلقه أن يأمرهم وعلى آدابه وشريعته فيعلم أنهم لم يكونوا كذلك إلا بأن يعرفهم ما لهم وما عليهم وتعريف لا يكون إلا بالأمر والنهي، والأمر والنهي لا يحتملان الوضع والوضع لا يكون إلا بالترغيب والوعيد، والترغيب والوعيد لا يكونان إلا في الأمر والنهي، والترغيب لا يكون إلا بما يشتهيه أنفسهم وتلذه أعينهم، والترهيب لا يكون إلا بما يخافه ثم خلقهم في دار وأهم طرقاً من اللذات إلى ما يريد منهم، وحفها بالمكاره التي لا يشتهونها ثم ألاوهي الجنة، وأهم طرقاً من الآلام إلى ما يريد منهم من الآلام الجالبة التي لا يشتهونها ألا وهي النار، ثم أخبرهم أن نعيم الجنة لا يكون محبوباً بحقيقته إلا بعد وجود مكارهها، وأن عذاب النار لا يكون

أقول: وقد أشار [illegible] إلى حكمة الله في [illegible] بحكمته وإرادته أن يكون [illegible] لا يستحقون [illegible] من أن يسير [illegible] ولا يستحقون فيها [illegible] سلاماً ولهم فيها [illegible] ﴿مريم ٦٠ ـ ٦٣﴾

وقوله: [illegible] من الآلام الجالبة [illegible] بحكمته تعالى [illegible] أنتم تسمعون [illegible] ثم يشرع [illegible] أن يسمعها [illegible] عنهم [illegible] بعض عنهم [illegible] الجنة ﴿٧ ـ ١٠﴾

وفي الاصحاح [illegible] لأي غاية خلق الخلق وهو غير محتاج إليهم ولا مضطر إلى خلقهم ولا ينتفع بعبادتهم؟ قال: خلقهم لإظهار حكمته وإفاضة نعمه وإيصال بره وفضله وكيف لا يفعل على هذه الدار فيخلقها ويخلق ساكنها ومحبس عقابه؟ قال: إن هذه دار بلاء ومتجر الثواب ومكتسب الرحمة، فمن آثرت وطلبت شهوات ليختبر فيها عباده بالطاعة، فلا

يكون ذا عمل ذو حراء الحديث

وفي نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام: «ان الله سبحانه قد كشف الخلق كشفة، لا انه جهل ما أحجموه من مصون أسرارهم ومكنون ضمائرهم ولكن ليبلوهم أيهم أحسن عملا فيكون الثواب جزاء والعقاب بواء

أقول: ان قوله عليه السلام هي الفعل المضارع الى الثاني في قوله عليه السلام بواء أي مكافأة

وفيه: ومن كتاب له عليه السلام الى معاوية في أمر صفين عليهما الهاوية

«ثم ان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها، وابتلى فيها أهلها ليعلم أيهم أحسن عملا وليست الدنيا دار قرار الا على ما وصفنا فيها ورب الدنيا يحمد فيها لمن ذمها ويرجو فيها من صدق أمله، ويأمن فيها من حسن عمله على لاحب البلاغ الى آخر الكتاب عليه السلام

قوله عليه السلام: «ان الله سبحانه جعل الدنيا لما بعدها» أي جعلها معبرا الى الآخرة، ورد في الحديث «الدنيا قنطرة فاعبروها ولا تعمروها» وقوله عليه السلام «وابتلى فيها أهلها» أي اختبرهم ليعلم أيهم أحسن عملا «ولا بالسعي فيها أمر بالسعي فيها لأمر بالسعي فيها لغيرها

ثم ذكر ان كل واحد منه عليه السلام ومن معاوية عليه الهاوية مبتلى بآخر وذاك ابتلاء آدم عليه السلام بابليس وابليس بآدم عليه السلام

وفيه: قال عليه السلام أيها الناس ان الدنيا دار ممر والآخرة دار قرار فخذوا من ممركم لمقركم ولا تهتكوا أستاركم عند من يعلم أسراركم وتخرجوا من الدنيا قلوبكم من قبل أن تخرج منها أبدانكم، ففيها اختبرتم ولغيرها خلقتم

... آراؤهما ...

وقد كان الأستاذ ... للإجابة عن ... جوده في هذه الحياة ... لسؤال ...

وكان يحسن ... المسؤولا ... عن السائل ثم يجيبه بقدر وسعه

فمن كان متهالكاً ... منهمكاً في اللذات والشهوات ... الدين وهتكها، فيقول ... من البلاد لا يتوجه إلى أحد ... ولا يسأل ... عن ذلك

يقولون ... أن كل ... هذه الحياة ... ونعيمها ... كانوا يسعون ... لا كل ذلك ... اليوم ...

قال الله تعالى فيهم ... لا يحبون ... وما لهم ... إلا الدهر ... لهم بذلك من علم ... يظنون ... الجاثية: ٢٤

وقال ... والذين كفروا ... لا تأكل الأنعام ... مثوى لهم ... محمد: ١٢)

ومن الناس من يقول ... لحكمة يعلمها ... من خلقه الآخرين

ومنهم من يقول ... لحكمة يعلمها ... الخير وكتب الشقاء

ومنهم من يقول ... خلق بعض ... لرحمته ... السعادة وبعض الآخرين ... العذاب

وهم أكثرها ... منه من الأشاعرة ... من عند الله صحيح وأن ... محكم

ومن الناس : من صفت نفسه وحسن سريرته وصلحت أعماله فيقول انّما خلقت لتتكامل فمرداد معرفة بالله تعالى ليذهب من هذه الحياة الدنيا المؤقتة دار العمل والامتحان الى حياة دائمة خالدة ، الى روح وريحان الى جنة عرضها كعرض السماء والارض اعدّت لمن عرف الله تعالى وعبده واتقى

حقاً من رحمه ونشأ من رحمه ، والعبادة ترجع الى رحمة الله تعالى

وهذا مذهب الشيعة الامامية الاثني عشرية المؤيد بآيات من آيه وروايات واردة عن طريق أئمة أهل بيت الوحي المعصومين صلوات الله عليهم أجمعين

وفي المقام كلام عن بعض ما حتى الاجتماع ينبغي النظر فيه

« وانا لنسأل هل خلق الانسان من أجل القانون ، أو انّ القانون هو الذي خلق من أجل الانسان »

وقد يجاب عن ذلك بأنّ نقول بالرأي الاول ونقول بالرأي الثاني ، وفي واقعنا انّ كلا الرأيين يعبّر عن جانب من الحقيقة ونحن نصادف هذه القولة أو تلك في القرآن والله سبحانه يعلن من ناحية :

« وما خلقت الجن والانس الاّ ليعبدون »

ويؤكّد من ناحية أخرى « ما يريد الله ليجعل عليكم من حرج ولكن يريد ليطهّركم وليتمّ نعمته عليكم لعلكم تشكرون » « من اهتدى فانما يهتدي لنفسه » « ومن جاهد فانّما يجاهد لنفسه » « ومن تزكّى فانما يتزكّى لنفسه »

فيتقرب من هذين القولين بحقيقتهما البيّنة وسوف نحصل على الحقيقة المطلقة . فالانسان وجد من أجل تنفيذ الشرع (الذي هو عبادة الله) ولمّا كان الشرع قد وجد من أجل الانسان إذن فالانسان قد وجد من أجل نفسه ، والشرع عليه ولكنّه ليس الغاية الاخيرة انّه ليس سوى حدّ وسط بين الانسان كما هو ناشئاً يتطلع الى الحياة الاخلاقية و مصدراً من أجل كماله و بين الانسان كما ينبغي أن يكون في قمة الفضيلة الكاملة أي : انّه حد وسط بين الانسان العبدي والقديس ، بين العبدي والبطل »

وقال والشرع أشبه بقطرة بين شخص بحر نقطة مداده وصفحة بهيئة أو هو أشبه بسلم، درجاته مستقرة على الأرض والبعض منه من تراب منتظم يرفعهم إلى السماء، وليس من القرآن صورته لدينا مكتبة فهذا أقصر من تلك الصور الساكنة والميكانيكية، فالقرآن في هذين مشهودين يشبه بحق الناس بشجرتين فقول

«ألم تر كيف ضرب الله مثلا كلمة طيبة كشجرة طيبة أصلها ثابت وفرعها في السماء تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها ويضرب الله الأمثال للناس لعلهم يتذكرون ومثل كلمة خبيثة كشجرة خبيثة اجتثت من فوق الأرض ما لها من قرار»

هذا التشبيه ينطبق على الصدق والكذب لعموم كل منطبق عليهما بطريق «والفضيلة المؤثرة حصة رفعة بسمي صاحبها ورفعا من عال إلى أعلى، والرذيلة قبيحة وبلاغة تجعلنا سطحيين منحدرين بل إنها تنزع عن لابسيه»

نظرية الحكماء والفلاسفة والمتكلمين

في حكمة الخلق

يختلف المتكلمون والفلاسفة والحكماء في الغاية من خلق العالم عامة، وخلق الجن والإنس خاصة

فقال الأولون إنّ التكليف هو وجه الحكمة لأن الغاية من الله تعالى خلق العالم هي الغاية من إيجاد الجن والإنس وهي العبادة

وقالوا إنّ العالم وما فيه من حيوان ونبات

والحيوان وما فيه من مكلّف وغير مكلّف خلقه الله جلّ وعلا لمنفعة هي النعمة عليه بالتكليف وغير مكلّف خلقه الله سبحانه لأمر من أجل هذا نفع يعود إلى غيره من المكلّفين فنفع غير المكلّف للمكلّفين إما أن يكون ضروريا كاستخدام الإنسان للبهائم، أو أن يكون دينيّا كقتل الإنسان للحيوان الذي يحرّم عليه أكله والنكاح هو الغاية في خلق العالم

وتكليف الله جلّ وعلا للمكلّف نعمة من الله تعالى على المكلّف، ولأنّ النعمة هي المنفعة الحسنة التي يوصلها المنعم إلى غيره بقصد الإحسان وهذا النفع الذي كلّفهم من فعله تعالى إما مباشرة أو بواسطة

وكون الله جلّ وعلا منعماً على الإنسان بتكليفه يتحقق في أنه خلقه وخلق له العقل والنهوة فصار الإنسان بهما محسناً في أفعاله، فكلّفه الله تعالى بها ليبال بنعمه إذا ائتمر بأوامره وانتهى بنواهيه

أنواع ثلاثة

أحدها ... وهو ... أن يجب ... على أن يفعله لأن ... لا يفعله إلا لغرض ... فيستحق

ثانيها ... وهو ... يستحق ... ولكن لا على سبيل ... والإحلال ... كعوض على إيلامهم

ثالثها ... وهو ... مستحق على الله تعالى على سبيل ... والإجلال ... لأنه ... مستحق ...

والباقون ... أنه ... لا يجب

والدليل ... أنه ... لو ... لكان ... وحاجتهم ... لأن ... الخلاف ... والحاجة

قال ... هو ... من ... أن ... من ... أنه ... من حيث ... أنه ... أن ... أن ... لا يجب ... أن ... لأن ... لا يجب ... أن ... لا يجب

وحاصل في ذلك الأشاعرة ... أن ... في ... على ... في ... على نوع من ... ولا ... على ... أن ... لا يجب ... في ... ولا يشترط ... في ... الحمال المعلق ... فلا حاجة ... البحث عن ... حق الإنسان أو العالم

فقال ... حق الله الخلق لأن ... لأمر أمرهم ... ملكه لا ليفعلهم ولا

ليضرّهم ولا لوجه يخرج به عن كونه عبثاً

وقال منهم خلقه لاظهار قوته وقدرته ، ولذلك فمنهم حتق بعض الخلق للنار وبعضهم للجنة

وذهب بعض فلاسفة الاسلام إلى أنّ الخلق لا لغرض أعلى من صدوره لغرض لما فيه من إحتمال النقص

وأنكر بعض الحكماء والمتكلمين: قول من زعم انّ الله سبحانه خلق العالم لا لحكمة أو علّة أو من طنّ ، انّ الخلق بلا غرض أعلى وأسمى من الخلق لغرض ، فقالوا إنّ العبث هو الصحيح لانّ الخلق بلا غرض هو الذى يدلّ على النقص ، وقد خلق الله تعالى العالم لعلّة ليست هي محرّد حكمته كما يقول متقدّموا الاشاعرة وإنّما خلقه قصد النفع

فالله تعالى حكيم لا يصح عليه العبث ، وخلقه للعالم دون حكمة أو علّة نوع من العبث ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً

ولا بدّ لنا فى المقام من البحث فى امور

١ ـ حقيقة التكليف أو ماهيته

٢ ـ حقيقة المكلف الحكيم وصفته

٣ ـ صفة المكلّف والشروط التى يحسن معها تكليفه

٤ ـ ما يتناوله التكليف من أنواع الفعل والترك أو موضوع التكليف

٥ ـ ثمرة التكليف أو ما يراد لاجله

أما الاول : فالتكليف لغة هو البعث على ما يشق من فعل أو ترك ، واصطلاحاً هو اعلام المرء بان له فى أن يفعل أو لا يفعل أو لا يفعل بعثاً أو دفع ضرر مع مشقة تلحقه فى ذلك على سبيل لا يبلغ حد الالجاء والقسر

فيقترب المعنى اللغوى من المعنى الاصطلاحى ، فالله تعالى بمقتضى هذا المعنى يبعث على ما قدر فى العقل من الواجبات والمندوبات وترك المقبحات ، وفى الشرع يبعث على ما طلبه من الافعال أو الاخلال بها .

وأما الثاني، فإن الله جل وعلا وحده هو الذي يصح منه التكليف وذلك لأن عناصر التكليف التي تتألف من الأعلام والتمكين والاقدار لا تكون إلا من الله الذي يستطيع أن يخلق الانسان قديراً حراً متمكناً من فعل ما كلفه به، كما يقدر على أن يحذره على فعل ما كلفه بما يستحقه فيحسن منه التكليف لأنه يعرّض المكلف لمنافع عظيمة وثواب كبير لا يتاح له إلا بالتكليف.

قال الله تعالى: ﴿لا يكلف الله نفساً إلا ما آتاها سيجعل الله بعد عسر يسراً﴾ (الطلاق: ٧).

ومن صفة المكلف الحكيم أن يكون عالماً بحصول شروط التكليف في المكلف وأن يكون مريداً للثواب، لجزاء، وأن يكون عالماً بأنه سيوفره على المستحق وقديراً على أن يجزيه به، وأن يعلم المكلف بما كلفه به بعض الأدلة.

قال الله تعالى: ﴿إنا أوحينا إليك كما أوحينا إلى نوح والنبيين من بعده وأوحينا إلى إبراهيم وإسماعيل وإسحاق ويعقوب والأسباط وعيسى وأيوب ويونس وهارون وسليمان وآتينا داود زبوراً ورسلاً قد قصصناهم عليك من قبل ورسلاً لم نقصصهم عليك وكلم الله موسى تكليماً رسلاً مبشرين ومنذرين لئلا يكون للناس على الله حجة بعد الرسل﴾ (النساء ١٦٣ - ١٦٥).

وأما الثالث: فلتصرف المكلف بعقله وعلمه بالملائكة والأنبياء والجن

والله تعالى يخاطبهم في كتبه ويكلفهم بطاعته ونهيه عن معصيته (البقرة ١٥٠ وغافر ٧٨ ومحمد ٣٣ والأنبياء ٢٥ والنساء ١٥٩).

والعاقل لا يحسن منه التكليف مع علمه بعجزه عن فعل ما كلف به، وتركه مع علمه بأنه لا يتمكن من تركه لعجزه عن مخالفته وعلمه بأنه كلف به.

وأما الرابع: فالتكليف العقلي سابق على التكليف الشرعي والشرع يقوم على العقل والنظر هو الذي يؤدي إلى معرفة الله تعالى وعدله وتوحيده، ومن ثم تعلم صحة التكاليف الشرعية وتترتب الواجبات علينا بعضها.

واعلم أن تصرفات الانسان في سوء التكليف تنقسم إلى قسمين

أحدهما: ما يدخل منها تحت التكليف من الفعل والترك وهو نوعان: فعل

وترك . والفعل نوعان: علم وعمل.

ثانيهما ـ : ما لا يدخل تحت التكليف .

أمّا ما كلفناه من علوم فانّ اقلّه أن يعرف المكلف الله تعالى بعدله وتوحيده وأن يعرف إستحقاق الثواب لانّ هذه المعرفة تبعثه على فعل الطاعة وترك المعصية.

وقد استقرّ التكليف بالعلوم على الاقسام التالية: ١ـ العلم بالمكلف وتوحيده ٢ـ العلم بعدله وحكمته ٣ـ العلم بالثواب والعقاب ووجوبهما. ٤ـ العلم بالافعال التي كلّفها المرء فعلا أو تركاً لانها هي المطلوب بالتكليف

وانّ العلوم الثلاثة الاولى في الحقيقة مقدّمة للقسم الاخير الذي هو الغاية من التكليف وترتيب هذه العلوم في المعرفة يعتمد على اساس حاجة كلّ علم منها إلى الاخر فيكون العلم بالمكلف أوّلا ويقوم عليه العلم بعدله ثم يكون العلم بالثواب والعقاب ووجوبهما . وأخيراً العلم بالافعال وصفاتها ووجوبها عقلا ونقلا

وأما الخامس : فانّ الغرض بالتكليف هو التعريض للثواب و إستحقاق المكلف له على فعله .

﴿ الخلق والمعرفة ﴾

وقد ورد أن نبياً من أنبياء الله تعالى قال في مناجاته ربه: «يا رب لم خلقت الخلق بعد أن لم تكن خلقته؟ فقال له ربه على سبيل الرمز: كنت كنزاً مخبئاً من الخيرات والفضائل ولم أكن أعرف فأحببت أن أعرف».

معناه لو لم أخلق الخلق لحجبت هذه الخيرات والفضائل التي أصنتها وأظهرتها من عجائب خلقي ومصنوعاتي المحكمات التي كشفت الناس عن البلوغ إلى كنه صفاتي وحجبت العقول عن كنه معرفتي بحقائقها فضلاً عن معرفة كنه خالقها وصانعها

وقد سبق آنفاً أن ما كفلته من علوم وفقته أن يعرف المكلف الله تعالى بصفاته وتوحيده ليعبده وحده. ومن هذا فسر أكثر المفسرين العبادة في قوله تعالى «ليعبدون» بالمعرفة من إطلاق السبب على المسبب، وأن الله تعالى ما خلق الخلق إلا ليعرفوه فإذا عرفوه عبدوه فالعبادة موقوفة على المعرفة إجمالاً وأن العبادة هي نفس المعرفة في مقام الدلالة والعبودية للمعبود فلا بد من معرفته فيها وإن كانت المعرفة حصيلة العبادة تفصيلاً إذ قال تعالى: «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين» (الحجر: ٩٩)

في تحف العقول: عن الإمام أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: لا يقبل عمل إلا بمعرفة، ولا معرفة إلا بعمل، ومن عرف دلته معرفته على العمل ومن لم يعرف فلا عمل له

واختلف بين المسلمين في المعرفة بالله تعالى هل هي إكتسابية أو ضرورية إلهامية فذهب إلى كل طائفة وذهب الشيعة الإمامية الاثني عشرية إلى ما هو المتعين

من الآيات القرآنيه و الروايات الواردة عن طريق أهل بيت الوحي صلوات الله عليهم أجمعين .

وفي التوحيد باسناده عن عبدالرحيم القصير قال : كتبت على يدي عبدالملك بن أعين مسئلته عن المعرفة والجحود أهما مخلوقتان ؟ فكتب عليه السلام . سئلت عن المعرفة ماهي؟ فاعلم رحمك الله انّ المعرفة من صنع الله عزوجل في القلب مخلوقة والجحود صنع الله في القلب مخلوق وليس للعباد فيهما من صنع ولهم فيهما الاختيار من الاكتساب فمنهوتهم الايمان اختاروا المعرفة فكانوا بذلك مؤمنين عارفين ، ومنهوتهم الكفر إختاروا الجحود فكانوا بذلك كافرين جاحدين ضلالاً ، وذلك توفيق الله لهم وخذلان من خذله الله . فالاختيار والاكتساب عاقبهم الله وأثابهم

أقول: إنّ الرواية في معنى قوله تعالى « ونفس وما سوّاها فألهمها فجورها وتقواها قد أفلح من زكّيها وقد خاب من دسّيها » الشمس ٧ ـ ١٠)

وقوله سبحانه : « وهديناه النجدين » البلد : ١٠)

وقوله جلّ وعلا « إنّا هديناه السبيل إمّا شاكراً وإمّا كفوراً » الانسان ٢)

ولاريب انّ الطريق إلى معرفة شيء لابدّ من أحد امور ثلثة

أحدها ـ العلم الضروري الذي يحصل للنفس بأدنى التفات الى الشيء فيضطر الى معرفته بحيث لا تستطيع دفعه ، كالعلم بروحة الاربع ، والعلم بأن الواحد نصف الاثنين وانّ الجسم الواحد لايمكن أن يكون في آن واحد وحيز واحد في مكانين ، وانّ الشيء لا يخلو من أن يكون ثابتاً أو منفياً ، وما اليها مما يعرف بالبداهة لكونه مذكوراً في أوائل العقول

ثانيها ـ العلم بشيء من جهة الادراك بعد حصول شرائطه وارتفاع اللبس والمانع ، كالمدركات بالحواس الخمس

ثالثها ـ العلم بشيء بسبب الاخبار المفيدة للعلم ، كالعلم بالبلدان وأخبار الملوك والامم السالفة وما إليها من الامور العائدة والمعلومة لنا بسبب تلك الاخبار

رابعها ـ العلم الحاصل بالنظر والاستدلال وترتيب المقدمات الموصلة الى

النتائج في سبيل تعرف الاشياء المجهولة.

والمعرفة بالله تعالى لا تحصل من طريق الاول، لان من سبيله الضرورة والبداهة لا يختلف فيه العقلاء لما تراهم غير مختلفين في البديهيات تراهم مختلفين في معرفة الله جل وعلا من كل امة في كل عصر وفي كل وقت، وهي غير حاصله من طريق الثاني أيضاً، لانها غير ممكنه الادراك من طريق الحواس المعروفة

وليس الخبر أيضاً طريقاً الى المعرفه، لان الذي يفيد القطع من الاخبار ما هو يسهى الاخرة الى الادراك والمشاهدة، وما سوى ذلك لا يفيد العلم لسامعه كما لا تحصل العلم بحقيقه الدين الاسلامي وصدق نبوة محمد رسول الله ﷺ لغير المسلمين مع أن جميع المسلمين يخبرونهم بذلك

وكذلك جميع الموحدين من أهل الديانات يخبرون أهل الزندقة والالحاد بوحدانيه الله تعالى وحدوث العالم، وغير ذلك ولا يحصل لهم العلم بمجرد اخبارهم

فاذا لم يمكن تحصيل المعرفه بالامور الثلاثة الاولى فلا بقي إلا أن تكون من طريق الاكتساب وسبيل النظر والاستدلال. ولهذا قال محققو المتكلمين إن النظر أول الواجبات على المكلفين

وإن الايات الكريمة تحث الانسان على النظر والتعقل والتفكر والاستدلال في المعرفة بالله تعالى وتوحيده وكمال قدرته وعلمه وعظمة حكمته

قال الله تعالى «أولم ينظروا في ملكوت السموات والارض وما خلق الله من شيء» الاعراف: ١٨٥).

وقال «أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزينّاها وما لها من فروج والارض مددناها وألقينا فيها رواسي وأنبتنا فيها من كل زوج بهيج تبصرة وذكرى لكل عبد منيب» ق: ٦ ـ ٨).

وقال: «قل سيروا في الارض فانظروا كيف بدأ الخلق ثم الله ينشيء النشأة الاخرة إن الله على كل شيء قدير» العنكبوت: ٢٠)

وقال: «الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش

«سخّر الشمس والقمر كلٌ يجري لأجل مسمّى يدبّر الأمر يفصل الآيات لعلكم بلقاء ربكم توقنون وهو الذي مدّ الأرض وجعل فيها رواسي وأنهاراً ومن كل الثمرات جعل فيها زوجين اثنين يغشي الليل النهار إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون وفي الأرض قطع متجاورات وجنات من أعناب وزرع ونخيل صنوان وغير صنوان يسقى بماء واحد ونفضّل بعضها على بعض في الأكل إنّ في ذلك لآيات لقوم يعقلون» الرعد ٢ ـ ٤)

وقوله «وما ذرأ لكم في الأرض مختلفاً ألوانه إنّ في ذلك لآية لقوم يذّكرون» النحل ١٣)

وقوله «وإنّ لكم في الأنعام لعبرة نسقيكم مما في بطونه من بين فرث ودم لبناً خالصاً سائغاً للشاربين ومن ثمرات النخيل والأعناب تتخذون منه سكراً ورزقاً حسناً إنّ في ذلك لآية لقوم يعقلون وأوحى ربك إلى النحل أن اتخذي من الجبال بيوتاً ومن الشجر ومما يعرشون ثم كلي من كل الثمرات فاسلكي سبل ربك ذللاً يخرج من بطونها شراب مختلف ألوانه فيه شفاء للناس إنّ في ذلك لآية لقوم يتفكرون» النحل ٦٦ ـ ٦٩)

وقوله «وما ساقه الله سوقي الضأن حين سوقها التي لم تمت في منامها فمنعها التي قضى عليها الموت ويرسل الأخرى إلى أجل مسمّى إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الزمر ٤٢)

وقوله «الله الذي سخّر لكم البحر لتجري الفلك فيه بأمره ولتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون وسخّر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعاً منه إنّ في ذلك لآيات لقوم يتفكرون» الجاثية ١٢ ـ ١٣)

«وقوله «أولم يروا أنّ الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه» الإسراء ٩٩)

وقوله «أولم يروا أنّ الله الذي خلق السموات والأرض قادر على أن يخلق مثلهم وجعل لهم أجلاً لا ريب فيه» الإسراء ٩٩)

وغيرها من الآيات القرآنية ، فتدبر واغتنم جداً

وفي التوحيد سئل عمران الصابي علياً عليه السلام اذ قال وأي شيء عرفناه ؟

قال الامام عليه السلام بصيره قال عمران وأي شيء بصيره ؟ قال عليه السلام مشيته واسمه وصفته وما أشبه ذلك وكل ذلك محدث مخلوق مدبر الخبر

أقول قوله عليه السلام « مشيته » الحادثة حين خلق الخلق وبحسبه « واسمه » أي آيته في الآفاق والأنفس وهذا معنى قوله عليه السلام « بك عرفتك وأنت دللتني عليك ودعوتني اليك ولولا أنت لم أدر ما أنت » « وصفته » العليه كالخلق والرزق

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى « خلقت الأشياء لأجلك وخلقتك لأجلي »

فان الله تعالى لم يخلقنا الا لأجل أن نعرفه ونزداد معرفته يوماً بعد يوم

« الخلق والحاجة »

في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره بإسناده عن إسحق بن عمار
[illegible] عن الصادق عن آبائه عليهم السلام عن الحسن بن علي [illegible]
الله عز وجل بينه وحجته لما فرض عليكم الفرائض لم يفرض [illegible]
منه اليدين حتى منه لا له لا هو ليميز الخبيث من الطيب [illegible]
صدوركم وليمحص ما في قلوبكم ولتتسع بها [illegible] حتى
حجته لخير

وفي نهج البلاغة قال الإمام علي [illegible] لم
لم أخلقك لأبتلي بك ولا خلقتك لربح عليك ولخوفي [illegible]
ناصر لك من كل شيء »

وقوله: في موضع آخر قال [illegible] بهم لكلال »، أي لم يخلقهم بحيث يعرض [illegible] علمه تعالى بالمصلحة خلقاً مخترعاً، ولا استعان بهم لأنه [illegible] بليهين بالجهاد لحاجته في قهر أعدائه وجاحدي نعمته إليهم، فنفى بكلال [illegible] الحكمة اقتضت ذلك

قال الله تعالى: « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الأرض » البقرة: ٢٥١)

وقال « ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً ولينصرن الله من ينصره إن الله لقوي عزيز »

[illegible]

وفي التوحيد: في إحتجاج الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام على [illegible] المتقدمة، لأنه ليس لمشيئة بمخلوق مفعول ومنهم عز وجل يقول [illegible] ولو كان خلق مخلوق لخالقه لم يتحقق لأحد أن يطلب من خالقه شيئاً لأن كل مخلوق يحتاج أن يخلق شيئاً مخلوق لأن الخالق كان قبل المخلوق ولا يكون الخالق قبل المخلوق ولا يحدث شيئاً إلا احدث قبله شيئاً ليكون محدثاً له، فإن قال قائل لم يخلق الخالق المخلوق لخالقه ولكن خلقه لغير خالقه فيقال له كيف يخلق لغير خالقه ما لا يحتاج إليه الخالق ولا يحتاج إليه [illegible] على أن يخلق مخلوقاً [illegible]

وفي [illegible] عن الرضا عليه السلام في خلق الله لا [illegible] ليس [illegible] فهي [illegible] تكليف [illegible] إلى [illegible] في هذه الفترة [illegible]

[illegible] هو [illegible] الله جل وعلا لهم في قوله: «الذي خلق [illegible] أيكم أحسن عملاً» [illegible] ٢)

[illegible] على [illegible] لم [illegible] والحياة [illegible] ليبلوكم أيكم أحسن عملاً» [illegible] ٣٥

[illegible] لهم بقوله [illegible] لنبلوهم أيهم أحسن عملاً» [illegible] ٧)

إن الله تعالى قد وصف في كتابه [illegible] بالرحمة إذ قال: «كتب ربكم على نفسه الرحمة» وورث لفظ «ذو الرحمة» الأنعام ٥٤، ١٣٣،

وقال: «فانظر إلى آثار رحمة الله كيف يحيي الأرض بعد موتها» الروم ٥٠)

وقال: «ومن رحمته جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه ولتبتغوا من فضله» القصص ٧٣)

وقال «ورحمتي وسعت كل شيء» (الاعراف : ١٥٦)

وقال : « ولذلك خلقهم » (هود ١١٩) أي للرحمة

ولعمري لو علم الانسان ما ينتج اليه من مراتب رفيعة وقدسيّة دقيقة ومقامات هو فوق مقام الملائكة المقربين لعباده والانتصار لدين الله تعالى والانتهاء عن مواهيه ليعلم انّ الله تعالى برحمته حبق الانسان ولايصال رحمته الى الانسان كلّفهم ، من غير حاجة منه سبحانه في حبق الانسان ولا في تكليفه

فقد خلق للعبادة وكلّف لها وذلك لانّه بالعبادة يتحلّى النفس وتتطهّر مما ألمّ بها من دنس ورجس فتكون قمينة بأن تحلّ فيها معرفة الله تعالى

وذلك لانّ معرفة الله جل وعلا لا تكون من نفس لنفوس التي ملئت حوراً ونفاقاً ملئت رجساً ودنساً ، معرفة الله تعالى تحتاج الى نفس لا كدر فيه ولا فساد

والعبادة تأخذ بهذه النفس فتصفيها وتذهب عنها من إدران وعندئذ تتجلى فيها المعارف الالهيّة

وما ارسال الرسل إلا لتحقيق هذه المعرفة معرفة الله تعالى وتركيز الحبّ الالهي في النفوس

قال الله تعالى « ولقد بعثنا في كل امّة رسولاً أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت » النحل : ٣٦)

وقال « وما ارسلنا من قبلك من رسول الا نوحي اليه انه لا اله الا انا فاعبدون» الانبياء : ٢٥)

وانّ المعرفة لحقيقة والعلم اليقين والمعارف الالهيّة لا تحصل الا نتيجة العبادة والطاعة لله تعالى. قال «واعبد ربك حتى يأتيك اليقين » الحجر ٩٩)

وانّ العبادة بكل خشوع لها آثارها في النفوس وفي المجتمع البشري وبلاغها أسمى مراتب الكمال ، وبدرجة هذا الكمال تتجلّى المعارف الالهيّة في النفوس والمجتمع وتتحقق سرّ الخلق وتظهر علة وجودنا في هذه الحياة الدنيا .

فعلى الانسان أن يتقدّم في معرفة الله تعالى وأن يعمل في تقوية هذه المعرفة والبلوغ إلى الغاية التي خلق لأجلها

وفي الحديث القدسي قال الله تعالى «كنت كنزاً مخفيّاً فأحببت أن أعرف فخلقت الخلق لكي اعرف» وإنّ معرفة الله تعالى تعرّ بالفرد الى جنة عرضها السموات والارض

قد تعالى «وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها السموات والارض اعدّت للمتقين» آل عمران ١٣٣)

وقوا «سابقوا إلى مغفرة من ربكم وجنّة عرضها كعرض السماء والارض اعدّت للذين آمنوا بالله ورسله ذلك فضل الله يؤتيه من يشاء والله ذو الفضل العظيم» الحديد ٢١)

في نهج البلاغة: قال الامام علي عليه السلام «وتوجهوا الله عباد الله جهة ما خلقكم له وحدّوا حدّه بالذي هو أحقّ بكم من بعض وأستحقوا منه ما أعدّ لكم بالتحقّق لصدق ظنونكم به والحذر من هول ما هو به»

أقول «قوله عليه السلام «جهة» منصوب بفعل مقدر أي واقصدوا جهة ما خلقكم لأجله وهي العبادة وقوله عليه السلام «له» غاية ونهاية. وقوله عليه السلام: «واستحقوا منه ما أعدّ لكم» أي حققوا أنفسكم مستحقين لثوابه الذي اعدّه لكم إن أطعتم «بالتنجز» بالمواظبة على فعل ما حثّ عليه والانتهاء عن القبيح

وبالجملة واحذروا من رحمته بتأثير رحمته وبالعبودية ترجع الى رحمته

تمت سورة الذاريات والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله المعصومين

بسم الله الرحمن الرحيم

وَالطُّورِ ۝١ وَكِتَابٍ مَّسْطُورٍ ۝٢ فِي رَقٍّ مَّنشُورٍ ۝٣ وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ ۝٤ وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ ۝٥
وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ ۝٦ إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ ۝٧ مَّا لَهُ مِن دَافِعٍ ۝٨ يَوْمَ تَمُورُ السَّمَاءُ مَوْرًا ۝٩ وَتَسِيرُ
الْجِبَالُ سَيْرًا ۝١٠ فَوَيْلٌ يَوْمَئِذٍ لِّلْمُكَذِّبِينَ ۝١١ الَّذِينَ هُمْ فِي خَوْضٍ يَلْعَبُونَ ۝١٢ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ
نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ۝١٣ هَٰذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنتُم بِهَا تُكَذِّبُونَ ۝١٤ أَفَسِحْرٌ هَٰذَا أَمْ أَنتُمْ لَا تُبْصِرُونَ ۝١٥
اصْلَوْهَا فَاصْبِرُوا أَوْ لَا تَصْبِرُوا سَوَاءٌ عَلَيْكُمْ إِنَّمَا تُجْزَوْنَ مَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ۝١٦ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ
وَنَعِيمٍ ۝١٧ فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ ۝١٨ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنتُمْ
تَعْمَلُونَ ۝١٩ مُتَّكِئِينَ عَلَىٰ سُرُرٍ مَّصْفُوفَةٍ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ۝٢٠ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ

ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِيمَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ
وَأَمْدَدْنَاهُمْ بِفَاكِهَةٍ وَلَحْمٍ مِمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢٢﴾ يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا لَا لَغْوٌ فِيهَا وَلَا تَأْثِيمٌ ﴿٢٣﴾
وَيَطُوفُ عَلَيْهِمْ غِلْمَانٌ لَهُمْ كَأَنَّهُمْ لُؤْلُؤٌ مَكْنُونٌ ﴿٢٤﴾ وَأَقْبَلَ بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ ﴿٢٥﴾ قَالُوا إِنَّا
كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ ﴿٢٦﴾ فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ ﴿٢٧﴾ إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلُ نَدْعُوهُ إِنَّهُ هُوَ
الْبَرُّ الرَّحِيمُ ﴿٢٨﴾ فَذَكِّرْ فَمَا أَنْتَ بِنِعْمَتِ رَبِّكَ بِكَاهِنٍ وَلَا مَجْنُونٍ ﴿٢٩﴾ أَمْ يَقُولُونَ شَاعِرٌ نَتَرَبَّصُ بِهِ رَيْبَ
الْمَنُونِ ﴿٣٠﴾ قُلْ تَرَبَّصُوا فَإِنِّي مَعَكُمْ مِنَ الْمُتَرَبِّصِينَ ﴿٣١﴾ أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَامُهُمْ بِهَٰذَا أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ ﴿٣٢﴾
أَمْ يَقُولُونَ تَقَوَّلَهُ بَل لَّا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٣﴾ فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِّثْلِهِ إِن كَانُوا صَادِقِينَ ﴿٣٤﴾ أَمْ خُلِقُوا مِنْ غَيْرِ
شَيْءٍ أَمْ هُمُ الْخَالِقُونَ ﴿٣٥﴾ أَمْ خَلَقُوا السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بَل لَّا يُوقِنُونَ ﴿٣٦﴾ أَمْ عِندَهُمْ خَزَائِنُ رَبِّكَ أَمْ هُمُ
الْمُصَيْطِرُونَ ﴿٣٧﴾ أَمْ لَهُمْ سُلَّمٌ يَسْتَمِعُونَ فِيهِ فَلْيَأْتِ مُسْتَمِعُهُم بِسُلْطَانٍ مُّبِينٍ ﴿٣٨﴾ أَمْ لَهُ الْبَنَاتُ
وَلَكُمُ الْبَنُونَ ﴿٣٩﴾ أَمْ تَسْأَلُهُمْ أَجْرًا فَهُم مِّن مَّغْرَمٍ مُّثْقَلُونَ ﴿٤٠﴾ أَمْ عِندَهُمُ الْغَيْبُ فَهُمْ يَكْتُبُونَ ﴿٤١﴾ أَمْ
يُرِيدُونَ كَيْدًا فَالَّذِينَ كَفَرُوا هُمُ الْمَكِيدُونَ ﴿٤٢﴾ أَمْ لَهُمْ إِلَٰهٌ غَيْرُ اللَّهِ سُبْحَانَ اللَّهِ عَمَّا يُشْرِكُونَ
﴿٤٣﴾ وَإِن يَرَوْا كِسْفًا مِّنَ السَّمَاءِ سَاقِطًا يَقُولُوا سَحَابٌ مَّرْكُومٌ ﴿٤٤﴾ فَذَرْهُمْ حَتَّىٰ يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي فِيهِ
يُصْعَقُونَ ﴿٤٥﴾ يَوْمَ لَا يُغْنِي عَنْهُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا وَلَا هُمْ يُنصَرُونَ ﴿٤٦﴾ وَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا عَذَابًا
دُونَ ذَٰلِكَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٤٧﴾ وَاصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا وَسَبِّحْ
بِحَمْدِ رَبِّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٤٨﴾ وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَإِدْبَارَ النُّجُومِ ﴿٤٩﴾

﴿ فضلها وخواصها ﴾

روى الصدوق قدس سره في ثواب الاعمال باسناده عن محمد بن مسلم عن أبي عبد الله وأبي جعفر عليهما السلام قالا من قرأ سورة « الطور » جمع الله له خير الدنيا والاخرة.

أقول: رواه البحراني في البرهان والحويزي في نور الثقلين والمجلسي في البحار.

وفي المجمع وروى محمد بن هشام عن أبي جعفر عليه السلام قال من قرأ سورة « الطور » جمع الله له خير الدنيا والاخرة.

أقول: وذلك لان من قرأها متدبراً فيها وعلم مصائر الكفار والمجرمين ومصائر الابرار المتقين يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا واتقى وأصلح فقد وعده الله تعالى في كتابه بخير الدنيا والاخرة.

إذ قال « فمن اتقى وأصلح فلا خوف عليهم ولا هم يحزنون ـ ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا لفتحنا عليهم بركات من السماء والارض ـ فسأكتبها للذين يتقون ويؤتون الزكاة والذين هم بآياتنا يؤمنون » الاعراف : ٣٥ ـ ٩٦ ـ ١٥٦)

وفي المجمع أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وآله قال من قرأ سورة « الطور » كان حقاً على الله أن يؤمنه من عذابه وأن يسعفه في جنته.

أقول: ان الرواية مردودة عند الشيعة الامامية الاثني عشرية سنداً لمكان أبي بن كعب خلافه ولكنها مقبولة دلالة لمناسبها بما تحتويه السورة.

وفيه: عن جبير بن مطعم قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقرأ بالطور في المغرب.

وفي رواية : كان سماعه هذه الآية من جملة ما حمله على الدخول في الاسلام.

وفي البرهان : قال رسول الله ﷺ من أدمن قرائتها وهو مسحور أو مقيّد سهّل الله عليه خروجه.

أقول: ومن غير بعيد أن تكون من خواصّ السّورة ما جاء في هذه الرواية والله تعالى هو أعلم.

﴿ التعريض ﴾

عرض السّورة تأكيدها بما عليه المكذّبون من الجرأة على العذاب لاستقلاع أحدٍ أن يدفعه عنهم بعد أن أقسام ربّك بتعظيم الأشياء العظيمة والمشاهد المذكورة والأماكن المحترمة

مع التقرير الرمز وقوع الجزاء على سبيل الابتداء وإثارة الخوف في المكذبين وحملهم على الارعواء

والبيان لمصائر الكفار المكذبين وموقف الأبرار المتقين يوم القيامة جزاء بما كانوا يعملون في الحياة الدنيا

بقرينة عنهم لرسالة وإصرارهم على موقفهم منه ﷺ من اللهاثة والجنون والشعر على سبيل الحقيقة لما كان قول الكفار في الدين الكريم ﷺ وتأسيله شبكة مما أدّى من موقفهم وأقوالهم وتحليلهم بعقائدهم وإعتدادهم وتهكّمهم بهم

وتقرير لعجزهم وإفكهم وكذبهم وتصوير شدّة عنادهم وتحاشد زعمائهم

وفي ختامها أمر للنبي ﷺ بأن لا يهتمّ بموقفهم، وأنه ﷺ في حماية الله جل وعلا وحثّه على الصبر والثبات على ما هو ﷺ عليه من مهمته ومن الحمد والتسبيح لله تعالى في جميع أوقاته وحركاته وطروقه ليلا ونهاراً صباحاً ومساء

﴿ النزول ﴾

سورة الطور مكّيّة نزلت بعد سورة السجدة وقبل سورة الملك، وهي السورة الثانية والستون نزولاً والثانية والخمسون مصحفاً

عدد آيها على الكوفي [illegible] سقطت عليها ٤١٤٣ آية نزولاً و ٤٧٣٥ آية مصحفاً على الحقيق

عدد كلمها ١٥٠٠ حرفها ٣١٢٠ كلمة على ما في بعض التفسير

في شواهد التنزيل للحاكم الحسكاني الحنفي بإسناده عن ابن عباس في قوله تعالى ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّتهم ﴾ الآية، قال: نزلت في النبي وعلي وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام

وفي الروض النضير للطبري أخرج علي بن سنان البصري قال: قال ابن عمر: علي من أهل البيت لا يقاس بهم أحد، علي مع رسول الله ﷺ في درجته، لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول ﴿ والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيّتهم ﴾ فاطمة مع رسول الله ﷺ في درجته وعليّ مع فاطمة

وفي أمالي الصدوق حمد الله تعالى عليه بإسناده عن محمد بن مسلم قال: سمعت أبا جعفر وجعفر بن محمد عليهما السلام يقولان: إنّ الله تعالى عوّض الحسين عليه السلام من قتله أن جعل الإمامة في ذرّيّته والشفاء في تربته وإجابة الدعاء عند قبره ولا تعدّ أيّام زائره حتّى واجعاً من عمره

قال محمد بن مسلم: فعلت لأبي عبد الله عليه السلام هذه الحلال تعدل بالحسين عليه السلام فما له من بعده؟ قال: إنّ الله تعالى ألحقه بالنبيّ فكان معه في درجته ومنزلته

ثم تلا أبو عبد الله عليه السلام «والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» الآية

وفي رواية: إن قريشاً اجتمعت في دار الندوة ودعت مذاهب شتى في صدّ دعوته عليه السلام ومقاومته، فحظر الداعون عليهم، وعدّدوا المعلول في الخلاص منه، فقال قائل من بني عبد الدار: تربّصوا به ريب المنون فإنه شاعر فسيهلك كما هلك زهير والنابغة والأعشى، ثم افتروا على هذه المقالة قول الله تعالى «أم يقولون شاعر نتربّص به ريب المنون»

وخلاصة هذا - إنا نتعوذ عن بذائه ونتنزّه لسانه محققون أن ليست هذه شعره وإنما سبيلنا معه أن نصبر عليه ونتربّص موته كما مات الشعراء من قبله

﴿ القراءة ﴾

قرأ أبو عمرو «واتبعناهم» بالنون والألف «ذرياتهم» بالجمع لهمزة ابن كثير الآتية و«ذرياتهم» على الجمع منصوب والباقون «واتبعتهم» من باب الأفعال «ذرياتهم» التأنيث للغيبة، وقرأ أبو جعفر ونافع «ذرياتهم» على الجمع برفع الأولى ونصب الثانية. وقرأ ابن عامر «ذرياتهم» الأول والثاني «وما ألتناهم» على منصوب والجمع وقرأ الباقون على التوحيد فيهما برفع الأول ونصب الثاني

وقرأ ابن كثير «ألتناهم» بكسر اللام تلاقت الساكنان والباقون بفتحها، وقرأ أبو جعفر ونافع «إنه هو البر الرحيم» بفتح الهمزة على تقدير لأنه والباقون بكسرها على الاستئناف وقطع الكلام عما قبله

وقرأ ابن كثير وابن عامر «المسيطرون» بالسين والباقون بالصاد، وقرأ عاصم وابن عامر «يصعقون» مبنياً للمفعول والباقون مبنياً للفاعل

﴿ الوقف والوصل ﴾

« والطور لا ـ المسجور لا » لحواب القسم « لواقع لا » للحال أو الصفة الآتية « دافع » لظرف الوقوع « موراً لا » للعطف « سيراً ط » « للمكذّبين لا » للصفة الآتية « يلعبون م » « دعّاً ط » على تقدير يقال لهم هذه النار « تبصرون لا » للحال « ربهم ح » لاحتمال العطف واستئناف وحه الحال أي وقد وقاهم « تعلمون لا » المحال « معصوفة ح » لاحتمال العطف والاستيناف « تدعوه ط » لمن قرأ « انه هو البر الرحيم » بالكسر « مخزون ط » لان أم إبتداء استفهام وتوبيخ « المتربصين ط » لما تقدم « طاغون ح » لاحتمال ابتداء الاستفهام والحوابقوله « بل لا يؤمنون ح » للاية مع الفاء « صادقين ط » لما سبق « الخالقون ط » كذلك « والارض ح » لان بل للاضراب مع العطف « لا يوقنون ط » لما تقدم « المصيطرون ط » كذلك « فيه ج » لتناهي الاستفهام مع فاء التعقيب « مبين ط » « السوء ط » « مثقلون ط » « يكتبون ط » كل ذلك لما سبق « كيدا ط » لتمام الكلام « غير الله ط » لتمام الكلام « يسقطوا لا » لظرف الوقوع على طريق البدل « ينصرون ط » لتمام الكلام « تقوم لا » للعطف

﴿ الآية ﴾

٣٣ ـ الطور ـ ٩٤٩

طار يطور طوراً وطوراناً من باب قعد ـ ح ٩٤٩ .

يقال: لا طور بفلان، أي لا أحوم حوله ولا أدنو منه.

وفي حديث عمر الأمر بين يديه: والله لا أطور معه سوطه، أي لا أقرب منه أبداً.

الطور: الحد من الشيء ـ بفتح الطاء ـ فلان في الغنم طوره، أي حدّه أوّله وآخره.

والطور من المادة: الامتداد في كل شيء من مكان أو زمان وإليه ترد معاني المادة المختلفة.

ومعنى طوره: أي حدوده التي ينتهي إليها، ومنه حديث ... في قولها ... طوره، أي حوله الذي يطوف به.

الطوار: ـ بالكسر والفتح ـ ما ارتفع من حد الشيء، يقال: ما زال يطور هذا الحائط، أي يطوره، وفي حديث سعيد: بعد أي طوره، أي حوله وحده الذي يحصّه ويحوط فيه شيره.

الطور: الشيء والهيئة والحالة، والجمع الأطوار، وهي الأحوال.

قال الله تعالى: ﴿وقد خلقكم أطواراً﴾ نوح ١٤، أي أحوالاً مختلفة.

حال ، أو خلقاً مختلفة

قيل : تشير الآية إلى قوله تعالى: « خلقكم من تراب ثم من نطفة ثم من علقة ثم من مضغة » غافر : ٦٧)

وإلى قوله تعالى « واختلاف ألسنتكم وألوانكم » الروم ٢٢) أى مختلفين فى الخلق و الخلق

يقال أتته طوراً بعد طور ، أى مرة بعد مرة ، يقال الناس أطوار أى على حالات شتى

الطور : جبل بالشام قرب أيلة، وهو جبل كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام فى الأرض المقدسة بمدين يضاف إلى سيناء وسيين ، قيل الطور الجبل معرب ليست عربية

والذى فى القرآن الكريم من المدة من الأعلام كطور سيناء و طور سيين والطور ان اريد به الجبل المعين وهى فى مواضعها من معجم اعلام القرآن قال الله تعالى: « والطور » الطور : ١)

وقال « وشجرة تخرج من طور سيناء » المؤمنون ٢٠)

وقال « وطور سينين » التين ٢)

وفى معانى الاخبار : معنى طور سيناء انه كان عليه شجرة الزيتون و كل جبل لايكون عليه شجرة الزيتون أو ما ينتفع به الناس من النبات أو الاشجار من الجبال فانه يسمّى جبلا وطوراً ولا يقال طور سيناء ولا طور سيين

وفى المفردات طوار الدار وأطواره ما امتد منها من البناء ، والطوراسم جبل مخصوص ، وقيل اسم لكل جبل وقيل . هو جبل محيط بالارض

٤٣ - السطر - ٧٠٢

سطر يسطر سطراً - من باب نصر -: خطّ وكتب، والسطر: الصف من الكتابة والشجر ومن القوم الوقوف ونحو ذلك.

وسطّر الشيء - من باب التفعيل -: صفّه وألّف الأسامير

واسم المفعول - من الثلاثي -: مسطور

قال الله تعالى: «في كتاب مسطور» (الطور ٢) أي مكتوب، أو مثبت محفوظ

وقال: «ن والقلم وما يسطرون» (القلم ١) أي يكتبون وقال: «وكل صغير وكبير مستطر» (القمر: ٥٣)، أي كلما هو كائن من الأحداث والأزمان وغيرها مكتوب في لوح المحفوظ

الاساطير: جمع اسطار وإسطير وسطير وإسطور وأسطور، وهي الأحاديث لا نظام لها، أو الأباطيل، أو هي جمع أسطار فهي جمع الجمع، وهي من سطره الأولون وسطّر فلان عليه أي جاء بأحاديث يشبه الباطل، وحرف الأولين

قال الله تعالى: «يقول الذين كفروا إن هذا إلا أساطير الأولين» (الأنعام ٢٥)

أسطر فلان: أخطأ في قراءته (المصباح - للفيومي) الأمية: قال «وجعت فلاناً ولم يساعد سطرتي» أي امنيتي

المسطر - بالكسر -: ما يخط به الكتاب ويسطر به

سيطر على الشيء: تسلّط عليه لتعهد أحواله ويشرف عليه فهو مسيطر

وفي حديث الحسن: «سئله الأشعث عن شيء من القرآن فقال له: ويحك والله ما تسطّر عليّ شيء» أي ما تسلّط عليّ شيء فيه.

(مصيطر) هي سيطر مثل الميم صاداً لأجل التاء بعدها فهو مصيطر وهم مصيطرون، وقال تعالى: «أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون» (الطور ٣٧)

وتسيطر وسوطر راقب وتعهد، يقال: مالك سيطرت علي وتسيطرت وما هذه السيطرة والمسيطر والمتسيطر: الرقيب الحافظ والمسلط على الشيء ليشرف عليه ويتعهد أحواله ويكتب عمله.

٥٧ - الرق - ٥٨٥

رقّ يرقّ رقّاً ورقّة فهو رقيق ورقاق - من باب ضرب -: لطف ضد غلظ وخشن وقوي وشد، ومنه: «كبرت سني ورقّ عظمي».

الجلد الرقيق: ما يكتب فيه

قال الله تعالى: «في رق منشور» (الطور ٣).

رقّ الرجل: ساءت حاله وقلّ ماله، ورق وجه الرجل: استحيى، ورقّ للرجل: رحمه، ورق الشيء: لطف ورقق الكلام: حسّنه وترقيق الكلام: تحسينه.

الرق - بالكسر - مصدر واسم من الاسترقاق للعبودية ومنه الرقة: الرحمة والاستحياء والدعة ورقّة العيش: سعته ولينه ورقة الجانب: كناية عن الضعف، والرّق: الملك.

الرقيق: المملوك للواحد، والجمع بقلة: عبد رقيق وعبيد رقيق والرق جمع رقوق بالضم، ورقاق بالكسر.

٧٠ - المور - ١٤٦٨

٦٢ - الخوض - ٤٥٠

خاض فى الماء يخوض خوضاً وخياضاً - من باب نصر - : مشى ودخل فيه و خاض الجواد فى الميدان : مرح

وفى حديث الوضوء « يخوض الرجل رجله الماء خوضاً » أى يدخلهما فى الماء ماشياً ، وخاضوا فى الحديث : « تفاوضوا فيه »

ومن المجاز قولك يخوض فى الكلام اذا تكلّم فيه على غير هدى فهو خائض وهم خائضون .

وما جاء فى القرآن الكريم من هذه المادة عدا آيتين هو من المجاز المراد به التكلّم على غير هدى

قال الله تعالى « فلا تقعدوا معهم حتى يخوضوا فى حديث غيره » النساء ١٤٠) أى يتفاوضوا

وقال « الذين هم فى خوض يلعبون » الطور : ١٢)

والخوض من الكلام ما فيه باطل ولغو وقد خاض فيه ، وأخاض القوم حياهم الماء اذا خاضوا بها الماء .

فى المفردات : الخوض . هو الشروع فى الماء والمرور فيه ، ويستعار فى الامور وأكثر ما ورد فى القرآن ورد فيما يذمّ الشروع فيه

وفى النهاية: أصل الخوض المشى فى الماء وتحريكه ثم استعمل فى التلبس بالامور والتصرف فيه : أى ربّ متصرّف فى مال الله تعالى بما لا يرضاه الله جل وعلا.

٣٧ - اللعب - ١٣٤٦

لعب يلعب لعباً ولعباً من باب علم ومنع - أتى ما يتسلى به وتطرب اليه نفسه. قال الله تعالى: « أرسله معنا غداً يرتع ويلعب » يوسف ١٢) أي يتنزه ويفعل ما تطرب اليه نفسه ، اللعب : ضد الجد

وقال تعالى : « الذين هم في خوض يلعبون » الطور ١٢) أي يهرفون غير جادين في طريقنا .

لعب في الامر : هزل ولم يسلك فيه مسلكاً جدياً نافعاً

ولعب في الدين استخف به ، ولعب بكذا إتخذه لعبة ، ولعبت الرياح بالديار : تسلطت عليها .

اللعب العبث الذي لا يجدي ، و لعب بمناول الامور في عبث وعدم إهتمام

ولعب الصبي : سال لعابه من فمه

اللعبة - بالضم - الشطرنج والنرد و كل مايلعب به فهو لعبة

ومنه الحديث : « تباؤكم منزلة اللعب »

ورجل تلعابة : كثير المزاح والمداعبة ، واللعبة الاحمق الذي يسخر به .

في المفردات: أصل الكلمة اللعاب وهو الرائق السائل ، ولعب فلان إذا كان فعله غير قاصد به مقصداً صحيحاً يلعب لعباً ، قال « وما هذه الحياة الدنيا إلا لهو ولعب » .

٤٧ - الآلت - ٤٧

ألته ماله وحقّه ، يألته ألتاً - من باب ضرب - : نقصه ، متعدّ ولازم ، يقال: ألت الشيء : إذا نقص

قال الله تعالى « وما ألتناهم من عملهم من شيء » الطور ٢١)

أي ما نقصناهم من ثواب عملهم من شيء

الآلت : القسم ، يقال : إذا لم يعطك حقك فقيّده بالآلت

آلته يميناً : حلّفه وشدّد عليه أو طلب منه حلفاً أو شهادة يقوم له بها وحبسه عن وجهه وصرفه

والآلت : الطلم والهتان ، والآلة - بالضمّ - : العطيّة القليلة

٧٨ - الرهن - ٦٠٦

رهن يرهن رهناً - من باب منع - : حبس .

الرّهن : ما وضع وثيقة لدين المرتهن وإطلاق الرّهن على المرهون من قبيل تسمية المفعول باسم المصدر كالخلق على المخلوق

يقال : رهنته المتاع بالدّين : حبسته عنده ليثوب منه الدّين ، ورهنت الشّيء عنده فهو مرهون ورهين .

قال الله تعالى : « كلّ امرئ بما كسب رهين » الطور ٢١) أي كل انسان

مرهون عند الله بكسبه ، كأن الكسب بمنزلة الدين ونفس العبد بمنزلة الرهن ولا ينفك الرهن ما لم يؤدّ الدّين صالح العمل مع الإيمان

والرهينة ما يرهن ، وهو في الأصل وصف غلبت عليه الاسميّة كالنطيحة والذبيحة ، قال تعالى « كل نفس بما كسبت رهينة » المدثر ٣٨)

والتاء للمبالغة أو باعتبار كلمة النفس ، وفي الحديث « وأنفسكم مرهونة بأعمالكم» وفي الدعاء «وفكّ رهائي» أي تخليصه أراد بالرهان نفس الانسان مرهونة بعملها ، وجمع الرهن رهان ورهون ورهن قال تعالى «وإن كنتم على سفر ولم تجدوا كاتباً فرهان مقبوضة » البقرة : ٢٨٣)

إرتهن الشيء منه أخذه رهناً ، المرتهن آخذ الرهن ، والراهن آتي الرهن وارتهن الشيء بالأمر أي تقيّد به ، استرهنه الشيء طلبه منه رهناً

رهن بالمكان ثبت وأقام ودام ورهل ، الراهن الممدّ والمهزول يقال طعام راهن دائم ، ومنه نعمة راهنة ، جبل الرهان الّتي تراهن على سفافها يعني أوعره يستحقه صاحب السابق منها .

وفي المثل هما كفرسي رهان ، ضرب للمتساويين والمتقاربين في الفضل وغيره ، وللمتسابقين في المباراة .

في القاموس الراهون جبل بالهند من سرنديب وهو الذي هبط عليه آدم عليه السلام يرى من بعد وعليه آثار أقدامه الشريفة ، وهو منبع الطلوع ، وبه الياقوت الجيّد

٢ - اللؤلؤ - ١٣٣٩

لألأ النجم والبرق تلألأ لؤلؤة - من باب دحرج - لمع واضطرب بريقه وأضاء، الدلاء: المرح. لتم وضوء السراج، وتلالا الشيء تلالؤاً: لمع لمعان اللؤلؤ، وفي وصف النبي ﷺ «تلالأ وجهه تلالأ القمر» أي يشرق ويستنير مأخوذ من اللؤلؤ.

اللؤلؤ: الدر وهو أجسام مستديرة بيضاء لمعانه تتكون من الأصداف من رواسب بعض الحيوانات المائية الدنيا.

قال الله تعالى «ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون» الطور ٢٤).

واحدة اللؤلؤ: لؤلؤة والجمع لآلىء واللآلة: حرفة اللآلىء. ولألأت النار توقدت، وتلالأت: اضطربت، ولألأ الثور بذنبه: حركه

في القاموس: أبو لؤلؤة: غلام المغيرة بن شعبة قاتل عمر بن الخطاب

٣٢ - الشفقة - ٨٠٠

شفق الناصح عليه يشفق شفقاً - من باب علم -: حرص على إصلاحه فهو شفيق

الشفقة: الخوف والحذر والرحمة والرأفة والحنو والاعطف. أشفق من الشيء: حذر أن ينالك منه مكروه، وأشفق على الشيء: خاف أن يصل له مكروه وأشفق في شيء: عطف عليه عناية به

قال الله تعالى: «وما يدريك لعل الساعة قريب - والذين آمنوا مشفقون منها» الشورى: ١٧ - ١٨).

وقال : « أأشفقتم أن تقدّموا بين يدى نجواكم صدقات » المجادلة ١٣)
أى أحجتم على أن يترل عليكم الفقر لتقديمكم الصدقات

وقال « قالوا إنّا كنّا قبل فى أهلنا مشفقين » الطور ٢٦)

وأشفق الشىء قلّله ، وشفّق الملحفة جعلها شفعاً فى النسج ، وشفّق الثوب : نسجه نسجاً رديئاً .

الشّفق بقيّة ضوء الشّمس وحمرتها فى أوّل الليل أو الحمرة فى غروب الشّمس ، قال تعالى « فلا اقسم بالشفق » الانشقاق ١٦)

فى المفردات: الشفق إختلاف ضوء النهار بسواد الليل عند غروب الشمس والاشفاق عليه محتاطه بخوف ، لانّ المشفق يحبّ المشفق عليه ويخاف ما يلحقه فاذا عدّى بمن فمعنى الخوف فيه أظهر وإذا عدّى بفى فمعنى العايد فيه أظهر

وفى النهاية: الشفق من الاضداد يقع على الحمرة التى ترى فى المغرب بعد مغيب الشمس وبه احتج ثعلب فى قوله فى الناس لباقى فى الافق الغربى بعد الحمرة المذكورة وبه أخذ أبو حنيفه

٥٢ ـ الكهانة ـ ١٣٣٥

كهن الرجل لاخر يكهن كهانة ـ من باب منع ونصر ـ : أخبره بالغيب على سبيل الظنّ فهو كاهن ـ ومن باب كرم ـ : إذا صار كاهناً أو صارت الكهانة له طبيعة وغريزة

قال الله تعالى : « فذكّر فما أنت بنعمة ربك بكاهن ولا مجنون » الطور : ٢٩) وقد شاعت الكهانه فى الجاهليّه بين العرب واتّخذها بعضهم حرفة لهم وكان الكفّار يتقوّلون على الرّسول ﷺ ويرمونه بالكهانة ويقولون : إنّ القرآن قول كاهن فعاب الله تعالى عليهم ذلك .

الكاهن أيضاً : من يقوم بأمر الرجل ويسعى في حاجته .

الكهانة - بالكسر - حرفة الكاهن ، الكهوت وظيفة الكاهن

في المفردات الكاهن هو الذي يخبر بالأخبار الماضية الخفيّة مصدره من الظنّ ، والعرّاف الذي يخبر بالأخبار المستقبلة على نحو ذلك ، ولكون هاتين الصناعتين مبنيّتين على الظن الذي يخطىء ويصيب ، قال ﷺ « من أتى عرّافاً أو كاهناً صدّقه بما قال فقد كفر بما نزل على أبي القاسم »

ويقال كهن - من باب كرم - فلان كهانة إذا تعاطى ذلك و كهن - من باب منع - إذا تعمّق بذلك وتكهّن تكلّف ذلك

وفي الصحاح : الكاهن الساحر

٦ - الرّبص - ٥٣٤

ربص بفلان يربص ربصاً - من باب ضرب - إنتظره خيراً أو شراً يحل به

قال الله تعالى « قل هل تربّصون بنا إلا إحدى الحسنيين ونحن نتربّص بكم أن يصيبكم الله بعذاب من عنده أو بأيدينا فتربّصوا إنا معكم متربّصون » التوبة ٥٢) إحدى الحسنيين : إما الظفر وإما الشهادة ونتربّص به تربصاً هلاك وانتظر قال تعالى « يتربّصن أربعة أشهر » البقرة ٢٢٦) أي تمكث ، وتربّص به أمراً انتظره يتوقعه له وإسم الفاعل متربّص وهم متربّصون

قال تعالى : « قل تربّصوا فإني معكم من المتربصين » الطور ٣١) ، والمتربّص المحتكر

في المفردات : التربّص الانتظار بالشيء سلعة كانت يقصد بها غلاء أو رخصاً أو أمراً ينتظر زواله أو حصوله

١١ - الغرم - ١٠٨٠

غرم لزيد الدّية و لدّين ، غير ذلك يغرم غرماً - بفتح والضم - ، غرامه - من باب علم . ، لزم لأنسان في ماله من غير جنايته

والغرم مصدر وضع موضع اسم ، غرم فلان في التجارة ، خسر ، ويدل لعدة على معنى الملازمة والملاصقة ، ومنه الغرام لأن لولوع به ، -

و لمغرم بالشيء ، من لا يصبر عنه ، لغرام للزام من العذاب ، شر لدائم والبلاء ، وما لا يستطاع لتفصّي منه

الغرم أداء شيء يلزم لأنسان ، لغرامة من عليه دين

الغريم الذي له لدين فهو دائن ، لذي عليه لدين فهو لمدين فهو من لأضداد ، وجمعه غرّام ، غرماء

وغرّم وأغرمه لدين والدّية ، ويدل لك الزمه بأدائها ، غرم بالتشديد مبنيّاً للمفعول أي به

ويرد من لمادّة معنى لهلاك ، غرماً قوله تعالى ، إنّ عذابها كان غراما ، الفرقان : ٦٥) أي هلاكاً لازماً

وفي معنى الغرم المذلّ و لعذاب لمغرم الذي أغرمه غيره ، قوله تعالى ، فهم من مغرم مثقلون ، الطور : ٤٠)

وقوله ، إنّا لمغرمون ، الواقعة : ٦٦) أي لمعذبون وهالكون . وقوله ، والغارمين ، التوبة ٦٠) أي الذين هم عليهم الدين ولا يجدون القضاء

وقوله ، من يتخذ ما ينفق مغرماً ، التوبة ٩٨)

تغرّم الرجل تكلّف الغرامة وتحمّلها ، إغترم الرجل أوجب الغرامة على نفسه

لغرم - بالفتح - الولوع والشرّ الدائم والهلاك والعذاب والحبّ المعذّب للنفس

الغرامة - بالفتح - المشقّة والضرر وفي الحديث « أعوذ بك من المأثم والمغرم » أريد به مغرم الذنوب والمعاصي وفي الدعاء « اللّهمّ تكشف المغرم والمأثم »

في المفردات : الغرم - بالضمّ - ما يلزم الانسان في ماله من ضرر لغير جناية منه أو خيانة يقال غرم كذا

والغريم يقال لمن له الدين ولمن عليه الدين

وفي النهاية : الغرم ما يلزم الذي يلتزم ما ضمنه ويتحمّل به ويؤدّيه ، **والغرم :** أداء شيء لازم وفي الحديث « الزعيم غارم » الزعيم الرهن لمن رهنه له غنمه وعليه غرمه » ، أي عليه أداء ما يفكّه به

وفي اللسان الغرم - بالكسر - اللازم من العذاب والشر الدائم ، والبلاء والحب والعشق ، وما لا يستطاع أن يتفصّى منه

وفي حديث معذّبي النار « عذابهم غرام » أي لازم دائم

وفي القاموس وشرحه الغرام في كلام العرب أشدّ العذاب

الغرام الدائم والغريم أيضاً المديون فهو ضدّ

٢٣ - الكسف - ١٢٩٦

كسف الثوب يكسفه كسفاً وكسوفاً من باب ضرب - قطّعه قطعاً

الكسفة القطعة من السحاب أو القطن وكل شيء قطعته فقد كسفته

قال الله تعالى «وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم» الطور ٤٤ أي قطعة من السحاب، أي ولو أن الله أسقط عليهم كسفاً من السماء كما يقترحون لقالوا: من فرط عنادهم: ما هذا إلا سحاب متراكم ملقى بعضه فوق بعض

وجمع الكسفة كسف كقربة وقرب أو كسف كسدرة وسدر. كسف الله الشمس حجبها فاختفت واسودّت بدخان صوّاف، وكسف بصره حجبه ولكمه، وكسف أمله فهو كاسف: إذا انقطع رجاؤه من كل شيء ولم يبسط أو ضاق عليه أمله، وكسف حاله: ساءت، ووجهه تغيّر وعبس، يقال فلان كاسف البال أي سيّئ الحال، وكاسف الوجه أي عابس، ويوم كاسف مهموم لما حدّثته نفسه بالشر قد تغيّر لونه وظهر من الحزن، ويوم كاسف أي عظيم الهول شديد الشر

في المفردات: كسوف الشمس والقمر إستتارهما بعارض مخصوص، وقيل شبّه كسوف الوجه والحال فقيل كاسف الوجه وكاسف الحال

والكسفة قطعة من السحاب والقطن ونحو ذلك من الأجسام المتحلحلة الحائلة . . .

وفي اللسان كسفت الشمس ذهب ضوؤها واسودّت، وكسف القمر ذهب نوره وتغيّر إلى السواد.

٦٦ - الرّكم - ٥٩٤

ركم الشيء يركمه ركماً - من باب ضرب - ألقى بعضه على بعض فجمعه وهو مركوم ، وجمع الركم : ركام

قال الله تعالى : « سحاب مركوم » الطور : ٤٤)

وقال : « ألم تر أنّ الله يزجي سحاباً ثم يؤلف بينه ثم يجعله ركاماً » النور : ٤٣)

وقال - « ويجعل الخبث بعضه على بعض فيركمه جميعاً فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون » الانفال : ٣٧) .

تراكم الشيء وارتكم إجتمع مع إزدحام وكثرة

والركام يوصف به الرمل والجيش ، ومرتكم الطريق حادّته التي فيها ركمة ، أي أثر متراكم

وفي حديث الاستسقاء : « حتى رأيت ركاماً » أي سحاباً متراكماً بعضه فوق بعض

ومنه الحديث « فجاء بعود وجاء بحزمة حتى ركموا فصار سواداً »

الرّكمة الطين والتراب المجموع

وتراكم لحم الناقة سمنت ، وناقة مركومة سمينة ، وتراكمت الاشغال وارتكمت كثرت واجتمعت

﴿ التفسير ﴾

١ - (والطور)

الواو للقسم « الطور » مجرور به متعلق بمحذوف أي أقسم بالطور

٢ - (وكتاب مسطور)

الواو للعطف « كتاب » معطوف على « الطور » « مسطور » نعت من « كتاب »

٣ - (في رق منشور)

الجار والمجرور متعلق بمسطور « رق » متعلق بمحذوف وهو نعت ثان من « كتاب » و « منشور » صفة للرق

٤ - (والبيت المعمور)

الواو للعطف « البيت » معطوف على « الطور » و « المعمور » نعت من « البيت »

٥-٦ (والسقف المرفوع والبحر المسجور)

إعرابهما ظاهر مما سبق

٧ - (إن عذاب ربك لواقع)

« إنّ » حرف تأكيد « عذاب ربك » إسمها « لواقع » اللام للتوكيد ومدخولها خبرها

٨ - (مالـه من دافع)

الجملة صفة لواقع أي واقع غير مدفوع

٩ - (يوم تمور السماء موراً)

« يوم » ظرف لواقع ، أي يقع عذاب ربك في ذلك اليوم ، وقيل ظرف لما دلّ عليه ، « ويل » و « تمور » فعل مضارع و « السماء » فاعله ، و « موراً » مفعول مطلق

١٠ - (وتسير الجبال سيراً)

الواو للعطف ، والجملة عطف على ما قبلها

١١ - (فويل يومئذ للمكذبين)

الفاء للجزاء ، لأنّ الكلام متضمن لمعنى الشرط على تقدير إذا كان الأمر كذلك ، و « ويل » مبتدأ والابتداء بالنكرة لمعنى الدعاء ، و « للمكذبين » خبره والجملة جواب الشرط المقدّر

١٢ - (الذين هم في خوض يلعبون)

« الذين » في موضع جرّ صفة للمكذبين ، و « هم » مبتدأ ، و « في خوض » متعلق بقوله « يلعبون » وهو خبره على حذف العائد ، أي في خوض عجيب والجملة صلة الموصول ، وقيل الجار والمجرور متعلّق بمحذوف على تقدير الذين هم مستقرّون في خوض عجيب يلعبون بالمحرّمات في بيت الله جلّ وعلا

١٣ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

« يوم » بدل من « يومئذ » ، وقيل ظرف لقول مقدر ، أي يقال لهم : هذه وقيل بدل من « يوم تمور » ، و « يدعّون » فعل مضارع مبنيّ للمفعول والواو التي بعده نائب الفاعل الراجع الى « المكذبين » ، و « الى نار جهنم » متعلّق بقوله : « يدعّون » ، و « دعّا » مفعول مطلق

١٤ - (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)

« هذه » مبتدأ ، و « النار » خبره ، و الموصول و صلته صفة من النار ،

والجملة تتمة لما قبلها مقوله لقول محذوف ، أي يقال لهم هذه ـ الخ

١٥ ـ (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

الهمزة للاستفهام ، وقد تقدم الكلام على قوله « هذه النار ـ الخ » و« سحر » خبر مقدم ، و « هذا » مبتدأ مؤخر ، و « أم » للاتصال والقول بكونها منقطعة ، وبعيد جداً لأنه عند العرض ، و « أنتم » مبتدأ ، و « لا تبصرون » خبره على حذف المفعول به

١٦ ـ (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

« اصلوها » فعل أمر حذفت لامه للبناء ، وضمير التأنيث في موضع نصب على المفعولية به ، والجملة على القول بتقدم ما بعد حولها فعل أمر ، و « أو » للتردد وما بعد حولها منهي ، و « سواء » خبر لمحذوف أي صبركم وعدمه سواء ، و « عليكم » متعلق بسواء ، أو به محذوفا على أنه حال ، و « إنما » للحصر ، و « تجزون » فعل مضارع مبني للمفعول ، و « ما » موصولة في موضع نصب على المفعول به ، و « كنتم تعملون » صلته على حذف العائد ، أي به

١٧ ـ (ان المتقين في جنات ونعيم)

« إن » حرف توكيد ونصب ، وهو هنا لابتداء الكلام ، و « المتقين » إسمها و« في جنات » خبرها ، و « نعيم » عطف على « جنات »

١٨ ـ (فاكهين بما آتاهم ربهم و وقاهم ربهم عذاب الجحيم)

« فاكهين » حال من المتقين ، و « ما » موصولة مجرورة بالباء متعلق بفاكهين ، و « آتاهم » الفعل للمضي من دون الأفعال والضمير في موضع نصب على المفعول به راجع إلى المتقين ، و « ربهم » فاعل الفعل والجملة صلة الموصول على حذف العائد أي به ، و « ووقاهم » عطف على « آتاهم » والضمير في موضع نصب على المفعول به ، و « عذاب الجحيم » منصوب بنزع الخافض أي عن عذاب الجحيم

١٩ - (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

«كلوا» فعل أمر حصت للمتّقين ، و«واشربوا» عطف على «كلوا» و«هنيئاً» حال من ضمير «كلوا» ، وقيل : حذف قائم مقام مفعول مصدر أو مفعول به أي كلوا واشربوا أكلاً وشرباً هنيئاً أو طعاماً وشراباً هنيئاً ، و«بما» متعلّق بقوله «كلوا» وقيل بقوله «هنيئاً» و«كنتم تعملون» صلة الموصول على حذف العائد

٢٠ - (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

«متّكئين» حال ثانية من المتّقين و«على سرر» جمع سرير متعلّق بمتّكئين و«مصفوفة» نعت من «سرر» و«زوّجناهم» فعل للمتكلم مع الغير من الماضي من باب التفعيل والضمير في موضع نصب على المفعول به راجع إلى المتّقين ، قيل : «بحور عين» أي : بمعنى مع فما حولها مفعول معه ، و«عين» نعت من «حور» ، وقيل : المراد من التزويج ههنا القرن دون النكاح بالعقد لتعديته بنفسه ، والمعنى قرنّاهم بحور عين

وأمّا التزويج بمعنى النكاح بالعقد فمتعدٍّ بـ«في» لقوله تعالى «وزوّجناكها» (الأحزاب ٣٧)

٢١ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)

«والذين» مبتدأ و«آمنوا» موصوله في موضع رفع على الابتداء و«اتبعتهم» و«ذرّيتهم» الفعل الماضي من باب الافعال والضمير في موضع نصب على المفعول به راجع إلى الموصول و«ذرّيتهم» فاعل الفعل ، و«بإيمان» متعلّق بفعل الاتباع

وقيل : إن حملت الذرّية للصغر فقط كان قوله «بإيمان» في موضع الحال من المفعولين والتقدير بإيمان من الآباء ، وإن حملت للكبار فقوله : «بإيمان» حال من الفاعلين ، و«ألحقنا» في موضع رفع خبره والفعل للتكلم مع الغير من الماضي من باب الافعال و«بهم» متعلّق بفعل الالحاق و«ذرّيتهم»

مفعول به و « من » للدلالة ، و « أتتا » لتتكلم مع الغير من العاصي ، و « من عبادهم » متعلق بأتتا ، وقيل حال من « شيء » ، و « من » الثانية زائدة و « كل إمرئ » مبتدأ و « ما » موصولة محذوفة العائد متعلقه قوله « كسب » وهو صلة الموصول على حذف العائد ، و « رهين » خبره

٢٢ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

الواو للعطف ، و « أمددناهم » الفعل الماضي للتكلم مع الغير والضمير في موضع نصب على المفعول به و « بفاكهة » متعلقه بفعل الامداد ، و « يشتهون » صلة الموصول على حذف العائد

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

« يتنازعون » فعل مضارع من باب التفاعل في موضع نصب على الحال من المتقين ، « فيها » متعلق بفعل التنازع والضمير راجع إلى الجنات ، و « كأساً » مفعول به على حذف المضاف إليه أي كأس الخمر ، و « لا لغو فيها » نعت للكأس ، « ولا تأثيم » عطف على ما قبله

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

الواو للعطف ، و « يطوف عليهم غلمان » في موضع نصب على الحال من المتقين ، « لهم » متعلق بمحذوف نعت من « غلمان » وهو جمع غلام ، و « كأنهم لؤلؤ » نعت ثان من غلمان ، وقيل حال ، « مكنون » نعت من « لؤلؤ »

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

الواو للعطف ، و « أقبل » فعل ماض من باب الافعال ، و « بعضهم » فاعل الفعل وضمير الجمع راجع إلى المتقين ومن ألحق بهم ، و « على بعض » متعلق بفعل أقبل ، و « يتساءلون » في موضع نصب على الحال ، وقيل على النعت .

٢٦ - (قالوا انا كنا قبل فى أهلنا مشفقين)

« قبل » معنى لنيابة المضاف اليه أى من قبل ذلك ، و « فى أهلنا » متعلق بقوله : « مشفقين »

٢٧ - (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

الفاء للتفريع ومدخولها فعل ما مض ، و « الله » فاعل لفعل و « علينا » متعلق بفعل المن ، و « وقانا » فعل ماض معطوف على « من » وعلامة ضمير المتكلم مع الغير في موضع نصب على المفعولية و « عذاب السموم » مفعول به وهو مضاف أى من عذاب السموم

٢٧ - (انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

« انا » حرف نأكيد وضمير المتكلم مع الغير راجع إلى المسئلين ، و « من قبل » معنى لنيابة المضاف اليه أى من قبل ذلك ، و « هو » ضمير فصل و « الرحيم » صفة البر أو خبر بعد خبر

٢٩ - (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

الفاءان للتفريع ، ومدخولها الاولى فعل أمر خطاب للنبى ﷺ ومدخولها الثانية حرف نفى تشبه بليس و « أنت » اسمها و « بنعمت ربك » في موضع حال متعلق بكاهن ، و « بكاهن » خبرها على زيادة الباء والتقدير ما أنت كاهناً ولا مجنوناً متلبساً بنعمة ربك ومن المحتمل أن تكون « لا » حرف عطف

٣٠ - (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

« أم » منقطعة بمعنى « بل » ومدخولها فعل مضارع لجمع الغيبة و « يقولون » هم المشركون ، و « شاعر » خبر لمحذوف أى هو محمد ﷺ شاعر و « نتربص » فعل تكلم مع الغير من المضارع من باب التفعّل صفة للشاعر ، و « به » متعلق بفعل التربّص ، و « ريب المنون » مفعول به

٣١ - (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين)

« تربصوا » فعل أمر لجمع الحاضر للمشركين ، « فاني » الفاء للتعريع على تقدير الشرط ، أي إن كنتم متربصين بي ريب المنون فاني متربص بكم الهلاك و وقوع العذاب عليكم.

٣٢ - (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

« أم » منقطعة بمعنى « بل والهمزة » ، و « تأمرهم » الفعل للمضارع والضمير في موضع نصب على المفعولية راجع إلى المشركين و « أحلامهم » جمع الحلم فاعل الفعل ، و « بهذا » إشارة إلى مقالة المشركين في النبي ﷺ ، و « هم » مبتدأ ، و « قوم » خبره ، و « طاغون » نعت من قوم

٣٣ - (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)

« تقوله » فعل ماض مبني لما لم يسم فاعله سند المشركون إلى النبي الكريم ﷺ و لضمير رجع إلى ما وعد به الرسول ﷺ و « بل » للاضراب

ولا يخفى ان الاضراب على قسمين إبطال لما سبق كقوله تعالى حكاية « وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون » الانبياء ٢٦)

« إنتقال من غرض إلى آخر

ثم إن تقدمها أمر فهو إضراب نحو : اضرب زيداً بل عمراً ، وقام زيد بل عمرو فهي تجعل ما قبلها كالمسكوت عنه فلا يحكم عليه بشيء وإثبات الحكم لما بعدها ، وإن تقدمها نفي أو نهي فهي لتقرير ما قبلها على حالته وجعل حكمه لما بعدها

٣٤ - (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

لفظ الجواب على تقدير لو كان هذا مما جاء به النبي ﷺ كلاماً من تلقاء نفسه لكان كلاماً بشرياً مماثلا لسائر الكلام ويماثله سائر الكلام فكان يمكنهم أن يأتوا بحديث مثله فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين في دعواهم التقوّل

٣٥ - (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)

« أم » منقطعة « خلقوا » فعل ماض لجمع الغيبة مبني للمفعول و فاعله الذي هو واو الّتي نابت مناب ضمير « هم » راجع إلى المشركين . « من غير شيء » موصوف على حذف الصفة أي من غير شيء خلق منه غيرهم من البشر ، و « هم » مبتدأ و « الخالقون » خبره

٣٦ - (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)

« لا يوقنون » خبر لمبتدأ محذوف أي هم لا يوقنون وقس على هذا التقدير هم قوم لا يوقنون

٣٧ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

« عندهم » خبر مقدم و « خزائن ربك » مبتدأ مؤخر و « هم » مبتدأ ، و « المصيطرون » خبره

٣٨ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

« لهم » متعلق بمحذوف خبر مقدم ، و « سلّم » مبتدأ مؤخر ، و « يستمعون » من باب الافتعال خبر من ضمير الجمع ، وقيل : نعت « منه » ، « فيه » الضمير راجع إلى السلّم وقيل في معنى على ، والفاء للتفريع ، ويحتمل الجزاء لشرط مقدّر وهذا قول من لم يجعل « مستمعهم » فاعل الفعل ، و « بسلطان » متعلق بقوله « فليأت » ، و « مبين » نعت من « سلطان »

٣٩ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

« له » متعلق بمحذوف و هو خبر مقدم و الضمير راجع الى الله سبحانه ، و « البنات » مبتدأ مؤخر وهكذا ، « ولكم البنون »

٤٠ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

« تسئلهم » خطاب للنبي ﷺ والضمير في موضع نصب على المفعول به الاوّل راجع الى المشركين ، و « أجراً » مفعول به الثاني ، و « فهم » الفاء للتفريع

ومدخولها متعلق بـ «من مغرم» متعلق بقوله: «مثقلون» وهو خبره.

٤١ - ﴿أم عندهم الغيب فهم يكتبون﴾

«عندهم» متعلق بمحذوف خبر مقدم، و«الغيب» مبتدأ مؤخر و«اللام» للتعريف و«مدخولها» مبتدأ، و«يكتبون» خبره على حذف المفعول به، أو المجرور، أي منه.

٤٢ - ﴿أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون﴾

«المكيدون» جمع مكيد بنحو مبيع وهو اسم مفعول من كاد يكيد.

٤٣ - ﴿أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون﴾

«لهم» متعلق بمحذوف خبر مقدم و«إله» مبتدأ مؤخر و«غير الله» نعت من «إله» وقد مر في قوله تعالى: «عما» معنى «عن» أي سبحانه عن شركهم.

٤٤ - ﴿وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم﴾

«إن» حرف شرط و«يروا» فعل الشرط، و«كسفاً» مفعول به، و«من السماء» متعلق بقوله: «ساقطاً» وهو نعت من «كسفاً»، وفعل جواب الشرط و«يقولوا» جواب الشرط و«سحاب» خبر لمحذوف أي هذا و«مركوم» نعت من «سحاب» أي متراكم هذا القول.

٤٥ - ﴿فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون﴾

«الفاء» للتفريع، ومدخولها فعل أمر خطاب للنبي الكريم ﷺ والفعل لم يستعمل في تصريفه إلا للمفرد والأمر، والضمير في موضع نصب على المفعول به راجع إلى المشركين.

و«حتى» حرف الغاية، و«يلاقوا» فعل مضارع من باب المفاعلة منصوب بأن مقدرة لوقوع الفعل بعد «حتى» وأصله يلاقيوا فحذفت الياء لثقل الضمة عليها فنقلت إلى القاف بعد حذف حركتها، و«يومهم» مفعول به، و«الذي»

نعت من « يومهم » و « فيه » متعلق بقوله « يصعقون » مستثنى للمفعول و هو صعقة الموصوف

٤٦ ـ (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون)

« يوم » بدل من « يومهم » و « لا يغني » فعل مضارع من باب الأفعال منفي بحرف النفي و « عنهم » متعلق به و « كيدهم » فاعله و « شيئاً » مفعول به و الجملة صفة من « يوم » و « لا هم ينصرون » الجملة عطف على ما قبلها

٤٧ ـ (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون)

« إن » حرف [illegible] و « للذين ظلموا » الجملة في موضع الرفع خبرها، و « عذاباً » اسمها و « دون ذلك » نعت من « عذاباً » و « ذلك » اسم الإشارة و « اللام » حرف [illegible] و « لا يعلمون » في موضع رفع خبرها

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

« واو » للعطف و « اصبر » عطف على [illegible] و « لحكم » متعلق بمحذوف و « اللام » [illegible] و « اصبر » و « لحكم ربك » و مدخولها حرف [illegible] و « الكاف » الجملة في موضع نصب اسمها و « بأعيننا » جمع عين مضاف إلى ضمير المتكلم مع الغير متعلق بمحذوف و هو خبرها و « حين تقوم » مفعول به [illegible]

٤٩ ـ (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)

« الواو » للعطف و « من » للتبعيض مع مجرورها متعلق بسبح بعدها و « اللام » للتعريف و مدخولها فعل أمر خطاب للنبي الكريم ﷺ و « الضمير » في موضع نصب على المفعول به و « إدبار » على تقدير وقت إدبار النجوم فحذف المضاف و أقيم المضاف إليه مقامه و هو مصدر من باب الأفعال و أضيف إلى « النجوم » و هي جمع النجم

﴿ البيان ﴾

٦ - ١ (والطور وكتاب مسطور في رق منشور والبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور)

[illegible] لأن [illegible] و[illegible] [illegible] [illegible] [

٨ - (مالـه من دافع)

إخبار بأنّ العذاب ليس على ما يستطيع أحد أن يدفعه، وفيه من الوعيد والتهديد المعجم بالكفار ما لا يخفى

٩ - (يوم تمور السماء مورا)

ظرف لواقع مبيّن لكيفيه الوقوع مبيء عن كمال هوله وفظاعته وتصوير لهول ذلك اليوم وشدته لما يقع فيه من حوادث تتحير بها عوالم الوجود من إحياء العالم السفلي، وتبدّل الأرض والسموات «يوم تطوى السماء كطيّ السجل للكتب» (الأنبياء ١٠٤) و«يوم تبدّل الأرض غير الأرض والسموات» (ابراهيم: ٤٨)

١٠ - (وتسير الجبال سيرا)

إشارة إلى بعض العالم الارضي من تبدل الأرض غير الأرض وإعلام وإنذار بأنّ لا خروج ولا عودة لهم يومئذ إلى الحالة التي لحراتها وتبدلها، وفي لايتين إثارة الخوف في مشاعرهم للبعث والحراء وحملهم على الارعواء

١١ - (فويل يومئذ للمكذبين)

تفريع لدعاء وتحذير لمن وقع عليه العذاب المختوم المحتم على سبيل تعليق الحكم على الوصف، فسبب الدعاء عليهم بالويل هو التكذيب بالبعث تكذيب الجزاء وتكذيب الرسالة، كما أنّ التكذيب هو سبب العذاب في الاية تهديد وتنديد بالمكذبين

١٢ - (الذين هم في خوض يلعبون)

توصيف للمكذّبين بالدعة لما كانوا عليه من خوض في الباطل ولا يذكرون حساباً ولا يخافون عقاباً، وتنوين التنكير في «خوض» يدل على سعة محدودة أي في خوض عجيب

١٣ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

بدل لقوله تعالى « يؤمئذ » تقرير لمصير المكذبين وهو وقعهم فيه

١٤ - (هذه النار التى كنتم بها تكذبون)

بيان لما أمر المكذبين بتلقيه من العذاب على طريق التوبيخ والتشديد بهم وعلى طريق تعليق الحكم على الوصف بتقدير القول أى يقال لهم إن المكذبين في الدنيا حرّكم إلى هذه النار التى كنتم تكذبون بها اليوم

قال الله تعالى « ذلك الذى يبشر الله عباده الذين آمنوا وعملوا الصالحات قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى » الشورى ٢٢ ٢٣

١٥ - (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

تقريع على طريق الاستفهام الذى يراد به التهكم حيث كانوا يسمّونه سحرا كما تشهد به أقوالهم المحكية بوقوع العذاب أى هذا القرآن أو ما تبصرونه سحر وأنتم تبصرون هو حق وهذا هو العذاب الذى كنتم تستعجلون به في الدنيا أو هذا العذاب سحر كما كنتم ترعمون

وفي تقديم الخبر « سحر » على المبتدأ « هذا » دلالة على أن سحرية محط الانكار عند التوبيخ والتهكم بهم

وإن هذا سقوط من أسقط العذاب الذى وقع سحرا على حكم حكمه أن يواجه بها وأن يذكر بها حالا بعد حال

كما إن أنكار أنهم أو أنكار أنهم فيه مبصرون وغير مبصرين لها وهي يبدك وفي قوله تعالى « أم أنتم لا تبصرون » زيادة في إيلامهم بأن ينظروا في العذاب الذى كانوا يكذبونه وأن يملأوا عيونهم به مما أن يذوقوه بأجسامهم وأن يتسوه ثيابا تقطّع لهم من تلك النار الموقدة أعم أعينهم

١٦ - (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

دعوه إلى مقاسة حرارة نار جهنم والنزول بساحتها، وتفريع على الأمر بالمقاسة والتردد بين الأمر والنهي كناية عن مساواة العمل والترك وبيان لعدم خلاصهم من العذاب وعي مناص لهم، ولذلك اسمه بقوله «سواء عليكم» أي هذه المقاسة للا مة لكم لا تفارقكم سواء صبرتم أو لم تصبروا

وقوله تعالى «إنما تجزون ما كنتم تعملون» تعليل لاستواء الصبر وعدمه على ما بلاهم العذاب، فلا تملك نسبة العمل عن عامله كما تفيده كلمة «تجزون» و«تعملون»

١٧ - (ان المتقين في جنات ونعيم)

شروع بمصائر المتقين وموقفهم وما لهم مقابلة لذكر مصائر المكذبين وموقفهم جريا على الأسلوب القرآني «متقين» «جنات ونعيم» تفخيم لهم، وتحسين التنكير «مصير لهم النعيم» «التنعم» التي جرت على المكذبين، وفي الآية من تعميق الحكم على الوصف ما لا يخفى على القارئ الخبير

١٨ - (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

تقرير لحال المتقين في الجنة «تنعمهم بما آتاهم» نعمهم من عذاب النار فهم لابسو النعم وحائزوا النعم وهو الفوز العظيم والنعيم المقيم

وفي قوله تعالى: «فاكهين» إشارة إلى أن قلوبهم لا يشغلها هم ولا تعب بل هم في لذة وسرور وفرح وحبور لا تشغلها كدرة وحزن وغم وانقطاع

وفي إيثار كلمة الرب دون أن يقال آتاهم الله أو خالقهم دلالة على أن الوعد والتطمين من شئون التربية وفي إضافته إلى ضمير المتقين إعتناء بشأنهم

وفي إظهار الرب وتكراره في قوله تعالى «ووقاهم ربهم» موقع الاضمار مضافاً إلى ضمير المتقين تشريف لهم وتعليل للوقاية بأن التقوى سبب الوقاية ومبالغة في المنة والعمل عليهم وإظهار لعنايته تعالى بهم لما صدروا له من مظهر

فضل الله تعالى وعدله جزاء خوفهم منه وإيمانهم بالله وحده

وسلوك الآية مسلك مجرد من شأنه بعث الابتهاج والطمأنينة في المتقين والتسوية بأعمالهم الصالحة المرضية، وحث غيرها وتشويق غيرهم لها، وفيها أحسن صور المتع للتقريب والتبشير.

١٩ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

في الآية إلتفات من الغيبة إلى الخطاب وتغيير لهم وجوه المتقين إلى ما أعدّ لهم من نعيم الجنة جزاء بما كانوا يعملون على تقدير القول أي يقال لهم مقابلة لدعوتهم الواردة في قوله تعالى: إلى ما أعدّ لهم وما لهم فيها ويشتمل عليهم سمعهم إذا دعوا إلى سبيله.

وفي قوله تعالى: هنيئاً إشارة إلى خلوّ لذائذ والمشارب مما ينغصها من الآكل والشارب من أذى المرض أو الثقل أو الاثم في تحصيله فلا يهنأ له الطعام ولا يكون شيء من ذلك في الجنة.

وفي قوله: بما كنتم تعملون إيماء إلى أنّ هذا إنجاز لما وعدهم ربهم به في الحياة الدنيا والامن عليهم فيما كانوا يمنّون عليهم في الدنيا بهدايتهم للايمان وتوفيقهم لصالح الاعمال، قال الله تعالى: يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان، الحجرات: ١٧)

٢٠ ـ (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

تقرير لهيئة جلوسهم فيما يتمتعون به من الفرش والازواج وفي قوله تعالى: وزوّجناهم، اظهار لنسبة الفعل إلى المتقين حيث نسب تزويجهم بفعل نفسه تعالى وانّه هو المتصدّي لذلك.

٢١ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)

مستأنف سيق لبيان حال طائفة من أهل الجنة إثر بيان حال الكلّ، وهم الذين شاركتهم ذرّيتهم في الايمان وفي إعتبار قيد الايمان إيذان بأنّ موجب

الالحاق هو التتمّة في الايمان. وفي تنكير «ايمان» دلالة على كون الايمان أيّ درجة كان ولاشترط التساوي فتنوينه للتنكير لا للتعظيم كما قيل.

وقوله «كل امرئ بما كسب رهين» تعليل لقوله تعالى «وما ألتناهم من عملهم من شيء».

٢٢ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

بيان لبعض نعمهم وتمتّعاتهم في الجنة اشير إليها اجمالاً في قوله تعالى «كلوا واشربوا هنيئاً» سابقاً وذكر الفاكهة واللحم دون أنواع الطعام الاخرى لانّهما طعام المترفين في الجنة لديا وفي انظار الناس أولاً والمضارع ثانياً دلالة على استمرار الامداد على تنويع الاشتهاء من الانسان.

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

تسمية ما في الكأس بالكأس من تسمية الحال بمحلّها والقرينة على ذلك هي نفي اللغو والتأثيم عنه، والمراد من الكأس ما فيه وهو الخمر، وفي الآية دلالة على أنّ علة حرمة الخمر هي إسكارها بتبعه اللغو والتأثيم غالباً. وفي قوله تعالى «لا لغو فيها ولا تأثيم» وصف للكأس.

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

في تنكير «غلمان» ايماء إلى انهم غير الغلمان الذين كانوا يخدمونهم في الحياة الدنيا، كما انّ قوله «طوف عليهم» يؤمي الى أنّ هؤلاء الغلمان مخلوقون لسادتهم فليس هنا إباق. وقوله «لهم» يؤمي إلى أنّ لكل من أصحاب الجنة غلماناً تخصه، وفي وصف الغلمان من تمام النعمة فانّ الصورة التي يقدّم عليها الطعام أو الشراب من آنية توضع فيها وأدوات تستعمل في تناولها وخدم يقومون بتقديمها ونحو ذلك يجعل للطعام طعماً يزيد على طعمه الذاتي حسناً أو قبحاً حسب حسن أو قبح هذه الملحقات به.

ومن هنا نجد الصحاف التي يقدم فيها الطعام لاهل الجنة صحافاً من ذهب،

والاكواب التي يقدم فيها الشراب فوارغ من مائه

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

بيان لما يتذاكر المتقون في الجنة بعضهم مع بعض من أحوالهم في الحياة الدنيا ومن مآل أمرهم في الآخرة

إن تسأل ان الآية تنافي ما جاء في قوله تعالى «فاذا نفخ في الصور فلا أنساب بينهم يومئذ ولا يتساءلون» المؤمنون: ١٠١)

وفي قوله تعالى: «ولا يسئل حميم حميماً» المعارج ١٠)

نجيب عنه ان عدم التساؤل انما هو يوم نفخ الصور وقيام الناس للحساب لان كل امرئ يومئذ شأن يغنيه، وأما التساؤل انما هو في الجنة وبعد الفراغ من الحساب فيتساءلون ويتعارفون اذا دخلوا الجنة فلا منافاة

٢٦ - (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين)

تقرير لما يتحدث به بعضهم بعضاً وبيان لبعض أحوالهم في الحياة الدنيا.

٢٧ - (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

تفريع على الاشفاق الحاصل بتوفيق ومنّ من الله تعالى. فهذا الاشفاق هو سبب النجاة من عذاب السموم وبيان لاحد أحوالهم يوم القيامة

٢٨ - (انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

تعليل لاستحقاقهم لتلك الكرامة في الآخرة. قيل تعليل لقوله «فمن الله علينا» وقيل لقوله «ووقانا عذاب السموم» وقوله «انه هو البر الرحيم» تعليل ثان.

في الآية دلالة على أن المناصب والانساب والاموال لا شأن لها الا اذا صارت وسيلة للخير والصالح العام

٢٩ ـ (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

تفريع على عامر من الاخبار المؤكّد بوقوع العذاب الالهي يوم القيامة ومن مصائر المكذّبين وموقفهم ومصائر المتقين وموقفهم فيه ومن تصوير المشاهد الّتي شهدوها من النار وعذابها، ومن الجنة ونعيمها

ومن غير ريب ان مواجهة الناس هذه الدعوة الاسلاميّة ستلقيهم على حال غير حال كانوا عليها من قبل

وتقييد النفي بقوله تعالى «بنعمة ربّك» بعد معنى الامتنان على النبي الكريم ﷺ خاصّة. وليس هذا الامتنان الخاص من جهة مجرد إنتفاء الكهانة والجنون فان كثيراً من الناس عدي هذه الصفة، بل من جهة تنزيه ﷺ بالنعمة الخاصة به ﷺ لما يمج من عروض هذه الصفات عند ﷺ من الكهانة والجنون وما إليها من الصفات غير اللائقة بشؤون الرسالة

فعلى النبي ﷺ أن يستمر في تذكيره ودعوته، وأن لا يبالي بأقوالهم فقد شملته نعمة الله تعالى وعصمته فليس هو ﷺ كما يقولون كاهناً ولا مجنوناً

٣٠ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

إضراب عن مقولات المشركين في النبي الكريم ﷺ بأنّه كاهن أو مجنون وترقّ في الانكار عليه، وإنتقال الى مقولة اخرى يقولونها فيه ﷺ وهو قولهم «شاعر» وهم يلقون بهذه الاقاويل من غير أن يقوم عندهم دليل عليها وإنّما هي زعمات طائشة عمياء يلقون بها ملاحظات أو تقدير

شأن من يحدث عدواً متوهّماً فيرى كل ما يقع لديه الى كل اتجاه فراراً من هذا الخطر المتوهّم سواء أصابت هذه الزعمات عدواً أم صديقاً

وقوله تعالى حكايةً عنهم «نتربّص به ريب المنون» امنيّة من تلك الأماني الّتي يعيش بها المشركون مع رسول الله ﷺ وتعلّقهم يتعللون بها وهي أن يتطارحوا به موتاً يختطفه من بينهم ويريحهم منه فتلك امنيّة يتمنّونها ويعلّقون آمالها بها.

وهذا دأب كل طاغ في كل عصر وفي كل وقت

٣١ - (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين)

تهديد وتهكم وردّ على ما ينتظرون في النبي ﷺ من موت أو نحوه من وفي الآية من الأمر السياسي ما لا يخفى على من كان أهله

٣٢ - (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

في الآية إستعارة أي كانوا هم غفلاء على ما يدّعون فكيف تحملهم أحلامهم على أن يرموا رسول الله ﷺ بالسحر والجنون والشعر والكهانة وقد علموا بعده ﷺ عنها ومباينته لها وهذا القول منهم سفه وكذب جداً، وهاتان الصفتان متناقضتان لأوصاف العقلاء

فحرج قوله تعالى «أم تأمرهم أحلامهم بهذا» مخرج السخرية بهم، والاستهزاء عليهم فأمر بالاستفهام عن عقولهم لقولهم ما لا يقبله عقل ولا ينطق به عاقل وهو التربص والانتظار لمن لدى يتمسّون به كنبي الكريم ﷺ، وفي التعبير عن معقولات عقولهم بالأمر «بأن» أحلامهم تأمرهم به إشارة إلى إنفصالهم عن العقول وأن ما يعترفهم هو أوهامهم ووساوس دون أن تكون لهم سلطان عليها

وقوله تعالى «أم هم قوم طاغون» إضراب عليهم وعلى عقولهم جميعاً وهو السبب الوحيد لما كانوا يقولون وهو فقدان حس التبعة، والرعة في الأعمال وتعمّد الطغيان والعدوان والانكار

٣٣ - (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)

إستفهام آخر يكشف عن جريمة أخرى من جرائمهم وتواجههم ضلاله من ضلالاتهم وهي قولهم في رسول الله ﷺ انه افترى هذا القول لدى يحدّثهم به ويقول لهم عنه انه كلام الله تعالى !!

وقوله تعالى «بل لا يؤمنون» حكم عليهم بأنهم لن ينتفعوا بهذا القرآن ولا يهتدون به وهذا حكم واقع على اولئك الذين أدركهم الاسلام من المشركين

وهذا على شركهم محمد بن الله ورسوله ﷺ وهذا من أشد العيب التي حملت آيات الله كثيراً منهم

٣٤ - (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

تعريض بأن محمداً - على طريق الفرض التقديري - لهؤلاء المشركين الذين كانوا يتهمون النبي الكريم ﷺ بالتقول على الله - سبحانه - أم يقولون تقوله ، بأنه لو كان هذا جاء به عن نفسه لكان كلاماً بشرياً مماثلاً لسائر الكلام ، فإذا كان كذلك فليأتوا بحديث مثله مفترى إن كانوا صادقين في دعواهم ذلك ، وهذا هو مقصود القوم منهم ومن النبي ﷺ

٣٥ - (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)

إستفهام انكاري آخر تنديداً بمعاندتهم وعنادهم وتهكماً بهم وتحدياً لهم أي أبلغ فيهم الاعتداد والتقدم والتصدر لنبي لهم كادوا يظنون انه لم يخلقهم أحد ، فخلقوا صدفة ، وانتقال آخر الى ميدان آخر من ميادين المجادلة بأن أم أوجدوا أنفسهم فيستوجبون على الله تعالى فلا حوار لهم الا الصمت لكونه بئس الضلال

٣٦ - (أم خلقوا السموات والارض بل لا يوقنون)

انتقال آخر الى صعيد موقفهم المعاند المتهكم أي أم خلقوهم هذا العالم الشاسع فيدعوا أنه الهه ، وقوله « بل لا يوقنون » رد على سؤال مقدر على قوله « أم خلقوا السموات والارض » وهذا السؤال هو : كان المشركون ينكرون ان الله تعالى هو الذي خلق السموات والارض ، كيف وقد قال الله تعالى « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله » لقمان ٢٥ ،

فكيف يسألون هنا هذا السؤال الذي فيه إتهام لهم بالقول بأن للسموات والارض خالقاً غير الله ؟ فكان قوله تعالى « بل لا يوقنون » دفعاً لهذا الذي يقع في الوهم من تعارض بين سؤالهم سؤال المتهم في قوله تعالى « أم خلقوا السموات

والارض» وبين اقرارهم مما يدفع هذه التهمة عنهم في قوله «ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولن الله».

فقوله تعالى «بل لا يوقنون» يكشف عن حقيقة اقرارهم بأن الله هو الذي خلق السموات والارض فهو اقرار لا يقوم على استدلال وبحث ونظر فلا يقين لهم فيه، فلا يكون اقرارهم بذلك الا عن اضطرار اذ لم يجدوا بدا من التسليم بأن الله هو الذي خلق السموات والارض. أما هذا الخالق وعلمه وحكمته وقدرته وسلطانه فلم يكن له مفهوم واضح يقوم على اساسه تسليم عندهم

ولو كان هذا الاقرار قائما على ذلك لصحيح وفهم سليم لكانوا مؤمنين به مصدقين لرسوله ﷺ، مؤمنين بالبعث والحساب والجزاء ومصدقين بآيات الله المتلى من عنده

هذا كل قول لا يقوم على علم لا يبعث في صاحبه يقينا بمفهوم هذا القول ولا يحدث في نفسه أثرا يثير وجدانه ويحرك مشاعره ويؤثر في سلوكه

٣٧ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

رجوع في الأسئلة الانكارية الآتية عن العالي إلى الداني، وعن الصعب إلى السهل عكس لأسئلة الاستنكارية المتقدمة فانها جاءت عنيفة جدا

٣٨ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

سؤال آخر وتقريع وتهكم يتجلى فيهما ضلالة المشركين وسدت عليهم أبواب الادعاء المحتملة الكاذبة

٣٩ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

في الآية تسفيه لهم وتركيك لعقولهم وإيذان بأن من كان هذا رأيه لانكاد يعد من العقلاء فضلا عن الارتقاء إلى عالم الملكوت والتطلع عن الأسرار الغيبية والالتفات من الغيبة إلى الخطاب لتشديد ما في «أم» المنقطعة من الانكار والتوبيخ

٤٠ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

سؤال يدفع به ما يمكن أن يتهموا به النبي الكريم ﷺ بأنه ﷺ طالبهم اجراً في رسالته فهم لا يستطيعون على الاجابة فأعرض عن دعوته إلى الحق والهدى ووجه الالتفات من الخطاب الى الغيبة مما لا يخفى على من له ذوق التعبير فتدبّر

٤١ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

تقرير لموقفهم العلمي وانّه سلب عنهم العلم بما كانوا يقولون إن هو الا جاء به محمد رسول الله ﷺ سحر وانّه كاهن أو مجنون وشاعر فليس لهم بذلك من علم

٤٢ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

تقرير لحقيقة أمرهم وموقفهم منه ﷺ والكيد به ، والمراد به على طريق التعميم بعد التخصيص بأن كل من سعى بسوء الكفر فهو مكيد ووباله إلى نفسه ، ويحتمل أن يكون وضع الموصول موضع ضميرهم تسجيلا عليهم بمافي حيّز الصلة من الكفر وتعليل الحكم به

٤٣ - (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

إنكار شديد على المشركين في اتخاذهم شركاء في عبادتهم للاصنام والاضداد مع الله سبحانه ، فلا بدّ لهم من إقامة برهان أن يكون له شريك

وقد جاءت هذه الأسئلة لاستنكار به الاخيرة فهي بمثابة لادعة معطوفة على تقرير عجزهم وموقف عنهم ودفع إفكهم وكذبهم وافترائهم عن النبي الكريم ﷺ وفيها في الوقت نفسه تصوير لشدّة عنادهم ومكابرتهم وموقفهم منه ﷺ

٤٤ - (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

تقرير لشدّة عنادهم واستهانتهم بما يتدرون من عذاب الله تعالى بأنّهم قد بلغوا حدّاً في العناد واللجاج حتى أصبحوا يكابرون في المحسوسات فضلا عن المعقولات ، فانهم لو رأوا قطعة ساقطة من السماء عليهم لقالوا : انّها ليست إلاّ

سحقاً منزاكماً بعضه فوق بعض ، وفي لابه في لوقت نفسه تهديد لهم بملاء ينزل عليهم من السماء

٤٥ ـ (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون)

تفريع على ما مر من العناد والجاح وإصرارهم على الباطل بحيث لو غابوا أوضح آية للحق لأولوه ، وردوه وأمر نبي الكريم ﷺ بعدم اعتمامه بموقفهم وإيكال أمرهم من العناد والضلال إلى الله تعالى وتهديد كنائي بشمول العذاب لهم وحالهم هذه

٤٦ ـ (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون)

بدل لا هوا اليوم الذي كانوا يهم بما وعدوه ، فقوله لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون أي لا يدفع كيد من كادهم ولا ينصرهم

٤٧ ـ (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون)

في وضع الموصول موضع الضمير تسجيل عليهم بما في حيز الصلة من الظلم أولاً وتعليل الحكم به ثانياً ، وقوله تعالى « ولكن أكثرهم لا يعلمون » مشعر بأن فيهم من يعلم ذلك لكنه يصر على الكفر الانكار عناداً

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

حث نبي الكريم ﷺ على الصبر والثبات تصدعاً لأمر الله تعالى وحكمه وتضمين له بأنه موضع عناية الله ونصره وحمايته ولن يصيبه من كيدهم شيء وعليه أن يستمر على حمد الله جل وعلا وتسبيحه ، لتمسك بحبله والاعتماد عليه في جميع أوقاته وحركاته وظروفه وحينما يقوم من مجلسه أو منامه

قوله تعالى « فإنك بأعيننا » تفريع على الصبر والجمع وإضافته الى ضمير المتكلم مع الغير تفخيم وتعظيم وإيذان بعلة الاعتناء بالحفظ ، أي إنك يا رسول الله ﷺ بحيث نراك ونحفظك في كل وقت وظرف كقوله تعالى « تجري بأعيننا »

وأمره ﷺ بتسبيحه بقوله عند الانتهاء من صلاته بحمد حين يقوم من المجلس وفي نسخة كلمة الرب وتكبيره وهذا صريح في كون التحميد للنبي ﷺ دون أن يقول الحمد لله وبحمده لا دليل فيه والتسبيح من شئون الترجمة

٤٩ - (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

في الآية استعارة لوصف النجوم بالادبار بعد الأفول . والمراد بذلك الأفول بعد طلوع والهيوم بعد الصعود

* الإعجاز *

ومن وجوه إعجاز هذه السورة وهو الأخير: الإقناع

فهي حسمت تخيلي عما تقولوا لئلا يكون في النبي الكريم ﷺ من كونه ساحرا، كاهنا ومجنونا وشاعرا بتحديه بما تضمنه من البلاغة والإعجاز وتصميمهم على إبداء عيبه فيه، وهم قوم فصحاء بلغاء لا يؤمنون به ويردون كيداً به فدرهم حتى بالاقتراح عليهم أن يأتوا بمعجزات أخرى غير القرآن (ص ٣٢ - ٤٥ ج ٢) بوجوهم وخاصة عنادهم لأنهم جهلوا أو تجاهلوا المعجزة التي لهم وأصروا بهم على باطلهم

فهو أن الذين دعوهم إلى الإيمان بتحديهم في الشعر وذكرهم بأيام العرب في أيام نشأة الإسلام لا يتعلقون بوجود محمد رسول الله الأعظم ﷺ فيتهمونه بالافتراء والكذب على القرآن بأنه من قول البشر

ولكنهم قد أخبرت بمثل ما أخبرتهم به فقالوا بحديث مثله من قولهم (ص ١٣٤ فالأنعام وسيأتي ما هو أدهى من ذلك وأمر من قولهم إن هذا إلا قول البشر) في ربهم فلم يستطيعوا بهذا القول بهذه الدعوة بهذا الوضوح، بهذه الطريقة، بهذا الأسلوب، بهذه الآداب، لأن الخالق للعلم يحكم للمدبر الفاعل المختار

وما جاء من الباحثين حول الإعجاز في هذه السورة في قوله تعالى

« وكتب مسطور في رق منشور »: أن نشر الصحف على قسمين

أحدهما - وهو المتعلق بالتعليم والتربية، وهو التعليم العام الذي أخذ يبشر انتشاراً سريعاً في الوقت الحاضر

؛ بيهما - بظهور المحلات والحرائد المنشورة في مكان ، ومن هذا الباب عموم (التيلفون والتعارف اللاسلكي وما اليهما) ، وهذان القسمان من الصحف المنشورة لم يكن لهما وجود قبل نزول القرآن الكريم حتى بعد سنين

إذ لم يكن في الأرض أمة قط تعلم تعليماً عاماً بدء الرسالة وأيامها ولم يكن في دولة الرومان تعليم إلا لأبناء الأشراف ، ولا في دولة الفرس الذين يحملون التعليم لطبقة خاصة ، فجاء القرآن الكريم « إقرأ باسم ربك الذي خلق خلق الانسان من علق - الذي علم بالقلم علم الانسان ما لم يعلم » العلق ١ - ٥)

وقال « الرحمن علم القرآن خلق الانسان علمه البيان » الرحمن ١-٤)

وعمم العلم وقال « في رق منشور » لعرض التعميم بالتعليم والاخبار عما يحصل في الوقت من نشر التعليم ونشر الصحف ونشر المدنية والحضارة ونشر الكتب وما اليها

وفي قوله تعالى « والبحر المسجور » ان المراد بالبحر المسجور باطن الارض المحرقة النارية التي لم نعرفها الامم يومئذ حتى نحن اليوم نعترف في علم الجيولوجيا ان الارض كلها كمطبخه وقشرتها كقشرة مطبخه بأن تحته قشرة الأرض التي هي النار التي في باطنها كتحته قشرة المطبخة التي باطنها الذي يؤكل فنحن لآن فوق نار عظيمة أي فوق بحر مسجور ناراً ، وهذا البحر محيط من جميع جهاته بالقشرة الارضية المحكمة لئلا تنبعث من ذلك البحر تظهر في صورة الزلازل والبراكين . انتهى كلامه فتدبر

ومن المحتمل أن يكون المراد من البحر المسجور الفضاء والكرات المحرقة النارية فتحفظ .

وفي فتح البيان في مقاصد القرآن لابي طيب صديق بن حسن بخاري هندي في قوله تعالى « أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون » ، قال « والظاهر انه من الاخبار بالغيب فان السورة مكية وذلك الكيد كان وقوعه لله

الهجرة ثم أهلكهم الله تعالى بدر عند إنتهاء سنين عدتهن عدة ما هنا من كلمة(أم) وهي خمس عشرة ، فان بدراً كانت في السنة من الهجرة وهي الخامسة عشرة من النبوة ، وأذلهم في غير موطن ومكر سبحانه بهم « ومكروا ومكر الله والله خير الماكرين »

﴿ التكرار ﴾

تكرّر كلمة (أم) في هذه سورة ستّ عشرة مرّة حسب الاقسام ، كلّها إلزامات ليس للمخاطبين بها عنها جواب

شيء في المقام إلى صنع خمس عشرة لفظة ـ أو ذكر معانيها المتنوّعة على سبيل الاستقصاء في بحث اللغة ـ لصنع التي جاءت في هذه السورة وفي غيرها من السّور القرآنية

١ـ جاءت كلمة (الطّور) بمشتقها في القرآن الكريم نحو ١١ مرّة
٢ـ » » (السّطر) » » » » » ١٦ مرّة
٣ـ » » (الرّقّ) » » » » » مرّة واحدة
الطّور ٣)
٤ـ » » (الموج) » » » » » ثلاث مرّات
١ ـ ٢ لطّور ٩) ٣ ـ الملك : ١٦)
٥ـ » » (الخوض) » » » » » ١٢ مرّة
٦ـ » » (اللعب) » » » » » عشر مرّة
٧ـ » » (الآلة) بصيغة واحدة : الطّور ٢١)
٨ـ » » (الرهن) » » » » ثلاث مرّات
١ـ الطور : ٢١) ٢ـ المدثر : ٣٨) ٣ـ البقرة: ٢٨٣) .
٩ـ » » (اللؤلؤ) » » » » ست مرّات
١ـ الانسان ١٩) ٢ـ الرحمن ٢٢) ٣ـ الواقعة ٢٣) ٤ـ الحج ٢٣)
٥ـ الطّور : ٢٤) ٦ـ فاطر : ٣٣)

١٠- جاء كلمه (الشفاء) على صيغها في القرآن الكريم نحو ١١ مرة

١١- » » (الكهف) » » » » » » مرتين

الطور ٢٩) و الحاقة ٤٢)

١٢ » » (الرعد) » » » » » ١٧ مرة

١٣ » » (الروم) » » » » » ست مرات

١- الطور ٤٠) ٢- القلم ٤٦) ٣- التوبة ٦٠) ٤ الفرقان ٦٥) ٥- الواقعة ٦٦) ٦- التوبة ٩٨)

١٤- » » (الحجر) » » » » خمس مرات

١- ص ٩) ٢- لقمان ٤٤) ٣- الروم ٤٨) ٤- الاسراء ٩٢) ٥- الشعراء ١٨٧)

١٥ » » (الكهف) » » » » ثلاث مرات

١- الانفال ٣٧) ٢- الشورى ٤٣) ٣- الحشر ٤٤)

﴿ التناسب ﴾

ان البحث في المقام على جهات ثلاث :

أحدها ـ : التناسب بين هذه السورة وما قبلها نزولا

ثانيها ـ : التناسب بينها وبين سابقتها مصحفا

ثالثها ـ : التناسب بين آيات هذه السورة نفسها .

أما الاولى : فان هذه السورة نزلت بعد سورة السجدة ، فيها تؤكد صدق القرآن الكريم بالوحي الالهي ، وردّ على الكفار على زعمهم إفتراءه لنبي ﷺ وتوبيخ بقدرة الله تعالى في مشاهد الكون وبوامس الخلق للترهيب على إستحقاقه وحده للعبادة والخضوع من قوله تعالى « تنزيل الكتاب لاريب فيه من رب العالمين » الى قوله جل وعلا ـ قليلا ما تشكرون » السجدة ٢ ـ ٩)

وحكايته لشكوك الكفار وريبهم والحاحهم وحملة شديدة عليهم ومقايسة بين مصيرهم ومصير المؤمنين من قوله تعالى « وقالوا ءإذا ضللنا في الارض ءإنّا لفي خلق جديد ـ الى قوله تعالى « انّ المجرمين منتقمون » السجدة ١٠ ـ ٢٢)

وإشارة الى قصة موسى عليه السلام وفصل الله تعالى على بني اسرائيل حينما صبروا واتبعوا آيات الله سبحانه وتثبيت وتطمين للنبي الكريم ﷺ من قوله تعالى « ولقد آتينا موسى الكتاب فلا تكن في مرية من لقائه ـ الى قوله عز وجل ـ فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » السجدة ٢٣ ـ ٣٠)

وجاءت هذه السورة مؤكدة لوقوع ما كان يستعجل به المكذبون من الجزاء لايستطيع أحد أن يدفعه عنهم مع التقرير لزمن الوقوع على سبيل الانذار وإثارة الخوف فيهم وحملهم على الارعواء والبيان لمصائرهم ، ومواقف المتقين ، وردّهم

على ما كانوا يتهمون به النبي ﷺ وما كانوا ينكرون له وبشركون بالله سبحانه على طريق الاستئناف الاستنكاري، وذكر العلة في ذلك كله وهي الطغيان

وفي ختمها حث رسوله ﷺ على الصبر والثبات على ما هو عليه من مهمته ذاكراً الله تعالى في جميع أوقاته مستعيناً به جل وعلا في كل ظروفه

وأما الثانية: فمناسبة هذه السورة لما قبلها مصححاً فيوجوه

أحدها: أن سورة الكل وحد منهم بقسم بالبلد الحرام وأكل معاركة ومشاهد عظيمة تتعلق بالمعاش من جهة وبالمعاد من جهة أخرى

فهي سورة للذين أقسم بالبلد لأنهم في معاشهم وفي هذه السورة مما ينفعهم في معادهم

ثانيها: أن في أول كل منهما تقريراً لمعاندي الكفار ومواقفهم ومصائر المتقين ومواقفهم يوم القيامة على سبيل الاجمال والتفصيل حيث لا وجه للتكرار

ثالثها: مناسبة لاتي للحجاج على التوحيد والبعث، وتنبيه الحجاج على نفي الشرك وتنزيهه تعالى عما لا ينبغي له وحده قدسه وعلى الجزاء يوم البعث

رابعها: في أمر نبيهم أمر النبي ﷺ بالتذكير والثبات والاستمرار على مهمته والأمر على معاندي المكذبين وتبديدهم وإختلافهم.

خامسها: في تهديد كل منهما وعيد الطاغين وتبديدهم

وأما وجه مناسبة إفتتاحها بالطور وكتاب مسطور ورق منشور وفي إثرها بالبيت المعمور والسقف المرفوع والبحر المسجور، قرن الكتاب بالطور ـ وقرن السقف المرفوع بالبيت المعمور ـ فيعلم عظمة شأن نبي رسول الله الأعظم ﷺ إذ كان يترل كتاب على موسى عليه السلام وهو بالطور، وتكلم محمد ﷺ مع الله جل وعلا وهو بالبيت المعمور بعد ما طرق لقضاء الدائرة وصعد السماء، فشتان بين

المكاس ، المكسين

والفرق هو الفرق بين قوله تعالى لنبيه الكريم ﷺ ﴿ألم نشرح لك صدرك ووضعنا عنك وزرك﴾ الخ (الشرح ١ ـ ٤) وبين قوله تعالى حكاية عن موسى عليه السلام ﴿رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري﴾ ـ الخ، طه ٢٥ ـ ٣٥)

أقسم تعالى بتلك الأشياء العظيمة الدالة على كمال قدرته وبديع صنعه على أن عذاب الله لذي لا دافع له واقع على الذين يكذبونه ويخوضون في الباطل ويستهزئون الذين هم وأولياؤهم أحد يدافع عنهم أهوال يوم القيامة وشدائد الأرض والسماء وأحوال المكذبين وموقفهم ومصيرهم إلى نار كانوا بها يكذبون يدعون إليها دعاً ويقال لهم هذه النار التي كنتم بها تكذبون

ثم أخذ يذكر أحوال المتقين ومصائرهم وموقفهم يوم القيامة وما ينعمون به من نعيم الجنات ومعيشتهم من غير تعب مقابلة لذكر مصائر المكذبين جرياً على الأسلوب القرآني

فذكر ما يتمتع به المتقون من أنواع اللذات في المآكل والمشارب والأرواح وإلحاق ذرياتهم المؤمنين في المنازل والدرجات وما لهم من خدم في الجنة وذكر أشواقهم بعد مزيد شوق إليها وتساؤل بعضهم ببعض وذكرهم ما أوجب استحقاق تلك الكرامة لفضله لا لتقديم عملهم وأنه وفقهم لموجباته بمنه ولطفه

وهم يذكرون أحوالهم الدنيوية وما أوجب دخولهم في الجنة ووقايتهم من عذاب الله وإيتاءهم نورهم في أيديهم وسرورهم وفرحهم وحبورهم مأخوذة من قوله تعالى ﴿إنا كنا من قبل ندعوه إنه هو البر الرحيم﴾ (الطور ٢٨)

هذه سنة من سنن القرآن الكريم يذكر النوع بعد النوع ليتم الأمر فترغب بعد الترهيب وتأمر الرجاء بعد الخوف لأعني للمرء عنهما ليعمل صالحاً ويرعوي عن غيه ولا يقنط من رحمة ربه

أن الله تعالى لما أشار في الآيات السابقة إلى مشاهد القيامة، وما يلقى

المكذبون لك ثبات هذا من عاقبة من كذبوه ممن ينتمي للمقوقس من رضوان، وحساب ذلك يوم

أمر رسوله ﷺ أن يواجه الناس جميعاً بالدعوة الإسلامية ويستمر في تذكيرهم بدعوته، ولا يلتفت إلى تكذيب المعاندين إذا شمله ﷺ نعمة الله تعالى وعنايته وحمايته

ويرفع شبهاتهم وتهمهم التي ألصقوها بالرسول ﷺ والقرآن على سبيل الأسئلة الاستنكارية التي يطرحها المعاندون في وجه من يدعوهم إلى الحق ﷺ وتعالى لهم على سبيل التهكم والسخرية، ثم يعقب على موقفهم الجاحد والمكابر، ليفتح الله عليهم أبواب الرحمة ولا يسلمهم عذاب الله الذي أحل الأعداء المعاندين بهم من الأمم السابقة

ومن عجائب هذه الجهالات والتخرصات الباطلة هذه الشبهات التي شهدوها يوم غزوة بدر على ما حل بهم من الخزي والهوان وقد أثار الله وسخرها لخدمة دينه

من قولهم ... فكثر فيهم الكاهن المجنون إلى - يقولوا سحاب مركوم ٥٢: ٢٩ ٤٤

ولما تمرد ... وأعرضوا عن ... إجابتهم ولم ينفعهم ... أمرهم على البطش والتدمير ... أن يتركهم ... وصبر ... لحق أقوامه ... أن ... لهم ... لعنهم، وفي خلالها إيماء وتفريع عليهم ... أن مصير أعداء ... مصيره

من قوله حتى ... إلى ... النجوم ٥٢: ٤٥ - ٤٩ فتدبر واعتبر جداً

«الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه»

قيل إنّ قوله تعالى «فقد ترصّوا فأنتم معلم من المتربصين» الطور ٣٠).
منسوخ بآية السيف، وهي قوله تعالى «فإذا انسلخ الأشهر الحرم فاقتلوا المشركين حيث وجدتموهم وخذوهم واحصروهم واقعدوا لهم كلّ مرصد فإن تابوا وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة فخلّوا سبيلهم إنّ الله غفور رحيم» التوبة ٥)

أقول: لا يخفى على العاقل الخبير أنّ آية الطور بصدد التهديد بالمشركين فلا بدّ منه قبل الحكم بالسيف فكيف النسخ

وفي تفسير الجامع لأحكام القرآن قال: قوله تعالى «فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون» منسوخ بآية السيف

أقول: إنّ الدعه ولفظ المشركين بعد إنكارهم بالبعث والجزاء يوم القيمة لا تدلّ على الحكم بالسيف حتى لو كانوا يعتقدون على أنّ لأصحاب الكبائر جزاء جزى في النار الذي بالسيف وما إليه، وجزى في الآخرة من عذاب النار

وفيه: قال قوله تعالى «واصبر لحكم ربك» منسوخ بآية السيف.

أقول: ومن غير خفيّ أنّ الصبر أداة لتنفيذ الناسخة من غير حاجة للحكم بالسيف أصلا فلا نسخ

وفيه: في قوله تعالى «ومن الليل فسبّحه وإدبار النجوم» قد يحمل بعض العلماء الآية على هذا القول (يعني المراد بقوله «وإدبار النجوم ركعتي الفجر) على الندب وجعلها منسوخة بالصلوات الخمس

أقول: إنّ القول والحمل مردودان بروايات صحيحة آتية على أنّ المراد بأدبار النجوم ركعتا الصلاة قبل صلاة الصبح

وأما المتشابه فلم أجد كلاماً يدل على أنّ في السورة آية متشابهة والله تعالى هو أعلم

﴿ تحقيق في الأقوال ﴾

١ـ (والطور)

في الطور أقوال

١ـ عن مجاهد والكلبي و أحد ل لطور مطلق الجبل ، ثم علد إستعماله في لجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام وأقسم به لما أودع فيه من أنواع نعمه

٢ـ عن مجاهد أيضا و لسدي لطور هو بالسريانية الجبل ، و المراد به طور سيناء

٣ـ عن مقاتل بن حيان الطور ن يقال لاحدهما طور سيناء ، وللآخر طور زيتا لأنهما ينبتان التين و الزيتون

٤ـ الطور جبل بمدين إسمه ربير ، ومدين بالارض المقدسة ، و هي قرية شعيب عليه السلام

٥ـ عن إبن عباس الطور كل جبل أنبت وما لا ينبت فليس بطور

٦ـ قيل هو طور سنين

أقول: جمهور المفسرين على ان المراد بالطور هو جبل موسى عليه السلام

٢ـ (و كتاب مسطور)

في الكتاب أقوال

١ـ عن مجاهد أي الصحف ، و هي الكتب السماوية المنزله على الأنبياء ، وكان كل كتاب في رقّ ينشره أهله لقراءته

٢- قيل هو القرآن الذي يكتبه المؤمنون في رق ويقرؤه من المصاحف وتقرؤه الملائكة من اللوح المحفوظ لقوله تعالى « إنه لقرآن كريم في كتاب مكنون » ، وهو أظهر لأنه كتاب مخصوص من بين جنس الكتب السماوية

٣- عن الكلبي هو ما كتب الله تعالى لموسى بيده من التوراة ، وموسى يسمع صرير القلم

٤- قيل إنه الكتب التي كتبها الله تعالى للملائكته في السماء يقرؤون فيه ما كان وما يكون

٥- عن ابن عباس هو صحائف الأعمال فمن أخذ كتابه بيمينه ومن أخذ كتابه بشماله كقوله تعالى « ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً »

٦- قيل هو ما كتب الله في قلوب الأولياء من المؤمنين

٧- قيل هو القرآن ، وكان يكتب في الرق وتنشر للقراءة

أقول: هو التوراة ظاهراً لأنه لمناسب للصور .

٤ - (والبيت المعمور)

في البيت المعمور أقوال

١- عن ابن عباس و مجاهد : هو بيت في السماء حيال الكعبة يدخله كل يوم سبعون ألف ملك يعمرونه بالصلاة ، ثم يخرجون منه فلا يعودون إليه أبداً حرمته في السماء كحرمة الكعبة في الأرض

٢- عن ابن عباس أيضاً هو بيت بحذاء العرش ، تعمره الملائكة ، يصلي فيه كل يوم سبعون ألفاً من الملائكة ، ثم لا يعودون إليه

٣- قيل : هو بيت في السماء الدنيا بحذاء الكعبة المشرفة

٤- قيل : هو بيت في السماء الرابعة

٥- قيل : هو بيت في السماء السادسة يقال له : الضراح .

٦- قيل : هو بيت في السماء السابعة .

٧- عن الحسن هو الكعبة المشرفة ، سميت معموراً لأن الله تعالى يعمرها

كل سنة سبعون ألف ملك من الملائكة ، وإن عجزوا عن ذلك أتمه الله تعالى بالملائكة ، وهي أول بيت وضعه الله تعالى للعبادة في الارض ، ولم يزل معموراً منذ وضع الى يومنا هذا لقوله تعالى « إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين » آل عمران : ٩٦)

فيهرعون اليه كل عام من أرجاء المعمورة ويسلكون اليه من كل حدب

٨ـ عن الربيع بن أنس « إن البيت المعمور كان في الارض موضع الكعبة في زمن آدم عليه السلام ، فلما كان زمن نوح عليه السلام أمرهم أن يحجوا فأبوا عليه وعصوه فلما قضى الله فيهم بحكمه في السماء والارض فيعمره كل يوم سبعون ألف ملك ثم لا يرجعون اليه حتى يبعث الله نبياً فيبوئه الله تعالى لابراهيم عليه السلام مكان البيت حيث كان ما كان وإنما بوأه الله لابراهيم مكان البيت أن لا يشرك بي شيئاً وطهر بيتي للطائفين والقائمين والركع السجود »

أقول: والاول هو المؤيد بما ورد عديدة عن طريق أئمة أهل البيت عليهم السلام

٥ـ (والسقف المرفوع)

فيه أقوال

١ ـ عن مجاهد وقتادة « قال إنه هو السماء سماها سقفاً ، لانها للارض كالسقف للبيت

٢ ـ عن ابن عباس هو العرش وهو سقف الجنة

٣ ـ قيل هو العالم العلوي ، وما حوى من شموس و أقمار و كواكب ثابتة وسيارات وما فيه من العرش و الكرسي و الملائكة الذين لا يعصون الله تعالى ما أمرهم و يفعلون ما يؤمرون

أقول: والاول هو المروي

٦ـ (والبحر المسجور)

فيه أقوال .

١ - عن مجاهد و الضحاك و ابن زيد و الأخفش البحر المسجور الموقد المحمى بمنزلة التنور المسجور إذا أوقد وهو يوم القيامة

٢ - عن قتادة : أى البحر المملوء إذا ملئت البحار ، أى جمع ماؤها بعضها فى بعض

٣ - عن ابن عباس وأبى العالية : المسجور: الذى ذهب ماؤه فيبحر ، الحوض المسجور : خال عن الماء ، والمسجور : المجفور

٤ - عن عكرمة وعبد الله بن عمر وأبى صالح انه بحر دون العرش

٥ - عن ابن عباس أيضا أى البحر المحبوس من أن يفيض فيغرق جميع ما على الارض ولا يبقى ولابد من حيوان و نبات فيفسد نظام العالم و تعدم الحكمة التى لأجلها خلق .

فالبحر المسجور هو البحر المحيط بهذا العالم الارضى المحبوس عن مفارقة الارض و الانفلات منها ، و هو كائن مائع لا تمسكه إلا قدرة القادر المتعال

٦ - قيل أى البحر الموقد فى باطن الارض بمنزلة التنور المحمى ، و هو الذى دلّ عليه الكشف الحديث ولم تعرفه الامم سابقاً

أقول: والرابع هو المروى ، وانه المناسب للبيت المعمور والسقف المرفوع اللذين هما من العوالم العلوية من عرشه وما بين بعض الاقوال الاخر إذا اريد به الاطلاق ، وخاصة الاول منها

٩ - (يوم تمور السماء موراً)

فى الاية أقوال :

١ - عن قتادة: أى تتحرك السماء تحرّكا وتستدير بما فيها

٢ - عن مجاهد : أى تدور السماء دوراً .

٣ - قيل : أى ترتجّ السماء

٤ - عن الضحاك : أى يموج بعضها فى بعض .

٥ - عن ابن عباس : أى تشقّق السماء شقّاً

٦- عن ابن عباس أيضاً وابن جبير أي يضطرب نظمها ، ويختلف سيرها .

أقول: والاخير هو الانسب لمعنى المور لغة

١٠ - (وتسير الجبال سيراً)

في الآية قولان

أحدهما - عن مقاتل : أي تسير عن أماكنها حتى تستوى بالارض

ثانيهما - قيل أي تسير كسير السحاب في الدنيا ، بيانه قوله تعالى: « ترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب »

أقول: إن لا نه تشير الى زلزلة الارض و بدلها غير الارض يوم البعث

١٢ - (الذين هم في خوض يلعبون)

في الآية أقوال

١ - قيل أي في تردد في الباطل وهو خوضهم في أمر محمد ﷺ بالتكذيب

٢ - قيل أي هم الذين يستمرون في خوض عجيب يلعبون بالمجادلة في آيات الله تعالى وإنكارها والاستهزاء بها

٣ - قيل أي في خوض أي في أمور الدنيا يلعبون و يندفعون، لاهين لا يذكرون حساباً ولا يخافون جزاء

أقول: ظاهر السياق يعين ان انكارهم الجزاء واستهزاءهم به وهذا هو الغرض الاصيل في السورة .

١٥ - (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

في الآية قولان

أحدهما - قيل معناها : يقال لهم أفسحر هذا الذي ترون الآن بأعينكم أم أنتم لا تبصرونه اليوم ، فأم للاتصال .

ثانيهما - قيل أي بل كنتم لا تبصرون في الحياة الدنيا ولا تعقلون على أن « أم » للانقطاع

أقول: و على الاول جمهور المفسّرين

١٨ - (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

في الآية أقوال: ١ - قيل: الفاكهة مطلق الثمرة

٢ - قيل: الفاكهة هي الثمرة غير اللحم و الرمّان

٣ - عن أنس عدس والرجاج والفرّاء معنى الآية: ناعمين معجبين بما أعطاهم ربّهم

٤ - قيل معناها: يتحدّثون بما آتاهم ربّهم من النعيم ويتفكّهون بما فيها من طيّبات تملأ نفوسهم رضاً وحبوراً، فلا يشعل قلوبهم هم ولا حسد بل هم في لذّة وسرور وفرح

٥ - قيل: معناها يتناولون الفواكه والتمر التي آتاهم ربّهم

٦ - قيل معناها يتلذّذون بإحسان ربّهم

أقول ظاهر السياق يؤيّد الثالث وخاصة ما في قوله تعالى: « بما كنتم تعملون » من التعليل المؤمي إلى الاعجاب

١٩ - (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

في « هنيئا » أقوال:

١ - قيل: الهنيء: ما لا تنغيص فيه ولا تكدّ ولا تكدير

٢ - عن الزجاج: أي ليهنئكم ما صرتم اليه

٣ - قيل: أي متنعّم بنعيم الجنّة امتاعاً هنيئاً

٤ - قيل أي كلوا واشربوا هنئتم هنيئاً فهو صفة في موضع المصدر

٥ - قيل: « هنيئاً » أي حلالا

٦ - قيل: أي لا أذى فيه ولا غائلة. وقيل أي لا تموتون فانّ ما لا يبقى أو لا يبقى الانسان معه منغص غير هنيء.

أقول والاوّل هو الاصل بمعناه اللغوي، طعام هنيء سائغ، ويقال: هنأني طعام فلان أي كان هنيئاً سريعاً ولا مشقّة وكان مطبوعاً بالطبع لا تكدّ فيه.

٣١ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)

في قوله تعالى « والذين آمنوا - الى - ألحقنا بهم ذريتهم » أقوال :

١ - عن ابن عباس وابن زيد ان الله تعالى ليرفع درّية المؤمنين معهم في درجتهم في الجنة وان كانوا لم يبلغوا بعملهم درجة آبائهم في الايمان والعمل لتقرّ بهم أعينهم وتكرمة لهم سواء كانت الابناء صغاراً أم كباراً

٢ - عن ابن عباس أيضاً والضحاك : انّ الله تعالى ليلحق بالمؤمنين ذريتهم الصغار الذين لم يبلغوا الايمان والذرية أولاد لصلب فقط . والمراد من الايمان هو الايمان الحكمي

٣ - عن ابن عباس أيضاً أنّ المراد من الذين آمنوا المهاجرون والانصار والذرّية التابعون

٤ - عن ابن عباس أيضاً ان كان الآباء أرفع درجة رفع الله الابناء الى الآباء ، وان كان الابناء أرفع درجة رفع الله الآباء الى الابناء فالآباء داخلون في اسم الذرّية كقوله تعالى « وآية لهم انّا حملنا ذريتهم في الفلك المشحون »

٥ - عن ابن عباس أيضاً اذا دخل أهل الجنة الجنة سئل أحدهم عن أبويه وعن زوجته وولده ، فيقال لهم انّهم لم يدركوا ما أدركت فيقول يا ربّ إنّي عملت لي ولهم فيؤمر بالحاقهم به .

٦ - قيل الذرية أولاد الذين اتبعوا آباءهم في الايمان بعد بلوغهم لمكان لفظ الاتباع ، ولا يكون الاتباع إلاّ بعد البلوغ والتكليف فلا تشمل الآية الصغار الذين ماتوا قبل البلوغ وإن كانوا محكوماً بايمانهم شرعاً

٧ - قيل اريد بالايمان : الرفقة والصحبة على أنّ قوله تعالى : « والذين آمنوا » عطف على « حورعين » والمعنى ورزوجنا المتقين الذين يشتهون من الحور العين بالنكاح وبالذين آمنوا بالرفقة والصحبة والمجالسة

٨ - قيل : انّ أساس الالحاق هو الايمان وإلاّ فلا يلحق ولد بوالده لقوله

تعالى «يا أيّها الّذين آمنوا اتّقوا ربّكم و خشوا يوماً لا يجزى والد عن ولده ولا مولود هو جاز عن والده شيئاً» لقمان : ٣٣)

فسّر الالحاق هو الانسان ولو في مرتبة دانية ، فيستفاد من الآية انّ لكل مؤمن رتبة مخصوصة بقدر درجة إيمانه فلا يلحق الدنى بالعالي ، ولا يساوي بينهما في الجنّة ، ولكن من الآباء و الأبناء يساوي لا ينقص عمل العالي أو إيمانه من زيادة رتبة الدانى إلى رتبة العالي فيتحق بالعالي وذلك لرضا العالي بذلك ، وليس ذلك في عامّ لعدم رضاهم بذلك

أقول: عموم مفاد الآية من إطلاق الذرّية على الصغار و الكبار و إضافتها إلى ضمير آبائهم المؤمنين يفيد أنّ المراد بالذرّية المؤمنون لكن إطلاق الآية في الايمان منصرف إلى ما يتبع من يتّصف به في نفسه الايمان بنوعه حتّى يكلف به

وفي قوله تعالى «و ما ألتناهم من عملهم من شيء» أقوال

١ - عن ابن عبّاس و مجاهد أي و ما أنقصنا آباءهم المؤمنين من اجور عملهم لهم في شيء

٢ - عن سعيد بن جبير و قتادة و الضحاك و ابن زيد أي و ما ظلمناهم من عملهم

٣- قيل أي ما نقص الآباء من ثواب أعمالهم لقصر أعمارهم ، و ما نقصنا الآباء من ثواب أعمالهم شيئاً بالحاق الذرّية بهم

أقول: انّ الروايات الآتية تؤيّد الاول

وفي قوله تعالى «كل امرئ بما كسب رهين» أقوال

١- عن مقاتل أي كل كافر مرتهن في النار بما كسب من الشرك و لذلك فالحملة راجعة إلى المكذبين الكفار

٢ - عن ابن عبّاس أي إنّهن أهل جهنّم بأعمالهم وصار أهل الجنّة إلى نعيمهم ، ولهذا قال تعالى «كل نفس بما كسبت رهينة إلّا أصحاب اليمين»

٣- قيل هو عام لكل إنسان مرتهن بعمله فلا ينقص أحد من ثواب عمله ، فأمّا الزيادة على ثواب العمل فهي تفضّل منه تعالى

٤ـ قال: يحتمل أن يكون هذا في الذين لم يؤمنوا فلا يلحقون آباءهم المؤمنين بل يكونون مرتهنين بكفرهم.

٥ـ قيل: ارتهان كل امرئ محفوظ عمله عند الله تعالى من خير أو شر.

أقول: والثالث هو الأنسب بظاهر السياق وباتصال جمل الآية.

٢٣ـ (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

في قوله تعالى: «لا لغو فيها ولا تأثيم» أقوال:

١ـ عن قتادة: لا يتكلمون في خمر الدنيا ولا يجري بين شاربيها لغو ولا فيها دنس ومعصية.

٢ـ عن ابن عباس والضحاك: لا لغو في الجنة ولا فيها كذب فلا يكذب بعضهم بعضاً.

وعن ابن عطاء: أي لغو يكون في مجلس محلّه جنّة عدن، وسقاتهم الملائكة، وبشرهم على ذكر الله تعالى، وريحانهم وتحيّتهم من عند الله تعالى والمتقون ضيف الله جلّ وعلا.

٣ـ عن مجاهد: لا يتسابّون على الخمر، ولا يؤثّم بعضهم بعضاً.

أقول: وعلى الأوّل جمهور المفسّرين.

٢٤ـ (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

في الغلمان أقوال: ١ـ قيل: هم أولاد المشركين الذين سبقوهم بالموت ودخول الجنة، فأقرّ الله تعالى بهم أعينهم.

٢ـ قيل: هم الفتيان الأمرد من صغار الكافرين فأخدمهم الله تعالى للمتقين.

٣ـ قيل: هم خدّام للمتقين من الملائكة، الذين خلقهم الله تعالى في الجنة لذلك.

أقول: وعلى الأخير أكثر المحققين.

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

في الآية قولان

أحدهما - عن ابن عباس - إذا بعث المتقون من قبورهم يوم البعث سأل بعضهم بعضاً عن حاله في الدنيا

ثانيهما - قيل يقول بعض المتقين في الجنة: لم صرت في هذه المنزلة الرفيعة؟ وما الذي ساقك إلى الجنّة والنعيم؟

أقول: والأخير هو ظاهر السياق

٢٦ - (قالوا إنا كنا قبل في أهلنا مشفقين)

في الآية قولان

أحدهما - ذهب طائفة من المفسرين إلى أنّ معناه: إنّا كنّا في الحياة الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من الله وجلين من عقابه

فالغرض هو إثبات خوفهم في سائر الأوقات والأحوال بطريق الأولى، فإنّ وجودهم بين أهلهم مظنّة الأمن، فإذا خافوا في تلك الحال فكانوا هم خائفين في غيرها بالأولى.

ثانيهما - ذهب الآخرون منهم إلى أنّ المعنى: إنّا كنا في الجنة الدنيا ذوي اشفاق في أمر تمشي سعادتهم، نسعى في تحصيلها من مهابط الضلال والشقاء فنعاشرهم بتحميل المعاشرة ونسير فيهم سنّة النصيحة والدعوة إلى صراط مستقيم

أقول: ولكل وجه وجيه من غير تناف بينهما بل وأنّهما من خصال المتقين

٢٧ - (فمن الله علينا و وقانا عذاب السموم)

في الآية أقوال

١ - قيل: هذا من كلام الآباء يقولون عند الحاق ذرّيتهم بهم، بأن الالحاق منّة منه تعالى.

٢ - قيل: هذا مقالة الذرية حين لحقوا بآبائهم بأنّهم لهم يكونوا على درجات

الابناء، ولكن الله تعالى منّ عليهم فألحقهم بآبائهم

٣ ـ قيل: المنّ راجع إلى الجنة ونعيمها، والمغفرة لهم على ما ترك منهم، والمعنى: فمنّ الله تعالى عليه بالجنّة ونعيمها والمغفرة لنا على ما ترك منا ونجانا من عذاب النار

٤ ـ قيل: المنّ راجع إلى الهداية والتوفيق، وإلاّ فتلك النعم جزاء لهم بما عملوا من الصالحات في الحياة الدنيا كما قال الله تعالى: «يمنّون عليك أن أسلموا قل لا تمنّوا عليّ إسلامكم بل الله يمنّ عليكم أن هداكم للإيمان» (الحجرات: ١٧)

٥ ـ عن الحسن: السموم اسم من أسماء النار، وطبقة من طبقات جهنم،

٦ ـ عن ابن زيد: السموم النار التي تكون في جهنم أي من عذاب النار،

٧ ـ عن الراغب: السموم الريح الحارّة

أقول: ظاهر السياق يؤيّد الثالث وخاصّة قوله تعالى حكاية عنهم: «إنّه هو البرّ الرحيم»، وإن كان الرابع غير بعيد، لأنّه من معتقدات أصحاب الجنة فيها.

وقال الله تعالى: «وقالوا الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنّا لنهتدي لو لا أن هدانا الله» (الأعراف: ٤٣).

٢٨ ـ (إنّا كنّا من قبل ندعوه إنّه هو البرّ الرحيم)

في الآية أقوال

١ ـ قيل: أي إنّا كنّا في الدنيا نأمن بمنّ الله تعالى علينا بالمغفرة عن تقصيرنا، ونطلب منه الجنة من شرّ هذا اليوم، ومن العذاب الواقع بأهل الشقاء فيه، وأن يدخلنا في الجنة، فاستجاب لنا بفضله لأنّه البرّ بعباده المؤمنين والواسع الرحمة لمن يطلبون رحمته ويتقون عذابه

٢ ـ قيل: أي إنّا كنّا في الحياة الدنيا نوحّد الله جلّ وعلا ونعبده وحده ونأتمر بأوامره وننتهي عن نواهيه، وكنّا متحفّظين في أهلنا نقرّبهم من الحقّ، ونجنّبهم عن الباطل، فكان هذا سبباً لمنّ الله تعالى علينا بالجنّة والمغفرة لنا،

ونجاتنا من عذاب النار ، إنما كان ذلك سبباً لذلك ، لأنه تعالى بر رحيم فيحسن لمن دعاه ويرحمه

٣ - قيل أي إنا كنا في الدنيا ندعوه بأن يلحق بنا أولادنا

وعن ابن عباس قال البر اللطف والرحيم يحلقه أن يعذبهم بعد توبتهم

وعنه أيضاً ، وابن جريج أي إنه تعالى صدق فيما وعد

أقول: والعموم غير بعيد

٢٩ - (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

في الآية أقوال

١ - قيل معناه فذكر يا محمد ﷺ الناس بالقرآن الكريم ، فما أنت برسالة ربك بتدع القول ونحكم بما في نفسك من غير وحي ، ولا تكترث بما يقولون مما لا خير فيه من الأباطيل ، وقد انتفى عنك الكهانة والجنون بنعمة الله تعالى عليك

والمراد بذلك الرد على القائلين بذلك وإبطاله فإنما أوتيه من رجاحة العقل وعلو الهمة وكرم الخلق وصدق النبوة لكاف جداً في دحض هذا وأشباهه

ومن قال إنه ساحر شبهه بمن رآه لما يرى من تأثير كلامه في الناس قال إنه من قبيل التخييل لا الإعجاز .

ومن قال إنه مجنون عقبه بأن النبي معصوم حيث لا يسمع منه ﷺ ما يوافق هواه ويطابق مراده

وقال عن هذا إنه ﷺ كاهن نظراً إلى إخباره بالمغيبات

٢ - قيل أي وبنعمة الله ما أنت بكاهن ولا مجنون على طريق القسم

٣ - قيل أي ما أنت بحمد الله تعالى بكاهن أي قد برأك الله عن ذلك

أقول: وعلى الأول جمهور المفسرين

٣٠ - (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

في الآية أقوال .

١ - عن قتادة وابن عباس أي: قال قوم من الكفار تمنوا بمحمد ﷺ الموت يكفيكموه كما كفى شاعر بني فلان

٢ - عن الضحاك والاخفش أي هؤلاء سوء عند الدار نسبوه إلى أنه شاعر أي نهلك عن قريب كما هلك من قبل من الشعراء ، وأن أباه مات شاباً فربما يموت كما مات أبوه

٣ - عن ابن عباس أيضاً ومجاهد والاصمعي ريب المنون أي حوادث الامور وأحداث الدهر

٤ - عن الاصمعي أيضاً المنون الليل والنهار وسمّيت بذلك لانهما تقصان الاعمار وتقطعان الآجال

٥ - قيل : ريب المنون : ريب الدنيا ومكرها

اقول: وعلى الأول والثاني - لتفسيرهما جمهور المفسّرين

٣٢ - (ام تأمرهم احلامهم بهذا ام هم قوم طاغون)

في الآية أقوال :

١ - قيل أي تأمرهم عقولهم بهذا الكذب والافتراء عليك ، بل هم طغوا بغير عقول

٢ - قيل أي بل تأمرهم قوة نحلتهم بهذا التربص والانتظار للموت الذي يتمنّونه للنبي ﷺ بل حملهم طغيانهم بهذا

٣ - قيل أي بهذا التناقض في قولهم تارة ساحر تارة وكاهن تارة ومجنون ثالثة

اقول: والثاني هو الانسب بظاهر السّياق.

٣٣ - (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

فيها قولان :

احدهما - قيل أي إن كانوا صادقين في ان محمداً ﷺ كاهن او مجنون أو شاعر أو متقوّل

ثانيهما: قيل أي إن كانوا صادقين في أنّ ما جاء به النبي ﷺ هو من تلقاء نفسه إفتراء على الله تعالى

أقول: والأخير هو الأظهر

٣٥ - (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)

في الآية أقوال

١ - عن ابن عباس: أي من غير شيء خلقهم وقدّرهم

٢ - قيل: أي من غير شيء خلقهم كالنبات والجماد لا يعقلون ولا تقوم لله تعالى عليهم حجّة، فلا تكليف لهم في هذه الحالة

٣ - عن ابن عباس: أي أليس قد خلقوا من غير شيء وبغير خالق وعبثاً ومعتمداً على أن الأشياء تأتي كقوله تعالى: «أم يحسبون» أي ما يحسبون من شيء مهين

٤ - عن ابن كيسان: أو لم يخلقوا أي أم خلقوا لا لشيء ولا لإرادة، فلا علّة ولا غاية ولا مشيئة ولا تقدير كما يقول القائل تعالى: «فحسبتم أنما خلقناكم عبثاً» فهم لذلك لا يسمعون كلام الله ولا يؤمنون باليوم الآخر ولا يحاسبون

٥ - قيل: أي أم خلقوا من غير شيء وقدّروا

٦ - قيل: أي أحدثوا وقدّروا هذا التقدير الذي هم عليه من غير مقدّر ولا خالق فلا حاجة لهم إلى خالق

أقول: والأول هو الظاهر، وعليه أكثر المفسرين

٣٦ - (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)

في متعلق اليقين أقوال

١ - قيل: أي لا يوقنون بالبعث والحساب والجزاء إذ لو أيقنوا بذلك لما أنكروها، فعدم اليقين يحثّهم على التكذيب والإنكار

٢ - أي لا يوقنون بما يقولون من إنكار الخالق، فإنهم إذا سئلوا عن خلقهم

وعن خلق السموات والأرض فقالوا الله تعالى هو خالقهم وخالقها فلو أيقنوا بمقالتهم فلا يقولون بذلك

٣ - قيل أي لا يوقنون بأن لهم إلهاً واحداً يستحق هو وحده العبادة، وذلك نبيّ من جانبه

٤ - قيل: أي لا يوقنون برسالة محمد ﷺ وما جاء به من القرآن الكريم

أقول والأول هو الأنسب بظاهر السياق وبعقبه، والأخير من الأقوال

٣٧ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

في قوله تعالى: «أم عندهم خزائن ربك» أقوال

١ - عن ابن عباس والكلبي أي خزائن ربك ومفاتيح الرحمة من الرزق والمطر أم هم المرسلون، فيتصرفوا من الله تعالى ويعرضوا عن أمره

٢ - عن عكرمة ومقاتل والكلبي أي أعندهم مفاتيح ربك من النبوة والرسالة يضعونها حيث شاؤا ويصلونها من شاؤا

وضرب المثل بالخزائن، لأن الخزانة بيت مهيأ لجمع أنواع مختلفة من الذخائر ومقدورات الرب، فالخزائن التي فيها من كل الأجناس فلا نهاية لها

٣ - قيل معنى الآية أم عندهم خزائن الله تعالى وسلطوا على ملكه حتى لم يعودوا يحتاجون نقمته

٤ - قيل أي خزائن العلم

٥ - أي الأسرار الإلهية الخفية عن الأعين

٦ - قيل أي خزائن المخلوقات التي لم يرها الإنسان ولم يسمع بها.

أقول: وعلى الثاني أكثر المفسرين

وفي قوله تعالى: «أم هم المصيطرون» أقوال

١ - عن ابن عباس أي المسلّطون الجبّارون على الله سبحانه.

٢ - قيل: المسلّطون على الناس.

٣ ـ عن ابن عباس أيضاً والضحاك: أي المعذبون.

٤ ـ عن ابن عباس أيضاً: أي أم هم المتولّون.

٥ ـ عن عطاء والحسن: أي أم هم أم هم قاهرون على الله سبحانه حتى يعذبوا عبادك ما وردهُ من السعة والرزق.

٦ ـ عن عطاء أيضاً وأبي عبيدة: أي تسلطت عليّ فأنت تحدثني حولاً لك.

٧ ـ عن ابن بحر: المصطرون: هم المحفوظ مما كتبه الله في اللوح المحفوظ.

أقول: وعلى الرابع أكثر المفسرين، وللثلاثة الأول والخامس هما الأظهران.

٤١ ـ (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

في الآية أقوال:

١ ـ عن ابن عباس: أي أم عندهم اللوح المحفوظ، فهم يكتبون ما فيه ويخبرون الناس بما فيه من أحوال المعدة والنبوة والمعاد.

٢ ـ قيل: أي أم عندهم علم ما غاب عن الناس حتى كتبوا ما علموا أنّ ما أخبرهم به الرسول ﷺ من أمر القيامة والجنة والنار باطل فحكم على الناس بطاعتهم فيما أثبتوا.

٣ ـ عن الفراء: يكتبون أي يحكمون على الناس بما لهم من علم الغيب فهم يقرّرون مصائر الناس ويقضون فيها.

٤ ـ قيل: أي أم عندهم الغيب فهم يكتبون للناس ما أرادوا من علم الغيوب ويسوّدونهم بما شاؤا.

٥ ـ عن قتادة: لما قالوا: نترنّص به ريب المنون، فأنزل الله تعالى: « أم عندهم الغيب » حتى بلغ « موتوا متى شئتم » ثم ﷺ أو إلى ما يؤول إليه أمره.

٦ ـ عن الحسن: أنه جواب لقولهم إن كان أمر الآخرة حقاً كما تدّعون فلنا الجنة وحدنا، ولئن رجعت إليّ ربي إن لي عنده للحسنى.

أقول: وعلى الأول أكثر المفسرين، والتقارب بين بعض الأقوال غير خفي على القارئ ذي الخبير

٤٢ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

في الآية أقوال

١- قيل: أي بل يريدون كيداً في مقالاتهم في النبي ﷺ لاطفاء نوره وإبطال دعوته واشتد لبلاءه عليه وهذا كيدهم إدخروه من السعادة وقطع التوفيق منهم وطبع على قلوبهم

٢- قيل: أي بل هم يريدون كيداً بالنبي ﷺ في دار الندوة، والذين كفروا هم أصحاب دار الندوة فقد الله تعالى كيدهم إلى أنفسهم فقتلهم يوم بدر، فالكلام على هذا من الاحتباك لدلالة السورة على ذلك سبق.

٣- قيل: هو كيدهم لرسول الله ﷺ في دار الندوة وفي غيرها

أقول: وعلى الأخير أكثر المفسرين ولكن الأنسب بظاهر السياق هو الأول وإن كان الأخير غير بعيد

٤٥ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون)

في اليوم أقوال

١- عن البقاعي: أريد باليوم يوم بدر.

٢- عن قتادة: أريد باليوم يوم الموت

٣- قيل: يوم النفخة الأولى

٤- قيل: يوم القيامة يأتيهم فيه من العذاب ما يزيل عقولهم.

٥- قيل: أريد باليوم يوم الجزاء لهم ففي الجنة الذين يوم بدر وفي الآخرة يوم يدعون إلى نار جهنم دعّاً

أقول: والأخير هو الأنسب بالسياق أمّا جزاء الدنيا فما يستفاد من قوله تعالى «قل تربصوا فإني معكم من المتربصين. ومن قوله تعالى -: أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون»: ٣١ - ٤٢)

وأمّا جزاء الآخرة فمؤيّد بغرض السورة وتهديداتها

وفي قوله تعالى: «يصعقون» أقوال:

١ قيل أي يصعقون هم وغيرهم من المؤمنين وأهل السموات جميعاً عند نفخ الصور، إذ قال تعالى «ونفخ في الصور فصعق من في السموات ومن في الأرض» (الزمر ٦٨)

٢ـ قيل أي يصعق أحياء الكفار الذين لم يموتوا بعد وهم في الدنيا

٣ـ قيل أي يصعق الأحياء في الدنيا والأموات في البرزخ

٤ـ قيل أي يصعقون هم يوم الجزع في الحياة الدنيا وهو يوم بدر، وفي الآخرة يوم يدعّون الى نار جهنم دعّاً

أقول: والأخير هو المؤيّد بقوله تعالى: «وإنّ للذين ظلموا عذاباً دون ذلك» (٤٧)

وأمّا القول بأنّ إيقاعه على الكفار من خوف يوم القيامة الذي يسقط فيه عامّة الناس، والأمر يومئذ لله فمردود بقوله تعالى «وما كيد الكافرين إلاّ في ضلال» (غافر ٢٥)

وبقوله تعالى «وأنّ الله موهن كيد الكافرين» (الأنفال ١٨)

٤٧ ـ (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون)

في قوله تعالى «عذاباً دون ذلك» أقوال

١ ـ عن ابن عباس: أي عذاباً غير عذاب الآخرة فمنه موتهم في الحياة الدنيا وهو القتل يوم بدر

٢ـ عن ابن زيد: أي مصائب الدنيا من الأوجاع والأسقام والبلايا وذهاب الأولاد ونقص الأموال

٣ـ عن مجاهد هو الجوع والجهد سبع سنين قبل يوم بدر، لأنّه كان في أيّام الهجرة، وقد قحط وقع عليهم قحط

٤ـ قيل أي عذاباً بعد الرجعة

٥ قيل أي عذاباً يوم القيامة بالأهوال والفزع يومها، وهذا أخفّ من عذاب النار

٦ ـ عن ابن عباس أيضاً والفراء بن عازب: هو عذاب القبر قبل عذاب الآخرة قال ابن عباس: إنكم لتحدثون عذاب القبر في كتاب الله «وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك».

أقول: وعلى الأول أكثر المحققين.

٤٨ ـ (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

في قوله تعالى «واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا» أقوال:

١ ـ قيل: أي إصبر لثلاثة فيما ابتلاك به من قومك.

٢ ـ قيل: أي إصبر لقضاء ربك فيما حملك من رسالته ومن الأمهاد والإملاء والصنع على قومهم.

٣ ـ قيل: أي إصبر إلى أن ينفع بهم العذاب الذي حكمت عليهم به، واللام للعاقبة.

أقول: وعلى الأخير أكثر المفسرين.

وفي قوله تعالى «وسبح بحمد ربك حين تقوم» أقوال:

١ ـ عن حسان بن عطية والكلبي وأبي الأحوص: أي حين قمت من نومك فقل «سبحان الله وبحمده» ليكون مفتتحاً لعمله بذكر الله تعالى.

٢ ـ عن الضحاك والربيع وزيد بن أسلم وابن زيد والكلبي أيضاً: أي إذا قمت إلى الصلوات المفروضة فقل «سبحانك اللهم وبحمدك وتبارك إسمك ولا إله غيرك» إلى أن تدخل في الصلاة.

٣ ـ قيل: أي إذا قمت إلى كل صلاة: فرضها ونفلها فاذكر الله إلى أن تدخل فيها.

٤ ـ عن ابن مسعود وسعيد بن جبير: أي إذا أردت القيام بعد جلستك في الصلاة وغيرها فاذكر الله تعالى لأن الذكر عند القيام مستحب.

٥ ـ عن زيد بن أسلم أيضاً: أي إذا أردت القيام من القائلة لصلاة الظهر فاذكر الله تعالى

٦ عن ابن عباس و الحسن أي اذا أردت القيام الى الركعتين قبل فريضة الصبح فذكر الله تعالى

٧ عن ابن زيد أيضاً أي اذا أردت القيام من المجلس فسبّح بحمد ربك .

أقول: والراجح هو الاول ، لاطلاق « حين تقوم » ، و التخصيص في الآية التالية لا ينافي الاطلاق باعتبار ذكر أفضل الاوقات

٤٩ - (ومن الليل فسبحه وادبار النجوم)

في قوله تعالى « ومن الليل فسبحه » أقوال ١ - في المراد به صلاة الليل

٢ في بعض المراد به صلاة المغرب والعشاء

٣ عن بعض المراد به صلاة العشاء

أقول: معنى الاول ظاهر

و في قوله تعالى « وإدبار النجوم » أقوال

١ عن ابن عباس و جابر وقتادة المراد به وقت إدبار النجوم وهو إختفاءها سوء فسبح وهو الركعتان قبل فريضة الصبح

٢ عن الضحاك وابن زيد المراد به فريضة الصبح

٣ قيل المراد به التسبيح لله تعالى صباحاً ومساء من غير غفلة عن ذكره.

٤ عن ابن عباس ايضاً انه التسبيح في آخر الصلوات

٥ - عن ابن زيد ايضاً حين يستر النجوم للافول عند إقبال النهار

٦ عن ابن عباس ايضاً التسبيحان في صلاة الغداة

أقول: و الاول هو المروي عن طريق ائمة أهل البيت صلوات الله عليهم اجمعين

﴿ التفسير والتأويل ﴾

١ - (والطور)

الطور : إسم الجبل الذي كلّم الله تعالى عليه موسى عليه السلام ، وأنزل عليه التوراة ، أقسم الله تعالى بهذا الجبل له وتكريماً وتذكيراً لما فيه من الآيات وما قدّسه وبارك فيه ، كما أقسم به في قوله تعالى : « وطور سنين » التين : ٢) .

وقال : « وإذ أخذنا ميثاقكم ورفعنا فوقكم الطور خذوا ما آتيناكم بقوة واذكروا ما فيه لعلكم تتقون » البقرة ٦٣)

وقال : « وقربناه من جانب الطور الأيمن وقربناه نجياً » مريم ٥٢)

وقال : « يا بني إسرائيل قد أنجيناكم من عدوكم ووعدناكم جانب الطور الأيمن ونزلنا عليكم المن والسلوى » طه ٨٠)

وقال : « فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله آنس من جانب الطور ناراً قال لأهله امكثوا إني آنست ناراً لعلي آتيكم منها بخبر أو جذوة من النار لعلكم تصطلون فلما أتاها نودي من شاطئ الوادي الأيمن في البقعة المباركة من الشجرة أن يا موسى إني أنا الله رب العالمين ـ إنهم كانوا قوماً فاسقين » القصص ٢٩ ـ ٣٢) .

وقال : « إني أنا ربك فاخلع نعليك إنك بالواد المقدس طوى » طه ١٢) .

وقال : « وما كنت بجانب الطور إذ نادينا ولكن رحمة من ربك لتنذر قوماً ما أتاهم من نذير من قبلك لعلهم يتذكرون » القصص ٤٦) .

٢ - (وكتاب مسطور)

الكتاب المسطور هو التوراة المكتوبة التي أنزلها على موسى عليه السلام أقسم الله

تعالى له لما كان فيه من الهدى والموعظة والتفصيل لكل شيء ولكن بني اسرائيل اشربوا في قلوبهم العجل وكفروا بما جاءهم موسى عليه السلام ودنسوا ما دنسوا، كما هو دأبهم في طوال الاعصار

قال الله تعالى: «ولقد آتينا موسى الكتاب وجعلناه هدى لبني اسرائيل» السجدة ٢٣)

«قال: وقال يا موسى إني اصطفيتك على الناس برسالاتي وبكلامي فخذ ما آتيتك وكن من الشاكرين وكتبنا له في الالواح من كل شيء وموعظة وتفصيلا لكل شيء فخذها بقوة وأمر قومك يأخذوا بأحسنها - وإن يروا كل آية لا يؤمنوا بها وإن يروا سبيل الرشد لا يتخذوه سبيلا وإن يروا سبيل الغي يتخذوه سبيلا ذلك بأنهم كذبوا بآياتنا وكانوا عنها غافلين» الاعراف ١٤٤ - ١٤٦)

وقال: «وإذ أخذنا ميثاق بني اسرائيل لا تعبدون إلا الله - واشربوا في قلوبهم العجل بكفرهم» البقرة ٨٣ - ٩٣)

٣ - (في رق منشور)

الرق هو قطعة الجلد الأملس المعد للكتابة، وأكثر ما كان يتخذ من جلد الغزال، ثم اطلق على كل ما يكتب فيه فيشمل البردي والاحجار وما فيه من الاحكام والآداب والاخلاق فيسهل على كل أحد أن يطلع على ما فيه

والمنشور المعد للكتابة والقراءة، أو المبسوط خلاف المطوي كقوله تعالى: «ونخرج له يوم القيامة كتاباً يلقاه منشوراً» الاسراء ١٣)

وقد يأتي في الآيتين من الرواية قسم بأب الاطلاق، كما ان قول أصحاب التأويل ان الطور هو الدماغ الانساني الذي هو مظهر العقل، والكتاب ما ينطبع فيه، والرق المنشور هو النطق والبيان - أقسم الله تعالى بها لشرافتها وكرامتها ولكونها مظهر الامر الالهي ومحل القضاء الربوبي - قسم الحري والانطباق

وذلك لان المحل الذي كلم الله تعالى عليه موسى عليه السلام كان كذلك

٤ - (والبيت المعمور)

هو بيت في السماء بحذاء الكعبة المشرّفة تزوره الملائكة وتطوفه طواف البشر بالكعبة أقسم الله تعالى بشرفه وسرائه وحرمته عنده جل وعلا وجعله مثابة وأمناً للملائكة

٥ - (والسقف المرفوع)

هو السماء التي رفعها الله تعالى بعد عمد ترونها سمّاها سقفاً ، لأنّها للأرض بمثابة السقف للبيت

قال الله تعالى « وجعلنا السماء سقفاً محفوظاً وهم عن آياتها معرضون » الأنبياء : ٣٢)

وقال « الله الذي رفع السموات بغير عمد ترونها ثم استوى على العرش وسخر الشمس والقمر كل يجري لأجل مسمى يدبّر الأمر يفصّل الآيات لعلّكم بلقاء ربكم توقنون » الرعد ٢)

أقسم الله تعالى بالسماء لما فيها من الآيات الدالّة على كمال قدرته وعلمه وحكمته وبديع صنعه وتدبيره

قال الله تعالى « أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بنيناها وزيّناها » ق ٦)

وقال « ولقد جعلنا في السماء بروجاً وزيّناها للناظرين » الحجر ١٦)

٦ - (والبحر المسجور)

أي تحمى البحار يوم القيامة فتحمل سرعاً ، ثم تبحر بعضها في بعض ، ثم تبحر إلى النار ، قال الله تعالى « وإذا البحار سجّرت » التكوير ٦)

وقد جاء في الخبر أنه بحر في السماء تحت العرش .

٧ - (إن عذاب ربك لواقع)

أي إن عذاب ربك لواقع يوم القيامة ، فيحيط بالكافرين المكذّبين بالعذاب لا محالة .

قال الله تعالى: «وإنهم آتيهم عذاب غير مردود» (هود: ٧٦).

وقال: «وإن جهنم لمحيطة بالكافرين يوم يغشاهم العذاب من فوقهم ومن تحت أرجلهم» (العنكبوت ٥٤ - ٥٥)

٨ - (ما له من دافع)

أي ليس لهذا العذاب دافع يدفعه عن المكذبين، ولا مهرب لهم منه، ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون.

قال الله تعالى: «سأل سائل بعذاب واقع للكافرين ليس له دافع» (المعارج ١ - ٢).

وقال: «إن الذين كفروا وماتوا وهم كفار فلن يقبل من أحدهم ملء الأرض ذهباً ولو افتدى به أولئك لهم عذاب أليم وما لهم من ناصرين» (آل عمران ٩١)

وقال: «ولا يخفف عنهم العذاب ولا هم ينصرون» (البقرة ٨٦)

٩ - (يوم تمور السماء موراً)

أي يقع بهم العذاب يوم تضطرب السماء وتختلف سيرها، والمراد تبدل السماء وتغير معالم الوجود.

قال الله تعالى: «يوم تبدل الأرض غير الأرض والسموات وبرزوا لله الواحد القهار وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد سرابيلهم من قطران وتغشى وجوههم النار» (إبراهيم ٤٨ - ٥٠).

١٠ - (وتسير الجبال سيراً)

أي تزول الجبال يوم القيامة من أماكنها وتسير عن مواضعها وتسير سيراً، فتكون سراباً وهباء منبثاً.

قال الله تعالى: «ويوم نسير الجبال وترى الأرض بارزة وحشرناهم فلم نغادر منهم أحداً» (الكهف ٤٧)

وقال: «إذا وقعت الواقعة وبست الجبال بساً فكانت هباء منبثاً» (الواقعة ١ - ٦)

وقال « وسيرت الجبال فكانت سراباً إن جهنم كانت مرصادا للطاغين مآباً » النبأ : ٢٠ - ٢٢)

١١ - (ويل يومئذ للمكذبين)

أي ويل لمن يقع عليه عذاب ذلك اليوم القيامة بما كان يكذب به في الحياة الدنيا

قال الله تعالى « ويل يومئذ للمكذبين انطلقوا إلى ما كنتم به تكذبون انطلقوا إلى ظل ذي ثلاث شعب لا ظليل ولا يغني من اللهب انها ترمي بشرر كالقصر كأنه جمالت صفر » المرسلات ٢٨ - ٣٣)

١٢ - (الذين هم في خوض يلعبون)

أي المكذبون هم في خوض يخبط وهو حديث الجزاء الذي كانوا يخوضون في الكلام فيه ويهزؤن به ؛

قال الله تعالى « وما يأتيهم من ذكر من الرحمن محدث الا كانوا عنه معرضين فقد كذبوا فسيأتيهم أنباء ما كانوا به يستهزؤن » الشعراء ٥ - ٦)

١٣ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

أي يوم يدفع هؤلاء المكذبون ويسوقون الى نار جهنم بشدة وعنف ، حتى يردوا النار التي كانوا بها مكذبين

قال الله تعالى « وسيق الذين كفروا إلى جهنم زمراً حتى إذا جاؤها فتحت أبوابها وقال لهم خزنتها ألم يأتكم رسل منكم يتلون عليكم آيات ربكم وينذرونكم لقاء يومكم هذا قالوا بلى ولكن حقت كلمة العذاب على الكافرين » الزمر: ٧١ ،

١٤ - (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)

أي فادي هؤلاء المكذبون من النار قيل لهم حرنتها هذه النار التي تشاهدونها هي التي كنتم بها تكذبون في الحياة الدنيا وكان تكذيبكم بها موجباً لتكذيبكم الرسول ﷺ الذي جاء بخبرها وللوحي الناطق بها

قال الله تعالى : « وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون »

السجدة : ٢٠) .

١٥ ـ (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

أي يقال لهؤلاء المكذّبين يوم يعرضون على النّار أفسحر هذا الّذي ترونه الآن ، كما كان يقال إليه للعذاب والخلود فيه كما كنتم ترمون الاخبار به انّه سحر يسحركم به محمد ﷺ فانظروا هل هي خيال وسحر وأمر موهوم حرافيّ كما كنتم تزعمون ، أم هي حقيقة ـ أم انتم لا تبصرونه

قال الله تعالى « ويوم يعرض الّذين كفروا على النار أليس هذا بالحق » الاحقاف : ٣٤) .

وقال « وعرضنا جهنّم يومئذ للكافرين عرضاً إنّا اعتدنا جهنّم للكافرين نزلاً » الكهف ١٠٠ ـ ١٠٢) .

١٦ ـ (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

تقول لهؤلاء المكذبين بالجزاء حرّ النار إذا لم تستطيعوا إنكار هذه النار وتحقّق انّ الاخبار بها ليس سحراً ولا خللاً في أبصاركم ، ذوقوا حرّها بالدخول فيها والترموها سواء كان لكم فيها صبر أو لم يكن ، فلا الصبر يرفع عنكم العذاب أو يخفّفه ، ولا الجزع ينفعكم شيئاً

قال الله تعالى « وبرزوا لله جميعاً فقال الضعفاء للذين استكبروا إنّا كنّا لكم تبعاً فهل انتم مغنون عنّا من عذاب الله من شيء قالوا ـ سواء علينا اجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » ابراهيم : ٢١)

وذلك لانّ من لا يصبر على شيء يحاول دفعه عنه ، إمّا بابعاده عنه وإمّا بمحقه وإزالته ، ولا شيء من ذلك بحاصل يوم القيامة مع انّ عذاب الاخرة ليس كعذاب الدنيا ، فانّ المعذّب فيها إن صبر إنتفع بصبره إماّ بالجزاء في الاخرة وإما بالحمد في الدنيا فيقال فيه : ما أشجعه وما اقوى قلبه ، وإن جزع ذمّ وقيل فيه يجزع كالصبيان والنساء ، واماّ في الاخرة فلا ثواب على الصبر ولا مدح فيه .

إنّما يلاقيكم هذا الجزاء ولا يجزيكم لاستحقاقكم بذلك لأنكم تجزون بأعمالكم التي كنتم تعملونها في الحياة الدنيا فإذا كان الجزاء واقعاً لا محالة كان الصبر وعدمه سواء، قال تعالى «كل امرئ بما كسب رهين» (الطور ٢١).

١٧ - (إن المتقين في جنات ونعيم)

وهم الذين يؤمنون بالله ورسوله ﷺ وباليوم الآخر، ويعبدونه وحده ويؤدّون فرائضه، ويجتنبون ربّهم سرّاً وعلانية ويتحلّون بآداب دينه، وينتهون عن معاصيه، ولا يدنّسون أنفسهم بالآثام ولا يدسّونها بالفجور، وهم في بساتين تحتها الأشجار تتعلّق فيها نعم كثيرة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر.

قال الله تعالى «ذلك الكتاب لا ريب فيه هدى للمتقين الذين يؤمنون بالغيب ويقيمون الصلاة ومما رزقناهم ينفقون والذين يؤمنون بما أنزل إليك وما أنزل من قبلك وبالآخرة هم يوقنون» (البقرة ٢-٤).

وقال «ينزّل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده أن انذروا أنه لا إله إلاّ أنا فاتقون» (النحل ٢).

وقال «الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم أعظم درجة عند الله وأولئك هم الفائزون يبشّرهم ربهم برحمة منه ورضوان وجنات لهم فيها نعيم مقيم خالدين فيها أبداً إن الله عنده أجر عظيم» (التوبة ٢٠-٢٢).

١٨ - (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

أي ناعمين متحببين بما أعطاهم ربّهم من الحسنات والنعيم، وقد نجاهم من عذاب النار، فلم يمسّهم لظاها، ولم يحسّوا بحرّها، فهم لابسوا النعم، وجانبوا النقم، وذلك هو الفوز العظيم، والنعيم المقيم.

قال الله تعالى «إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون هم وأزواجهم في ظلال على الأرائك متكئون لهم فيها فاكهة ولهم ما يدّعون سلام قولاً من ربّ رحيم» (يس: ٥٥ - ٥٨).

١٩ ـ (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

يقول لهؤلاء المتقين حزبه الحسنة ـ إذ دخلوا الجنة ورأوا ما فيها من النعم وأعجبوا بما أعطاهم ربهم ـ كلوا أكلاً واشربوا شرباً هنيئاً بسبب ما كنتم تعملون في الحياة الدنيا

قال الله تعالى « وسيق الذين اتقوا ربّهم إلى الجنة زمراً حتى إذا جاؤها وفتحت أبوابها وقال لهم خزنتها سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين وقالوا الحمد لله الذي صدقنا وعده وأورثنا الأرض نتبوأ من الجنة حيث نشاء فنعم أجر العاملين » الزمر : ٧٣ ـ ٧٤)

وقال « كلوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتم في الأيام الخالية » الحاقة : ٢٤)

٢٠ ـ (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

أي حال كونهم متكئين على الوسائد والنمارق جالسين على سرر مصطفة متقابلة حلية المتّكىء الذي لا كفء له ولا خلاف لديه ، وجعلنا لهم قريناتٍ صالحات وزوجناهن حسناً واسعات الأعين ، قال الله تعالى « إنّ المتقين في جنات وعيون ادخلوها بسلام آمنين ونزعنا ما في صدورهم من غلٍّ إخواناً على سرر متقابلين لا يمسهم فيها نصب وما هم منها بمخرجين » الحجر ٤٥ ـ ٤٨)

وقال « يلبسون من سندس وإستبرق متقابلين كذلك وزوّجناهم بحور عين » الدخان : ٥٣ ـ ٥٤)

وقال « على سرر متقابلين يطاف عليهم بكأس من معين » الصافات ٤٤ ـ ٤٩)

٢١ ـ (والذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)

أي انّ المؤمن إذا تبعته ذرّيته في الإيمان ما ، فعلاً كان أو حكماً ـ يلحقهم ربّهم بآبائهم في المنزلة والدرجة في الجنة فضلاً من الله تعالى وإن لم يبلغوا بالإيمان منزلتهم لتقرّ بهم أعينهم ويكمل بهم فرحهم وحبورهم لكونهم بينهم

وبذلك يجتمع شملهم في الجنة وما انقصنا مثوبات الآباء ولا حططنا درجاتهم بل رفعنا منزلة الأبناء تفضلاً منّا وإحساناً

إن كل امرئ مرهون بعمله عند الله تعالى وصالح العمل والإيمان يفكّه وطالح العمل والكفر يوبقه فلا يفكّ عنه إلا المؤمنون بالإيمان والعمل الصالح قال الله تعالى «وكل نفس بما كسبت رهينة إلا أصحاب اليمين» (المدثر ٣٨ ـ ٣٩)

وأما أصحاب اليمين وإن كانوا أنزل درجة من أبنائهم فإن الآباء أبناء لأبنائهم وهكذا فتتسع الأسرة بأبنائهم في جنته ممتدة من بدء الخلقة الى نهايتها، وهكذا يبدو أهل الجنة وكأنهم جميعاً أسرة واحدة

وإن من أعظم ما يختلف فيه الناس في الجنة ومبارزاً أمامها فهو الاختلاف في درجة التفضل للنعيم وفي مدى الفضل على الناس من تلك النعيم التي لا تنفد أبداً، فالجنة عالم واحد وهناك عوالم كبيرة عوالم صغيرة تتلذذ ويتنعم كل بحسبه

قال الله تعالى «والذين يوفون بعهد الله ولا ينقضون الميثاق والذين يصلون ما أمر الله به أن يوصل ويخشون ربهم ويخافون سوء الحساب والذين صبروا ابتغاء وجه ربهم وأقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية ويدرؤن بالحسنة السيئة أولئك لهم عقبى الدار جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» (الرعد: ٢٠ ـ ٢٤)

٢٢ ـ (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

أي زدناهم نعماً كالفاكهة واللحم على ألوانها وتنوعها فيها مما يشتهون رفداً بعد رفد جزاء بما كانوا يعملون، ويزيد على ذلك من غير انقطاع تفضلاً منّ

قال الله تعالى: «إن المتقين في جنات وعيون وفواكه مما يشتهون ـ إنا كذلك نجزي المحسنين» (المرسلات: ٤١ ـ ٤٤)

وقال « فأما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فيوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله » النساء : ١٧٣)

وقال « ان الذين يتلون كتاب الله واقاموا الصلاة وأنفقوا مما رزقناهم سراً وعلانية يرجون تجارة لن تبور ليوفيهم اجورهم ويزيدهم من فضله » فاطر ٢٩-٣٠)

وقال « وزلفت الجنة للمتقين غير بعيد هذا ما توعدون لكل أوّاب حفيظ من خشي الرحمن بالغيب وجاء بقلب منيب ادخلوها بسلام ذلك يوم الخلود لهم ما يشاؤن فيها ولدينا مزيد » ق : ٣١ - ٣٥)

٢٣ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

اى يتعاطون هم وقرناؤهم في الجنة ويتجاذبون كأساً فيه خمر ويتناولونها بينهم تجاذب ملاعبة لا تجاذب مخاصمة ، وفيه نوع لذة كما بين الزوجين في وقائل الارتياح في طعامهما وشرابهما المباح لهما في الحياة الدنيا ، وكما يفعل الندامى فيما بينهم لذة سرورهم ، من غير عربدة ، ولا زوال العقل فيها ولا ما يصدر من شاربي الخمر في الدنيا ولا تحصل شاربيها اثم كما هو من آثار خمر الدنيا

قال الله تعالى « بأكواب وأباريق وكأس من معين لا يصدعون عنها ولا ينزفون » الواقعة : ١٨ - ١٩)

٢٤ - (ويطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

أى ويطوف على المتقين غلمان لهم بالفواكه والتحف والطعام والشراب من غير تعب ولا مشقة في خدمة أهل الجنة ، بل لهم في ذلك لذة وسرور كأنهم لؤلؤ في الحسن والصفاء والبياض ولصحة منصون من كدر أو محزون في الصدف أو الكنّ والدّرج

قال الله تعالى « يطاف عليهم بصحاف من ذهب وأكواب وفيها ما تشتهيه الانفس وتلذّ الاعين » الزخرف : ٧١)

٢٥ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

أى وأقبل بعض المتقين على بعض منهم في الجنة يتذاكرون ويتحادثون

ما كانوا فيه من التعب والخوف من العاقبة في الحياة الدنيا

فيحمدون الله تعالى فيما هم فيه من نعيم الجنة وخلصتهم من عذاب الجحيم

٣٦ - (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين)

أي قال كل مسئول من المتقين لسائله إنا كنا في الحياة الدنيا ونحن بين أهلنا خائفين من الله تعالى وجلين من عقابه فصلا عن سائر الاوقات والاحوال، وكنا دوى عبرة وأهل فنخوفهم من عذاب الله تعالى فطلب سعادتهم وسعى في نجاتهم من مهالك الشقاء والضلال ونصحهم ووعظهم لما فيه عزتهم في الدارين، فحثتهم إلى الحق والايمان وصالح العمل

قال الله تعالى في وصف المتقين «والذين هم من عذاب ربهم مشفقون» المعارج: ٢٧)

وقال «وهم من الساعة مشفقون» الانبياء: ٤٨ - ٤٩)

وقال «يا أيها الذين آمنوا قوا أنفسكم وأهليكم نارا وقودها الناس والحجارة عليها ملائكة غلاظ شداد لا يعصون الله ما أمرهم ويفعلون ما يؤمرون» التحريم: ٦)

٣٧ - (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم)

أي فمن الله تعالى علينا بالهداية إلى الحق والتوفيق لصالح العمل، وغفر لنا بعض ما ارتكبناه أمرا ونهيا وبلطفه وكرمه ونجانا من عذاب النار

قال الله تعالى «والذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويؤمنون به ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات ومن تق السيئات يومئذ فقد رحمته وذلك هو الفوز العظيم» المؤمن ٧-٩).

٢٨ - (انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

أي إنا كنا في الحياة الدنيا نوحّد الله حق وعلا ونعبده وحده، ونكف نأتمر بأوامره وننتهي عن نواهيه، وندعوه أن يمنّ علينا بالمغفرة عن تقصيرنا، ونطلب منه النجاة من عذاب الجحيم، وأن يدخلنا في الجنة، وكنا نعتني بأهلنا فنفرّهم من الحق والدعوة اليه، ونحثّهم عن البطل والتحويف على تمته، فاستجاب لنا ربّنا وفضله لانه البرّ بعباده المؤمنين، والواسع الرحمة لمن يطلبون رحمته ويتقون فضله

قال الله تعالى: «ومن أحسن قولا ممن دعا إلى الله وعمل صالحاً وقال انني من المسلمين» فصّلت: ٣٣)

وقال: «واصبر نفسك مع الذين يدعون ربّهم بالغداة والعشيّ يريدون وجهه» الكهف: ٢٨)

وقال: «انهم كانوا يسارعون في الخيرات ويدعوننا رغباً ورهباً وكانوا لنا خاشعين» الانبياء: ٩٠)

وقال: «اولئك الذين يدعون يبتغون إلى ربّهم الوسيلة أيّهم أقرب ويرجون رحمته ويخافون عذابه» الاسراء: ٥٧)

٢٩ - (فذكر فما أنت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

أي إذا كان ما أخبرناهم به من الخبر الواقع ومصائر المكذبين وموقفهم ومصائر المتقين وموقفهم يوم القيامة والمشاهد فيه حقاً، فذكّر يا أيّها الرسول الناس فانت على ما كنت عليه من التذكير والدعوة للحقّ، واستمرّ في ذلك تذكّرهم وتنذرهم بالحق ولست كما يرمونك كاهناً ولا مجنوناً لانك نأيتنا وهذه هي نعمة خاصة تمنع من عروض صفتي الكهانة والجنون وما إليهما من الصفات غير اللائقة بمقام النبوة عليك.

قال الله تعالى: «فذكّر إنّما أنت مذكّر» الغاشية ٢١)

وقال: «أو لم يتفكّروا ما بصاحبهم من جنّة إن هو إلاّ نذير مبين»

الاعراف : ١٨٤)

وقال : لمّا سمعوا الذكر ويقولون انه لمجنون وما هو إلاّ ذكر للعالمين » القلم : ٥١ ـ ٥٢)

٣٠ ـ (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

أي بل يقول هؤلاء المكذّبون إن محمداً ﷺ هو شاعر ننتظر به حوادث الدهر ونكباته ، من موت ، أو حادثة متلفة ، فيخمد ذكره ، و ينسى رسمه ، فنستريح منه

كقوله تعالى حكاية عن قوم نوح عليه السلام : « قالوا فيه : إن هو إلاّ رجل به جنّة فتربّصوا به حتّى حين » المؤمنون : ٢٥)

٣١ ـ (قل تربصوا فاني معكم من المتربصين)

أي قل يا محمد ﷺ لهم إنتظروا ، وتمهّلوا في ريب المنون فاني معكم منتظر لقضاء الله تعالى وأمره فيكم ، فستعلمون لمن يكون حسن العاقبة و الظفر في الدنيا و الآخرة ، فعدّوا يوم بدر بالسيف أو يوم الفتح

قال الله تعالى : « قل يوم الفتح لا ينفع الذين كفروا إيمانهم ولا هم ينظرون فأعرض عنهم وانتظر انهم منتظرون » السجدة : ٢٩ ـ ٣٠)

وقال : « قل كلّ متربّص فتربّصوا فستعلمون من أصحاب الصراط السوى ومن اهتدى » طه : ١٣٥)

٣٢ ـ (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

أي بل أتأمرهم قوّة تحيّلهم وأوهامهم ودسائسهم بما تقدم ذكره من مقالتهم في النبيّ الكريم ﷺ وتربّصهم به ريب المنون ، وهذا غير مما يفعل العقلاء الذين يتدبّرون بأمرهم فيهم ، فان العقل لا يأمر صاحبه بذلك أبداً ، بل الحق ان الذي حملهم على أن يقولوا ما قالوا وتربّصوا ما تربّصوا هو طغيانهم و عنادهم و ضلالهم عن الحق ، وهم بذلك صاروا بمثابة الانعام بل هم أضلّ سبيلا .

قال الله تعالى : « فان لم يستجيبوا لك فاعلم إنما يتّبعون أهواءهم ومن أضلّ

ممن اتبع هواه بغير هدى من الله » القصص : ٥٠)

وقال « أم تحسب أن أكثرهم يسمعون أو يعقلون إن هم إلا كالانعام بل هم أضل سبيلا » الفرقان ٤٤)

وقال « لهم قلوب لايفقهون بها ولهم أعين لايبصرون بها ولهم آذان لايسمعون بها اولئك كالانعام بل هم أضل اولئك هم الغافلون » الاعراف ١٧٩)

٣٣ - (أم يقولون تقوله بل لايؤمنون)

أي بل أيقول هؤلاء المكذبون افترى محمد ﷺ ماجاء به يعني القرآن واختلقه من تلقاء نفسه بل هم لايؤمنون به عناداً ولجاجاً وتعصباً وهذه حمليتهم على هذه المطاعن وليس لهم أن يقولوا ماقالوا فحينئذ ردهم الله تعالى جميع ماقالوا وتحداهم في دحض ما قالوا بقوله

٣٤ - (فليأتوا بحديث مثله ان كانوا صادقين)

أي لو كان ماجاء به محمد ﷺ من تلقاء نفسه فليأتوا بحديث مثله - يشبهه في النظم والاسلوب والفصاحة وحسن البيان والبراعة - من تلقاء أنفسهم إن كانوا صادقين في ان محمداً ﷺ إفتراه على الله سبحانه

٣٥ - (أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون)

أي أم خلق هؤلاء المكذبون المبطلون من غير خالق ولا موجد والعقل يشهد وينادي بأن كل شيء يوجد لابد له من موجد، أم هم خلقوا أنفسهم وأوجدوها فليسوا بمخلوقين لله تعالى حتى يلزمهم ويأمرهم بالامر والنهي.

والعقل يكذب أن يحقق الانسان نفسه للزوم تقدم وجوده على وجوده، فهم باعتبار انهم خالقون مقدمون على أنفسهم في الوجود، وباعتبار أنهم مخلوقون مؤخرون من أنفسهم في الوجود

قال الله تعالى : « ان في خلق السموات والارض واختلاف الليل والنهار لآيات لاولي الالباب الذين يذكرون الله قياماً وقعوداً وعلى جنوبهم ويتفكرون

في خلق السموات و الارض ربّنا ما خلقت هذا باطلا سبحانك فقنا عذاب النار » آل عمران : ١٩٠ ـ ١٩١)

٣٦ ـ (أم خلقوا السموات والارض بل لايوقنون)

أي أم خلق هؤلاء المكذّبون السموات و الارض فيكونوا أرباباً آلهة وليس الامر كذلك فانّهم لم يخلقوا شيئاً ولاهم يدّعون ذلك ، بل لحق انّهم لايوقنون بوعيد الله تعالى ، وما أعدّ لاهل الكفر به من عذاب الآخرة ، ولو أيقنوا بذلك لما أنكروه.

قال الله تعالى « وإذا قيل إنّ وعد الله حق والساعة لا ريب فيها قلتم ما ندري ما الساعة إن نظن إلاّ ظناً وما نحن بمستيقنين » الجاثية ٣٢)

وقال « كلاّ لو تعلمون علم اليقين لترونّ الجحيم ثم لترونّها عين اليقين » التكاثر ٥ ـ ٧)

٣٧ ـ (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

أي بل أعند هؤلاء المكذّبين بالحق والجزاء مفاتيح خزائن رحمة ربك فيقسموها كيف شاؤا ويعطوها ، وخاصّة النبوة لمن أرادوا ، ويصطفون لها من اختاروا ، بل أهم القاهرون على الله سبحانه والمسلّطون عليه فيبنون الامور على إرادتهم ومشيّتهم ويسلبون عنك ما رزقك الله تعالى من النبوّة والرسالة

وليس الامر كذلك ، بل الله تعالى هو المتصرّف الفعّال لما يريد

وقال الله تعالى « أم عندهم خزائن رحمة ربك العزيز الوهّاب أم لهم ملك السّموات والارض وما بينهما فليرتقوا في الاسباب » ص ٩ ـ ١٠)

وقال « وقالوا لو لا نزّل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم أهم يقسمون رحمة ربك نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدّنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات » الزخرف : ٣١ ـ ٣٢) .

٣٨ ـ (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

أي بل أيدّعون انّ لهم مرتقى إلى السماء و مصعداً وسبباً يستمعون عليه

الاخبار ويصلون به إلى علم الغيب كما يصل اليه محمد ﷺ بطريق الوحي ، فليأت من يدّعي ذلك منهم بحجة بيّنة ان هذا الذي هم عليه حق

٣٩ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

أي بل أتضيفون الى الله سبحانه البنات مع أنفسكم منهن و كراهتكم بهن ، وتضيفون الى أنفسكم البنين لحبّكم بهم ، تلك إذاً قسمة جائرة غير عادلة إن تعوقتم على الله سبحانه حيث جعلتم نصيبكم البنين ونصيبه البنات

قال الله تعالى « ألكم الذكر وله الانثى تلك إذاً قسمة ضيزى » النجم: ٢٢) .

٤٠ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أي بل تسئل أيها الرسول ﷺ هؤلاء المشركين على ما تدعوهم إليه من التوحيد و لعبادة لله تعالى وحده أجراً تأخذه من أموالهم فهم من ثقل ما حملتهم من الاجر لايقدرون على إجابتك الى ماتدعوهم الى صراط مستقيم فأعرضوا عن الدعوة لذلك

وليس الامر كذلك إذ لا أجر لك في تبليغ رسالتك الا على رب العالمين اذ لا يوازن الرسالة متاع الدنيا حتى يجعل اجرها من متاعها ، نعم جعل الله أجرها المودّة بأهل بيته المعصومين عليهم السلام .

قال الله تعالى « أم تسئلهم خرجاً فخراج ربك خير و هو خير الرازقين وانك لتدعوهم الى صراط مستقيم » المؤمنون ٧٢ - ٧٣)

وقال « قل ما أسئلكم عليه من أجر وما أنا من المتكلفين ان هو الا ذكر للعالمين » ص: ٨٦ - ٨٧)

وقال « قل لا أسئلكم عليه أجراً إلا المودّة في القربى » الشورى: ٢٣)

٤١ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

أي بل أعندهم علم الغيب فيحرجون منه تلك المقالات التي يقولونها في النبي الكريم ﷺ فيردّون به دين الحق الذي يدعوهم اليه الرسول ﷺ

و ليس الامر كذلك اذ لايعلم الغيب رسول الله ﷺ الا ما جاء به من الوحي فضلا عن هؤلاء المنكرين الجهلاء .

قال الله تعالى « قل لا أقول لكم عندى خزائن الله ولا أعلم الغيب ولا أقول لكم انى ملك إن أتبع إلا ما يوحى إلىّ » الانعام ٥٠)

وقال « تلك من أنباء الغيب نوحيها إليك ما كنت تعلمها أنت ولا قومك من قبل هذا فاصبر ان العاقبة للمتقين » هود : ٤٩)

٤٢ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

أى بل أيريد هؤلاء المشركون حيله فى الحاق الضرر بالنبى الكريم ﷺ فرموه بالكهانة والجنون والشعر والتقوّل ليعرض عنه الناس ويبتعدوا عنه فتبطل بذلك دعوته ومعجزته ونوره ، وما يريدون فى حقه ﷺ فى دار الندوة ولكن الله تعالى أحبط تدبيرهم وأفسد كيدهم ، فأظهر دينه الحق ونصر نبيه ﷺ عليهم يوم بدر وفى كل وقت وظروف فرجع اليهم وبال كيدهم فخسروا هم فى الدنيا والآخرة.

قال الله تعالى « وان تصبروا وتتقوا لا يضركم كيدهم شيئاً ان الله بما يعملون محيط » آل عمران ١٢٠)

وقال « فذرنى ومن يكذب بهذا الحديث سنستدرجهم من حيث لا يعلمون وأملى لهم ان كيدى متين » القلم : ٤٤ - ٤٥)

وقال « وأرادوا به كيداً فجعلناهم الاخسرين » الانبياء ٧٠)

وقال « فأرادوا به كيداً فجعلناهم الاسفلين » الصافات ٩٨) .

وقال : « وما كيد الكافرين الا فى ضلال » غافر : ٢٥) .

وقال « ذلكم وان الله موهن كيد الكافرين » الانفال ١٨) .

٤٣ - (أم لهم اله غير الله سبحان الله عما يشركون)

أى إذا انصرف هؤلاء المكذبون عن دعوة النبى الكريم ﷺ و عبدوا إلهاً غير الله الذى يدعوهم الرسول ﷺ إلى توحيده والعبادة له وحده ، فأرادوا به ﷺ كيداً فأراد الله تعالى بهم كيداً ، ألهم إله غير الله يمنع عنهم خسرى الدنيا فيلجأون اليه و يدفع عنهم عذاب الآخرة الذى أوعدوا به ، وأنذرهم به الرسول ﷺ فيحتمون به .

و ليس الأمر كذلك فلا ملجأ لهم في رجوع ولا كيدهم اليهم في الحياة الدنيا ولا مدفع لهم عن عذاب الله الواقع بهم في الآخرة . وان الله جل وعلا منزه عما كانوا هؤلاء المكذبون يشركون به

٤٤ - (وان يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

أي لو كفر هؤلاء المشركين و إصرارهم على الصد والمكابرة و الانكار و التكذيب بالدعوة الحقة بلغت الى حيث لو رأوا قطعة من السماء وهي من الآيات التي كانوا سألوه ﷺ عنها « فأسقط علينا كسفاً من السماء ان كنت من الصادقين» الشعراء : ١٨٧) .

« وقالوا لن نؤمن لك حتى تفجر لنا من الارض ينبوعاً أو تكون لك جنة من نخيل و عنب فتفجر الأنهار خلالها تفجيراً أو تسقط السماء كما زعمت علينا كسفاً أو تأتي بالله والملائكة قبيلا أو يكون لك بيت من زخرف أو ترقى في السماء ولن نؤمن لرقيك حتى تنزل علينا كتاباً نقرؤه » الاسراء ٩٠ ـ ٩٣)

والغرض انهم لفرط عنادهم لا يفيدهم شيء من الدلائل حتى لو أسقطنا عليهم قطعة من السماء لقالوا هذه سحاب مركوم يمطر فوق بعض

كقوله تعالى « ولو فتحنا عليهم باباً من السماء فظلوا فيه يعرجون لقالوا انما سكرت أبصارنا بل نحن قوم مسحورون » الحجر ١٤ ـ ١٥)

٤٥ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون)

أي لما رأيت أيها الرسول ﷺ الصد واللجاج والاصرار على الانكار والتكذيب بحيث انهم لا يؤمنون ، فلا تغتم بموقفهم، فكلهم إلى الله جل وعلا واتركهم ولا تكترث بهم حتى يأتيهم يوم الخزي فيجزون فيه سيئات أعمالهم

قال الله تعالى « فسيرى الذين لا يرجون لقاءنا في طغيانهم يعمهون » يونس : ١١) .

وقال . « فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتى يلاقوا يومهم الذي يوعدون » المعارج : ٤٢) .

٤٦ - (يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون)

أي يوم لا تنفعهم حيلتهم التي دبّروها لا لحاق الضرر بالنبي ﷺ وإبطال دعوته وإطفاء نوره وإبعاد الناس عنه ﷺ شيئاً قليلا، ولا يجدون لهم نصيراً ينصرهم في الخزي ولا معيناً يدفع عنهم العذاب.

٤٧ - (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون)

أي وإنّ للذين ظلموا عذاباً واقع غير عذاب النار ولكن أكثرهم لا يعلمون ما سيصيرون إليه من الخزي في الحياة الدنيا والعذاب في الآخرة، وإنما ستتلبهم بالخزي فيها لعلهم يرجعون ويتوبون إلينا. قال الله تعالى « ولنذيقنّهم من العذاب الأدنى دون العذاب الأكبر لعلهم يرجعون » السجدة ٢١)

٤٨ - (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

أي واصبر أيّها الرسول ﷺ على أذاهم ولا تبال بهم ولا بمقالتهم إلى أن يقع بهم العذاب الذي حكمنا عليهم به بسبب ما كانوا يفعلون، فامض لأمر الله تعالى ونهيه وبلّغ ما أُرسلت به فإنك بمرأى ومنظر منّا، نسمع ما يقال فيك فلا يخفى علينا من حالك ولا نفعل عملك فإنك بحفظي وحمايتي وحراستي فلا يصل إليك منهم أذى.

وربّه ربك عما لا يليق به وعمّا كانوا يشركون، واذكره في كل وقت وظرف وحين تقوم من مجلسك اطلاقاً

٤٩ - (ومن الليل فسبحه وأدبار النجوم)

واذكره دائماً، وخاصة في صلاة الليل وقت أدبار النجوم وظهور ضوء النهار، لأنّهما أفضل الأوقات.

قال الله تعالى - « ومن الليل فتهجّد به نافلة لك عسى أن يبعثك ربّك مقاماً محموداً » الإسراء: ٧٩).

﴿ مجمل المعاني ﴾

٤٧٣٦ ـ (والطور)

أقسم الله تعالى بهذا الجبل المبارك الذي كلم الله عليه موسى تكليما

٤٧٣٧ ـ (وكتاب مسطور)

أقسم تعالى بالقرآن الذي كتبه من شاء من خلقه في الموضع الذي شاء

٤٧٣٨ ـ (في رق منشور)

أي في جلد رقيق كتب فيه فيسر الخلق جميعا الأحد بما فيه من الأحكام والآداب والأخلاق فيسهل على كل أحد أن يطلع على ما فيه

٤٧٣٩ ـ (والبيت المعمور)

هو بيت في السماء يعمره الملائكة بالعبادة فيه وزيارته والطواف حوله

٤٧٤٠ ـ (والسقف المرفوع)

هو السماء التي قد رفعها الله تعالى بغير عمد ترونها .

٤٧٤١ ـ (والبحر المسجور)

بحار تحمى ويفجر بعضها في بعض

٤٧٤٢ ـ (ان عذاب ربك لواقع)

يوم القيامة فيحيط بمن أنكره في الحياة الدنيا .

٤٧٤٣ ـ (ماله من دافع)

أي ليس لهذا العذاب دافع يدفعه عن منكريه فلا مهرب لهم منه .

٤٧٤٤ - (يوم تمور السماء موراً)

أي هذا العذاب واقع بهم يوم تتحرك السماء تحركاً مضطرباً تنظم ويختلف سيرها

٤٧٤٥ - (وتسير الجبال سيراً)

أي وتزول الجبال يومئذ من أماكنها فكانت هباء منبثاً

٤٧٤٦ - (فويل يومئذ للمكذبين)

أي فويل لمن يقع عليه عذاب ذلك اليوم الفظيع ممن كان يكذب به في الحياة الدنيا.

٤٧٤٧ - (الذين هم في خوض يلعبون)

أي الذين هم كانوا يخوضون في بكار حديث الحق ويلهون بذكره.

٤٧٤٨ - (يوم يدعون الى نار جهنم دعا)

أي يوم يساق هؤلاء المكذبون الى نار جهنم بشدة وعنف حتى يردوها

٤٧٤٩ - (هذه النار التي كنتم بها تكذبون)

أي وقد قيل لهؤلاء المكذبين من النار قال لهم خزنتها هذه النار التي ترونها هي التي كنتم بها تكذبون في الحياة الدنيا

٤٧٥٠ - (أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون)

أي يقال لهؤلاء المكذبين حينئذ أفسحر هذا الذي ترونه الآن بالعيان وسفتم إليه كما كنتم ترمون الأخبار به أنه سحر يسحركم به محمد ﷺ

٤٧٥١ - (اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم انما تجزون ما كنتم تعملون)

نقول عندئذ خزنة النار للمكذبين اذا لم تقدروا على هذا الجزاء وتحقق ان الاخبار به ليس بسحر لاخلل في أبصاركم. فالزموه سواء كان لكم صبر فيه أم لا، فلا الصبر يرفع عنكم العذاب، ولا الجزع ينفعكم شيئاً هذا جزاء عملكم قد متموه بأيديكم.

٤٧٥٢ - (ان المتقين في جنات ونعيم)

وهم الذين امنوا بالله تعالى واتبعوه واتقوا فرائضه وانتهوا عن نواهيه وآمنوا برسوله واليوم الآخر وهم في بساتين جنتها الاشجار متنعمين فيها بكثير من نعمه

٤٧٥٣ - (فاكهين بما آتاهم ربهم ووقاهم ربهم عذاب الجحيم)

حال كونهم ناعمين معجبين بما أعطاهم ربهم في الجنة من النعم ووقاهم من عذاب النار

٤٧٥٤ - (كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون)

لما دخل المتقون الجنة قالوا ما وقاهم من النعيم وأعجبهم ما أعطاهم ربهم يقول لهم خزنتها كلوا أكلا هنيئاً واشربوا شرباً مريئاً جزاء بما كنتم تعملون

٤٧٥٥ - (متكئين على سرر مصفوفة وزوجناهم بحور عين)

حال كونهم متكئين على الوسائد والنمارق جالسين على سرر مصفوفة متقابلة جلسة المتكئ وجعلت لهم فرشت صالحات حساناً واسعة الأعين

٤٧٥٦ - (والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين)

أي ان المؤمنين إذا اتبعتهم ذرياتهم في الإيمان ما يتبعهم بهم بأبائهم في الجنة مدرجتهم فضلا من الله تعالى على الآباء لتقر بهم أعينهم وعلى الأبناء لمزيد درجتهم ، وما ألتنا الآباء درجاتهم ومنزلتهم إذ كل امرئ مرهون بعمله عند الله تعالى فرفعهم الله تعالى درجاتهم بدرجات عملهم ، فلا بد منها فلا نقص لهم منه بسبب إلحاق الأبناء بهم

٤٧٥٧ - (وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون)

اي وزيد عليهم بواكه الجنة على ألوانها ولحمها على أنواعها مما يشتهون من غير انقطاع

٤٧٥٨ - (يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم)

أي يتعاطون هم وقرناؤهم في الجنة و يتجاذبون كأساً فيه خمر ، فتجاذب ملاعبة لا تجاذب منازعة ، من غير عربدة ، ولا ما يوجب إثماً

٤٧٥٩ - (و يطوف عليهم غلمان لهم كأنهم لؤلؤ مكنون)

وحال أن يطوف على المتنعمين غلمان لهم بالمطعم و المشرب ، كأنّ هؤلاء الغلمان لؤلؤ في الحسن والصفاء ، مصون من كدر

٤٧٦٠ - (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون)

أي و قبل بعض المتنعمين على بعض منهم في الجنة فيتذاكرون و يتحدثون بما كانوا فيه من احوالهم في الحياة الدنيا

٤٧٦١ - (قالوا انا كنا قبل في أهلنا مشفقين)

أي قال كل منهم و تنبه إنّا كنا في الدنيا خائفين من الله تعالى و نحن بين أهلنا فضلا عن سائر الاوقات و الاحوال ، و كنروى عنه عليه خاصّة بأهلنا في سعادتهم

٤٧٦٢ - (فمن الله علينا ووقانا عذاب السموم)

فمنّ الله تعالى علينا بالهداية ودين الحقّ والتوفيق لصالح العمل وحمانا من عذاب النار

٤٧٦٣ - (انا كنا من قبل ندعوه انه هو البر الرحيم)

أي إنّا كنا في الحياة الدنيا ندعو الله تعالى وحده ونعبده وحده ، لانّه هو البارّ لمن يدعوه ، ويرحم لمن يعبده وحده برحمه خاصّة

٤٧٦٤ - (فذكر فما انت بنعمت ربك بكاهن ولا مجنون)

أي إذا كان مآل خبرهم به حقّاً ، فذكّر الناس و ثبت على التذكير بهم والدعوة ولست كما يرمونك كاهناً ولا مجنوناً لاحاطة نعمت ربك بك تمنع من عروض تلك الصفات عليك

٤٧٦٥ - (أم يقولون شاعر نتربص به ريب المنون)

أى بل يقول هؤلاء المكذّبون: إنّ محمداً ﷺ هو شاعر ننتظر به الموت أو حادثة تتلفه فيحمد ذكره فنستريح منه

٤٧٦٦ - (قل تربصوا فإنى معكم من المتربصين)

أى قل يا أيّها الرسول لهؤلاء المكذبين: انتظروا فى حقى حوادث الدهور فإنى معكم من المنتظرين لقضاء الله تعالى وأمره فيكم

٤٧٦٧ - (أم تأمرهم أحلامهم بهذا أم هم قوم طاغون)

بل أتأمرهم أحلامهم بتكذيبهم فى أمرى ﷺ وتربّصهم بى ريب المنون أم هم قوم حملهم طغيانهم على ذلك

٤٧٦٨ - (أم يقولون تقوله بل لا يؤمنون)

بل أيقول هؤلاء المكذبون إفترى محمد ﷺ ما جاءنا به واختلقه من تلقاء نفسه، بل هم لا يؤمنون به عناداً

٤٧٦٩ - (فليأتوا بحديث مثله إن كانوا صادقين)

أى لو كان ما جاء به محمد ﷺ من تلقاء نفسه فليأتوا بحديث مثله مما يحدث به محمد ﷺ فى النظم والأسلوب والمعنى إن كانوا صادقين فى دعواهم

٤٧٧٠ - (أم خلقوا من غير شىء أم هم الخالقون)

أى أم خلق هؤلاء المكذّبون أنفسهم من غير خالق، أم هم أوجدوا أنفسهم

٤٧٧١ - (أم خلقوا السموات والأرض بل لا يوقنون)

أى أخلق هؤلاء المكذّبون السماوات والأرض فهم يكونون لها خالقين، وليس الأمر كذلك بل هم قوم لا يوقنون

٤٧٧٢ - (أم عندهم خزائن ربك أم هم المصيطرون)

أى بل أعندهم مفاتيح خزائن رحمة ربّك فيقسمونها كيف شاؤا ويعطونها،

وخاصة النبوّة ليس مصطفوه، أم هم القاهرون على الله سبحانه والمسلّطون عليه فليس لله فيها إرادة ومشيئة، أو إرادتهم معلومة لإرادتهم

٤٧٧٣ - (أم لهم سلم يستمعون فيه فليأت مستمعهم بسلطان مبين)

أي بل أتدّعون أنّ لهم مرقى إلى السماء يستمعون فيه الأخبار الغيبيّة، فليأت من يدّعي ذلك منهم بحجّة بيّنة، انّ هذا الذي هم عليه حق

٤٧٧٤ - (أم لهم البنات ولكم البنون)

بل أتضيفون إلى الله سبحانه البنات مع كراهتكم لهنّ وإلى أنفسكم البنين لحبّكم بهم

٤٧٧٥ - (أم تسئلهم أجراً فهم من مغرم مثقلون)

أم تسئل أيّها النبي صلى الله عليه وآله هؤلاء المكذّبين في رسالتك إليهم أجراً يأخذه من أموالهم فهم لهذا ذلك لا يقدرون على إعانتك

٤٧٧٦ - (أم عندهم الغيب فهم يكتبون)

أعندهم علم الغيب فهم يكتبون منه ما يحتاج المفتاون في دين الكريم ﷺ

٤٧٧٧ - (أم يريدون كيداً فالذين كفروا هم المكيدون)

أم يريد هؤلاء المشركون حيلة في إطفاء نور الله تعالى وإخماد دعوة رسوله صلى الله عليه وآله، وإن كان كذلك فليعلموا أنّ الذين ستروا في الكفر هم المكيدون، راجع إليهم وبال كيدهم في الدنيا والآخرة

٤٧٧٨ - (أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون)

أم لهم حينئذ إله غير الله يسمع منهم ويدفع كيدهم وهو تعالى منزّه عن شريك وندّ.

٤٧٧٩ - (وإن يروا كسفاً من السماء ساقطاً يقولوا سحاب مركوم)

أي وهم لفرط عنادهم إن يروا قطعة من السماء، وهي آية كانوا يسئلونه صلى الله عليه وآله عسى أن تسقط عليهم يقولوا هذه سحاب ركم بعضها فوق بعض

٤٧٨٠ - (فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذى فيه يصعقون)

إذا رأيت يا أيها النبى صلى الله عليه وسلم هذا العدد الفاسد والجمع الكاسد وإصرارهم على الكفر بحيث لا يؤمنون فلا تهتم بموقفهم ولا تحزن لكفرهم وشركهم حتى يأتيهم يوم القيامة الذى فيه يصعقون فيه من هذه السيئات أعمالهم

٤٧٨١ - (يوم لا يغنى عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون)

أى يوم لا يغنى عنهم حيلتهم وإفساد دعوة النبى صلى الله عليه وآله ولا يجدون لهم نصيراً ينصرهم فى الرجوع عن كيدهم إليهم

٤٧٨٢ - (وإن للذين ظلموا عذاباً دون ذلك ولكن أكثرهم لا يعلمون)

أى وإن للذين ظلموا من أهل مكة فى الدنيا ولكن أكثرهم لا يعلمون ذلك

٤٧٨٣ - (واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا وسبح بحمد ربك حين تقوم)

أى واصبر أيها الرسول على أذاهم ولا تبالهم ولا تعاملهم إلى أن يحكم بينهم العدل الذى حكمه سبحانه بقوله تعالى آية السيف فإنك فى حمايتنا لأنك رسولنا فهم أى لا تستقصوا على كفرهم وشركهم وسبح ربك تسبيحاً لائقاً بساحة قدسه وذكره دائماً وحين تقوم من مجلسك

٤٧٨٤ - (ومن الليل فسبحه وإدبار النجوم)

أى وسبحه أيضاً بعض الليل وحين إدبار النجوم وأفوله

﴿ بقية روائي ﴾

في تفسير القمي : في قوله تعالى [illegible]

وفي البرهان : عن [illegible] في قوله [illegible] فإن الله [illegible] فقال [illegible] أن يستعفه [illegible] أن يستعفه [illegible] أن يستعفه

[illegible] على الموعد [illegible] سبحانه [illegible] ليس [illegible] غير [illegible] لأنه [illegible] غير [illegible] من [illegible] ق

وفي محاسن البرقي: [illegible] عن [illegible] عن [illegible] عن

معراج رسول الله ﷺ ـ فيما عرج به حتى انتهى إلى سدرة المنتهى وهو في السماء السابعة بحذاء الكعبة

وفي الكافي عن داود بن كثير الرقي قال: قلت لأبي عبد الله عليه السلام هل عهد إلى رسول الله ﷺ إن الله تبارك وتعالى لم يحل سفك دمه وحرمته وحرمة أهله وحرمة جميع الأئمة وحرمة شيعتهم أحد غيرهم لمكان وأن لهم ... وبراءته وأن يتقوه ... عليهم أن يسلم لهم لا يأس الله ... لأن الحرمة لأن وأن ليس لهم ليس لغيرهم ... لهم ليس لغيرهم ... عليهم أن ... لا يأس الذي يسأل الله من ... عليهم ... لا يأسه فيهم ... لا حتى يعلم فيهم لعدوهم

... عليهم ... سواء ... من حرمة الأئمة وشيعتهم ... وتحديد له على الله أمته أن يحفظه حتى يأتي ... السلام يحكمه ... فيه

أقول: ... لأس لغيره ... لا يأس لغيره ... لأس لغيره ... والضعف ليرفع ... إلى خصمهم عليهم السلام التي ... لهم وقوعها ... لا يأس الذي يسأل الله ... إلى قوله ... يوم يسأل الأس عن الأس.

... عن الأس ... من ... في ... من السلام إلا ... دائمة وإما ... ويؤيد ذلك ...

... بالسلام ما لا ... فيه ... هو قوله عز وجل ... ليبدلنهم من بعد خوفهم أمناً» قال: «لا خصومة فيها لعدوهم» وإنما عنى السلام عليهم عليه كرة وتجديد للميثاق وتحميل للوفاء به

وفي تفسير الطبري: قال سماك بن حرب: سمعت خالد بن عرعرة قال: سمعت علياً عليه السلام وخرج إلى الرحبة فدعا له بماء أو عرفه ما بيت المعمور؟ قال: بيت في السماء السابعة يقال له الضراح بحذاء الكعبة كل يوم سبعون ألف

ملك لا يعودون فيه أبداً

اقول: إختلفت الروايات الواردة في البيت المعمور كما قرأتها ، فمنها انه في السماء الدنيا ، ومنها انه في السماء الرابعة ، ومنها انه في السماء السادسة ومنها انه في السماء السابعة ، ومنها انه في السماء إطلاقاً ، ويمكن الجمع بينها على صحة جميعها القول بتحقق البيت في جميع تلك المواضع ويؤيّد ذلك ما

في الجامع لاحكام القرآن: عن إبن عباس قال الله في السموات والارض خمسة عشر بيتاً سبعة في السماوات وسبعة في الارض والكعبة ، وكلها مقابلة للكعبة

اقول: أي حرمتها كحرمة الكعبة

قال بعض المحققين : إنّ المراد بالبيوت السبعة في الارض هي

١ ـ بيت المقدس

٢ ـ مقبرة النبي الكريم ﷺ بالمدينة المشرّفة

٣ ـ مقبرة الامام مولى الموحدين علي بن أبيطالب عليه السلام بالنجف الاشرف

٤ ـ مقبرة الامام سيد الشهداء الحسين بن علي عليه السلام بكربلاء

٥ ـ مقبرة الامامين الهمامين موسى بن جعفر ومحمّد بن علي الجواد عليهما السلام ببغداد

٦ ـ مقبرة الامام علي بن موسى الرضا عليه السلام بطوس .

٧ ـ مقبرة الامامين الهمامين : علي بن محمد النقي وإبنه الحسن العسكري عليهما السلام بسرّ من رأى

وفي تفسير القمي في قوله تعالى « والسقف المرفوع » قال : السماء ، « والبحر المسجور » قال : تبحر يوم القيامة

وفي المجمع « والسقف المرفوع » وهو السماء عن علي عليه السلام

وفيه : « والبحر المسجور » قيل إنه تحمى البحار يوم القيامة فتحمل نيراناً ، ثم تفجر بعضها في بعض ثم تفجر إلى النار ، ورد به الحديث

وفي نهج البيان عن علي عليه السلام « المسجور » الموقد

وفي تفسير العياشي عن عبد الله بن عمر «ولا عرق يضرب في البحر إلا عاد ناراً أو مقتراً أو حجراً» وفي بحر البحر «أو تحت البحر ناراً».

وفي تفسير الطبري عن علي عليه السلام «والبحر المسجور» قال: بحر في السماء تحت العرش.

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «في خوض يلعبون» قال: يخوضون في المعاصي.

وقوله «يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّاً» قال: يدفعون في النار.

وقد رسول الله صلى الله عليه وآله لما مرّ بعمرو بن العاص وعقبة بن أبي معيط وهما في حائط بشرب ويلعبان بهدايا لست في حمزة بن عبد المطلب حين قتل:

كم من حوت تلوح عظامه ... دأب الحروب عليه أن يحرقا

فقال النبي صلى الله عليه وآله: لتهمّ العبهما وأركبهما في القليب ركباً، ودعهما في النار دعّاً.

٢١ ـ وفي الكافي: باسناده عن ابن بكير عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عزّ وجل «والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم» قال: فقال: قصرت الأبناء على عمل الآباء (عن عمل الآباء ـ خ) فألحقوا الأبناء بالآباء لتقرّ بذلك أعينهم.

أقول: وفي الفقيه عن ابن بكير لحضرمي عنه عليه السلام مثله.

وفي الفقيه باسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال: إنّ الله تبارك وتعالى يدفع إلى ابراهيم وسارة أطفال المؤمنين يعلّمونهم شجرة في الجنة لها أغلاف كأغلاف البقر في قصر من الدرّ (من درّة ـ خ) فإذا كان يوم القيامة قيل لهم: قوموا واطلبوا واهدوا إلى آبائكم، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم، وهو قول الله تعالى «والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم».

وفي كنز الفوائد باسناده عن علي بن زيد قال: قال عبد الله بن عمر كنّا نعدّ فنقول: أبو بكر وعمر وعثمان، ويقول قائلهم فلان وفلان، فقال له

... أبو عبد الرحمن وعلي عليه السلام قد علي من أهل البيت لا يقاس بهم أحد من الناس علي عليه السلام مع النبي صلى الله عليه وآله في درجته من الجنة حتى يقول ... والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ، فجعله درجة النبي صلى الله عليه وآله في درجته وعلي عليه السلام مع فاطمة لمنزلتها منهما

قوله ... متواصلا ... يتأخر من واحد من الشيعة حلم يفض أحدهما على الآخر

وفي المجمع ... وي ... دان عن علي عليه السلام قال ... قال رسول الله صلى الله عليه وآله إن المؤمنين وأولادهم في الجنة ثم قرأ هذه الآية

وفي الدر المنثور ... عن ابن عمر رفعه إلى النبي صلى الله عليه وآله ... إن الله ليرفع الذرية المؤمنة إليه في درجته وإن كانت دونه في العمل ، ثم قرأ ... والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء ... قال ما نقصنا الآباء بما أعطينا الأبناء

وفيه عن ابن عباس أن النبي صلى الله عليه وآله ... بن الرحمن الجنة سأل عن أبويه وولده فقال ... لم يبلغوا درجتك وعملك فتقول ... ذلك قد عملت لي ولهم فتأمر بإلحاقهم به وقرأ ابن عباس ... والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ... الآية

وفي الفقيه: بإسناده عن الحلبي عن أبي عبد الله عليه السلام قال إن الله تبارك وتعالى لقن إبراهيم أسماء المؤمنين بعددهم شجرة في الجنة ، لها أحلاف كأحلاف الفقر في قصر من درة فإذا كان يوم القيامة ألبسوا وحسنوا واهدوا إلى آبائهم ، فهم ملوك في الجنة مع آبائهم ، وهذا قول الله تعالى ... والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم ...

وفي تفسير القمي ... من قوله تعالى ... وما ألتناهم من عملهم من شيء ... أي ما أنقصناهم

وفي رواية : قال رسول الله صلى الله عليه وآله ... إذ استقر أهل الجنة في الجنة

يشتاق لاخوان لي لاخوان فسير سرور هذا الى سرور هذا فيقعدان ويتحدثان ما كان بينهما في دار الدنيا فيقول أحدهما لصاحبه كم في مجلسك كذا فيقول الله عز وجل أفمن

وفي الكافي بإسناده عن عبد الرحمن بن كثير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قال الله تعالى والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء

قال والذين آمنوا ليس يعني بالايمان هاهنا التصديق بالله وبرسوله وبالائمة عليهم السلام بحقائقهم وما عقدوا عليه بحقائقهم لكن الايمان هاهنا التسليم لله ولرسوله ولعلي عليه السلام وجميع الائمة عليهم السلام بحقائقهم

وفي تفسير القمي بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام إنما شفعنا في المؤمنين لتسلم قلوبهم وتصفو بحقائقهم وما يهتدون إلى ذلك بأنفسهم

وفي التوحيد بإسناده عن أبي بصير قال قال أبو عبد الله عليه السلام إذا مات الطفل من أطفال المؤمنين يدفن معه في مدفونه سبعون ولدا من ولدان فلان بن فلان قد مات فان كان قد مات ولد له أخذ هو ليخدم أباه في الجنة من ولدان المؤمنين دفع إليه يخدمه، وإلا دفع إلى من يقدم بعده ممن يقدم أبوه أو أخوه أو بعض أهل بيته من المؤمنين فدفع إليه

وفي أمالي الصدوق بإسناده عن الله تعالى عليه بإسناده عن مفضل بن عمر عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عليهم السلام قال قال الحسين بن علي عليه السلام فقيل له كيف أصبحت يا بن رسول الله قال أصبحت ولي رب فوقي والنار أمامي والموت يطلبني والحساب محدق بي، وأنا مرتهن بعملي لا أجد ما أحب، ولا أدفع ما أكره، والامور بيد غيري، فان شاء عذبني وان شاء عفى عني، فأي فقير أفقر مني

٢٣ ـ وفي تفسير القمي في قوله تعالى «لا لغو ولا تأثيم» قال ليس في

الجنّة عساء ولا فحش ، ويشرب المؤمن ولا يأثم ، « وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون » قال في الجنة « قالوا إنّا كنّا من قبل في أهلنا مشفقين » قال اى خائفين من العذاب « ووقانا عذاب السموم » قال السموم الحرّ الشديد

وفي الكافي بإسناده عن معروف بن خربوذ عن أبي جعفر عليه السلام قال صلّى أمير المؤمنين عليه السلام بالناس الصبح بالعراق فلمّا انصرف وعظهم فبكى وابكاهم من خوف الله عزّ وجلّ ، ثم قال أما والله لقد عهدت أقواماً على عهد خليلي رسول الله صلى الله عليه وآله وانّهم ليصبحون ويمسون شعثاء غبراء حمصاء بين أعينهم كركب المعزاء يبيتون لربّهم سجّداً وقياماً ، يراوحون بين أقدامهم وجباههم يناجون ، ويسئلونه فكاك رقابهم من النار ، والله لقد رأيتهم مع هذا وهم خائفون مشفقون .

قوله عليه السلام « شعثاء » الشعث نفرّق الشعر وعدم اصلاحه ومشطه وتنظيفه و « غبراء » من الاغبر للمتغيّر بالغبار ، و « حمصاء » : جمع الاحمص ، أى بطونهم خاليه امّا بالصوم أو بالفقر أو بما كانوا يشبعون كيلا يكسلوا في العبادة و « المعزاء » المعز ذوات الشعر من الضأن ، والمعزاء أيضاً المكان الكثير الحصى الصلب ، والمعزاء : الصحراء فيها اشراف وغلظ

وفي المجمع في قوله تعالى « ويطوف عليهم غلمان لهم كأنّهم لؤلؤ مكنون »

عن الحسن انّه قال قيل يا رسول الله صلى الله عليه وآله الخادم كاللؤلؤ فكيف المخدوم ؟ فقال « والّذي نفسي بيده انّ فضل المخدوم على الخادم كفضل القمر ليلة البدر على سائر الكواكب

وفي رواية عن رسول الله صلى الله عليه وآله قال « اذا دخل أهل الجنّة الجنّة اشتاقوا الى الاخوان فيجيء سرير هذا حتّى يحاذى سرير هذا فيتحدّثان فيتكيء هذا ويتكيء هذا فيتحدّثان بما كانوا في الدنيا ، فيقول أحدهما لصاحبه يا فلان أتدري أيّ يوم غفر الله لنا ؟ اليوم الذي كنّا في موضع كذا وكذا فدعونا الله فغفر لنا »

وفي سعد السعود للسيّد ابن طاووس قدّس سرّه بالاسناد عن جعفر بن

محمد عن أبيه عن آبائه عن أمير المؤمنين عليهم السلام عن النبي ﷺ في حديث يذكر فيه شيعة الامام عليه السلام وأحوالهم في الجنة ودخولهم فيها على التعاقب قال صلى الله عليه وآله

تقودهم الملائكة فيطلقون صفاً واحداً معتدلاً لا يموت منهم شيء شيئاً ولا يموت ابن ثمانية وثمانين ولا بركه ثمانية بركتها، ولا يمرون بشجرة من أشجار الجنة إلا لحقتهم شمائلها ودخلت لهم على طريقهم كرهينة أن يستظل طريقهم وان يفرقوا بين الرجل ورفيقه

فيقول لهم الجنة بعد ما يدخلون فيها ما رضا أنت السلام ومنك السلام وبك تحق الحلال، لا كرام قد كنت أشتاق إليكم السلام ومني السلام وبي تحق الحلال والاكرام فمن حفظني فليحفظ الدين احفظوا وصيتي في أهل بيت نبيه، ودعوا حقي وحاموني ولعنتي ولا تزالوا مني على كل حال مستقيم

وفي تفسير القمي في قوله تعالى «أم له البنات ولكم البنون» قال: هو ما قالت قريش: إن الملائكة بنات الله

٤٠ ـ **وفيه** في قوله تعالى «فهم من مغرم مثقلون» قال أي يقع عليهم الغرم الثقيل.

وفيه: في قوله تعالى «وان للذين ظلموا» قال أي ظلموا آل محمد عليهم السلام حقهم «عذاباً دون ذلك» قال: عذاب الرجعة بالسيف

وفي البرهان: بالاسناد عن أبي حمزة الثمالي عن أبي جعفر عليه السلام في قوله عز وجل «وان للذين ظلموا» الآية قال «وان للذين ظلموا» آل محمد عليهم السلام حقهم «عذاباً دون ذلك»

وفي تفسير القمي: في قوله تعالى «فانك بأعيننا» قال أي بحفظنا وحراستنا ونعمتنا وقوله تعالى «وسبح بحمد ربك حين تقوم» قال صلاة الليل «فسبحه» قال: صلاة الليل.

وفي المجمع - وروى زرارة وحمران ومحمد بن مسلم عن ابي جعفر وأبي

عبد الله عليهما السلام في هذه الآية قالا: إن رسول الله ﷺ كان يقوم من الليل ثلاث مرّات فيستعرض آفق السماء ويقرأ الخمس من آل عمران التي آخرها «إنّك لا تخلف الميعاد» ثم يفتتح صلاة الليل.

وفيه: في قوله تعالى «وإدبار النجوم» يعني الركعتين قبل صلاة الفجر عن ابن محبوب وغيره وهو المروي عن أبي جعفر وأبي عبدالله عليهما السلام وذلك حين تدبر النجوم، أي تغيب بضوء الصبح.

وفي تفسير القمي: باسناده عن إبن أبي عمير عن الرضا عليه السلام قال: إدبار السجود أربع ركعات بعد المغرب وإدبار النجوم ركعتين قبل صلاة الصبح.

وفي الكافي: باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له «وإدبار النجوم» قال: ركعتان قبل الصبح.

أقول: وقد وردت الروايات من طريق العامة أنّ النبي ﷺ كان اذا قام من مجلسه سبّح الله وحمده ويقول: انّه كفارة المجلس.

وفي وسائل الشيعة عن الامام علي عليه السلام قال: «من أحبّ أن يكتال حسناته بالمكيال الاوفى فليكن آخر كلامه اذا قام من مجلسه «سبحان ربّك ربّ العزّة عمّا يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله ربّ العالمين».

﴿ بحث فقهي ﴾

إستدلّ بعض الفقهاء على حرمة الخمر لمداومته بقوله تعالى « يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم » الطور ٢٣)

بأنّ علة تحريمه هي إسكارها ، ومن آثار الاسكار هو اللغو والعربدة والاثم بزوال العقل موقّته وهذه العلة موجودة في خمر الدنيا سواء ظهرت تلك الآثار أم لا للاعتياد بها أو لعمل فيها

و بأنّ الآية الكريمة سيقت لعلّة عن خمر الآخرة بانتفاء آثارها فيجوز شربها فيها لانتفاء ملاك تحريمه لا لانتفاء ذات الملاك فوجود الملاك انتفى الآثار لامحالة

في نهج البلاغة : قال الامام علي عليه السلام « فرض الله ترك شرب الخمر تحصيناً للعقل »

وفي الاحتجاج: عن الامام جعفر الصادق عليه السلام « حرّمها لانها ام الخبائث وأنّ من شرّبها على شدة سكره يسب الله ولا يعرف ربّه ولا يترك معصية الاّ ركبها ، ولا حرمة لاّ انتهكها ولا دم حرّمه الله الاّ قطعها ولا فاحشة الاّ أتاها ، والسكران رسوله عبد الشيطان إن أمره أن يسجد للاوثان سجد ، يفعل حيث ما قاده »

قال الله تعالى : « انّما الخمر و الميسر والانصاب و الازلام رجس من عمل الشيطان فاجتنبوه لعلكم تفلحون » المائدة ٩٠)

فعظّم الله تعالى أمر الخمر اذ جعلها رجساً وقرنها بالاصنام و الازلام وجعلها من عمل الشيطان فمن تعاطيها فلا ينبغي أن يعبد الاصنام

فليس انتفاء الآثار موجباً لجواز شربها كما زعم بعض المتدينين عنيه فعليه

واستدل بعض الفقهاء على وجوب الذكر عند كل قيام بقوله تعالى : « وسبّح

بحمد ربك حين تقوم » (الطور ٤٨)

وقال يجب علينا اتباعاً للنبي صلى الله عليه وآله وقال بعضهم كان الذكر واجباً على النبي الكريم صلى الله عليه وآله ولا يجب علينا

أقول: والحق ان صيغة الأمر حقيقة في الوجوب للتبادر عند استعمالها بلا قرينة ولكن الآية التالية تذكر أفضل الاوقات للذكر فهي قرينة في المقام على أن الامر ليس امراً وجوبياً فيحمل على الندب فتدبر

﴿ بحث ديني و مذهبي ﴾

يستدلّ على الحشر والجزاء الحسنيّين طرفي النار والنعيم بقوله تعالى «يوم يدعّون الى نار جهنّم دعّا الى وقوله عذاب السّموم» (الطور ١٣ ـ ٢٧).

وقوله تعالى «أم خلقوا من غير شيء ـ الى ـ سبحان الله عمّا يشركون» (الطور: ٣٥ ـ ٤٣)

ردّ على منكري الخالق للعالم وردّ على المشركين بنحاء الشرك الشرك في الخلق والايجاد و الشرك في علم الغيب والتدبير والشرك في الوجود

وانّ القرآن لا يبين في تصوير خلق العالم على ثلاثة

١ ـ خلق العالم كله صدفة او خلق الانسان كذلك

٢ ـ خلق الانسان نفسه

٣ ـ خلق الانسان العالم ومنه نفسه

انّ الطبيين يزعمون انّ المادّة هي التي تشيء الحياة والاسماع و الابصار و الافئدة

ولو كان هذا صحيحاً لكان كل مادّة تبصر وتسمع وتعقل او خصائص الشيء ملازمة لذلك الشيء حيث كان ويكون ونحن نرى الحياة في بعض الكائنات دون بعض ، وذلك دليل على انّ هناك قوّة وراء المادّة تهب الحياة لمن تشاء وتمنعها عمن تشاء

وانّ الدّهريين يزعمون انّ خلق الانسان ومن على وجه الارض سببه ما في العناصر من الكيفيات ولكن يجدر ان يقولوا انّ السموات والارض فحلقهما سببه امتزاج العناصر لانّها ليست من العناصر

العرب الجاهلية والبعث والجزاء والحساب
وشبهاتهم فيها

قال الله تعالى: «وقولهم ما هي إلا حياتنا الدنيا نموت ونحيا وما يهلكنا إلا الدهر وما لهم بذلك من علم إن هم إلا يظنون» الجاثية ٢٤.

وهم الذين كانوا ينكرون البعث بعد الموت.

ومنهم من كان يقر بالخلق والابتداء لا البعث والإعادة، وأشار إليهم بقوله تعالى: «ولئن سألتهم من خلق السموات والأرض ليقولن الله» إلى قوله: «إن وعد الله حق فلا تغرنكم الحياة الدنيا» لقمان ٢٥ ـ ٣٣.

وقوله: «وضرب لنا مثلا ونسي خلقه قال من يحيي العظام وهي رميم قل يحييها الذي أنشأها أول مرة» يس ٧٨ ـ ٧٩.

ومنهم من أقر بالخالق والابتداء لنوع من الإعادة، وأنكروا الرسل وعبدوا الأصنام وزعموا أنهم شفعاؤهم عند الله في الدار الآخرة، وحجوا

إليهم وبحروا لهم البحار وقربوا لهم القرابين، وتقربوا إليهم بالمناسك والمشاعر وأحلوا وحرموا وهم البشر من العرب إلا شذوذا منهم

وهم الذين حكى عنهم القرآن الكريم قولهم أساطير الأولين اكتتبها فهي تملى عليه وقالوا مال هذا الرسول يأكل الطعام ويمشي في الأسواق لولا أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا أو يلقى إليه كنز أو تكون له جنة يأكل منها (الفرقان ٥ ـ ٨) وما نرى معكم شفعاءكم الذين زعمتم أنهم فيكم شركاء لقد تقطع بينكم وضل عنكم ما كنتم تزعمون (الأنعام ٩٤)

وما يعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله (يونس ١٨)

وقد علم منهم أن المرسلين أنكروا عليهم أنهم كانوا يقولون ما أرسلت إلينا من المرسلين إلا أنهم ليأكلون الطعام ويمشون في الأسواق (الفرقان ٢٠)

وما أنكرته من مشابهتهم وكان معتقدا في نفسهم

إحداهما بعثة الأجسام

أنهم يحتاجون إلى

وعلى الأول فقالوا إنك مثلنا تأكل وتشرب فلسنا أقل منكم أو آباؤنا الأولون (يس ١٦ ـ ١٧)

وقالوا إذا كنا عظاما ورفاتا أئنا لمبعوثون خلقا جديدا (الإسراء ٤٩ ٩٨)

وتحيرت في ذلك في شعر فقلت بعضهم

حياة ثم موت ثم بعث حديث خرافة يا أم عمرو

وبعضهم في هرتنة أخذ هذا من أصله الكلي

فيا عجبا للعقل كيف يرى من الشرى يكتل بالسلام

وحشر الرسول بأن يحشر وكيف جرى لصدقه الأنام

ومن العرب من يعتقد أن المسيح يقول وما من الإنسان إلا قتل احتمع دم المني واجراء بعده فتعلق طبقا هامة فيرجع إلى أن الطير كل ما مات منه

وعن هذا أنكر عليهم رسول الله ﷺ فقال « لا هامة ولا عدوى ولا صفر »

وأما على الشبهة الثانية فكان انكارهم لبعث الرسول ﷺ في الصورة البشرية أشدّ ، وإصرارهم على ذلك أبلغ فأخبر عنهم بقوله تعالى « وما منع الناس أن يؤمنوا إذ جاءهم الهدى إلاّ أن قالوا أبعث الله بشراً رسولا » الاسراء ٩٤)

وقوله « ذلك بأنّه كانت تأتيهم رسلهم بالبيّنات فقالوا أبشر يهدوننا » التغابن ٦)

فمن كان يعترف بالملائكة كان يريد ان يأتي ملك من السماء « وقالوا لولا انزل عليه ملك » الفرقان ٧)

ومن كان لا يعترف بهم كان يقول الشفيع و الوسيلة لنا الى الله تعالى هم الاصنام المنصوبة ، امّا الامر والشريعة من الله الينا فهو المنكر

﴿ معاد و عذاب جسمي و روحي ﴾

وقد اختلفت كلمات المتكلمين بالمعاد هل هو جسمي أو روحي أو هما معاً؟ وذهب الى كل طائفة

والحق أن العقل والنقل يفهمان أن المعاد هو روح بالجسم والروح فأما تنعم كل إنسان من نعيم الجنة في حين الجسم والروح وإما تعذب في نار جهنم كذلك والمعجزات التي جاءت بها النبوة من معاد المكذبين العاصين ومقام المؤمنين المطيعين بالاجساد والتفصيل يرد في البحث بالاجساد للاجساد والتفصيل التفصيل

ومن الآيات التي يستدل بها على أن العذاب يوم القيامة على الجسم في نار جهنم قوله تعالى: «يوم يدعّون إلى نار جهنم دعّاً هذه النار التي كنتم بها تكذّبون أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون اصلوها فاصبروا أو لا تصبروا سواء عليكم إنما تجزون ما كنتم تعملون ـ فذرهم حتى يلاقوا يومهم الذي فيه يصعقون يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون» الطور ١٣ ـ ٤٦)

وعلينا أن نرى صورة كاملة عن الامكان عن مقام الهالكين وسوف يعذبون من عذاب

والتدبّر في الآيات الكريمة نجد لهم عقوبات ثلاث

عقوبة روحية سلبية وهي فقدان الروح وهي في الاحداث الذاتية:

١ـ حبوط اعمالهم: «اولئك الذين حبطت أعمالهم في الدنيا والآخرة» البقرة: ٢١٧)

٢ حبط أعمالهم في الاوثان التي شركوها مع الله «ويوم يناديهم أين

شركائي وضلّ عنهم ما كانوا يدعون من قبل » فصلت ٤٧-٤٨).

٣- يأسهم من رحمة الله « فأولئك يئسوا من رحمتي » العنكبوت ٢٣).

٤- يأسهم من مغفرة الله « إنّ الذين كفروا وظلموا لم يكن الله ليغفر لهم » النساء : ١٦٨)

٥- منعهم من ثواب ربّهم « كلاّ إنّهم عن ربّهم يومئذ لمحجوبون » المطففين : ١٥)

٦- يأسهم من نظره تعالى لهم وتزكيته « ولا ينظر إليهم يوم القيامة ولا يزكّيهم » آل عمران ٧٧)

٧- حرمانهم من النور الذي يخصّ به المؤمنين يوم القيامة « قيل ارجعوا وراءكم فالتمسوا نوراً فضرب بينهم بسور » الحديد ١٣)

٨- حرمانهم من السّمع والبصر والكلام (لحظة البعث) « ونحشرهم يوم القيامة على وجوههم عمياً وبكماً وصمّاً » الإسراء ٩٧)

٩- حرمانهم من كل إشتهاءاتهم « وحيل بينهم وبين ما يشتهون » سبأ ٥٤).

١٠- يأسهم من الحياة الآخرة « قد يئسوا من الآخرة » الممتحنة ١٣)

١١- حبط أعمالهم فيها « ومن كان يريد حرث الآخرة نزد له في حرثه » الشورى ٢٠) و « يريد الله ألاّ يجعل لهم حظّاً في الآخرة » آل عمران ١٧٦)

١٢- حبط مسعاهم فيها « وقيل اليوم ننساكم كما نسيتم لقاء يومكم هذا » الجاثية : ٣٤) .

١٣- لا مولى لهم ولا نصير « الظالمون مالهم من وليّ ولا نصير » الشورى ٨) « يوم لا يغني عنهم كيدهم شيئاً ولا هم ينصرون » الطور ٤٦)

١٤- لن تفتح لهم أبواب السماء « إنّ الذين كذّبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتّح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنّة حتى يلج الجمل في سمّ الخياط » الأعراف : ٤٠) .

١٥ ـ لن تغني عنهم دعوتهم شيئاً ولا هم ينصرون » (المرسلات: ٣٦)

١٦ ـ وفي كلمة واحدة لأحدهم: « إنه لا يفلح الظالمون » (٢١: ٢١)

وغيرها من العقوبات الروحية السلبية

ثانيها ـ : عقوبة روحية إيجابية تالية :

١ ـ حيث يدعون يوم القيامة إلى نار جهنم بشدة وعنف « يوم يدعون إلى نار جهنم دعاً » (الطور: ١٣)

٢ ـ توبيخهم في الموقف نفسه على لسان الملائكة « أفسحر هذا أم أنتم لا تبصرون » (الطور: ١٥)

٣ ـ يتمنون في يوم القيامة مستحيلاً لو رأوا « ولو ترى إذ المجرمون ناكسوا رؤوسهم عند ربهم » (السجدة: ١٢)

٤ ـ تسود وجوههم « ويوم القيامة ترى الذين كذبوا على الله وجوههم مسودة » (الزمر: ٦٠)

٥ ـ عليها الوجوه كالحة تعلوها ظلمة وغبرة « ووجوه يومئذ ناضرة » (القيامة: ٢٢)

« ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة » (عبس: ٤٠ ـ ٤٢)

« وجوه يومئذ خاشعة عاملة ناصبة » (الغاشية: ٢ ـ ٣)

« وترهقهم ذلة ما لهم من الله من عاصم كأنما أغشيت وجوههم قطعاً من الليل مظلماً » (يونس: ٢٧)

٦ ـ وأكثر من ذلك هالة في اليوم وجوههم شهود يشهدون ضدهم « يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون » (النور: ٢٤)

٧ ـ حملهم أوزارهم على ظهورهم « قد خسر الذين كذبوا بلقاء الله

ـ وهم يحملون أوزارهم على ظهورهم » الانعام : ٣١)

٨ تطوقهم يوم القيامة « سيطوقون ما بخلوا به يوم القيامة » آل عمران ١٨٠)

٩ معتهم يوم القيامة « إن الذين كفروا يدعون لمقت الله أكبر من مقتكم أنفسكم اذ تدعون إلى الايمان فتكفرون » المؤمن ١٠)

١٠ ـ يخزيهم الحزي والعذاب « ثم يوم القيامة يخزيهم ويقول أين شركائي » النحل ٢٧) « سيصيب الذين أجرموا صغار عند الله » الانعام : ١٢٥)

١١ ـ سوف يعرضون أمام الله ويشهد عليهم الأشهاد ويشرون إليهم بالحقد « ومن أظلم ممن افترى على الله كذباً وينادى يعرضون على ربهم ويقول الأشهاد هؤلاء الذين كذبوا على ربهم » هود ١٨)

١٢ ـ اذ عرفوا حقيقتهم يتمنون أن لم يكونوا قد عرفوه « وأن لو كان الموت عدماً حقاً لهم « وأما من اوتي كتابه بشماله فيقول يا ليتني لم أوت كتابيه ولم أدر ما حسابيه يا ليتها كانت القاضية » الحاقة : ٢٥ ـ ٢٧)

١٣ ـ يرون أخيراً العذاب الأليم يفترسهم « وأسروا الندامة لما رأوا العذاب وقضي بينهم بالقسط » يونس : ٥٤)

١٤ يحسون بتقطع كل العلائق التي تربطهم بمعبوديهم وأتباعهم « ورأوا العذاب وتقطعت بهم الأسباب » البقرة ١٦٦)

١٥ ـ يتمنون أنفسهم عاجزين عن أن يرجعوا بمجرى الزمن ويعودوا الى الأرض « ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل » الانعام ٢٧ ـ ٢٨)

١٦ ليس أمامهم إلا أن يعضوا أصابعهم مع زفرات الأسى: « ويوم يعض الظالم على يديه يقول يا ليتني اتخذت مع الرسول سبيلا يا ويلتى ليتني لم أتخذ فلاناً خليلا لقد أضلني عن الذكر بعد إذ جاءني وكان الشيطان للانسان خذولا » الفرقان : ٢٧ ـ ٢٩)

وغيرها من الآيات المتعلقة بالعقوبات الروحية الايحائية .

و بث كما ورد في الأخبار والسنن من تعذيب الروحية مرتبطة بالجسم كالمعذبات بروحه لديونه سنداً وتحدياً

ثالثها - : عمونه تدنية وآلام حسية رصدة للظالمين وهي

١ - دخول المعذبين في النار وتلاقيهم حرها والالتزام والخلود فيها « يصلونها فبئس القرار » ولا نصروا سواء عليكم أجزعنا أم صبرنا ما لنا من محيص » ابراهيم ١٦ - ٤٥)

٢ - هم جماع عذاب ولن يجدوا شيئاً يهدئ عطشهم وجوعهم « لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً إلا حميماً وغساقاً » النبأ ٢٤ - ٢٥)

« ليس لهم طعام إلا من ضريع لا يسمن ولا يغني من جوع » الغاشية ٦-٧)

بيد أن الآيات القرآنية التي تحدد تحديداً موضوعياً عذابهم قد جاءت بوفرة كثيرة

٣ - أن مسكن المعذبين هو - على تفاوت مقام الطائفين - سجن « وجعلنا جهنم للكافرين حصيراً » الإسراء ٨)

٤ - وهو دركات كثيرة كل دار يحصر طائفة بعينها « لها سبعة أبواب لكل باب منهم جزء مقسوم » الحجر ٤٤)

٥ - سجن حرسته ملائكة غلاظ شداد « عليها ملائكة غلاظ شداد » التحريم ٦)

٦ - سجن مظلم بعضهم فوق بعض « إن المنافقين في الدرك الأسفل من النار » النساء ١٤٥)

٧ - نار محكمة الإيقاد عليهم « عليهم نار مؤصدة » البلد ٢٠)

٨ - نار يسمع لها من بعيد زمجرة وهدير « إذا رأتهم من مكان بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً » الفرقان : ١٢)

٩ - نار كأنها بركان ثائر « إذا ألقوا فيها سمعوا لها شهيقاً وهي تفور » الملك : ٧)

١٠ ـ نار تقذف شراراً كالقصور الكبيرة ، « إنها ترمي بشرر كالقصر » المرسلات : ٣٢) .

١١ ـ أصحاب النار هم موثوقو القيود « وترى المجرمين يومئذ مقرنين في الأصفاد » ابراهيم : ٤٩) .

١٢ ـ معلولو الأعناق والأيدي والأقدام « وجعلنا الأغلال في أعناق الذين كفروا » سبأ ٣٣) « خذوه فغلوه ثم الجحيم صلوه ثم في سلسلة ذرعها سبعون ذراعاً فاسلكوه » الحاقة : ٣٠ ـ ٣٢)

« إنا أعتدنا للكافرين سلاسل وأغلالا وسعيراً » الانسان ٤)

١٣ ـ هم مضطرون الى مكان ضيق « وإذا ألقوا منها مكاناً ضيقاً » الفرقان : ١٣) .

١٤ ـ هم يتقرحون فيه لفحات الأحراق « وذوقوا عذاب الحريق » الانفال : ٥٠)

١٥ ـ هم وقود جهنم « فكانوا لجهنم حطباً » الجن ١٥)

« واتقوا النار التي وقودها الناس والحجارة أعدت للكافرين » البقرة ٢٤)

« انكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم أنتم لها واردون » الأنبياء . ٩٨)

١٦ ـ كلما أحس العصاة بالعذاب والألم حاولوا الهروب منه ، فتدفعهم الزبانية في النار بمقامع من حديد « ولهم مقامع من حديد كلما أرادوا أن يخرجوا منها من غم أعيدوا فيها » الحج ٢١ ـ ٢٢)

١٧ ـ يحيط بهم الظلام من كل صوب . « إنا أعتدنا للظالمين ناراً أحاط بهم سرادقها » الكهف : ٢٩)

١٨ ـ سيصلى اللهيب وجوههم : « تلفح وجوههم النار » المؤمنون ١٠٤)

١٩ ـ سيسلخ جلدهم : « نزاعة للشوى » المعارج ١٦)

٢٠ ـ سيحرق لحمهم : « لواحة للبشر » المدثر : ٢٩) .

٢١ ـ نار تصل إلى قلوبهم : « نار الله الموقدة التي تطلع على الأفئدة »

الهمزة ٦ ٧)

٢٢ ـ ان الذهب الذى يجمعه البخلاء فسوف يحمى فى النار ثم تكوى به الجباه والجنوب والظهور « يوم يحمى عليها فى نار جهنم فتكوى بها جباههم وجنوبهم وظهورهم » التوبة : ٣٥)

٢٣ ـ هنالك ستكون صرخات ألم وتوسلات : « وهم يصطرخون فيها ربنا أخرجنا نعمل صالحاً غير الذى كنا نعمل » فاطر : ٣٦) .

« ربنا أخرجنا منها فان عدنا فانا ظالمون قال اخسؤا فيها ولا تكلمون » المؤمنون ١٠٧ـ١٠٨)

٢٤ ـ ستكون لهم فى النار زفرات وشهقات « فأما الذين شقوا ففى النار لهم فيها زفير وشهيق » هود : ١٠٦)

٢٥ ـ كلما ذابت جلودهم كان لهم غيرها حتى يذيقهم الله العذاب مضافاً وهكذا إلى الأبد « ان الذين كفروا بآياتنا سوف نصليهم ناراً كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلوداً غيرها ليذوقوا العذاب » النساء : ٥٦) .

٢٦ ـ لا يقتصر أمرهم على عذاب الحريق بل سيكونون كذلك فى عذاب الحميم يغمسون فى هذا الماء المغلى ، ثم يعذبون فى النار وهكذا دواليك « اذ الاغلال فى أعناقهم والسلاسل يسحبون فى الحميم ثم فى النار يسجرون » المؤمن : ٧١ ـ ٧٢)

٢٧ ـ يصب هذا الماء الحميم على رؤسهم فيذيب جلودهم وأحشاءهم : « يصب من فوق رؤسهم الحميم يصهر به ما فى بطونهم والجلود » الحج ، ١٩ ـ ٢٠)

٢٨ ـ فاذا شربوا منه اشتوت وجوههم وتمزقت أمعاؤهم « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم « لهم شراب من حميم » الانعام : ٧٠)

« وإن يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب » الكهف ٢٩) « وسقوا ماء حميماً فقطع أمعاءهم » محمد ﷺ ١٥) .

« فشاربون عليه من الحميم فشاربون شرب الهيم » الواقعه : ٥٤ ـ ٥٥)

٢٩ ـ « ولسوف يسقون شراباً آخر أكثر فتكاً لا يضيقون إساغته « وسقي من ماء صديد يتجرّعه ولا يكاد يسيغه » ابراهيم ١٦ ـ ١٧)

٣٠ ـ وهنا لك أنشأ طعام الزقوم يغلي في بطونهم كرصاص مذاب وأطعمة اخرى ذات غصّة وعذاب كله ألم « انها شجرة تخرج في أصل الجحيم طلعها كأنّه رؤس الشياطين فانهم لآكلون منها فمالئون منها البطون » الصافات ٦٤ ـ ٦٦)

« انّ شجرة الزّقوم طعام الاثيم كالمهل يغلي في البطون كغلي الحميم » الدخان : ٤٣ ـ ٤٦)

« وطعاماً ذا غصّة وعذاباً أليماً » المزمّل ١٣)

٣١ ـ من صنوف العذاب الريح المحرقة وظلّ من دخان حادع « في سموم وحميم وظلّ من يحموم لا بارد ولا كريم » الواقعة ٤٢ ـ ٤٤)

٣٢ ـ وكذلك حين يتوالى على المعذبين أقصى حالات البرودة وأقصى حالات الحرارة ـ على ماجاء في تفسير كلمة (غسّاق) « هذا فليذوقوه حميم وغسّاق » ص ٥٧)

« لا يذوقون فيها برداً ولا شراباً الاّ حميماً وغسّاقاً جزاء وفاقاً » النبأ ٢٤ ـ ٢٦)

وغيرها من الآيات القرآنية في العقوبات الدنيوية مردوحة بالروح

فمن تلجلج في المعاد والجزاء الجسمانيين فلا شأن له في الاسلام وهو في زمرة طلاقة العنان لا دراية له

التنعم الجسمي و الروحي في الجنة

تفضلاً أو استحقاقاً

ومن الآيات التي يستدلّ بها على التنعم الجسمي والروحي في الجنّة قوله تعالى «وقفوهم إنهم مسؤولون» الصافات ١٨ ـ ٢٥.

لما في قوله «وقفوهم إنهم مسؤولون» من تحديد الحساب الروحي بصورتي الآخرة والدنيا مضافاً إلى صحف أعمالهم وأصدقائهم ولما فيه من تحديد الحساب الجسمي أيضاً بصورتي الآخرة والدنيا من الأكل والشرب والاتكاء على السرر والتزويج بالأمداد بالفواكه والتحادث من غير لغو وإثم بلائم وخوف عدمان عليهم وإدلال بعضهم بعضاً

كلها لذائذ جسميّة من قوى الظاهرة: من البصر والسمع واللمس والذوق والشمّ فسعادة النفس مردوجة بلا مرية

وعند ما تتحد النفس بدنها تقدر على التمتع الكامل الحرّ بسعادتها الذاتيّة وانّ النظام القرآني لا يقتصر على أن يخلص للمتقين في الدار الآخرة عدم الموت أو الحماية من الشرور وانّ الانسان لا يسدد عليه الرضا الكامل للحرّ أنّه لا يتألم من غير أن يلتذّ بما يتعلق بجسمه

وانّ جميع المتع المرغوبة والمشروعة روحيّة ومدنيّة قد قدمت إلينا وانا لم نعد في حاجة إلى السعي ورائها وإذا كان هذا هو المثل الأعلى لا يمكن أن يتحقق في دنيا الابتلاء هذه، فما الذي يمنع أن يتحقق في عالم الجزاء

والعمل الذي يريد بعض أن يكون للأمر غير ذلك ؟

هل تعرف نفسه لطبيعة جمالها بنصه الروح وجمالها ؟ . . أليس عالم أقوامها وعمدهم ؟ لا ريب أن العاقل حين يعلم قدرهما الزهيد لن يرقصهما إذا ما استحالا أمس حقا أن يرقص رجل يمد إليه في صداقة لتقدم إلينا هدية أو لتعلق على صدره حلية ؟

إن قيمة هذه الأشياء لكامن أقل ما تكون في مادتها عنها في معناها ومدلولها إنها رموز وشواهد على الرضا الذي لا يمكن أن ترفته في مواجهة مهديها إلا أن أحببت الدوق الأخلاق

ومن هذه الزاوية يجب أن ننظر إلى وصف القرآن للجنة ونرى أي جمال حسي يقدم لنا القرآن [إبراهيم في وصف الجنة] (إذا أنت ثم رأيت نعيماً وملكاً كبيراً) الإنسان ٢٠)

تصور جنة عرضها السموات والأرض يشتمل فيها أصحابها بحرية التنقل جنة ذات ضوء معتدل دائماً ودفء مريح معتدل لا يفسده حر شمس ولا قسوة برد في قوله « وسارعوا إلى مغفرة من ربكم وجنة عرضها السموات والأرض أعدت للمتقين » آل عمران ١٣٣)

وقوله « مثل الجنة التي وعد المتقون تجري من تحتها الأنهار أكلها دائم وظلها تلك عقبى الذين اتقوا » الرعد ٣٥)

وقوله « لا يرون فيها شمساً ولا زمهريراً » الإنسان ١٣)

تصور جنة تتفجر عيونها ذات نضوب مختلفة ، تمرح بها البحار العديدة وفيها فاكهة كثيرة منهم لتصبح على قربها في متناول أيديهم

جنة فيها مساكن رحيب أحسن محاليها بخيوط لفضة ، قد بررت فيها مساكن طيبة وفي هذه المساكن عرف من فوقها عرف مبنية في جنة عالية وهي على شاطىء النهر أو بعبارة أخرى تجري من تحتها الأنهار وهي معدة اعداداً رائعاً فيها سرر مصفوفة بعضها من الذهب والأحجار الكريمة محلاة بعروش بطائنها من استبرق

في قوله تعالى: «إن المتقين في جنات وعيون» الحجر ٤٥

وقوله: «مثل الجنة التي وعد المتقون فيها أنهار من ماء غير آسن وأنهار من لبن لم يتغير طعمه وأنهار من خمر لذة للشاربين وأنهار من عسل مصفى ولهم فيها من كل الثمرات» محمد ١٥)

وقوله: «في جنة عالية قطوفها دانية» الحاقة ٢٢ ـ ٢٣)

وقوله: «وجنات ألفافا» النبأ ١٦)

وقوله: «والذين آمنوا وعملوا الصالحات لنبوئنهم من الجنة غرفاً تجري من تحتها الأنهار خالدين فيها نعم أجر العاملين» العنكبوت ٥٨)

وقوله: «متكئين على فرش بطائنها من إستبرق» الرحمن ٥٤

وقوله: «لهم فاكهة ولهم ما يدعون» الواقعة ١٥ ـ ١٦)

«تصور الجنة فيها جمع عظيم من الرجال والنساء والولدان والخدم والأحباب والأهل منهم زينة وحلية وأكواب حرير ذات لون مونق رائع إستبرق في غاية الجمال في منظره وأناس بعضهم على بعض في مودة وحب فيجلسون متقابلين يتحدثون في سرور ويستدعون ذكرياتهم الماضية وهم يتعاونون مستغرقين في سعادتهم فتطوف عليهم غلمان كأنهم في الأناقة واللهو والبهجة من اللؤلؤ المنثور من حسنهم وشرابهم ولحم طير مما يشتهون من ألذ الطعام وأشهاه»

في قوله تعالى: «والذين آمنوا واتبعتهم ذرياتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرياتهم» الطور ٢١)

وقوله: «جنات عدن يدخلونها ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم» الرعد ٢٣)

وقوله: «يحلون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق» الكهف ٣١)

وقوله: «متكئين على سرر مصفوفة ـ ويطوف عليهم غلمان لهم ـ وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون» الطور ٢٠ ـ ٢٥)

و إنّ القرآن الكريم لا يكتفي بأن يعدد هذه النعم المختلفة الروحية و الجسمية التي يوجد في الجنّة من إنّه أشبه ما تسمّى في القيم فيقول «ولكن درجتهما عميماء الأنعام ١٣٢»

و ليست هذه الفكرة وحدها هي التي يوحي إلينا بها القرآن عندما وصف الجنة وهو يجمع بين نوعي السعادة المعنوية والمادّية التي وعدت بها الانفس المطمئنة وأبرز ملامح السعادة الجنّية على أكثرها ذكراً موجود في القرآن الكريم لما رأيت وليس هذا موقف بشر الاحلام وبهم الشعر، وأكثر ما يسعى ملاحظته تلك الصفة التي يصف بها القرآن عندما يتحدث عن الخمر فهو ينفي عنها جميع الاغتيال التي تتصف بها خمر الدنيا

فمن يعشق لذة الخمر على الغص ولن يستطيع منها صداع ولا وجع ولن تصحبها كدر ولا تزيف ولن تؤدي بهم إلى لغو وإثم

قال الله تعالى : «وكأس من معين لا يصدّعون عنها ولا ينزفون» الواقعة : ١٨ ـ ١٩)

وقال : «لا يسمعون فيها لغواً ولا تأثيماً» النبأ ٣٥،

وقال : «يتنازعون فيها كأساً لا لغو فيها ولا تأثيم» الطور ٢٣،

ولنا أن نلاحظ من إهتمام القرآن الكريم بموضوع الروح الذي تعدّ مرّات ذكره وأنّ القرآن لم يكتف بالاشارة إلى معشوقة الرجال لنساء من أنّه بعد أن خلقهن إنشاء سوف يكنّ أبكاراً وسوف يظللن كذلك أبداً، قال : إنّ الحياة معهنّ ستكون حياة حب متبادل لأنهنّ سيكنّ عرباً وهو حبّ بين شباب من سنّ واحدة

قال الله تعالى : «وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ إنّا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أترابا» الواقعة : ٢٢ ـ ٣٧)

وغيرها من الآيات القرآنية الدالّة على حسي النعم الحسيّ والروحي في الجنّة وأمّا البحث في نعيم الجنّة أفيكون تفضّلاً أو على إستحقاق فسكتفي

مما جاء في (أوائل المقالات) للشيخ السعيد محمد بن النعمان رضوان الله عليه ثم نختم الكلام بما استفدناه من الآيات الكريمة والروايات الشريفة إجمالا

قال الشيخ: إنّ نعيم أهل الجنّة على ضربين: فضرب منه متفضّل محض لا يتضمّن شيئاً من الثواب، وضرب الآخر تفضّلا من جهة وثوابا من اخرى، ليس في نعيم أهل الجنّة ثواب وليس يتفضّل عليهم بشيء من الوجوه فأمّا التفضّل منه لمحض فهو ما ينعّم به الأطفال والبله وأهل الهبائم إبليس لهؤلاء أعمال كلفوها فوجب من الحكمة إثابتهم عليها وأمّا نصب الآخرة فنعيم المكلفين وإنّما كان تفضلا عليهم لأنهم لم يستوجبوه بأعمالهم

إذ هم يستحقّون بعملهم من نعيمه وفضله وإحسانه بوجوب ذلك عليهم لأداء شكره وطاعته وترك معصيته فلو لم يثبهم بعد العمل لا بنعيمهم لما كان لهم عليه حقّ فبذلك كان ثوابه لهم تفضلا وأمّا كونه ثوابا فلأنّ أعمالهم أوجبت في وجود الله تعالى وكرمه تنعيمهم وأعطتهم الثواب فأثابهم بما قد صار ثوابا من هذه الجهة وإن كان تفضلا من جهة ما ذكرناه

وأمّا جنّة عدن فليس لأحد من أهل الجنّة والروايات الشريفة لأنّه فيها أن لا يدخل أحد الجنّة إلا بأعمال صالحة يعمل سواء بلغ في الحياة الدنيا حدّ التكليف فأتى وعمل صالحا أم كان طفلا فمات ثم كلّف يوم القيامة فأطاع

فالدخول فيها فضل لاستحقاق أهل الجنة فضل الدخول فيها بالفضل على ما عليه المؤمن والحق أنّ المؤمن بدّ من عمل يفضل من مثوبته وما إليها من التفضّلات، لتدبر في الآيات الآتية يتضح ذلك فتدبّر وتغنم

« الجنة تجاه العمل »

قال الله تعالى « إنّ المتقين في جنات ونعيم ـ كلوا واشربوا هنيئاً بما كنتم تعملون » الطور : ١٧ ـ ١٩)

في تطبيق الجزاء على التقوى والعمل الصالح على السنة والكتاب ، وقد جاءت بذلك روايات عديدة

منها في الكافي باسناده عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام ـ في حديث ـ قال : ولا يسأل عبد الله إلا بجهد أسأله

ومنها : وفيه باسناده عن سماعة قال : قال أبو عبدالله عليه السلام من كان عاقلا كان له دين ، ومن كان له دين دخل الجنة

ومنها وفيه في جواب من أبي عبدالله عليه السلام إلى رجل من أصحابه أمّا بعد فاني أوصيك بتقوى الله فانه خير ما توصل به وتعتصم به من أمر الدنيا والآخرة فإنّ من تقى الله عزّ وجلّ يكون له من الله عزّ وجلّ الحفظ في أهله وماله حتى أنّ أمر الدنيا لتدبر عليه فيقول لها كوني له ذلولا ، وإنّ من تقى الله عزّ وجلّ أعطاه الله عزّ وجلّ ثلاث خصال نوراً يسعى به في الناس ، وحكماً يقضي به على الناس ، وأن يجعل له مخرجاً مما يكره إلى ما يحبّ ويرزقه من حيث لا يحتسب ، وإنّ من تقى الله عزّ وجلّ أن يكون ممن يخاف على العباد من ذنوبهم ويأمن العقوبة من ذنبه فانّ الله عزّ وجلّ لا يخدع عن جنّته ولا ينال ما عنده إلاّ بطاعته ان شاء الله

قال الله تعالى « أيطمع كل امرئ منهم أن يدخل جنّة نعيم كلاّ » المعارج ٣٨ ـ ٣٩)

في تفسير روح البيان : « انّ رجلا سلم أمر عنده أن يزرع حنطة فزرع شعيراً فرآه وقت حصاده وسئله وقال : زرعت شعيراً على ظنّ أن ينبت حنطة فقال يا أحمق هل رأيت أحداً زرع شعيراً فحصد حنطة ، فقال العبد فكيف تعصي الله أنت وترجو رحمته : جنته وثوابه ودخول الجنّة

ومنها في وصف الأسد وما يستدل به عن حضرة محمّد صلّى الله عليهم السلام أنّ النبيّ ﷺ قال: دخلت الجنة فرأيت أكثر أهلها البله. يعني بالبله: المتغافلين عن الشرّ لعدم فطنتهم في الخير، ولذلك يصومون ثلاثة أيام في كلّ شهر.

ومنها في نهج البلاغة قال الإمام عليه السلام من جملة ستّ خصال لم يسع للجنة مطلباً ولا عن النار مهرباً: من عرف الله وأطاعه وعرف الشيطان وعصاه، عرف الحقّ فاتّبعه وعرف الباطل فاجتنبه وعرف الدنيا وما هي وعرف الآخرة وما هي.

وقال: قال الصادق عليه السلام: إنّما سمّيت الجنة جنة لاستتار ما فيها وكتمان أهلها، وإنّما لا يدخل الجنة إلّا من قال لا إله إلّا الله.

ومنها في كتاب العقل في خطبة الإمام موسى بن جعفر عليهما السلام لهشام قال يا هشام لا دين لمن لا عقل له ولا عقل لمن لا تفكّر له ولا تفكّر لمن لا علم له ولا علم لمن لا ورع له ولا ورع لمن لا قنوع له، يا هشام إنّ الذي لا يقنع لا يشبع ولا يشبع لا يحمد ولا يحمد لا يرضى ولا يرضى لا يسلم ولا يسلم لا يتّقي ولا يتّقي لا يخاف ولا يخاف لا يحذر ولا يحذر لا يجتهد ولا يجتهد لا يتوب ولا يتوب لا يصلح ولا يصلح لا يخشع ولا يخشع لا يزهد في الدنيا ولا يزهد في الدنيا لا يطلب الآخرة ولا يطلب الآخرة لا يعمل صالحاً ولا يعمل صالحاً لا يخاف أيّ يوم هو وأعدله الجوز وقف موقوف ومسئول عن كلّ عضو منه عن كلّ شعر وعمله، فإنّ الدهر طويله قصير، وقصيره طويل، فاعمل لدهرك كأنّك لم تعمل لتكون أطمع في ذلك، وأعقل عن الله وانظر في عمر الدهر وأحواله، فإنّ ما هو آت من الدنيا كما ولّى منها واعتبر بها.

وقال علي بن الحسين عليه السلام: إنّ جميع ما طلعت عليه الشمس في مشارق الأرض ومغاربها بحر، ثمّ ما فيها من أصناف خلق الله من أولياء الله وأهل المعرفة بحق الله كعبيد الضلال ثمّ قال عليه السلام: أو لا حسّ يبدع هذه اللماظة لأهلها، يعني الدنيا فليس لأنفسكم ثمن إلّا الجنة فلا تبيعوها بغيرها فإنّه من رضي من الله بالدنيا فقد رضي بالخسيس.

أقول: ومن غير خفي أنّ خلق الله لم كلهم يشتاق إلى الجنة ولكنّ الجنة تشتاق إلى سلمان كما ورد في الخبر، وأنّ الجنة لتشتاق إلى سلمان».

فيقال: الجنة ونعيمها من أسمى لا من تمنّيها ويدخل فيها من إشتاقت إليه

لا من إشتاق إليها واشمأزّت عنه او كالعاشق بلا معشوق.

وعنها في أمالي الشيخ الطوسي قدس سره بإسناده عن حمّاد بن عثمان عن جعفر بن محمّد عن آبائه عليهم السلام عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله لمّا اسري بي إلى السماء دخلت الجنّة فرأيت فيها قصراً من ياقوت أحمر يرى باطنه من ظاهره لصفائه ونوره وفيه فتيات من درّ وزبرجد، فقلت لمن هذا القصر؟ فقال هو لمن أطاب الكلام، وأدام الصيام، وأطعم الطعام، وتهجد بالليل والناس نيام.

قال علي عليه السلام فقلت يا رسول الله صلى الله عليه وآله وفي امّتك من يطيق هذا؟ فقال أتدري ما إطابة الكلام؟ فقلت الله ورسوله أعلم، قال من صام شهر الصبر شهر رمضان ولم يفطر منه يوماً، أتدري ما إطعام الطعام؟ قلت الله ورسوله أعلم قال من طلب لعياله ما يكفّ به وجوههم عن الناس أتدري ما التهجد بالليل والناس نيام؟ قلت الله ورسوله أعلم

قال من لم ينم حتّى يصلّي العشاء الآخرة والناس من اليهود والنصارى وغيرهم من المشركين نيام بينهما

الأكل والشرب وما تشتهيه الأنفس في الجنة

قال الله تعالى ﴿ كلوا واشربوا ـ وأمددناهم بفاكهة ولحم مما يشتهون ﴾ الطور ١٩ ـ ٢٢) أصل الشهوة نزوع النفس بقوة من قوى إلى ما يريده بتلك القوة ، ويسمى به الشهوة لنعيم الشراب والنكاح ، فمن المقدم ذكره أن للمتقين في الجنة ما يتمنون ، ويشتهون به شهواتهم من الأكل والشرب والنكاح

في تفسير القمي عن أبي عبد الله عليه السلام قال : إن أدنى أهل الجنة يبقى على مائدته ألف عام يأكل من كل واحدة سبعون لونا ما أكله في لون

وإن لأدنى أهل الجنة سبعين ألف خادم يشير إلى اختلاف ألسنة النعم الأخروية مع كثرة النعم الدنيوية فيتهنأون بعيد ، فتكون بين الاستعادة منها وعنها

وذلك لأن نعيم الآخرة دائم ، ولذات نعيمها منقطع ، وأي نسبة للدائم إلى المنقطع

قال رسول الله صلى الله عليه وآله سبحان الله عز وجل الله بها عشر شجرات في الجنة فيها من أنواع لونا كل شجرة عشر شجرات لو خرجت إلى الدنيا على ما وصف من طيب طعمها وإختلاف ألوانها ،

إن الرطب يكون بين يدي آكله قد قضى عرضه من الرطب يتحول غيره فإذا قضى عرضه منه تحول غيره أو غيرا وهكذا يتحول ألوانا بين يدي الآكل وإنها تأتي الى داعيها على مسافة من غير تكلف فتضاف ، فتأتيه على ما يشتهي في نفسه إن أراد أن يحضر بين يديه عناقيد جاءته عناقيد وإن أراد عنقودا عنقودا فتخرج شجرة واحدة من هذه الى الذنب وتحمل نعيمها ، ما ذكرت مما كان يتناول الملوك في الدنيا ، وكيف إذا وصفت مع ذلك أنها لا يحتاج الى سقي ولا رفق ولا تعب ، بل

كيف إذا وصف ربّك بمئة عشرة آلاف سنة وهو مسيرة عشرة آلاف سنة في أحد لا تدرين ودهر الداهرين ؟!

وفي رواية : قال النبيّ ﷺ لو أنّ ثوباً من ثياب أهل الجنة ألقي إلى أهل الدنيا لم تحتمله أبصارهم ولنظروا من شهوة النظر إليه ولو كان هذا حال الثوب فما ظنّك بلابسه ؟

ومن هذا قول الإمام عليه السلام لو مثل بمصر فقيل نحوها يوصف لك من بعدها لرعفت نفسك ، فتحنيت من مجلسي هذا إلى مجدوره أهل الفضل استعجالاً لها وشوقاً إليها ، وهذه لمبالغة حاصلة من الوصف فكيف المشاهدة ؟!

وفي رواية : عن أئمة الهدى عليهم السلام كل شيء من الدنيا سماعه أعظم من عيانه وكل شيء من الآخرة عيانه أعظم من سماعه

وقال الله تعالى « وإذا رأيت ثمّ رأيت نعيماً وملكاً كبيراً » الإنسان ٢٠)

وفي رواية : قال رسول الله ﷺ إذا دخل المؤمن منازله في الجنّة وضع على رأسه تاج الملك وألبسه الكرامة ، وأسرّ حتى الذهب والفضّة والياقوت والدر المنظوم في الأكاليل تحت التاج ، ليس يسمع حتّة حريراً بألوان مختلفة مسوحة بالذهب والفضة واللؤلؤ والياقوت الأحمر وذلك قوله تعالى

« يحلّون فيها من أساور من ذهب ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق » الحج ٢٣)

وفي الوحي القديم أعددت لعبادي ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وفي رواية : قال النبيّ الكريم ﷺ إنّ الله كرامة في عباده المؤمنين في كلّ جمعة فيقول لهم منّي ما في أيديكم ضعفين ضعفاً فيرجع المؤمن في كلّ جمعة سبعين ضعفاً مثل ما في يديه ، وهو قوله تعالى « ولدينا مزيد » ق : ٣٥)

وفيه أيضاً عن أبي عبد الله عليه السلام قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله: في الجنة ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر

وفي ربيع الابرار للزمخشري عن عبد الله بن أرقم قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله فقال: يا رسول الله تزعم يا أبا القاسم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون؟ قال: والذي نفسي بيده إن أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الأكل والشرب والجماع وإن الذي يأكل يكون له الحاجة والجنة طيبة لا خبث فيها، قال: فعرق بعض من أحدهم كريح المسك فيضمر بطنه

وفي تفسير كشف الاسرار سئل زيد بن علي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أن قوله إن أهل الجنة يأكلون ويشربون ولا يكون لهم حروج لحاجة على الأنبياء فالجنة كانت موصوفة بنقيضه؟ قال رسول الله صلى الله عليه وآله: والذي نفسي بيده إن فيها لأكلا وشرباً ونكاحاً يخرج من جلودهم عرق أطيب من ريح المسك

فقال رجل من القوم صدق رسول الله صلى الله عليه وآله حتى لنا حتف بأكل مما يأكل ويشرب مما يشرب وهنه يخرج من مطلوبهم عرق كريح المسك فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وفق هذا مثل طعام أهل الجنة

وفي رواية: إن الرجل هو آدم على نبينا وآله وعليه السلام كان طوله ستين ذراعاً

وفي تفسير البرهان بالاسناد عن حذيفة بن اليمان عن أبي جعفر عليه السلام في قوله إن الله تبارك وتعالى يقول: تدخلون الجنة برحمتي وتقتسمون منازلها بأعمالكم فعرفني الله سبحانه دار الخلود وأعرفني دار السلام دار الجلود وأعرفني دار الإقامة فإذا دخلوها صاروا على طول آدم ستين ذراعاً على ميلاد عيسى ثلاث وثلاثين سنة وعلى لسان عبد العزيزية وعلى صورة يوسف في الحسن ثم يعمد وجوههم النور وعلى قلب أيوب في السلامة من الغل

وقال عليه السلام: إن أهل الجنة جرد مرد مكحلين مكسين أبداً مطوقين

مسرورين مختمين ناعمين مجبورين مكرمين يعطى أحدهم قوة مائة رجل في الطعام والشراب والشهوة والجماع ويعطى قوة ذلك مقدار أربعين سنة وقوة عشائه مقدار أربعين سنة، قد أنشئ لهم حوراً لم يطمثهن لون وأجسادهم الحرير بيض الألوان صفر الحلى حمر الثياب.

وفي رواية عن ابن عباس قال: ليس في الدنيا من الجنة إلا الأسماء.

﴿ سؤال عن دفع فضولات الجنة ﴾

أخرج أحمد - إمام الحنابلة - في المسائل قال حدثنا عبدالله قال وجدت في كتاب أبي عن يحيى بن سعيد عن ابن لهيعة قال كان عمر بن الخطاب يقول أعوذ بالله من معضلة ليس لها أبو حسن قال ابن لهيعة وليد الذي هو ابن ملك الروم كتب إلى عمر يسأله عن مسائل فعرضها على أصحابه فلم يعد عندهم جواب فعرضها على عمر المؤمنين رضي الله عنه - فأجاب عنها في أسرع وقت وأحسن جواب

ذكر المسائل قال ابن لهيعة

كتب ملك الروم إلى عمر بن الخطاب من قيصر ملك الأصفر إلى عمر أما بعد فإني سائلك عن مسائل فأخبرني عنها

ما شيء لم يخلقه الله؟ وما شيء ليس عند الله؟ وما شيء كله فم؟ وما شيء كله بطن؟ وما شيء كله عين؟ وما شيء كله جناح؟ وعن رجل لا عشيرة له؟ وعن أربعة أسماء بأسماء بهائم؟ وعن شيء يتنفس وليس فيه روح؟ وعن صوت الرعد ما هو؟ وعن ضحك مرة واحدة؟ وعن شجرة تسبح ولم تكن قبل طلعها ماء؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن مكان لم تطلع فيه الشمس إلا مرة واحدة؟ وعن شجرة نبتت من غير ماء وعن أهل الجنة وهم يأكلون ويشربون ولا يتغوطون ولا يبولون ما مثلهم في الدنيا؟ وعن موائد الجنة ما هي؟ وعن عينها التي كل قصعة ألوان لا تشبه بعضها بعض ما مثلها في الدنيا؟ وعن جداوله يخرج من تحت الجنة ولا ينقص منها شيء؟ وعن جداوله تكون في الدنيا نرجس هي في الآخرة نوجد؟ وعن مفاتيح الجنة ما هي؟ فقرأ علي رضي الله عنه الكتاب وكتب في الجواب جميعه

بسم الله الرحمن الرحيم

أمّا بعد فقد وقفت على كتابك أيّها الملك وأنا اجيبك بعون الله وقوّته وبركته وبركة نبيّنا محمد ﷺ أمّا الشيء الذي لم يخلقه الله تعالى فالقرآن لأنّه كلامه وصفته وكذلك كتب الله المنزّلة وخلق سبحانه قديم وكذا صفاته، وأمّا الذي لا يعلمه الله فقولكم له ولد وصاحبة وشريك ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله لم يتخذ ولم يولد وأمّا الذي ليس عند الله فالظلم وما ربّك بظلام للعبيد وأمّا الذي كله فمّ والذي بعضه في وأمّا الذي كله حق فالسماء وأمّا الذي كله عين فالشمس وأمّا الذي كله جناح فالريح وأمّا الذي لا عشيرة له فآدم عليه السلام

وأمّا الذين لم يحمدهم الله فقوم موسى ﷺ وكفر إبراهيم ﷺ وآدم ﷺ وحوّاء وأمّا الذين تنفّس من غير روح فالصبح لقوله تعالى «والصبح إذا تنفّس» وأمّا الذي قيل فيه يقول فلقّ صفّ حقّ حقّ مهيّ مهيّ عدل عدلاً صدقاً صدقاً انّ الدنيا قد غرقتنا وسيهوي بعضي الذي قد قرأ قرأنا ما من يوم يمضي عنّا إلا أتوهي صدر كلّ الموتى قد حضروا إلا الرجل فاستوت

وأمّا الصاعق فطور سيناء لمّا تجلّى ربّه للجبل وكان بينه وبين الأرض المقدسة أربعة فقلع الله منه قطعة وجعلها له حاجزاً من البحر فمنعهم عدوّهم فذلك قوله «وإذ نتقنا الجبل فوقهم كأنّه ظلّة وظنّوا أنّه واقع بهم»

وقال لبني إسرائيل إن لم تؤمنوا وإلاّ أوقعته عليكم فلمّا تابوا ردّه إلى مكانه، وأمّا المكان الذي لم يسمع عليه الشمس إلاّ مرّة واحدة فإنّ البحر لمّا فلقه الله لموسى ﷺ وقام له أمثال الجبال وانبسط الأرض فطلوع الشمس عليها ثمّ عاد ماء البحر إلى مكانه، وأمّا الشجرة التي يسير الراكب في ظلّها مائة عام شجرة طوبى وهي سدرة المنتهى في السماء السابعة إليها ينتهي أعمال بني آدم وهي من أشجار الجنّة ليس في الجنّة قصر ولا بيت إلا وفيه غصن من أغصانها ومنشأها في الدنيا الشمس أصلها واحد وفروعها في كلّ مكان وأمّا الشجرة التي نبت

من عرعره فشجرة يونس وكان ذلك معجزة له لقوله تعالى «وأنبتنا عليه شجرة من يقطين»

وأما عدد أهل الجنة فمنهم في الدنيا الجن في بعض أمكنة يعتدى من سمها ولا يسود ولا يتغوط، وأما الألوان في الجنة الواحدة فمنها في الدنيا السفرجل لونه أصفر وأصفر ولا يختلطان. وأما الحديدة التي تخرج من التفاحة فمنها في الدنيا الدودة تخرج من التفاحة ولا تتغير

وأما الحديدة التي تكون من النحاس والنحاسة التي تكون في الذهب للمؤمن منفي والكافر مثبت وهي لي في الآخرة وهي لك في الدنيا وأنت لا تدخلها

وأما مفاتيح الجنة فلا إله إلا الله محمد رسول الله

قال ابن السكيت فقلت وأنا أقصر ثلاثة أشياء خرج هذا الكلام إلا من بيت النبوة ثم سأل عن الجنين فقال له هذا جواب ما سألت عنه محمد ﷺ فكتب له

سلام عليك أما بعد فقد وقفت على جوابك وعلمت أنك من أهل بيت النبوة ومعدن الرسالة، وأنت موصوف بالشجاعة والعلم وأنا أريد أن تكشف لي عن مذهبكم، والروح الذي ذكره الله في كتابكم في قوله «ويسألونك عن الروح قل الروح من أمر ربي»

فكتب إليه أما بعد فالروح لطيفة ولمعة شريفة من صنعة ربها وفطرة منشأها، أخرجها من خزائن ملكه، وأسكنها في ملكه فهي عنده لك سبب، وله عندك وديعة فإذا أخذت منك عنده أخذ ماله عندك والسلام

وذكر الحافظ العاصمي في درس القتي في شرح سورة هل أتى) وسط ابن الجوزي الحنفي في تذكرة الخواص) وأوردته تتمماً لما فاته من فوائد محمد

في عاقبة البخل وسوء أثرها
ولا ينفد نعيمها

روى محمد بن جرير الطبري في دلائل الإمامة ص ١٠٤ بإسناده عن الصادق جعفر قال: حج هشام بن عبد الملك بن مروان سنة من السنين وكان قد حج في تلك السنة محمد بن علي الباقر وابنه جعفر بن محمد عليهما السلام، فقال جعفر بن محمد عليهما السلام:

«الحمد لله الذي بعث محمداً بالحق نبياً وأكرمه به، فنحن صفوة الله على خلقه وخيرته من عباده وأحبائه والسعيد من اتبعنا، والشقي من عادانا وخالفنا».

ثم قال: فأخبر مسلمة أخاه بما سمع فلم يعرض لنا حتى انصرف إلى دمشق وانصرفنا إلى المدينة فلما قدم رسولاً إلى عامل المدينة يشخص أبي وإشخاصي معه فشخص فلما وردنا مدينة دمشق حجبنا ثلاثاً ثم أذن لنا في اليوم الرابع فدخلنا وإذا قد قعد على سرير الملك وحده وحاشيته وقوف على رؤوسهم سماطان متسلحان وقد نصب له كرسي حديد وأشياخ قومه يرمون، فلما دخلنا وأبي أمامي وأنا خلفه فمشى أبي وقال:

يا محمد إرم مع أشياخ قومك لعل الله يقذف لك إني قد فكرت في الرمي فهل رأيت أن تعلمني، فقال وحق من أعزنا بدينه ونبيه محمد ﷺ لا أعلمك ثم أومأ إلى شيخ من بني أمية أن أعطه قوسك، فناوله، فمشى إلى عند ذلك قوس الشيخ، ثم تناول منه سهماً فوضعه في كبد القوس ثم انتزع ورمى وسط الغرض فنصبه فيه

ثم مر في هذا الشعب فسوّى فوق سهمه إلى نصله ثم رمى الرمي حتى سوّى سهمه بعضها في جوف بعض

وهشام بن محمد لم يجد له فلم يتم له الأمر فحدث أبو جعفر وأبو رامي العرب والعجم هلاً وعمت أنك كذبت على الرمي ثم أكذبه على ما قال

وكان هشام لم يكن كذّب أحداً قبل أبي الحسن في خلافته فهمّ به، وأطرق إلى الأرض مفكراً فيما يأتي فيه وأبي الحسن واقف عند رأسه ينتظر جوابه، فلما طال وقوف عبد أبي فهمّ به، وكان أبي الحسن إذا غضب نظر إلى السماء نظر غضبان يرى الناظر الغضب في وجهه فلما نظر هشام إلى ذلك من أبي الحسن قال له إلى أين تتعمد أبي إلى السماء فقال له أتعمد من هو أعظم منك ومنه وأقدر عليك وعليه ثم عليّ وعليه وعليك فقال له

ما تقول أيها العربي العجمي في مقام قومك هؤلاء فهم يشكون الله ثم منك، من علّمك هذا الرمي؟ وهل لهم بمثله فقال أبي لما قدمت أن أهبن لمدينة يتعطر به فمر بشعبة ثم مر بشعبة فلما رأيت أن أمير المؤمنين مني ذلك عدت فيه فقال له ما أنت ومن هذا الرمي فقد مضت وما علمت أن في الأرض أحداً هو مني ومن هذا الرمي، أبو رامي جعفر بن رميك فقال نحن نتوارث الكمال والتمام اللذين أنزلهما الله على نبيه ﷺ في قوله اليوم أكملت لكم دينكم وأتممت عليكم نعمتي ورضيت لكم الإسلام ديناً

ولا من لا يحله مثل هذا العلم الذي يقصر عنه، قد قلما سمع ذلك في ابن نقلت عينه اليمنى وحمرت واحمرّ وجهه وكان ذلك علامة غضبه إذا غضب، ثم أطرق هيبة ثم رفع رأسه فقال لأبي الحسن عليه السلام وجدّ فقال أبي نحن كذلك ولله جلّ ثناؤه اختصنا من مكنون سرّه، وخاصّ علمه بما لم يخصّ أحداً به غيرنا فعال

أليس الله جلّ ثناؤه بعث محمداً ﷺ من شجرة عبد مناف إلى الناس كافة، أبيضهم وأسودهم وأحمرهم، من أين ورثتم ما ليس لغيركم ورسول الله ﷺ

منعوث إلى الناس كافة ودلك قول الله تبارك وتعالى « ولله ميراث السموات والأرض » إلى آخر الآية . فمن أين ورثتم هذا العلم ، وليس بعد محمد نبي ولا أنتم أنبياء ؟ فقال

من قوله تبارك وتعالى لنبيه ﷺ « لا تحرك به لسانك لتعجل به » الذي لم يحرك به لسانه لغيره أمره الله أن يخصه به من دون غيره ، فذلك كان ناجى أخاه علنا من دون أصحابه ، وأمره الله بذلك قرآناً في قوله

« وتعيها أذن واعية » فقال رسول الله ﷺ لأصحابه سألت الله أن يجعلها أذنك يا علي ، فلذلك قال علي بن أبيطالب عليه السلام لقد علمني رسول الله ﷺ ألف باب من العلم ، ففتح لكل باب ألف باب ، خصه رسول الله ﷺ من مكنون سره بما يخص به أمير المؤمنين أكرمه الله بذلك خص الله نبيه ﷺ خص به أخاه علناً من مكنون سره بما لم يخص به أحداً من قومه حتى صار إليه ، فتوارثه من دون أهله

فقال هشام بن عبد الملك إن علياً كان يدعي علم الغيب والله لم يطلع على غيبه أحد ، فمن أين ادعى ذلك ، فقال له أبي إن الله جل ذكره أنزل على نبيه ﷺ كتاباً بين فيه ما كان وما يكون إلى يوم القيامة ، في قوله تعالى « ونزلنا عليك الكتاب تبياناً لكل شيء وهدى ورحمة وبشرى للمسلمين »

وفي قوله « وكل شيء أحصيناه في إمام مبين »

وفي قوله « ما فرطنا في الكتاب من شيء »

وأوحى الله إلى نبيه ﷺ أن لا يخفي في غيبه وسره ومكنون علمه شيئاً إلا يباحي به علناً ، فأمره أن يؤلف القرآن من بعده ، ويتولى غسله وتكفينه وتحنيطه من دون قومه ، وقال لأصحابه حرام على أصحابي وأهلي أن ينظروا إلى عورتي غير أخي علي ، فإنه مني وأنا منه ، له ما لي وعليه ما علي ، وهو قاضي ديني ، ومنجز وعدي

ثم قال لأصحابه علي بن أبيطالب يقاتل على تأويل القرآن كما قاتلت

عني سرية ولم يكن عند أحد تأويل القرآن كله وجمعه إلا عند علي كرم الله وجهه، وذلك قول رسول الله ﷺ لأصحابه أقضاكم علي، وأي هو قاضيكم

وقول عمر بن الخطاب له لا عاش لهيث عمر يشهد له عمر ويجحده غيره فأطرق هشام طويلا ثم رفع رأسه فقال سل حاجتك فقال حتفت عيالي وأهلي مسلوحين لجوعي فقد أتيت الله وجئتهم رجوعك إليهم، ولا بهم من شيء فاستقالني فأقلته فقال له فهبت أن أكلمه أبي ثم نهض ونهضت معه وخرج إلى رحبة المدائن وهي اليوم وفي آخر الميدان أناس قعود عدد كثير قال أبي من هؤلاء قال الجدليون هؤلاء القسوس والرهبان، وهذا عالم لهم يقعد لهم في كل سنة يوماً فيسألونه فيفتيهم فقعد إلى عمود وقعدت وراءه فصلى ركعتين وقعدت بعده فأقبل عليهم وأقبلوا عليه فلم يزالوا يسألونه حتى قعد بعضهم وقعدت وراء أبي ورفع رأسه إلى الجدلي فقال له بعض علمائه ان يحضر الموضع فيسمع ما يسمع فأقبل في عدد من المسلمين، فأحاطوا بنا، وأقبل عالم النصارى وقد شد حاجبيه بحرير أصفر وجثى بين يديه، فقام إليه جميع القسيس والرهبان مسلمين عليه فحاوز به إلى صدر المجلس فقعد فيه وحاط به أصحابه وأبي وأنا بينهم فأدار بصره ثم قال لأبي أمنكم من هذه الأمة أم من غيرها؟

فقال أبي لا من هذه الأمة ولا من غيرها فقال من أيهم أنت من علمائها أم من جهالها؟ فقال لا علم لي فأنا من جهالها فاصفر إصفراراً شديداً، ثم قال له أسألك؟ فقال له أبي سل فقال من أين ادعيتم أن أهل الجنة يطعمون ويشربون ولا يحدثون ولا يبولون؟ وما الدليل فيما تدعونه من شاهد لا يجهل؟ فقال له أبي دليلي ما ندعي من شاهد لا يجهل: الجنين في بطن أمه يطعم ولا يحدث قال فاصفر لون النصراني اصفراراً شديداً، ثم قال: هلا زعمت أنك لست من علمائها؟ فقال له أبي لا من جهالها وأصحاب هشام يسمعون ذلك فقال لأبي: اسألك عن مسألة أخرى، فقال له أبي: سل،

فقال من أين ادعيتم أن فاكهة الجنة ابتدأ عضة طريئة موجودة غير معدومة

عند جميع اهل الجنة ؟ وما الدليل عليه من شاهد لا يجهل ؟ فقال له ابي دليل ما تدّعي انّ تراباً يكون عطراً موجوداً غير معدوم عند جميع اهل الدنيا لا ينقطع ، فاضطرب اضطراباً شديداً ، ثمّ قال : هلاّ دعمت انك لست من علمائها؟ فقال له ابي ولا من جهّالها ، فقال له سلني عن مسئلة ؟ فقال سل ، فقال اخبرني عن ساعة لا من ساعات الليل ولا من ساعات النهار ؟

فقال له ابي هي الساعة التي بين طلوع الفجر الى طلوع الشمس ، نهاراً فيها المسمى ، ولم تقدر فيها الشاهر وتضيق التسمي عليه ، جعلها الله في الدنيا رعة للراشين ، وفي الاخرة للعاملين لها دليلاً واضحاً وحجة بالغة على الجاحدين المتكبرين لمن كان فيها

قال فصاح النصراني صيحة ثم قال ثبت مسئلة واحدة ، والله لاسئلنك عن مسئلة لا تهتدي إلى الجواب عنها أبداً قال له أبي سل ، فانك جئت في تمسئك فقال اخبرني عن مولودين ولدا في يوم واحد ، وماتا في يوم واحد ، وعمر احدهما خمسون سنة ، وعمر الآخر مأة وخمسون سنة في دار الدنيا ؟

فقال له ابي ذلك عزير وعزيرة ، ولدا في يوم واحد ، فلمّا بلغا مبلغ الرجال خمسة وعشرين عاماً مرّ عزير على حماره راكباً على قرية فأعطاكيه وهي خاوية على عروشها ، وقال انّى يحيي هذه الله بعد موتها ، وقد كان إستطعمه وهداه فلمّا قال ذلك غضب الله عليه فأماته الله مأة عام سخطاً عليه بما قال ، ثم بعثه على حماره بعينه وطعامه وشرابه وعاد الى داره وعزيرة خلوه لا تعرفه فاستطعمه فأطعمه وبعث اليه ولد عزيرة وولد ولده وقد شاخوا وعزير شابّ في سنّ خمس وعشرين سنة ، فلم يزل عزير يذكّر اخاه وولده وقد شاخوا وهم يذكّرون ما يذكّرهم ويقولون

ما اعلمك بأمر قد مضت عليه السّنون والشهور ، ويقول له عزيرة وهو شيخ كبير ابن مأة وخمسة وعشرين سنة :

ما رأيت شاباً في سنّ خمسة وعشرين سنة اعلم مما كان بيني وبين اخي

عزير أيّام شبابي منك ؟ فمن أهل السماء أنت أم من أهل الأرض ؟ فقال : يا عزيرة أنا عزير سخط الله عليّ بقول قد بعد أن اصطفاني وهداني وأمتني مئة سنة ثم بعثني لتردد ذلك بقيناً أن الله على كل شيء قدير

وها هو هذا حماري وطعامي وشرابي الذي خرجت به من عندكم أعاده الله تعالى كما كان فعندها بقوا فأعاشه الله سبعين حمله وعشرين سنة ثمّ قبضه الله وأحياه في يوم واحد

فنهض عالم النصارى عند ذلك قائماً وقام من النصارى معه على أرجلهم فقبلوا له عالمهم : حدّثونا بأعلم منه وقد تبيّن معلم حتى هذا أمر وفضحنا بين المسلمين بأن لهم من أحبار بعضهم أعبد من عند الله لا كلمة من رأسي كلمة واحدة ولا قعدت لكم في مجلس قط . فقام وانصرف هو ومكانه وأتباعه معه ورفع ذلك الخبر إلى هشام

فلما تفرق الناس نهض بي وصيف في الليل الذي كان فيه فوافى بي الرسول هشام بالحيرة وأمره أن ينصرف إلى المدينة من ساعته ولا يحلس لأنّ النّاس ماجوا وخاضوا فيما دار بيني وبين عالم النصارى فرجعنا وهو منصرفين وقد سبقنا البريد من عند هشام إلى عامل مدين يعلمه بقربنا إلى المدينة أنّ ابني أبي تراب الخارجين محمد بن علي وجعفر بن محمد الكذّابين ـ يعني هشام هو الكذّاب لعنه الله ـ فيما يظهر من الإسلام وادّعى ولدا معرفتهم إلى المدينة مالا إلى القسّيسين وأمرهما من كفر النصارى وأظهر لهما دينهم ومرقا من الإسلام إلى الكفر دين النصارى وتقرّبا إليهم بالشعر الذي فكرهت من أكل لحمهما لقراءتهما

فإذا قرأت كتابي هذا فناد في النّاس برئت الذمّة ممن بشر بهما أو بايعهما أو يصافحهما أو يسلّم عليهما ، فإنّهما قد ارتدّا عن الإسلام ، ورأى أمير المؤمنين أن يقتلهما ويقتلهما ويعدمهما ومن معهما شرّ قتلة

قال : فورد البريد إلى مدينة مدين ، فلمّا شارفنا مدينة مدين قدّم لي

[illegible] فلما [illegible] من [illegible] ذكروا عن أبي طالب صنوت
[illegible] فقالوا لا نرى لكم عندنا إلا السيف ولكنّ [illegible] كفّ
[illegible] فقال أحمق الخلائق أحمقهم [illegible] حتى يتهيأ إليهم
[illegible] فلم يبق لهم القول [illegible] لهم

[illegible] الله ولا تعظموا قدر [illegible] ولا نحن كما تقولون وتسمعون،
[illegible] فهم كما تقولون فنحن [illegible] وتسمعون كما كنتم
[illegible] اليهود والنصارى والمجوس فقولوا أنتم شرّ من اليهود والنصارى
والمجوس لأنّ هؤلاء يؤذون الجسد وأنتم تؤذون الله فقالوا لهم أبي فتحوا
[illegible] وأنزلونا وخذوا منّا لحربه كما يأخذون منهم فقال لا يبرح
[illegible] حتى يموتوا على ظهوركم جياعاً ويأكل دوابّكم
[illegible] فوعظهم أبي فلم يتعظوا وقال فمشى أبي راجعاً عن سرحه
[illegible] ولبي مكانك يا حمقى لا تبرح

ثم صعد الجبل المطلّ على مدينة مدين وأهل مدين يتطرّقون إليه ما يصنع
فلمّا صار في أعلاه استقبل بوجهه المدينة وجلس ثم وضع إصبعيه في أذنيه ثم
نادى بأعلى صوته وإلى مدين أخاهم شعيباً إلى قوله عفا الله عمّا سلف إن
[illegible] مؤمنين

[illegible] الله عليه وآله [illegible] فلمّا سمعوا صيحته فهشت واختلست
[illegible] أبي فبرحته في أسرع من [illegible] فلم يبق أحد من
[illegible] والصبيان إلا صعد [illegible] أبي مشرف عليهم، وصعد فيمن
[illegible] من أهل مدين كلهم [illegible] أبي على الجبل فنادى بأعلى صوته

اتّقوا الله يا أهل مدين وقفوا [illegible] الموقف الذي وقف فيه شعيب نبيّ
حين دعا على قومه فقال أنتم لم تفتحوا الباب ولم تروّحوا عنكم من الله العذاب
وإني أخاف عليكم وقد أعذر من أنذر فمرّوا فتحوا الباب وأنزلوه وكتب

بجميع ذلك إلى هذه [illegible] بعده [illegible] فمن هذه [illegible] عن هذين بأمره [illegible] بأن يأخذ التيمم وقتله [illegible] رحمه الله عليه وعلى [illegible] كتب إلى عامل مدينة الرسول [illegible] أن يحتال في سم [illegible] في طعامه [illegible] فمن هذه [illegible] لم تتهيأ له في شيء من ذلك شيء

أقول: [illegible] لقمي في [illegible] الكليني في [illegible] الكافي مسنداً والسيد بن طاووس في [illegible] مسنداً إلى الحسين في البحار والراوندي في الجرائح وقد [illegible] سم [illegible] مسنداً عن [illegible]

وفي رواية [illegible] أنه [illegible] فقد [illegible] الجنة نعماً وفوز لا يعقبه [illegible] فمن يصبر في هذه الحياة الدنيا؟

فمن [illegible] منهم [illegible] منهم [illegible] النور لا يطفئ حرارتها ولا يسكن [illegible] إلا [illegible] الله تعالى

وفي الاحتجاج [illegible] عن [illegible] عبد الله [illegible] عن [illegible] منهم [illegible] فمن أن [illegible] الجنة [illegible] الرجل منهم إلى ثمرة يتناولها [illegible] أو كلها [illegible] لهم [illegible] على [illegible] الراح [illegible] الدنس فيقتنص منه فلا ينقص من [illegible] [illegible] [illegible] لو يأكلون [illegible] لهم [illegible] لأن عداءهم [illegible] قوت لا نفاد له [illegible] يخرج من [illegible] ولا غرث

﴿ المتقون و حور العين ﴾

قال الله عزّ وجلّ : ﴿ إن المتقين في جنّات ونعيم ـ وزوّجناهم بحور عين ﴾ الطور ١٧ ـ ٢٠)

الحور : جمع الحوراء ، وهنّ النساء الفائقات في حسن وكمال يحار الناظر في حسنهنّ .

العين : واسعات الأحداق وكثيرات الأعين في عينه حسن وصفاء ، لأن الله تعالى وسمهنّ في المعاد ـ على طريق ذكر الموصوف وإرادة الصفة ـ بأحسن ما يعرف للبشر ، ويسبق به الأذهان .

وذلك لأنّ أحسن الأعضاء تنتهي إلى العين البشريّة هو الوجه ، وأحسن ما في الوجه هو العين ، وأحسن العيون العين الواسعة توجب كثرة الروح المنسوبة إليها ، وتحسب توجه الأذهان إلى النهي لتتمّ مرؤيتهنّ ، مثل أن تكون بياض العين في غاية البياض وسوادها في غاية السواد .

قيل سمّيت نساء أهل الجنة بالحور ، لأنّ أعينهن السوداء شديدة السواد ، وبياضهنّ شديد البياض ، وهنّ نساء ، كرات ثيبات بعد الطمثات ، مع موفورهنّ وفاء ثيابهن ، ويرى الناظر وجهه في كبد احداهنّ كالمرآة لرقة جلدتهن وصفاء لونهن وهنّ مطهرات من الحيض و الغائط و البول والبصاق والنخامة والمني والولد .

و اختلفت كلمات المفسرين وغيرهم في الحور العين : هل هن من نساء مؤمنة دنيا وتنة ، أو هنّ من جنس آخر من أهل الجنّة والكل طائفة

والروايات الواردة تصرح بأنهن خلق ولسن من مخلوقات دنيا وية ، ومن الروايات ما في تفسير القمي باسناده عن ابن أبي عمير عن ثنى بصير عن أبي

عبد الله عليه السلام قال المؤمن يزوج ثمانمائة عذراء وأربعة آلاف ثيب وحتى من الحور العين ، قلت

جعلت فداك ثمانمائة عذراء ؟ قال : نعم ، ما يفترش منهن شئ إلا وجدها كذلك ، قلت جعلت فداك من أي شيء خلق نحو هن ؟ قال من تربة الجنة النورانية ويرى مخ ساقها من وراء سبعين حلة كبدها مرآته وكبده مرآتها قلت جعلت فداك ألهن كلام تكلمن به أهل الجنة ؟ قال نعم كلام يتكلمن به لم يسمع الخلائق بمثله وأعدت منه قلت ما هو ؟ قال نحن فاضلات فلا نفضل ونحن راضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له ، نحن لو شاء لو ان شعر أحدهن على جميع أهل الدنيا لأغناهم نوره الأبصار

ومنها : ما رواه المجلس بإسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له أخبرني لو ان امرأة من نساء أهل الجنة تنفست من سماء الدنيا في ليلة القمراء لأضاءت بها أفضل من ضوء القمر ليلة البدر ولوجد ريح نشرها جميع أهل الأرض ، ولو أن ثوبا من ثياب أهل الجنة نشر اليوم في الدنيا لصعق من ينظر اليه ومن حملته أبصارهم

وقال عليه السلام : لدى أنزل الكتاب على محمد ان أهل الجنة ليردون جنة لا وجه كما يردادون في الدنيا وجه وجه

ومنها ما في تفسير الإمام العسكري بالإسناد من عوف بن عبد الله الأزدي عن أبي عبد الله عليه السلام في حديث قال : حدث ان الحور العين خلقهن الله في الجنة مع شجرها وجعلهن على أرجلهن في الدنيا ، على كل واحدة منهن سبعون حلة ، يرى بياض ساقهن من وراء الحلل السبعين كما يرى الشراب الأحمر في الزجاجة البيضاء والسندس الأبيض في الفواكه الحمراء يجامعهن في قوة مائة من شهوة أربعين سنة ، وهن شقراء أبكار عذارى ، كلما جامعت صارت عذراء لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان بقول لم يمسهن إنسي ولا جني قط

فيهن خيرات حسان، يعني خيرات الأخلاق حسان الوجوه كأنهن الياقوت والمرجان يعني صفاء الياقوت وبياض اللؤلؤ. قال قال في الجنة لنهراً حافتاه الجواري، قال: فيوحي إليهن الرب تبارك وتعالى اسمعن عبدي تمجيدي وتسبيحي وتحميدي فترفعن أصواتهن بالحان وترجيع لم تسمع الخلائق مثلها قط فتطرب أهل الجنة

وفي رواية قال رسول الله ﷺ «ولو أن امرأة من نساء أهل الجنة اطلعت إلى الأرض لأضاءت ولملأت ما بينهما ريحاً ولنصيفها على رأسها خير من الدنيا بما فيها»

النصيف: الخمار. يقول: نصف المرأة أنها بالجنة خير من

النصيف: ثوب تتجلل به المرأة فوق ثيابها كلها

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري قال: قال رسول الله ﷺ في قوله تعالى «كأنهن الياقوت والمرجان» «تنظر إلى وجهها في خدها أصفى من المرآة، وإن أدنى لؤلؤة عليها لتضيء ما بين المشرق والمغرب، وإنه يكون عليها سبعون ثوباً يسفها بصره حتى يرى مخ ساقها من وراء ذلك»

وفي رواية عن النبي الكريم ﷺ قال: «لما أسري بي دخلت في الجنة فإذا أنا بجارية تسمى الفرح، فسألتها لمن أنت؟ فقالت: لزيد بن حارثة. فبشرته بالخلد. فإذا الزبرجد الأخضر والياقوت الأحمر فقلت السلام عليك يا رسول الله، فقلت: أخبرني ما هذا النداء؟ قال هؤلاء المقصورات في الخيام يناديني أن في السلام عليك فأذن لهن فطفقن يقلن نحن الراضيات فلا نسخط أبداً ونحن الخالدات فلا نظعن أبداً» وقرأ رسول الله ﷺ قوله تعالى «حور مقصورات في الخيام»

وفي قرب الاسناد عن علي بن جعفر الأزدي قال: سئله أبو بصير وأنا جالس عنده عن الحور العين فقال: جعلت فداك أخلق من خلق الدنيا أو خلق من خلق الجنة؟ فقال له ما أنت وذاك عليك بالصلاة فإن آخر ما أوصى به رسول الله ﷺ وحث عليه الصلاة. إياكم أن يستخف أحدكم صلاته، فلا هو

إذا كان شاباً نشيطاً، ولا هو إذا كان شيخاً قوي عليها، وما أشدّ من سرقة الصلاة

وإذا قام أحدكم فليعتدل، وإذا ركع فليتمكّن، وإذا رفع رأسه فليعتدل وإذا سجد فليمرّ ولينمكّن، وإذا رفع رأسه فليستوِ حتى يسكن، ثم سئلته عن وقت صلاة المغرب فقال: إذا غاب القرص

وفي الكافي بإسناده عن أبي الصبّاح الكناني عن أبي جعفر عليه السلام قال قيل لأمير المؤمنين عليه السلام من شهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله كان مؤمناً؟ فأين فرائض الله؟ قال: وسمعته يقول: كان علي عليه السلام يقول: لو كان الإيمان كلاماً لم ينزل فيه صوم ولا صلاة ولا حلال ولا حرام، قال

وقال لأبي جعفر عليه السلام: إنّ عندنا قوماً يقولون: يشهد أن لا إله إلا الله وأنّ محمداً رسول الله صلى الله عليه وآله فهو مؤمن، قال: فهم يضربون الحدود ولم تقطع أيديهم؟ إنما حق الله عزّ وجلّ أكرم على الله عزّ وجلّ من المؤمن، لأنّ الملائكة خدّام المؤمنين وأنّ حوار الله للمؤمنين، وأنّ الجنة للمؤمنين، وأنّ الحور العين للمؤمنين، ثم قال: فمن حدّ الفرائض كان كافراً؟

﴿ حور عين لا تزوجهن ﴾

إن الله تعالى وعد المتقين في موارد عديدة من كتابه الكريم بتزويج حور عين لا أزواج مطهرة ومصفين من كل ما يستقذر منه ولا يليق أن يكون أزواجاً لمقدسين في الجنة ومبرئين من النقص.

قال تعالى: ﴿وبشر الذين آمنوا وعملوا الصالحات أن لهم جنات تجري من تحتها الأنهار كلما رزقوا منها من ثمرة رزقاً قالوا هذا الذي رزقنا من قبل وأتوا به متشابهاً ولهم فيها أزواج مطهرة وهم فيها خالدون﴾ (البقرة ٢٥).

وقال: ﴿وحور عين كأمثال اللؤلؤ المكنون ـ إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكاراً عرباً أترابا لأصحاب اليمين﴾ (الواقعة ٢٢ ـ ٣٨).

وقال: ﴿فيهن قاصرات الطرف لم يطمثهن إنس قبلهم ولا جان ـ كأنهن الياقوت والمرجان ـ فيهن خيرات حسان ـ حور مقصورات في الخيام﴾ (الرحمن ٥٦ ـ ٧٢).

في الكافي بإسناده عن الحسن بن الجهم قال: سألت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عز وجل: ﴿فيهن خيرات حسان﴾ قال: هن صوالح المؤمنات العارفات. قال قلت: ﴿حور مقصورات في الخيام﴾ قال: الحور هن البيض المصوغات المحبوسات في خيام الدر والياقوت والمرجان، لكل واحدة منهن أربعة أبواب على كل باب سبعون كاعباً خدماً لهن، وبأيديهن في كل يوم كرامة من الله عز وجل يبشر الله بها المؤمن.

وفيه بإسناده عن جابر عن أبي جعفر عليه السلام قال: إذا دخل أهل الجنة الجنة وأهل النار النار بعث رب العزة عليّاً عليه السلام فأنزلهم منازلهم من الجنة

فروجهم فعيش في الجنة لدى زوجاتهم في الجنة وما ذاك الى احد غيره كرامة من الله عز ذكره وفضلا خصه به ومنّ به عليه. الخبر

وفي الخصال عن أنس عن النبي ﷺ قال: أربعة أنا سمع الخلائق النبي ﷺ والحور العين والجنة والنار، فما من عبد يصلي علي النبي ﷺ أو يسلم عليه الا بلغه ذلك وسمعه، وما من أحد قال منهم: وحشي من الحور العين إلا سمعته وقلن: يا رب ان فلاناً خطبنا اليك فزوجنا منه

قوله ﷺ: وهو وأنا سمع يسمعون بها كلام الخلائق كلهم

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: ان لزوجة من أهل الجنة لسبعين خمسمائة حوراء وأربعة آلاف بكر مقصورة لا تنتهي يطيق كل واحدة منهن مقدار عمره في الدنيا.

أقول: والحور من أهل الجنة ثلاثة أصناف هن من نساء الدنيا وثلث هن أيضاً من ثيبات نساء الدنيا المؤمنات اللاتي تزوج بهن المتقون في الجنة، وأما المعانقة لكل واحد منهن مقدار عمره في الدنيا من حيث المدة فكان لمعانقة الواحدة في الجنة سبعون حقبة لمعانقة لزوجته في الدنيا

وفي رواية قال رسول الله ﷺ: ان الحور العين في الجنة تغني بحن الحور الحسان حينما لا يزوجن لزوجها.

وفي رواية عن أبي أمامة الباهلي قال رسول الله ﷺ: ما من عبد يدخل الجنة إلا ويجلس عند رأسه وعند رجليه ثنتان من الحور العين يغنينه بأحسن صوت سمعه الانس والجن، وليس بمزمار الشيطان، ولكن بتحميد الله وتقديسه.

وفي الدر المنثور: عن ابن عباس قال: لو ان إمرأة من نساء أهل الجنة بصقت في بحر لعذب ذلك البحر أحلى من العسل

وفي تفسير لباب التأويل عن علي ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: ان في الجنة لمجتمعاً للحور العين يرفعن بأصوات لم تسمع الخلائق مثلها

نقش نحن الخالدات فلا نمت ، ونحن الناعمات فلا نبأس ونحن الراضيات فلا نسخط ، طوبى لمن كان لنا وكنا له

وفي تفسير روح البيان: قال رسول الله ﷺ تقول حور العين في الجنة بالغناء : « نحن خيرات حسان خلقنا لأزواج كرام »

وروي أن وجوههن تقول « أنت لي وأنا لك لم ترعيناي مثلك »

وفي الخصال بإسناده عن إسحاق بن عمير عن جابر بن سمرة قال قال أبو عبد الله ﷺ ثلاث من كن فيه وجه الله من الحور العين كظم الغيظ ، والصبر على السيوف لله عز وجل ، ومن أشرف على مدينة من مدائن الشرك لله عز وجل

في الدر المنثور أخرج ابن أبي حاتم من طريق مسلم بن جعفر الحلبي قال سمعت أبا معبد الحبشي يقول سمعت ابن عباس رضي الله عنهما يقول قال النبي ﷺ والذي نفسي بيده إنهم إذا خرجوا من قبورهم يستقبلون بوقع نعل لها أخمصه عليها رجلان لذهب شراك نعالهم نور يتلألأ كل خطوة منها مد البصر فينتهون إلى شجرة ينبع من أصلها عينان فيشربون من إحداهما فيغسل ما في بطونهم من دنس ويغتسلون من الأخرى فلا تشعث أشعارهم ولا تغبر وجوههم بعدها أبداً وتجري عليهم نضرة النعيم فيأتون باب الجنة ،

فإذا خلفه من ياقوتة حمراء على مفاتيح الذهب فيضربون بالحلقة على الصفحة فيسمع لها طنين فيسمع الحور العين أن وجهوا قد أقبل فتسعى فيفتح له فإذا رآه خر له ساجداً فيقول ارفع رأسك إنما فتحنا وكنا بأمرك فيتبعه ويعلو أثره فتستخف الحوراء العجلة فتخرج من خيام الدر والياقوت ، حتى تعتنقه ثم تقول أنت حبي وأنا حبك وأنا الخالدة التي لا أموت وأنا الناعمة التي لا أبأس وأنا الراضية التي لا أسخط وأنا المقيمة التي لا أظعن فيدخل بيتاً من أسه إلى سقفه مائة ألف ذراع سقفه على عمد الدر واليواقيت ضرائح أصفر وأحمر وأخضر ليس منها طريقة تشاكل صاحبتها في البيت سبعون سريراً على كل سرير سبعون حشية على كل حشية سبعون زوجة على كل زوجة سبعون حلة يرى مخ

ساقها من بعض الحلق بعضي حملها في مقدار ليلة من ليالكم هذه لأنها من الجنة تعرد أنها من عند عيسى قال صدق لا كذب فيه وأنها من لبن لم تتغير نعمته

ولم يخرج من ضروع الشياه أنها في خمر بدّة للشاربين، فلم تعصرها الرجال، قدمها أنها من لبن مصفّى قال لم يخرج من بطون النحل فيستحلي لشاربه وإن شاء أكل وعداً وإن شاء أكل متكئاً ثم تلا «وردت عليهم ظلالها» الآية فتشهى الطعام فأتته طير نضيج وأتته قال أحضر فرفع أصبعها فأكل من جنوبها ثم الألوان كلها ثم بطنه فدهب فيدخل الملك فيقول «سلام عليكم بما صبرتم فنعم عقبى الدار» كنتم تعملون»

أقول: روى البحراني في البرهان قريباً منه عن أبي عبد الله عليه السلام

وفي المجمع، روى العياشي بالاسناد عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت له جعلت فداك أخبرني عن الرجل المؤمن يكون له المرأة مؤمنة في الجنة يتزوج أحدهما بعد الآخر فقال إن محمداً إن الله حكم عدل إذا كان هو أفضل منها خيّره فان اختارها كانت من أزواجه وإن كانت هي خيراً منه خيّرها فان اختارته كان زوجها قال أبو عبد الله عليه السلام

لا تقولن الجنة واحدة إن الله يقول «ومن دونهما جنتان» ولا تقولن درجة واحدة إن الله يقول «درجات بعضها فوق بعض» إنما تفاضل القوم بالأعمال الحسنة

وفي تفسير البرهان: بالاسناد عن موسى بن إبراهيم عن أبي الحسن موسى بن جعفر عليه السلام عن أبيه عن جده عليهم السلام قال قالت أم سلمة لرسول الله صلى الله عليه وآله بأبي أنت وأمي لمرأة تكون لها زوجان ويدخلون الجنة لأيهما تكون؟ قال لما هو سيدها تخيّر أنهما أحسن خلقاً وخيرهما لأهله يا أم سلمة إن حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخرة.

أقول: رواه الصدوق رضوان الله تعالى عليه في أماليه

وفي الكافي: بإسناده عن الحسين بن خالد قال: سألت أبا الحسن عليه السلام عن مهر السنة كم هو؟ فقال: إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيه أن لا تقرب مؤمن مائة بكرة مسحة مائة تسبيحة، تحمده مائة تحميدة، وتهلله مائة تهليلة، وتصلي على محمد وآل محمد مائة مرة، ثم تقول

اللهم إنك أوحيت من الحور العين إلى الآدميين خطاباً وجعل ذلك مهرهن ثم أوحى الله إلى نبيه صلى الله عليه وآله أن يسن مهور المؤمنات حسنائهم فجعل ذلك سواء، ثم إن الله تبارك وتعالى أوحى إلى نبيه حرمته فقال حسنائهم دراهم ولم يزد فقد بقي أن يستحق من الله عز وجل إلى آدمي حوراء

* مضار الحمة و التزاوج فيها *

الحمد لله الذي لم يتخذ ولدا ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذل وكبره تكبيرا والصلاة والسلام على أفضل الأنبياء والمرسلين محمد خاتم النبيين وعلى آله وصحبه أجمعين

في الدر المنثور عن سعد قال قال رسول الله ﷺ إن أهل الجنة إذا جامعوا النساء عدن بكرا

قال الله تعالى إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا الواقعة ٣٥ ٣٦

وفيه أيضا عن عطاء قال قال رجل يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا يدخلها عجوز فولت تبكي فقال أخبروها أنها لا تدخلها وهي عجوز

إن الله تعالى يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا

وفيه عن عائشة أن النبي ﷺ ذكر عجوزا من الأنصار فقال يا رسول الله ادع الله أن يدخلني الجنة فقال إن الجنة لا يدخلها عجوز فذهب يصلي ثم جاء فقال يا نبي الله لقد قبضت على الإسلام مسلمة فقال ﷺ إن الله يقول إنا أنشأناهن إنشاء فجعلناهن أبكارا

في تفسير كشف الأسرار قال ابن عباس في قول رسول الله ﷺ في قوله تعالى إن أصحاب الجنة اليوم في شغل فاكهون إن أحدهم ليفضي في الغداة الواحدة مائة عذراء فشغل أصحاب الجنة إفتضاض الأبكار

وفي رواية وأخر يومئ إلى الفرج وتحرك إلى الميزان وشهوتك إلى

الجنة، وراحتك إلى الآخره، ولذّتك الى الحور العين»

وفي الاحتجاج: من سؤال الزنديق الذي سئل الامام جعفر بن محمد عليه السلام عن مسائل

منها: قال: فكيف تكون العوراء في كلّ ما أردها وجها عذراء؟ قال لأنّها خلقت من الطّيب، لا تعتريها عاهة، ولا تخالط جسمها آفة، ولا يجري في تقلها شيء ولا يدنّسها حيض، ولا جماع متقدّم، إذ ليس فيه لسوى الاحلال مجرى، قال فهي تلبس سبعين حلّة، ويرى مخّ ساقها من وراء حللها وبدنها؟ قال نعم كما ترى أحدكم الدراهم اذا القيت في ماء صاف قدره قيد رمح

وفي نورالثقلين: بالاسناد عن أبي حمزه قال سمعت أبا عبد الله عليه السلام يقول لرجل من الشيعه أنتم للطّيبون وساؤكم للطيبات، كل مؤمنه حوراء عيناء، وكل مؤمن صديق الحور

وفي روضة الكافي: بالاسناد عن أبي بصير عن عبد الله عليه السلام قال ان في الجنه قصراً حفافه حور ناشئات قدام المؤمن باحداهن فأعجبته فتقلها فأنشأ الله عزوجل مكانها

وفي الاحتجاج: في كتاب محمد بن عبد الله الحميري الى صاحب الزمان عليه السلام سنة ثمان وثلاثين سئله فيه عن مسائل:

منها وسئل عن أهل الجنه يتوالدون اذا دخلوها أم لا؟ فأجاب الامام عليه السلام: ان الجنة لا حمل فيها للنساء، ولا ولادة ولا طمث، ولا نفاس ولا شقاء بالطفوليه، وفيها ما تشتهي الانفس وتلذ الاعين كما قال سبحانه فاذا اشتهى المؤمن ولداً خلقه الله بغير حمل ولا ولادة على الصورة التي يريد كما خلق آدم عبرة

وفي رواية عن أبي سعيد الخدري قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله: ان الرّجل من اهل الجنّة ليولد له الولد كما يشتهي، يكون حمله وفصاله وشبابه

في ساعة واحدة

كثيراً ما يسئل . ان الله تعالى صرح بمواضع كثيرة من كتابه المجيد ان المتقين يجزون بالجنة ونعيمها ، ولهم فيها حور وقصور ومنتهى أمنيتهم من المآل والمشارب والملابس وما إليها

ولا نجد فيه ما يشير إلى جزاء المؤمنات ، و جزاؤهن في نحو هذا الشأن والشأن وما كان للمتقين مع أن نساء الرجال في المراتب والأعمال أو ليس لهن جزاء أو جزاء غير ما للرجال ؟

والجواب ان الله جل وعلا صرح في كتابه بأنه لا يضيع عمل عامل ذكراً كان أو انثى فقال « أني لا أضيع عمل عامل منكم من ذكر أو انثى » آل عمران ١٩٥)

وقال جزاء في الجنة ومن دخلها فيه ومنتهى نعيمه وتلذذه عنده ذكراً أو انثى كل بحسبه وقدره

قال الله تعالى « ومن يعمل من الصالحات من ذكر أو انثى وهو مؤمن فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون نقيراً » النساء ١٢٤)

وقال « وعد الله المؤمنين و المؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ومساكن طيبة في جنات عدن » التوبة ٧٢)

وقال « يوم ترى المؤمنين و المؤمنات يسعى نورهم بين أيديهم وبأيمانهم بشراكم اليوم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ذلك هو الفوز العظيم » الحديد ١٢

نعم لم يذكر في حق النساء نحو ما بالعنان جارية على المألوف بين الناس حيث يقال للشاب لم لا تتزوج ومتى تتزوج ولا يقال ذلك للفتاة حيث يعد عليها الحياء

﴿ الأطفال يوم القيامة ﴾

ن لايات القرآنية تصرّح بأن الله تعالى يعذّب في النار الكافرين من المكلّفين جزاء وفاقاً على أعمالهم وكفرهم بالله تعالى وبرسله، وفعلهم ما نهوا عنه، فقال: ﴿ويل يومئذ للمكذّبين إلى - إنما تجزون ما كنتم تعملون﴾ (الطور ١١ - ١٦).

وتصرّح بأنّه جلّ وعلا يثيب في الجنة المؤمنين جزاء بما كانوا يعملون من الأعمال الصالحة، فقال: ﴿إنّ المتّقين في جنات ونعيم - إلى - بما كنتم تعملون﴾ (الطور ١٧ - ١٩).

وتشير إلى أنّ الذرية المؤمنة تلحق بآبائهم المؤمنين فقال: ﴿والذين آمنوا إلى - بما كسب رهين﴾ (الطور ٢١).

واختلفت أنظار المفسرين والعلماء والمتكلمين في الأطفال الذين لم يبلغوا حدّ التكليف فما هو مصيرهم؟ هل يأخذهم الله بعذابه لأنهم لم يؤمنوا ولم يعملوا فيعذّبهم يوم القيامة أم يدخلهم في الجنة من غير عمل

فذهبت الأشاعرة إلى جواز أن يعذّبهم الله تعالى يوم القيامة بالنار، واستدلّوا على ذلك بأنّ الله يوصل إليهم الآلام في الحياة الدنيا بالأمراض وغيرها ولا تأثير لعدله فيصح أن يفعل بهم ذلك في الآخرة

وذهبت المعتزلة إلى أنّ الأطفال لو كانوا من أطفال المؤمنين فيلحقون بآبائهم تبعاً لهم ولو كانوا من أطفال الكافرين فيدخلون في الجنة وهم خدم لأهلها بلا إبتلاء لهم يوم القيامة

وتوقّف بعض علماء العامّة ومنهم أبو حنيفة إذ قال: لاأدري أهم في الجنّة

أم في الد

وأما الشيعة الامامية الاثنى عشرية فذهبوا إلى أنّ الاطفال يوم القيامة تكليفاً ما فيبتلون به، فان أطاعوا دخلوا الجنة ومن أبو دخلوا النا

وهم يستدلّون على ذلك بطريق العقل والنقل

أمّا العقل فيرى أنّ التعذيب هو إيصال التعذيب إلى الغير والعذاب هو الضرر الخالص المستحق على طريق الاستحقاق ولايكون هذا الا على المكلفين الذين إستحقوا العقوبة بمخالفتهم فيما كلفوا به

ومن التعذيب في ذلك ما يفعله الله تعالى بالأطفال المستحقون، فيحكم بأن الله تعالى لما أمر بالمستحقة وكان الذي يفعله الله تعالى عليه من بشاعة وقبح لاعذاب إلا مستحقة، فان كان الذي يفعله الله تعالى بالأطفال مستحق لامرين لاعذاب وشرط لعوض.

ولو تعذّب الله تعالى بغير ذنب لكان فعله ظلماً وظلم قبيح لايجوز على الله وحكمته في ذلك يستوي فيه الناس لأنّ أحكام الأفعال تختلف بقبحها لا بفاعليها

وأما النقل فقد ذهب الامامية على طريق أئمتهم هل البيت عليهم السلام انّ الأطفال توضع لهم يوم القيامة نار فيؤمرون باقتحامها فمن اقتحمها دخل الجنة ومن أبى دخل النا

ومن الروايات التي الفوا صون به تعالى عليه في الحصل باسناده عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام إذا كان يوم القيامة إحتجّ الله عزّ وجلّ على خمسة: على الطفل والذي مات في التشيش، والذي أدرك النبي وهو لايعقل، والابله والمجنون الذي لايعقل، فأما الطفل فانه يؤتى يوم القيامة فيحتجّ على الله عزّ وجلّ فيقول ياربّ هذا سمعت منّا إليهم سؤلا فمالحجّ لهم ربّاً فيقول لهم ربّكم يأمركم أن تثبوا فيها فمن وثب فيها كانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق إلى النا

ومنها في التوحيد باسناده عن عبد الله بن سلام مولى رسول الله ﷺ انه قال سئلت رسول الله ﷺ فقلت أخبرني ايعذب الله عز وجل خلقاً بلا حجة؟ قال معاذ الله! قلت فأولاد المشركين في الجنة أم في النار؟ فقال الله تبارك وتعالى أولى بهم انه إذا كان يوم القيامة وساق الحديث إلى ان قال - فيأمر الله عز وجل ناراً يقال لها العنق أشد في نار جهنم عذاباً، فتخرج من مكانها سوداء مظلمة بالسلاسل والاغلال فيأمر الله عز وجل ان تتبع في وجوه الخلائق فتحه فتسفع فمن شدة سخطها تتقطع السماء وتطمس النجوم وتحمد البحار وتزول الجبال وتظلم الابصار وتضع الحوامل حملها وتشيب الولدان من هولها يوم القيامة فيأمر الله تعالى فيقال المشركين التقوا أنفسهم في تلك النار، فمن سبق له في علم الله عز وجل ان يكون سعيداً لعبي نفسه فيها فكانت عليه برداً وسلاماً كما كانت على إبراهيم عليه السلام، ومن سبق له في علم الله تعالى ان يكون شقياً إمتنع فلم يتق نفسه في النار فيأمر الله تعالى النار فتتقطعه لتركه امر الله وإمتناعه من الدخول فيها فيكون تبعاً لآبائه في جهنم

وأما أحوال الاطفال في يوم القيامة فمختلفة باختلاف سيرتهم الدنيية والاخروية، فمنهم من تعهدهم فاطمة عليها السلام، ومنهم من يحضنهم ابراهيم عليه السلام ومنهم من ترشيهم سارة عليها السلام، ومنهم من يلهون كما يلهى من لم يحتلم عليه بالكفر والايمان عند الموت على ما ورد فيه من الروايات

وفي نوادر الراوندي باسناده عن موسى بن جعفر عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ لا تزوجوا الحمقاء الجميلة فان الدين لا يعصمكم الامم يوم القيامة، أو ما علمت ان الولدان تحت عرش الرحمن يستغفرون لابائهم يحضنهم إبراهيم عليه السلام وترشيهم سارة عليها السلام في حبر من مسك وعنبر وزعفران وأما الذين لم يلحقوا آبائهم لكفرهم فينسى الله تعالى الآباء عن ذكرهم.

وفي الاحتجاج من سؤال الزنديق الذي سئل الامام جعفر بن محمد ﷺ

عن مسائل

منها قال فكيف ينعّم أهل الجنّة مع فقد من النعم ومنهم أحد إلاّ وقد افتقد إبنه أو ابنه أو حميمه أو امّه ؟ فاذا افتقدوهم في الجنّة لم يشكّوا في مصيرهم إلى النار ، فما ينعم بالنعيم من يعلم أنّ حميمه في النار يعذّب ؟

قال الامام عليه السلام إنّ أهل العلم قالوا إنّهم ينسون ذكرهم ، وقال بعضهم: إنتظروا قدومهم و رجوا أن يكونوا بين الجنّة و النار في أصحاب الاعراف .

﴿ كلام في الذرية ﴾

قال الله تعالى : « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان ألحقنا بهم ذرّيتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين » (الطور ٢١)

إنّ لاحقية الذرية بآبائهم في الجنّة إنما يعمهم بعمل من عن نفس منوطة الأمر وجزائهم في الجنة

فلا بدّ لنا من البحث في المقام ما يسعه

الذرّيّة : سلالة الانسان من الذكور والاناث فهي له أعقاب ونسل صغاراً كانوا أو كباراً، أمّ الصغار فيحكم عليهم بالايمان تبعاً لآبائهم فيلحقون بآبائهم بعد امتلائهم في الآخرة بالاتباع

وأمّا الكبار فيلحقون بآبائهم في الجنّة بسبب إيمانهم وصالح عملهم المعتبر في الحياة الدنيا وإن كانوا أدون درجة منهم فيها

وهذا يرجع إلى المؤمنين في الجنّة أن يكرم من أجلهم ذرّيتهم المؤمنين ويجمع شملهم فيها، كما إجتمع شملهم في الدنيا، وبهذا تقرّ أعينهم، ويكمل سرورهم

وهذا الالحاق الأدبي بالاعلى إحسان من الله جلّ وعلا الى الآباء والذرّية جميعاً فيصيرون في الجنّة كأنهم أسرة واحدة

في شواهد التنزيل . للحاكم الحسكاني بإسناده عن محمّد بن مسلم عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام في قوله : « واتبعتهم ذرّيتهم بإيمان » قالا : يلحق أعمال آبائهم كذا ويحفظ الأطفال بأعمال آبائهم كما حفظ الله الغلامين بصلاح أبيهما

وفيه عن بعض رجاله رفع الله للمسلم درجة وإن كان درجته في العمل ليقر بذلك عينه، ثم قرأ ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ الآية.

وفيه عن عبد الله في قوله ﴿ألحقنا بهم ذريتهم﴾ قال: الرجل يكون له المقدم فيدخل الجنة وله ذرية فيرفعون إليه ليقر بهم عينه ولم يبلغوا ذلك.

وفيه عن أبي عمران الحوني في قوله تعالى: أن العبد يكون له درجة في الجنة لا يبلغها بعمله وله ذرية دونه فيرفعون معه في درجته لكرامته لمؤمن على الله ليقر الله عينه، وتلا لهم بهذه الآية ﴿ثم قرأ الآية﴾.

وفي الخصال، بإسناده عن [illegible] جعفر [illegible] قال: كان فيما احتج الله عز وجل على جميع خلقه على اختلاف قدرهم في السن: الذي أدرك النبي وهو لا يعقل وولد في وقته، والمجنون الذي لا يعقل، والأصم والأبكم وكل واحد منهم يحتج على الله عز وجل [illegible] فيبعث الله لهم رسولاً فيحتج لهم جميعاً فيقول لهم: ائتوا كم أن تدخلوا فيها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً ومن عصى سيق إلى النار.

قال الصدوق رحمه الله عقيب هذا: قد توهم من أضعف الكلام ممن لا يعلمون بما يقولون أنه لا يجوز أن يكون في دار الجزاء تكليف وأن الجزاء للمؤمنين إنما هي الجنة وأن الجزاء للكافرين إنما هي النار، فكيف يكون هذا مع قول الله عز وجل في سورة الجن: ﴿فلا يخاف بخسا ولا رهقا﴾ ثم يضاعف لهم الثواب الذي يستحقونه بطاعتهم أو معصيتهم فلا وجه لانكار ذلك ولا قوة إلا بالله.

وفي الكافي، بإسناده عن [illegible] سئل أبو جعفر عليه السلام هل سئل رسول الله صلى الله عليه وآله عن الأطفال فقال: قد سئل فقال: الله أعلم بما كانوا عاملين ثم قال يا [illegible] هل تدري ما قوله الله أعلم بما كانوا عاملين؟ قلت: لا قال: الله عز وجل فيهم لمشيته أنه إن كان يوم القيامة التي [illegible] لأطفال والشيخ الكبير الذي قد أدرك السعي ولم يعقل من الكبر والخرف، والذي مات في الفترة بين النبيين، والمجنون والأبله الذي لا يعقل فكل واحد يحتج على الله عز وجل فيبعث الله تعالى إليهم

ملكاً من الملائكة ويؤخر ذلك فقولوا ان سلام يأمركم أن تشوا فيها فمن وثق فيها كانت عنده برداً وسلاماً ومن عدد سوى ذلك

وفيه بسنده عن أبي عمير عن هشام عن أبي عبد الله عليه السلام عمن مات في الفترة، ومن لم يدرك الحنث والمعتوه فقال يحتج الله عليهم يرفع لهم ناراً فيقول لهم ادخلوها فمن دخلها كانت عليه برداً وسلاماً، ومن أبى قال هأنتم قد أمرتكم فعصيتموني

قوله عليه السلام والمعتوه، من به عقله

ذرية النبي الكريم ﷺ و آله و أهله

و عترته و أولاده

و قد حث [illegible] و العترة أهل [illegible]

١ - في معاني الأخبار [illegible] عن أبي عبد الله [illegible] و آله محمد [illegible] قال قلت [illegible] أشد لعنا [illegible]

٢ - في أمالي الصدوق [illegible] قال أبو عبد الله [illegible] قال أبو عبد الله ﷺ من آل محمد [illegible] قال [illegible] قال آل محمد [illegible] قال [illegible] المقصوبون الذين [illegible] عليهم السلام

٣ - في العلل [illegible] مجلس المأمون [illegible] و قد إجتمع في مجلسه جماعة من علماء أهل العراق و خراسان فقال المأمون [illegible] أصطفاه من عباده، فقالت العلماء أراد الله عز و جل بذلك الأمة كلها

فقد المأمون ما تقول في أن الحسن؟ فقال الرضا عليه السلام: لا أقول كما قلتم، ولكني أقول: أراد الله عز وجل بذلك العترة الطاهرة.

فقال المأمون: وكيف صارت العترة من دون الأمة؟ فقال له الرضا عليه السلام: لو أراد الأمة لكانت مجتمعة في الجنة لقول الله عز وجل: «فمنهم ظالم لنفسه ومنهم مقتصد ومنهم سابق بالخيرات بإذن الله ذلك هو الفضل الكبير» ثم جمعهم كلهم في الجنة فقال: «جنات عدن يدخلونها يحلون فيها من أساور من ذهب» الآية فصارت الوراثة للعترة الطاهرة لا لغيرهم.

فقال المأمون: من العترة الطاهرة؟ فقال الرضا عليه السلام: الذين وصفهم الله في كتابه فقال عز وجل: «إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيراً» وهم الذين قال رسول الله صلى الله عليه وآله: إني مخلف فيكم الثقلين كتاب الله وعترتي أهل بيتي لا وإنهما لن يفترقا حتى يردا علي الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما أيها الناس لا تعلموهم فإنهم أعلم منكم.

فقال العلماء: أخبرنا يا أبا الحسن عن العترة هم الآل أم غير الآل؟ فقال الرضا عليه السلام: هم الآل. فقالت العلماء: فهذا رسول الله صلى الله عليه وآله يؤثر عنه أنه قال: أمتي آلي وهؤلاء أصحابه، يقول: بالخبر المستفيض الذي لا يمكن دفعه: آل محمد أمته.

فقال أبو الحسن عليه السلام: هذا يحتاج أن تعلموا فيه على الآل؟ ولو علم أنهم آله لحرم عليهم الصدقة؟ ولو لا أن آل محمد هم الذين هم منه لما جاز أن يدعى رسول الله صلى الله عليه وآله أحداً من الناس أبا غير علي عليه السلام إذ يقول: أنتم قوم مستورون؟

أما علمتم أنه وقعت الوراثة والطهارة على المصطفين المهتدين دون سائرهم؟

قالوا: ومن أين قلت يا أبا الحسن؟ قال: من قول الله عز وجل: «ولقد أرسلنا نوحاً وإبراهيم وجعلنا في ذريتهما النبوة والكتاب فمنهم مهتد وكثير منهم فاسقون» فصارت وراثة النبوة والكتاب للمهتدين دون الفاسقين.

أما علمتم أن نوحاً عليه السلام حين سئل ربه فقال: رب إن ابني من أهلي

... وإن وعدك لحق وأنت حاكم بحكمك؟

وذلك أن الله عز وجل ... فقال له ربه عز وجل ... يا نوح إنه ليس من أهلك إنه عمل غير صالح فلا تسألن ما ليس لك به علم إني أعظك أن تكون من الجاهلين؟

فقال المأمون: هل فسّر هذا لعامة بني هاشم؟ فقال أبو الحسن عليه السلام: إن الله عز وجل أدب رسوله في مواضع كثيرة من كتابه فقال له: ... فقال المأمون: أين ذلك من كتاب الله؟

قال له الرضا عليه السلام: في قوله عز وجل: إن الله اصطفى آدم ونوحاً وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض.

وقال عز وجل في موضع آخر: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتيناهم ملكاً عظيماً؟

ثم قال: اصطفاه على أثر هذه الآية التي سألت المؤمنين فقال: يا أيها الذين آمنوا أطيعوا الله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم، يعني الذين قرنهم بالكتاب والحكمة وحسدوا عليهم.

فقوله عز وجل: أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله فقد اصطفى آل إبراهيم الكتاب والحكمة وآتاهم ملكاً عظيماً، يعني النبوة للمصطفين الطاهرين، فذلك ههنا هو الفضل العظيم.

وفي احقاق الحق ... عن علي بن الحسين عليه السلام أنه قال: إن كل صمت ليس فيه فكر فهو عي، وكل كلام ليس فيه ذكر فهو هذيان إلا أن الله عز وجل ذكر أقواماً بآبائهم فحفظ الأبناء بالآباء.

قال الله تعالى: «وكان أبوهما صالحاً»، ولقد حدثني أبي عن آبائه أنه كان التاسع من ولده ونحن عترة رسول الله صلى الله عليه وآله وحفظوه لرسول الله صلى الله عليه وآله، قال الراوي: فرأيت الناس يكون من كل ...

ألمة أهل البيت و ذرية
النبي الكريم صلوات الله عليهم أجمعين

وقد أورد أعلام العامة روايات كثيرة في مآخذهم : ان ألمة أهل البيت عليهم السلام هم ذرية رسول الله الخاتم ﷺ

منها ـ ما رواه الشيخ عبد الله بن محمد السراوي المصري في الاتحاف بحب الاشراف ص ٥٤ ط مصر) قال

دخل موسى الكاظم عليه السلام على الرشيد فقال له : ألم زعمتم أنكم أقرب إلى رسول الله منّا ؟ فقال له : لو كان رسول الله حيّاً فخطب إليك كريمتك هل كنت تجيبه ؟ قال : سبحان الله ! وكنت أفتخر بذلك على العرب و العجم ، فقال له : لكنه لا يخطب إليّ ولا أزوّجه ، لانه ولدني ولم يلدكم

وسئله أيضاً لم قلتم : إنّ ذرية رسول الله وجوّزتم لنا أن ننسبكم إليه وأنتم بنو علي عليه السلام وانما ينسب الرجل لابيه

فقال : أعوذ بالله من الشيطان الرجيم بسم الله الرحمن الرحيم

« ومن ذرّيته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين وزكريّا ويحيى وعيسى وإلياس » وليس لعيسى أب وانما لحق بذرّية الانبياء من قبل أمّه ولذلك ألحقت بذرّية النبي ﷺ من قبل امّنا فاطمة

قال تعالى « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونسائنا ونسائكم وأنفسنا وأنفسكم » ولم يدع ﷺ عند مباهلة النصارى غير علي وفاطمة والحسن والحسين وهما الابناء

رواه جماعة منهم بأدنى تغيرات

١ - ابن حجر في (الصواعق ص ١٢١ ط الميمنية بمصر)

٢ - القرماني في (أخبار الدول ص ١٢٣ ط بغداد) ولكنه ذكر بعد قوله «وسلم تسليماً» ثم قال «هل كان يجوز له ﷺ أن يدخل على حرمك وهن مكشفات؟ فقال لا لكنه كان له أن يدخل على حرمي ويجوز له ذلك، فكذلك نحن أقرب إليه منكم

٣ - المحدث الحافظ الشيخ محمد خان الدهلوي في (مفتاح النجا ص ١٧٤)

٤ - السيد في (الكوكب الدرية ج ١ ص ١٧٢ ط الأزهرية بمصر).

وغيرها من الروايات التي تركناها للاختصار

وقد ورد عن طريق الشيعة الإمامية اثنى عشرية فكثيرة

منها في الصادق (ابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه: قرأ أبو عبد الله عليه السلام قوله تعالى «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» ثم أومأ عليه السلام إلى صدره فقال نحن ذلك ذريته رسول الله صلى الله عليه وآله

ومنها في رواية الكافي بإسناده عن عبد الله بن وليد الوصافي قال دخلنا على أبي عبد الله عليه السلام في نفر من مواليه فقال من أنتم؟ فقلنا من أهل الكوفة، فقال ما من بلدة من البلدان أكثر محباً لنا من أهل الكوفة، ولا سيما هذه العصابة التي خرج إليكم أميرها لأمر جهله الناس، وأحسنوا وأبغض الناس، تبعتمونا وخالفنا الناس وصدقتمونا وكذبنا الناس، فأحياكم الله محيانا، وأماتكم الله مماتنا، وشهد على أبي أنه كان يقول

ما ينبغي لأحدكم ولا يسعه أن يرى ما يقر الله به عينه، وأن يغتبط إلا أن تبلغ نفسه هذه - وأهوى بيده إلى حلقه - وقد قال الله عز وجل في كتابه «ولقد أرسلنا رسلا من قبلك وجعلنا لهم أزواجاً وذرية» فنحن ذرية رسول الله صلى الله عليه وآله.

ومنها في تحف العقول - من كلام الإمام موسى بن جعفر عليه السلام مع

هارون الرشيد في حبر طويل قال الرشيد ما لكم لا تنسبون إلى علي عليه السلام وهو أبوكم وتنسبون إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وهو جدكم؟ فقال موسى عليه السلام إن الله تبارك وتعالى خص المسيح عيسى بن مريم عليه السلام الى حيث براه الله عليه السلام بمنه مريم لكر البتول التي لم يمسسها بشر وفي قوله تعالى ومن ذريته داود وسليمان وأيوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك يجزي المحسنين وزكريا ويحيى وعيسى وإلياس كل من الصالحين، فنسبه بأمه وحدها الى خليله ابراهيم عليه السلام

كما نسب داود وسليمان بأمهما وموسى وهارون عليهم السلام بأمهم ومنهم نسبه لعيسى عليه السلام وصيره ذريعة دعوته وحجته وذلك قوله في قصة مريم عليها السلام وإن الله اصطفاك وطهرك واصطفاك على نساء العالمين، بالمسيح من غير بشر وكذلك تحقق الله قصته عليها السلام ومنها اصطفاها على نساء العالمين بالحسن ابن الحسن سيدي ومن أهل البيت

ومنها في تفسير القمي عن أبي بصير قال الصادق عليه السلام: إن قلت لكم في الرجل منا قولا فلم يكن فيه وفاء في ذا فلعله أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك ان الله تعالى أوحى إلى عمران بن ماهث إني واهب لك ذكرا أسمر كأن يريد عالما كما في الأرض ويحيي الموتى بإذني فجعله رسولا إلى بني اسرائيل فحدث بذلك امرأته حنة وهي أم مريم فلما حملت بها كان حملها عند نفسها غلاما فلما وضعتها انثى قال

رب إني وضعتها انثى وليس الذكر كالانثى، لأن بني لا تكون رسولا يقول الله والله أعلم بما وضعت فلما وهب الله لمريم عيسى كان هو الذي بشر به عمران ووعده إياه فإذا قلنا لكم في الرجل منا شيئاً فكان في ولده أو ولد ولده فلا تنكروا ذلك الخير.

أقول رواه العياشي في تفسيره عن جابر عن الباقر عليه السلام

وفي تفسير الكاشف: في قوله تعالى «أولئك الذين أنعم الله عليهم من النبيين» ـ الخ قال ان المراد بذرية إبراهيم إسحق وإسمعيل ويعقوب واسرائيل

هو يعقوب وهو ولد ولده موسى وهارون وزكريا ويحيى وعيسى من جهة الأم.

وذلك ان مريم ولدت عيسى كما ورد قطع من يوسف عليه السلام ولكنه وصل الى درجة يعقوب بطريق امه فأنبياء بني اسرائيل كلهم ولد يعقوب من ناحية الام.

وفي الكافي «اعلم أن الله تعالى ذكره في التوحيد» لعلل «قال» أهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم» وفي النوادر والامامة: «قل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم» وفي الشرعة «قل تعالوا أتل ما حرم ربكم»

وقد أجمع المفسرون بأن الله سبحانه لما سمى الحسن والحسين قال أبو بكر الرازي هذا يدل على أنهما أبناء رسول الله صلى الله عليه وآله لان الله يعلم على تحقيقه

ومن العامة الحاكم الحسكاني في شواهد التنزيل باسناده عن أبان بن تغلب قال سألت جعفر بن محمد عن قول الله تعالى «الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» واجعلنا للمتقين إماما» قال نحن هم أهل البيت

وفيه: باسناده عن أبي سعيد الخدري «في الآية» هذا لنا «قال النبي صلى الله عليه وآله قلت له خبرني «من أي شجرة» خلق الله شجرتنا «وفي» ومن «ذرياتنا» قال فاطمة «وقرة أعين» قال الحسن والحسين «واجعلنا للمتقين إماما» قال علي عليه السلام

في شرح ابن أبي الحديد من كلام له عليه السلام في بعض أيام صفين حين أراد ابنه الحسن عليه السلام يشرع إلى الحرب: «املكوا عني هذا الغلام لا يهدني فإني أنفس بهذين على الموت لئلا ينقطع بهما نسل رسول الله صلى الله عليه وآله»

فان قلت: كيف يجوز أن يعد الحسن والحسين وولدهما أبناء رسول الله وولد رسول الله وذريته رسول الله وهم ليسوا رسول الله صلى الله عليه وآله؟ قلت: نعم لان الله سماهم أبناءه في قوله تعالى «ندع أبناءنا وأبناءكم» ونحن على الحسن والحسين ولو أوصى لولد فلان يدخل فيه أولاد البنات وسمى الله تعالى عيسى بن مريم ولم يختلف أهل اللغة في أن ولد البنات من نسل الرجل

قال قلت

فما تصنع بقوله تعالى «ما كان محمد أبا أحد من رجالكم» قلت: سئلت عن ابوّته لابراهيم بن مارية وكلّما يجيبه عن ذلك فهو جوابي عن الحسن والحسين عليهما السلام والجواب الشامل للجميع أنّه عنى زيد بن الحارثة لانّ العرب كانت تقول لزيد بن محمد على عادتهم في تبنّي العبيد فأبطل الله تعالى ذلك ونهى عن سنّة الجاهليّة. وقال إنّ محمداً ليس أباً لواحد من الرجال الذكور ممّن تبنّى وذلك لا ينفي كونه أبا لاولاد لم تلده النساء كالرجال كابراهيم وحسن وحسين عليهم السلام

وفي البحار قال رسول الله ﷺ معاشر النّاس ذرّيّة كلّ نبيّ من صلبه وذرّيّتي من صلب عليّ عليه السلام

وفي كنز الفوائد في خبر يحيى بن يعمر العدواني مع الحجّاج: قال الشعبي كنت بواسط وكان يوم أضحى فحضرت صلاة العيد مع الحجّاج فخطب خطبته ثمّ انصرف فجاءني رسوله فأتيته فوجدته جالساً متوفزاً أي قعد غير مطمئن كأنّه يتهيّأ للوثوب فقال لي الشعبي هذا يوم أضحى وقد أردت أن أضحي فيه برجل من أهل العراق وأحببت أن تسمع قوله فتعلم أنّي قد أصبت الرأي فيما فعلت قد فعلت

أيّها الأمير أو ترى أن تسنّ سنّة رسول الله ﷺ وتضحي بما أمر أن يضحّى به، وتعفي عمّا عفا عنه وتدع ما أحببت أن تفعله به في هذا اليوم العظيم إلى غيره؟

فقال يا شعبي إنّك إذا سمعت ما يقول صوّبت رأيي فيه لكذبه على الله وعلى رسوله وإدخاله الشبهة في الاسلام

قلت أفيرى الأمير أن يعفيني من ذلك؟ قال لابدّ منه ثمّ أمر بمطرح فبسط وبالسيّاف فحضر وقال احضروا الشيخ فأتوا به فاذا هو يحيى بن يعمر فاغتممت غمّاً شديداً وقلت في نفسي وأيّ شيء يقوله يحيى عمّا يوجب قتله؟ فقال له

الحجّاج : أنت تزعم أنّك زعيم العراق ؟ قال يحيى : أفقيه من فقهاء أهل العراق قال : فمن أيّ فقهك زعمت ان الحسن والحسين من ذرّيّة رسول الله ﷺ ؟

قال : ما أراك راعم ذلك يا فتى قال : وبأيّ حق قلته ؟ قال : بكتاب الله عزّ وجلّ فنظر إليّ الحجّاج وقال : اسمع ما يقول فانّ هذا مما لم أكن سمعته عنه . تعرف أنت في كتاب الله عزّ وجلّ انّ الحسن والحسين من ذرّيّة محمد رسول الله ؟

فجعلت افكر في ذلك فلم أجد في القرآن شيئاً يدلّ على ذلك ، فكبر الحجّاج عليّ ثم قال ليحيى : لعلّك تريد قول الله عزّ وجلّ : « فمن حاجّك فيه من بعد ما جاءك من العلم فقل تعالوا ندع أبناءنا وأبناءكم ونساءنا ونساءكم وأنفسنا وأنفسكم ثمّ نبتهل فنجعل لعنة الله على الكاذبين » ؟

« ان رسول الله ﷺ خرج لمباهلة ومعه عليّ وفاطمة والحسن والحسين » قال الشعبيّ : فكأنما أهدي إليّ فلس سرور أوقات في نفسي وقد جعل يحيى وكان الحجّاج حافظاً للقرآن

فقال له يحيى : والله انّك لتجد في ذلك بليّة ولكن ليس منها احتجّ لما قلت فصعّد وجه الحجّاج وصوّب مليّاً ثم رفع رأسه إلى يحيى وقال له : إن أنت جئت من كتاب الله بعرفه في دارك فلك عشرة آلاف درهم وإن لم تأت به ففي حلّ من دمك ؟ قال : نعم . قال الشعبيّ : فعجبت من قوله وقلت : أما كان في الذي ترع به الحجّاج ما يحتجّ به يحيى ويريد ذلك قد عرفه وسبقه إليه ويتخلّص منه حتّى ردّ عليه وفحمه قال جعفر بن محمد : هذا شيء لم أزل ندخل عليه من القول ما نبطل به حجّته لئلاّ يدعي به قد علم ما قد جهله هو

فقال يحيى للحجّاج : قول الله عزّ وجلّ : « ومن ذرّيّته داود وسليمان » من عنى بذلك ؟ قال الحجّاج : ابراهيم ، قال : فداود وسليمان من ذرّيّته قال : نعم قال يحيى : ومن منّ الله عليه بعد هذه الآية من ذرّيّته فقرأ الحجّاج « وأيّوب ويوسف وموسى وهارون وكذلك نجزي المحسنين »

قال يحيى ومن قال ذكر زكريا ويحيى وعيسى ؟ قال يحيى ومن أين كان عيسى من ذرية ابراهيم ولا أب له ؟ قال من قبل مريم .

قال يحيى فمن أقرب ؟ مريم من ابراهيم أم فاطمة من محمد ﷺ وعيسى من ابراهيم أم الحسن والحسين من رسول الله ؟

قال الشعبي : فكأنما ألقمه حجراً فقام فشقوه فنحمد الله وادعوا إليه عشرة آلاف درهم لابارك الله له فيها ثم قمن علي فقال قد كان رأيك صواباً ولكن أبيناه ودعا بحزور فنحره وقام فدعا بالطعام فأكل وأكلت معه ومن تكلم بكلمه حتى انصرف ولم يزل معه حتى مات يحيى بن يعمر وحتى أتى ساكناً على عبط

﴿ في فضل ذرية النبي الكريم ﷺ ﴾

إعلم أن الروايات الواردة في فضل ذرية رسول الله محمد ﷺ كثيرة جداً نشير إلى بعضها في المقام

١ ـ في أمالي الصدوق رضوان الله تعالى عليه بإسناده عن الحسن بن خالد عن أبي الحسن علي بن موسى الرضا عليه السلام قال: قلت لي يا ابن رسول الله بلغني عنك عادة فقال لي وما هي يا ابن رسول الله بلغني أنك تقول إن لأنفع شفاعتي يوم القيامة لمن أخر الصلاة عمداً فقال ليس هكذا أقول إنما أقول إن أنفع شفاعتي يوم القيامة لمن استخف بصلاته وبذرية النبي ﷺ عمداً

٢ ـ وفيه بإسناده عن خالد البرقي عن الصادق جعفر بن محمد عن أبيه عن آبائه عليهم السلام قال قال رسول الله ﷺ إذا قمت المقام المحمود تشفعت في أصحاب الكبائر من أمتي فيشفعني الله فيهم والله لا تشفعت فيمن آذى ذريتي

٣ ـ في الكشاف لابن شهر آشوب عن ابن عباس في قوله تعالى « قل الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى » قال هم آل محمد صلى الله عليه وآله علي بن أبي طالب وفاطمة والحسن والحسين وأولادهم إلى يوم القيامة هم صفوة الله وخيرته من خلقه

٤ ـ في تحف العقول في وصيته الإمام علي ﷺ لابنه الحسن عليه السلام قال الله الله في ذرية نبيكم لا يظلمن بين أظهركم وأنتم تقدرون على المنع عنهم.

٥ ـ في إحقاق الحق من كلام الإمام علي بن موسى الرضا ﷺ لأخيه زيد حين جاء زيد لعلة عرفت قول أهل دار الطشت بالكوفة ان فاطمة عليها السلام أحصنت فرجها فحرم الله ذريتها على النار اندرى لمن ذلك انما هو للحسن والحسين يا زيد لئن كانا أطاعتهما وطهرتهما تدخلان الجنة وتدخلها انت

معصيتك بك لحير منهما

٦ - في أمالي الصدوق رحمة الله تعالى عليه باسناده عن ابي بصير عن أبي عبدالله الصادق عليه السلام قال : إذا كان يوم القيامة جمع الله الاولين والآخرين في صعيد واحد فتبعثهم ظلمة فيضجون الى ربهم ويقولون : يا رب اكشف عنا هذه الظلمة قال فيمشي قوم بمشي الوديين اليهم قد جاء من القيامة فيقولوا اهل الجمع هؤلاء انبياء الله فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بانبياء فيقول اهل الجمع فهؤلاء ملائكة فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء بملائكة

فيقول أهل الجمع هؤلاء شهداء ، فيجيئهم النداء من عند الله ما هؤلاء شهداء فيقولون من هم ؟ فيجيئهم النداء يا أهل الجمع سلوهم من أنتم ؟ فيقولون أهل الجمع من أنتم ؟ فيقولون : نحن العلويّون نحن ذرّية محمد رسول الله نحن أولاد علي عليه السلام ولي الله ، نحن المخصوصون بكرامة الله ، نحن الآمنون المطمئنّون ، فيجيئهم النداء من عند الله عزّ وجلّ شفعوا في محسنكم وأهل مودّتكم وشيعتكم فيشفعون فيشفعون

٧ - وفيه باسناده عن ابن عبّاس قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أشدّ الانبياء والمرسلين فصل من الملائكة المقربين وأشدّ نبي بعدي نبي من بني اسرائيل وذرّيتي أفضل ذرّيات النبيين والمرسلين بعدي

٨ - في عيون أخبار الرضا باسناده عن دعبل بن عليّ عن الرضا عن آبائه عن علي عليه السلام قال قال رسول الله صلى الله عليه وآله أربعة أنا لهم شفيع يوم القيامة لاكرام لذرّيتي من بعدي و لقاضي لهم حوائجهم والساعي لهم في امورهم عند إضطرارهم والمحبّ لهم بقلبه ولسانه

٩ - في المناقب لابن شهر آشوب رضوان الله تعالى عليه قال الله تعالى « والذين آمنوا واتبعتهم ذرّيّاتهم بايمان » ، قال ولا اتّباع أحسن من اتّباع الحسن والحسين وقال تعالى « ألحقنا بهم ذرّياتهم » فقد ألحق الله بهما ذرّيّتهما برسول الله صلى الله عليه وآله وشهد بذلك كتابه فوجب لهم الطاعة لحقّ الامامة مثل ما وجب

للنبي ﷺ لحق النبوة. وقال تعالى حكاية عن حملة العرش:

«الذين يحملون العرش ومن حوله يسبحون بحمد ربهم ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شيء رحمة وعلماً فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك وقهم عذاب الجحيم ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم ومن صلح من آبائهم وأزواجهم وذرياتهم إنك أنت العزيز الحكيم وقهم السيئات».

وقال أيضاً: «الذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» ولا يسبق النبي ﷺ في قلبه وليس أحق بهذا الدعاء بهذه الصفة منه وذريته فقد وجب لهم الامامة

وفيه: عن سعيد بن جبير في قوله تعالى: «والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا قرة أعين» قال: والله ما نزلت هذه الآية إلا والله خاصة في أمير المؤمنين عليه السلام قال: كان أكثر دعائه يقول: «ربنا هب لنا من أزواجنا» يعني فاطمة «وذرياتنا» الحسن والحسين «قرة أعين» وقال أمير المؤمنين عليه السلام: والله ما سألت ربي ولداً ذكراً إلا سألته ولداً حسن الصفة وإن سألت ربي ولداً مطيعاً لله خائفاً وجلاً منه حتى إذا نظرت إليه وهو مطيع لله قرت به عيني

١٠ ـ في كنز الفوائد للكراجكي قدس سره بإسناده عن جعفر بن محمد عن أبيه عليهما السلام قال: إذا كان يوم القيامة نادى منادٍ من لدن العرش: يا معشر الخلائق غضوا أبصاركم حتى يمر فاطمة بنت محمد فتقول أولاد الأنبياء ويستقبلها من الفردوس ثلاثة عشر ألف حوراء معهن خمسون ألف ملك على نجائب من ياقوت أخطمتها من زبرجد وأزمتها من لؤلؤ رطب،

عليها رحائل من در على كل حرفة من حرف السعادة الوسادة الصغيرة ـ من سندس حتى تحاذي بها الصراط وتأتي الفردوس فيستبشر بها أهل الجنة وتجلس على عرش من نور ويحلسون حولها وفي بطنان العرش قصران قصر أبيض وقصر أصفر من لؤلؤ من عرش واحد وان في القصر الأبيض سبعين ألف دار مساكن محمد وآل محمد وان في القصر الأصفر سبعين ألف دار مساكن ابراهيم وآل ابراهيم وبعث الله

إليها ملكاً لم يبعث الله إليها ملكاً ، لم يبعث إلى أحد قبلها ولم يبعث إلى أحد بعدها فيقول لها ... ربك يقرأ عليك السلام ويقول لك

سليني أعطك فتقول قد أتم الله نعمته علي حتى خشته وهابني كرامة وفضلني على نساء جنسه أسئله أن يشفعني في ولدي وقد أتيتني ومن ودهم بعدي وحفظهم بعدي قد فعلوا فيوحي الله إلى دلك لعمدك من عمل أن يحول عن مكانه أن حشره أتيتني قد شفعتك في ولدها وقد تبعتها ومن ودهم وأحبهم وحفظهم بعدها قال فيقول يا أحمد لله الذي أذهب عني الحزن وأقر عيني

ثم قرأ جعفر بن محمد هذه الآية ... هذا الحديث إلا هذه الآية ... الذين آمنوا واتبعتهم ذريتهم بإيمان ألحقنا بهم ذريتهم وما ألتناهم من عملهم من شيء كل امرئ بما كسب رهين

﴿ الشرك وحقيقته ﴾

قال الله تعالى ﴿أم لهم إله غير الله سبحان الله عما يشركون﴾ (الطور ٤٣)

الشرك هو أن تضم إلى الواحد الذي ليس كمثله شيء آخر موجوداً وإلهاً ومدبراً وتعبده وتدعوه له

وقد جاء في الآيات الكريمة والأحاديث الصحيحة

أمر الله تعالى نفي كل ما يسمى شركاً

قوله تعالى ﴿الذي له ملك السموات والأرض ولم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك وخلق كل شيء فقدره تقديراً واتخذوا من دونه آلهة لا يخلقون شيئاً وهم يخلقون ولا يملكون لأنفسهم ضراً ولا نفعاً ولا يملكون موتاً ولا حياة ولا نشوراً﴾ (الفرقان ٢ - ٣)

وقوله ﴿سبح لله ما في السموات والأرض أني يكون له ولد ولم تكن له صاحبة وخلق كل شيء وهو بكل شيء عليم ذلكم الله ربكم لا إله إلا هو خالق كل شيء فاعبدوه﴾ (الأنعام ١٠١ - ١٠٢)

وقوله ﴿ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عما يصفون﴾ (المؤمنون: ٩١)

وقوله ﴿أم اتخذوا آلهة من الأرض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا فسبحان الله رب العرش عما يصفون﴾ (الأنبياء ٢١ - ٢٢)

وقوله ﴿قل إنما هو إله واحد وإنني بريء مما تشركون﴾ (الأنعام: ١٩)

وقوله ﴿قل من يرزقكم من السماء والأرض أمن يملك السمع والأبصار ومن يخرج الحي من الميت ويخرج الميت من الحي ومن يدبر الأمر فسيقولون الله

فقل أفلا تتقون» يونس: ٣١)

«وقوله «فمن كان يرجو لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً» الكهف: ١١٠)

«وقوله «قل فاعبد الله مخلصاً له الدين» الزمر ٦٤

«وقوله «إن الحكم إلا لله أمر ألا تعبدوا إلا إياه ذلك الدين القيم» يوسف ٤٠

«وقوله «أم لهم شركاء شرعوا لهم من الدين ما لم يأذن به الله» الشورى ٢١)

وغير ذلك من الآيات القرآنية

وأما الروايات فكثيرة.

١ ـ في الاحتجاج ومن مسائله لليماني لما سئل أمير المؤمنين عليه السلام عن مسائل اليماني وقال فما الشرك؟ قال عليه السلام:

والشرك هو أن يعتقد مع الله تعالى إلهاً آخر لا يشبه شيئاً من الأشياء ولا يعتقد فيه شيئاً من القدرة

٢ ـ في البحار عن تفسير النعماني بالإسناد عن الإمام علي عليه السلام في رواية طويلة ـ قال: وأما ما جاء من ذكر الشراك في كتاب الله تعالى فمن أربعة أوجه قوله تعالى «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقالت اليهود يد الله مغلولة غلت أيديهم ولعنوا بما قالوا بل يداه مبسوطتان» فهذا شرك من شراك الله فحذر عليه السلام وأعلمه أن لله شراكاً من أبصار

فهذا شرك القول والوصف

وأما الوجه الثاني من الشرك فهو شرك الأعمال قال الله تعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» وقوله سبحانه: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله» أما إنهم لم يصوموا لهم ولم يصلوا ولكنهم أمروهم ونهوهم فأطاعوهم وقد حرموا عليهم حلالاً وأحلوا لهم حراماً فعبدوهم من حيث لا يعلمون

فهذا شرك الاعمال والطاعات

وأما الوجه الثالث من الشرك فهو شرك الرأي في الله تعالى «وشركهم في الامور والاولاد» فمن اطاع رجلاً فقد عبده فان كان ينطق عن الله تعالى فقد عبد الله وان كان ينطق عن غير الله تعالى فقد عبد غير الله

وأما الوجه الرابع من الشرك فهو شرك الرياء قال الله تعالى «فمن كان يرجوا لقاء ربه فليعمل عملاً صالحاً ولا يشرك بعبادة ربه أحداً»

فهؤلاء صاموا وصلّوا وعملوا انفسهم في اعمال أهل الخير إلاّ انهم يريدون به رياء الناس فأشركوا بأعمالهم في الرياء فهذه جملة وجوه الشرك في الله تعالى

٣ ـ في نهج البلاغة عن الامام جعفر بن محمد الصادق عليه السلام قال ومعنى الشرك كل معصية نصبي الله بها والدين فهو مشرك بصغيره كان بالمعصية أو كبيره فاعلمه مشرك

٤ ـ وفيه عن الامام أبي الحسن العسكري عليه السلام قال الاشراك في الناس أخفى من دبيب النمل على المسح الاسود في الليلة المظلمة

٥ ـ في تفسير القمي عن محمد بن صدقة عن أبي عبد الله عليه السلام قال: سئل عن قول النبي صلى الله عليه وآله ان الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في الليلة المظلمة قال كان المؤمنون يسئلون ما بعد العشر كون من دون الله، فكان العشر كون يسئلون ما بعد المؤمنون فنهى الله المؤمنين عن سب آلهتهم لكيلا يسب الكفار إله المؤمنين فيكون المؤمنون قد أشركوا بالله من حيث لا يعلمون فقال «ولا تسبوا الذين يدعون من دون الله»

٦ ـ في الكافي باسناده عن يزيد الصحاف عن أبي جعفر عليه السلام قال سئلته عن أدنى ما يكون العبد به مشركاً، قال فقال من قال للنواة انها حصاة، وللحصاة: انها نواة، ثم دان به

أقول أي من اعتقد شيئاً من الدين ولم يكن كذلك في الواقع فهو أدنى

شرك ولو كان مثل عقد ان سوة حصه و لعلس ثم د ن به

٧ ـ وفيه باسناده عن أبي العباس قال سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن أدنى ما يكون به الانسان مشركاً قال فقال من ابتدع رأياً فأحب عليه أو ابغض عليه

٨ ـ في الخصال باسناده عن العباس بن هلال عن أبي عبد الله عليه السلام قال قلت إن هؤلاء العوام يقولون إن الشرك أخفى من دبيب النمل على الصفاة على الليل الاسود فقال لا يكون العبد مشركاً حتى يصلي لغير الله أو يذبح لغير الله أو يدعو لغير الله عز وجل

٩ ـ في تفسير العياشي عن زرارة قال سئلت أبا جعفر عليه السلام عن قول الله «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» فقال من ذلك قول الرجل لولا فلان لهلكت لولا فلان لاصابني كذا وكذا ولولا فلان لكان كذا وكذا تدع فلاناً وتجعل الله شريكاً في نعمه يقول

أقول قوله عليه السلام «يمطر سوء» السوء بالفتح الضرر يقال للمرض والفقر السوء بضم السين وفي المغرب «ضوع يضع بحيث من باب قعد في المغرب «ضوع يضع بحيث من باب قعد في لغة لبعض العرب

وكانت العرب تضيف الامطار إلى الانواء ويجعلون الرزق إليها فنسب الله ذلك منهم وإلى نظائره منهم فيقولون مطرنا بنوء كذا

١١ ـ في الكافي باسناده عن أبي بصير وبريد عن عمار عن أبي عبدالله عليه السلام في قول الله عز وجل «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال يطيع الشيطان من حيث لا يعلم فيشرك

١٢ ـ وفيه باسناده عن حريز عن أبي عبد الله عليه السلام في قول الله عز وجل «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال شرك طاعة وليس شرك عبادة وعن قوله عز وجل «ومن الناس من يعبد الله على حرف» قال إنما نزلت

في الرجل ثم يكون في أتباعه ثم قلت لكن من عصى ربه كم شيئاً فهو عمل بعد الله على حرف؟ فقال نعم وقد يكون محمصاً

أي شركاً محمصاً أو قد يكون في الرجل محمصاً ولا يكون في أتباعه

١٣ ـ وفيه باسناده عن عبدالله بن يحيى الكاهلي قال قال أبو عبد الله عليه السلام لو أن قوماً عبدوا الله وحده لا شريك له وأقاموا الصلاة وآتوا الزكاة وحجوا البيت وصاموا شهر رمضان ثم قالوا لشيء صنعه الله أو صنعه النبي صلى الله عليه وآله ألا صنع خلاف الذي صنع أو وجدوا ذلك في قلوبهم لكانوا بذلك مشركين ثم تلا هذه الآية «فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم ثم لا يجدوا في أنفسهم حرجاً مما قضيت ويسلموا تسليماً» ثم قال أبو عبد الله عليه السلام فسلموا للتسليم

١٤ ـ في تفسير القمي عن أبي الجارود عن أبي جعفر عليه السلام في قوله «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم»

أما المسيح فعبدوه وعظموه في أنفسهم حين زعموا أنه إله وأنه ابن الله وطائفة منهم قالوا ثالث ثلاثة وطائفة منهم قالوا هو الله وأما أحبارهم ورهبانهم فانهم أطاعوا وأحلوا لهم وحرموا ما حرموه عليهم وما دعوهم إليه فاتخذوهم أرباباً بطاعتهم لهم وتركهم أمر الله وكتبه ورسله فعبدوه دون طهورهم وما أمرهم به لأحبارهم ورهبانهم فعبدوا واطاعوهم فعبدوا الله

١٥ ـ وفيه باسناده عن الفضيل عن أبي جعفر عليه السلام في قول الله تبارك وتعالى «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال شرك طاعة ليس شرك عبادة والمعاصي التي يرتكبون فهي شرك طاعة اطاعوا فيها الشيطان فأشركوا بالله في الطاعة لغيره وليس باشراك عبادة ان يعبدوا غير الله.

١٦ ـ في تفسير العياشي عن أبي بصير عن أبي اسحق قال هو ـ الشرك هو قول الرجل لولا الله وأنت ما صرف عني كذا وكذا واشباه ذلك

١٧ ـ وفيه عن مالك بن عطية عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله «وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون» قال هو قول الرجل لولا فلان لهلكت ولولا

فلان لاصنت كذا و كذا و لولا فلان لضاع عيالي ألا ترى الله قد جعل لله شريكا في ملكه يرزقه ويدفع عنه؟ قال: قلت: فيقول: لولا ان الله منّ عليّ بفلان لهلكت قال: نعم لا بأس به.

١٨ ـ في الكافي باسناده عن أبي بصير قال: سئلت أبا عبد الله عليه السلام عن قول الله عزّ وجلّ: «اتخذوا أحبارهم ورهبانهم أربابا من دون الله» فقال: أما والله ما دعوهم إلى عبادة أنفسهم ولو دعوهم إلى عبادة أنفسهم لما أجابوهم ولكن أحلّوا لهم حراما و حرّموا عليهم حلالا فعبدوهم من حيث لا يشعرون.

١٩ ـ وفيه باسناده عن يعقوب بن شعيب عن أبي عبد الله عليه السلام قال: أوحى الله عزّ وجلّ إلى آدم عليه السلام: إني سأجمع لك الكلام في أربع كلمات قال: يا رب وما هنّ؟ قال: واحدة لي و واحدة لك و واحدة فيما بيني وبينك و واحدة فيما بينك وبين الناس، قال: يا رب بيّنهن لي حتى أعلمهنّ، قال: أمّا التي لي فتعبدني لا تشرك بي شيئا، وأمّا التي لك فاجزيك بعملك أحوج ما تكون اليه وأمّا التي بيني وبينك فعليك الدّعاء وعليّ الاجابة وأمّا التي بينك وبين الناس فترضى للناس ما ترضى لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك.

٢٠ ـ في تفسير القمي باسناده عن أبي بصير عن أبي عبد الله عليه السلام في قوله «واتخذوا من دون الله آلهة ليكونوا لهم عزّا كلاّ سيكفرون بعبادتهم ويكونون عليهم ضدّا» يوم القيامة «أي يكون هؤلاء الذين اتخذوهم آلهة من دون الله عليهم ضدّا يوم القيامة ويتبرّؤن منهم ومن عبادتهم إلى يوم القيامة، ثم قال: ليس العبادة هي السجود ولا الرّكوع، انّما هي طاعة الرّجال من أطاع المخلوق في معصية الخالق فقد عبده.

٢١ ـ في الدّر المنثور عن عبد الله بن عمر ان النبي صلى الله عليه وآله قال: إنّ نوحا عليه السلام لما حضرته الوفاة قال لابنه: إني قاصر عليك الوصيّة آمرك باثنتين وأنهاك عن إثنتين آمرك بلا إله إلاّ الله فانّ السّموات السّبع والارضين السّبع لو وضعن في كفّة و وضعت لا إله الاّ الله في كفّة لرجحت بهنّ ولو انّ السموات

السبع والارضين السبع كل خلقة منهمة لقصتهن لا إله الا الله وسبحان الله وبحمده فانها صلاة كل شيء وبها يرزق كل شيء وأنهاك عن الشرك والكبر

وقال بعض المفسرين إن الانداد التي ينهى عنها القرآن تشتد لا يلزم أن يعتقد الانسان غير الله طهراً ويسجد لغيره بل للشرك صور شتى قد يتحقق برجاء من غير الله والخوف من غيره والاعتقاد بنفع أو ضر من غيره

عن ابن عباس وا الانداد هو الشرك أخفى من دبيب النمل على صفاة سوداء في ظلمة الليل، وهو أن يقول لصاحبه: والله وحياتك يا فلان وحياتي، ويقول لو لا الكلب في الدار لأتانا اللصوص الليلة ولو لا البط في الدار لأتى اللصوص ويقول الرجل لصاحبه ما شاء الله وشئت ويقول الرجل: لو لا الله وفلان هذا كله شرك بالله تعالى

وروى أن رجلا قال لرسول الله ﷺ ما شاء الله وشئت، فقال: أجعلتني لله نداً

وفي الدر المنثور: عن طفيل بن سخبرة أنه رأى فيما يرى النائم كأنه مر برهط من اليهود فقال: أنتم نعم القوم لو لا أنكم تزعمون أن عزيراً ابن الله فقالوا وأنتم نعم القوم لو لا أنكم تقولون ما شاء الله وشاء محمد ﷺ ثم مر برهط من النصارى فقال: أنتم نعم القوم لو لا أنكم تقولون المسيح ابن الله قالوا وأنتم نعم القوم لو لا أنكم تقولون

ما شاء الله وشاء محمد فلما أصبح أخبر النبي ﷺ فحمد الله وأثنى عليه فقال: إن طفيلا رأى رؤيا وأنكم تقولون كلمة كان لا تقولوها ولكن قولوا ما شاء الله وحده لا شريك له

وفي تفسير روح البيان: وعند الشيخ يوماً الدرس فأنكاهم فذكر من القيامة وأهوالها فمر بهم أبو الحسين النوري قال: لا تفزعهم فان حساب يومك ليس بهذا الطول انما هو كلمتان (من تر نودم تو كرا نودى) وهو معنى قوله تعالى «فلا تجعلوا لله أنداداً» يعني ينبغي الاخلاص في العبادة بترك ملاحظة

الاعمال وشهود حق النهار.

وفي رواية عن رسول الله ﷺ: إنّ أخوف ما أخاف عليكم: الشرك الخفيّ وربّ كم وشرك السرائر وان الشرك أخفى في امتي من دبيب النمل على الصفاء في الليلة الظلماء.

وفي تفسير ابن كثير دمشقي عن شدّاد بن أوس انه بكى فقيل له ما يبكيك؟ قال شيء سمعته من رسول الله ﷺ فأبكاني سمعت رسول الله ﷺ يقول: ما أخوف على امتي الشرك وشهوة الخفية، قلت: يا رسول الله ﷺ أتشرك امتك من بعدك؟ قال: نعم أما انهم لا يعبدون شمساً ولا قمراً ولا حجراً ولا وثناً ولكن يراؤون بأعمالهم وشهوة الخفية ان يصبح أحدهم صائماً فتعرض له شهوة من شهوته فيترك صومه.

﴿ العرب الجاهلية والشرك ﴾

واختلفت كلمات المفسرين وعبارهم في شرك العرب الجاهلية وعلل شركهم.

فمنهم من قال انهم كانوا معترفين بوجود الاله الخالق الواحد

وقال الله علم على ذات واجب الوجود وكان العرب الجاهليّة إذا سئل من خلقك أو من خلق السموات والارض؟ يقول الله وإذا سئل عن بعض آلهتهم: هل خلقت اللات والعزّى شيئاً من هذه الموجودات؟ يقول لا، وقد احتجّ القرآن عليهم باعتقادهم وانّما كانوا يتوسلون بها الى الله بمعتقدون شفاعتها عنده

أقول: انّهم كانوا طائفة منهم لا كلّهم سيأتيك لتحقيق انشاء الله تعالى

ومنهم: من قال لم يكن العرب يعتقدون لله ولكن كانوا لا يعرفونه بحقيقته التي وصف بها نفسه أحد منهم فكانوا يشركون به

أقول: وهذا مردود بقوله تعالى حكايه عن منكريهم لله تعالى ﴿وقالوا ما هي إلاّ حياتنا الدنيا نموت ونحيى وما يهلكنا الاّ الدهر﴾ الجاثية ٢٤)

فكانت طائفة منهم ينكرون الله حيث ان السورة مكّية والاية تذكر انكارهم.

ومنهم: من قال انّ الوثنيين لا ينكرون توحيده تعالى في الالوهيّة بمعنى الصّنع والايجاد، وانما يشركون في العبادة بمعنى انّهم يخصّونه تعالى بالصّنع والايجاد ويخصّون آلهتهم بالعبادة فهم آلهة كثيرون أحدهم اله موجد غير معبود وهو الله سبحانه والباقون شفعاء معبودون غير موجدين فهم لا يعبدون الله أصلا، لا انّهم يعبدونه تعالى وآلهتهم جميعاً.

أقول: وبالتدبر في الايات النازلة في عقائد العرب الجاهليّة نجدهم فيها على طوائف:

فطائفة منهم : المنكرون لله تعالى وهم الدهريّون الماديّون يشير اليهم بقوله تعالى « وما يهلكنا الا الدهر » الجاثية ٢٤)

وطائفة منهم القائلون بتعدد الالهة بأنّ لهم شركاء في الخلق والابداع يشير اليهم بقوله تعالى « أم اتخذوا آلهة من الارض هم ينشرون لو كان فيهما آلهة إلاّ الله لفسدتا فسبحان الله ربّ العرش عما يصفون » الانبياء ٢١ - ٢٢)

وقوله « ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله اذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض سبحان الله عمّا يصفون » المؤمنون ٩١)

وقوله « أم جعلوا لله شركاء خلقوا كخلقه فتشابه الخلق عليهم قل الله خالق كل شيء وهو الواحد القهار » الرعد ١٦)

وطائفة منهم : القائلون بأنّ الله سبحانه اتخذ له ولداً وركبوا وله شركاء في تدبير العالم بعد ما خلقه هو وحده يشير اليهم بقوله « وقل الحمد لله الذي لم يتخذ ولداً ولم يكن له شريك في الملك ولم يكن له ولي من الذلّ وكبره تكبيراً » الاسراء ١١١)

وطائفة منهم المعترفون بوجود الاله الواحد وهو الخالق البارئ والمدبّر وحده ولكنهم يعبدون الاصنام والاوثان والالهة المتخذة ويشير اليهم بقوله تعالى « الذين اتخذوا من دون الله ولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى » الزمر ٣ ثم يشير الى شبهتهم من خلق السموات والارض وسخّر الشمس والقمر بقوله « ولئن سألتهم من خلق السموات والارض ليقولنّ الله » العنكبوت ٦١ - ٦٣ ثم يشير الى شبهتهم من نزول الماء من السماء فأحيى به الارض من بعد موتها بقوله « ولئن سألتهم من نزّل من السماء ماء فأحيى به الارض من بعد موتها ليقولنّ الله » العنكبوت ٦١ - ٦٣.

وقوله « ويعبدون من دون الله ما لا يضرّهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله » يونس ١٩)

ثم عدّ عبادتهم للآلهة المتخذة من الاصنام والاوثان والكواكب والشمس والقمر والانسان والملائكة والحيوان وما إليها مما يتمثلون به ويجعلونه آلهة لهم فعرفة منهم بعد إعتقادهم جميعاً أنّ عبادة الآلهة هي عبادة الله والتقرب اليه

لكن بطرق مختلفة

فرقة منهم : تقول ليست لنا أهليّة العبادة لله بلا واسطة لعظمته وكبر شأنه وحقارتنا وذلّة شأننا فعبدناها لتقربنا إلى الله زلفى

« ما نعبدهم الاّ ليقرّبونا إلى الله زلفى انّ الله يحكم بينهم فيما هم فيه يختلفون » الزمر ٣)

وفرقة منهم : تقول : إنّ الملائكة ذوجاه ومنزلة عند الله فاتخذنا أصناماً على هيئة الملائكة ليقربونا إلى الله

قال تعالى : « وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثاً ـ وقالوا لو شاء الرحمن ما عبدناهم ما لهم بذلك من علم إن هم إلاّ يخرصون » الزخرف ١٩ ـ ٢٠)

وفرقة منهم : تقول جعلت الصنم فيه لنا في عبادة الله كما انّ الكعبة فيها لنا في عبادة الله

وفرقة منهم : تقول إنّ في كل صنم شيطاناً موكّلا بأمر الله فمن عبد الصنم حقّ عبادته قضى الشيطان حقه لتحبه بأمر الله والاّ أصابه الشيطان بنكبة بأمر الله

﴿ شرك وابطال ﴾

إنّ الله تعالى بالغ و اهتمّ بالردّ على عبدة الاوثان و إبطال الالوهيّة عن الاصنام و إثبات وحدانيته تعالى

وذلك لانّ من بعد القسم بالسكر وحده له حقّ وعلا أو شك فيه لا يتالى أن يعصي و يرتكب كلّ ما تشتهيه نفسه وهذا حدّ من بدء خلق البشر إلى يوم البعث

لانّ تقديس الاصنام و عبادتها على أيّ صورة كانت و الشرك على أيّ نوع كان من بدء حياة الانسان إلى عصرنا هذا حتى نرى إنتشار الوثنيّة في الشرق و الغرب أكثر من إنتشار الوحدانيّة و جهد أهل الوثنية و سعيهم في ترويجها أكثر من جهد أهل التوحيد وسعيهم في ترويج التوحيد

ونرى التماثيل في مفارق الطرق ورؤس الجبال وفوق الجدران و في كوة الدور و نرى المجسّمات الجامدة المرخرفة لانسان لاسحيها و كيف هي ؟ ويقدّسون تلك الهياكل الهائلة على صورها وهيئاتها ومن ثمّ يعلم إهتمام القرآن الكريم في الردّ على عبدة الاوثان وتجلّي عظمه محمد ﷺ في تكريم الانسان وتنزيهه عن عبادة ما صنعت يداه

في نهج البلاغة : قال الامام مولى الموحدين أمير المؤمنين علي عليه السلام « و اعلم يا بنيّ انّه لو كان لربك شريك لاتتك رسله ولرأيت آثار ملكه وسلطانه ولعرفت أفعاله وصفاته ولكنّه إله واحد كما وصف نفسه لايضادّه في ملكه أحد ولا يزول أبداً ولم يزل أوّل قبل الاشياء بلا أوّليّة و آخر بعد الاشياء بلا نهاية عظم أن تثبت ربوبيّته باحاطة قلب أو بصر ، فاذا عرفت ذلك فافعل كما ينبغي

لمثلك أن يعلمه في صغره وقلة مقدرته وكثرة عجزه وعظم حاجته إلى ربه في طلب طاعته والخشية من عقوبته والتحقق من سخطه فإنه لم يأمر إلا بحسن ولم ينهه إلا عن قبيح »

بيان :

يمكن أن يستدل بهذا الكلام على نفي إلهة ثان من وجهين

أحدهما - أنه لو كان في الوجود إلهة ثان لما كان القول بالوحدة حقاً بل كان الحق هو القول بالتثنية ومحال ألا يكون ذلك الثاني حكيماً ولو كان الحق هو التثنية لكان حكيم الوجود يدعو المكلفين إلى التثنية لأن الأنبياء كلهم دعوا إلى التوحيد

لكن التوحيد على هذا التقدير ضلال فيجب على الثاني الحكيم أن يبعث من يمنع المكلفين عن ذلك الضلال ويرشدهم إلى الحق وهو إثبات الثاني وإلا كان مسيئاً في إهمال ذلك إلى مكلفيه وتكليف الحكيم بذلك لا يجوز ولأن هذا الثاني يجب أن يدعو إلى إثبات إلهة ثان في الإلهية فيكون القول بالتوحيد ضلالاً وإذا لم يكن ضلالا كان حق نقيضه وهو القول بإثبات الثاني باطلا

ثانيهما - أنه لو كان في العالم إلهة ثان لوجب أن يكون لنا طريق إلى إثبات إلهيته إما من جهة أفعاله أو من صفات أفعاله أو من صفات نفسه ولا من هذا ولا من ذاك فمن التوقف

هذه هي الأدلة التي ذكرها الأشعري للمؤمنين على إثبات

ودلالة قوله « لفسدتا » على ما ذكرناه هو التوقف ، وقوله « ولرأيت آثار ملكه وسلطانه » هي صفات أفعاله وقوله « ولعرف فعله وصفاته » هي القسمان الأخيران

أما إثبات إلهة ثان من مجرد الفعل فباطل لأن الفعل إنما يدل على فاعل ولا يدل على التعدد وأما صفات الأفعال وهي كون فعله محكماً متقناً فإن الأحكام الذي نشاهده إنما يدل على عالم ولا يدل على التعدد وأما صفات الذات التي

والعلم به فرع على العلم بذاته فلو أثبتنا ذاته بها لزم الدور.

وأما التوقيف فلم يأت رسول ذو معجزة صحيحة يدعونا الى إله ثان وانما بطلت الاقسام كلها وقد ثبت انّ مدلا طريق الى اثباته لايجوز اثباته بطل القول باثبات إله ثان. ثم قال: «لايعادّه في ملكه أحد» ليس يريد بالصدّ ما يريده المتكلمون من معنى ذات هي مما كسبه لذات الباري تعالى في صفاته كمضادّة السواد للبياض بل مراده نفي إله ثان لاغير فانّ معنى الصدّ تحت آخر لادخول له بين هذا الكلام

ثم ذكر له انّ الباري تعالى قديم سابق للاشياء لاسبق له حدّ محدود وأول معيّن بل لا أوّل له مطلقاً، ثم قال وهو مع هذا آخر لاشيء آخر بينه مطابقة ليس تنتهي الى غايته معيّنة ثم ذكر انّ له ربوبيّة جلّت عن ان تحيط بها الابصار والعقول، ثم أشار الى انذار التوحيد من الخوف والخشية، والائتمار بأوامره والانتهاء عن نواهيه

وفي الاحتجاج: عن هشام بن الحكم انّه قال من سئوال الزنديق عن الصادق عليه السلام ان قال لم لايجوز ان يكون صانع العالم اكثر من واحد؟ قال أبو عبد الله عليه السلام لا يخلو قولك: انّهما اثنان من ان يكونا قديمين قويين أو يكونا ضعيفين او يكون احدهما قوياً والاخر ضعيفاً فان كانا قويّين فلم لايدفع كل واحد منهما صاحبه وينفرّد بالتدبير وان زعمت ان احدهما قوي والاخر ضعيف ثبت انّه واحد ـ كما تقول ـ لعجز الظاهر في الثاني

وان قلت: انهما اثنان لم يخل من ان يكونا متفقين من كل جهة، أو مفترقين من كل جهة، فلما رأينا الخلق منتظماً والفلك جارياً والتدبير واحداً واختلاف الليل والنهار والشمس والقمر دل صحة الامر والتدبير وإئتلاف الامر على ان المدبّر واحد.

أقول: ولو كان مع الله سبحانه شريك في الصنع والابداع فلا يخلو أمرهما من أحد وجهين أحدهما ـ ان يحتاج كل واحد منهما الى الاخر فلا يصلح

للربوبية لفقره المستلزم لحدوثه السابق لوجوب وجوده

ثانيهما ـ أن لا يحتاج أحدهما إلى الآخر وعلى هذا لو اتفق في إرادتهما كان وجود الثاني لغواً وعبثاً ، ولو اختلفا في إرادتهما لتشارعا وتمانعا فيفسد نظم الكون وما فيه ، والمفسدة منتفية كما ترى

« لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا » (الأنبياء ٢٢) وقال « وما كان معه من إله إذاً لذهب كل إله بما خلق ولعلا بعضهم على بعض » المؤمنون : ٩١)

وذلك لأنه لو فرض تعدد آلهة العالم لكانوا مختلفين في مشيئاتهم وإرادتهم تبعاً لاختلاف حقائقهم بقضي بتدبيرهم فسادهما وفساد السماوات والأرض لكن النظام الجاري يدل على أن ما فيهما من الآخر وفي ما بينهما آلهة فوق الواحد وهو المطلوب

ومن هنا يعلم أن هذه الحجة حجة برهانية مؤلفة من مقدمات يقينية وأن قول من قال أن الدليل العام الجاري هنا يشتمل عليه وبتألف منه من التدابير الحاصلة صادر عن مبدإ واحد غير مختلف

فلو كان للعالم صانعان لكان لا يجري تدبيرهما على نظام ولا يتسق على إحكام ولكان العجز يلحقهما أو أحدهما وذلك لأنه لو أراد أحدهما إحداث جسم وأراد الآخر إماتته فإما أن تنفذ إرادتهما فتجتمع لاستحالة تحرك الجسم إن فرض الاتفاق أو لامتناع اجتماع الضدين إن فرض الاختلاف .

وإما أن لا تنفذ إرادتهما فيؤدي إلى عجزهما أو لا تنفذ إرادة أحدهما فيؤدي إلى عجز من لا تنفذ إرادته لأن لا يكون عاجزاً

فقد ثبت بذلك أن الله تعالى هو خالق كل شيء ومقدر كل شيء لأن كتاب الكون الحي يشهد بهذه الحقيقة دائماً ، فنظامه وتناسقه كلها شاهد بوحدانية الخالق المدبر الذي يصنع على علم ويبدع على معرفة فأنى يتخذ الإنسان آلهة من دون الله فما دام لا صانع غير الله فلا إلهة وهذا أبدعوا « أم خلقوا من غير شيء أم هم الخالقون أم خلقوا السموات والأرض بل لهم

إله غير الله سبحان الله عما يشركون ، الطور ٣٥ ١٤٣

هذا تعقيب من الله تعالى لرسوله ﷺ لمواجهة القوم بشهادة كتاب الكون المفتوح بالحق الذي لا يقبل المغالطة وهو الذي يخاطب الفطرة البشرية لتعيقها بداهة وبما تعرفه من صدق بديهة حقيقة بسبب التغلب عليها ومغالطتها ولن يمتلك انسان أن يرسم في ذهنه المعبودات من الحجر والشجر ومن الجن والشياطين ومن الملائكة والانبياء وغيرهم قد خلقت من السماء أو الارض شيئاً أو خلقت هي الأخرى شيئاً لأن منطق العقل ومنطق الواقع لن يستطيع انكار جميع ولا حتى أحد أن يعرف الله المعبود الحق الذي خلق السموات والارض وما بينهما في ستة أيام ثم استوى على العرش يدبر الأمر كما يشاء

ومن هنا جاء التحدي للمشركين الذين كفروا بالرسالة المحمدية وأثاروا الخلاف بين الأنبياء عليهم السلام وأممهم منذ كان بدء الرسل التوحيد والشرك والبعث والجزاء وكان المشركون يعبدون الشركاء وعبادة الأصنام بعدة أنواع وأشكال

ولما كانت أسانيدهم على الخلق عن الله قد ضاعت وفقدت الإسناد الصحيح بالله تعالى سلالة وقومهم حجة عقلية وعقلية لابطال ما كان المشركون يعتقدون به وتقديمه على أنه من عند الله وأن الله كتب في الألواح التوراة أو أنزل على أحد من الأنبياء كتاباً غير القرآن الذي هو بين أيديهم الآن فليأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منه

وكان المشركون يتخذون من الجن والشياطين آلهة يعبدونها ولا يستجيبون لدعوة الأنبياء والمرسلين إلا حين يأتيهم الوحي والتهديد والوعيد بالنار فتذكروا وعلموا حقاً

﴿ حرمة الجنة على المشرك والمكذب ﴾

قال الله تعالى: «لقد كفر الذين قالوا إن الله هو المسيح ابن مريم وقال المسيح يا بني إسرائيل اعبدوا الله ربي وربكم إنه من يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة ومأواه النار وما للظالمين من أنصار» المائدة ٧٢.

أن الله تبارك وتعالى يقول: إن المشركين من قبلكم كانوا يشركون في الوحدانية من يعبد الوالد والشرك في العبادة أشد من الشرك في الوحدانية، فحرم الجنة على أصحابها.

وفي معنى آخر قوله تعالى في المكذبين: إن الذين كذبوا بآياتنا واستكبروا عنها لا تفتح لهم أبواب السماء ولا يدخلون الجنة حتى يلج الجمل في سم الخياط، كذلك نجزي المجرمين لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش، كذلك نجزي الظالمين، ونادى أصحاب الجنة أصحاب النار أن قد وجدنا ما وعدنا ربنا حقا فهل وجدتم ما وعد ربكم قالوا نعم فأذن مؤذن بينهم أن لعنة الله على الظالمين الذين يصدون عن سبيل الله ويبغونها عوجا وهم بالآخرة كافرون» الأعراف ٤٠ - ٤٥.

وفي معنى آخر قوله تعالى في المكذبين من هذه الأمة في هذه الدنيا: «وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قترة أولئك هم الكفرة الفجرة» عبس ٣٨ - ٤٢.

في تفسير العياشي: عن زرارة قال: كنت لي أبي عبد الله عليه السلام مع بعض أصحابنا فيما يروي الناس عن النبي صلى الله عليه وآله: أنه من أشرك بالله فقد وجبت له النار ومن لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنة. قال: فقال: من أشرك بالله فهذا الشرك البين وهو قول الله: ومن يشرك بالله فقد حرم الله عليه الجنة.

وفي قوله «من لم يشرك بالله فقد وجبت له الجنة» قال أبو عبدالله عليه السلام: هذا لمن هو من لم يعص الله

وفيه: عن زرارة عن أبي جعفر عليه السلام قال: الشرك طاعة وليس بشرك عبادة، والمعاصي التي يركبون مما أوجب الله عليها النار شرك طاعة أطاعوا الشيطان وأشركوا بالله في طاعته وليس بشرك عبادة فيعذبون مع الله غيره

أقول: قوله عليه السلام «وليس بشرك عبادة فيعذبون مع الله غيره» يشير الى حتمية وجوب النار على ذلك وعدم الخلاف فيه

وفي الكافي: بإسناده عن عبد الله بن الوليد الوصافي قال سمعت أبا جعفر عليه السلام يقول: إنّ فيما ناجى الله عزّ وجلّ به عبده موسى عليه السلام قال: يا عبادي أبيحهم جنتي واحكّمهم فيها قال: ربّ ومن هؤلاء الذين تبيحهم جنتك وتحكّمهم فيها؟ قال: من أدخل على مؤمن سروراً ثم قال: إنّ مؤمناً كان في مملكة جبار فولع به فهرب منه إلى دار الشرك فنزل برجل من أهل الشرك فأظله وأرفقه وصافه فلما حضره الموت وحي الله عزّ وجلّ اليه وعزتي وجلالي لو كان لك في جنتي مسكن لأسكنتك فيها ولكنها محرمة على من مات وهو مشرك ولكن يا نار هيديه ولا تؤذيه وبؤتي برزقه طرفي النهار فلت من الحمة؟ قال: من حيث شاء الله

قوله عليه السلام «واحكّمهم» من التحكيم أي جعلهم فيها حكاماً، وقوله «استحفّ» وهيديه» أي نحيه وافزعه وحرّكه واصيحه

ولا يخفى على الفاضل الخبير أنّ للشرك إطلاقاً أكبر للكفر، وفي التوحيد أفضل الفضائل، وإنّ للتوحيد لو أبحوق سبّاقات للموحدين وللشرك ناراً تحرق حسب المشركين وأنفسهم نعوذ بالله من جميع أنحاء الشرك، ومن شر طوائف المشركين

تمت سورة الطور والحمد لله رب العالمين

وصلى الله على محمد وآله الطاهرين

فهرس ما جاء في تفسير سورة الذاريات

يدور البحث فيها على فصلين :

الاول : في عناوين تفسير السورة وهي سبع عشرة فقرة

		رقم الصفحة
الاولى	فصل السورة وخواصها	٦
الثانية	عرض السورة	٨
الثالثة	حول النزول	١٠
الرابعة	القراءة ووجهها	١١
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما	١١
السادسة	اللغة	١٣
السابعة	بحث نحوي	٢٩
الثامنة	بحث بياني	٤٠
التاسعة	الاعجاز	٥٥
العاشرة	التكرار	٥٩

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٦١
الثانية عشر	النسخ والمسوخ والمحكم والمتشابه	٦٥
الثالثة عشر	تحقيق في الأقوال وبيان المختار منها	٦٨
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٨٨
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	١١٥
السادسة عشر	بحث روائيّ	١٢٤
السابعة عشر	بحث مذهبيّ	١٣٥

الفصل الثاني في مواضيع الحكم القرآنيّة، والمعارف الإسلاميّة، المبحوث عنها في هذه السورة وهي خمس مقاصد.

الأولى: وفيها ستّة أمور

		رقم الصفحة
أحدها	بحث علميّ حول الأرض وإرسائها	١٣٨
ثانيها	تحقيق علميّ في نظريّة قطعة دائريّة الأرض	١٤١
ثالثها	كلام في قطر الأرض وحجمها	١٤٥

		رقم الصفحة
رابعها	بحث في حركة الارض ودورانها	١٤٩
خامسها	الكنيسة وحركة الارض	١٥٤
سادسها	التوحيد والتدبّر في الارض	١٥٩

البصيرة الثانية : وفيها ثلاثة عشر أمراً

		رقم الصفحه
الاول	تحقيق علمي تحليلي في حقيقة الرزق: الحلال والحرام منه	١٦٣
الثاني	بحث روائي علمي واجتماعي في أقسام الرزق	١٦٧
الثالث	بحث روائي في طلب الرزق والاهتمام به	١٧٠
الرابع	تحقيق علمي اجتماعي في الخلق والرزق	١٧٦
الخامس	كلام قرآني وتحليل روائي في أن الرزق مقسوم	١٨١
السادس	تحقيق علمي إجتماعي في الرزق والاستحقاق	١٨٤
السابع	بحث عميق علمي واجتماعي في حكمة اختلاف الناس في الرزق	١٨٩
الثامن	بحث علمي روائي في الرزق والرضا والكفاف	١٩٣

		رقم الصفحة
التاسع	بحث قرآني وروائي اجتماعي في الدعاء ورزق الدنيا والآخرة	١٩٦
العاشر	كلام في الرزق من حيث لايحتسب	١٩٩
الحادي عشر	بحث تحليلي اجتماعي فيما يرد على الرزق	٢٠٢
الثاني عشر	بحث قرآني وروائي اجتماعي فيما ينقص به الرزق	٢٠٧
الثالث عشر	الرزق والتوحيد	٢١٠

البصيرة الثالثة : وفيها امور ثلاثة

		رقم الصفحة
أحدها	تحقيق علمي في حقيقة السماء	٢١٢
ثانيها	كلام في السموات السبع	٢١٦
ثالثها	بحث قرآني وروائي في أهل السموات	٢١٩

البصيرة الرابعة وفيها أمران :

		رقم الصفحة
أحدهما	بحث عميق علمي في روحيّة ما سوى الله جلّ وعلا	٢٢١

		رقم الصفحة
ثانيها	بحث عميق علمي آخر في زوجية الاشياء وتوحيد خالقها	٢٢٥

المصيرة الخامسة وفيها خمسة امور

		رقم الصفحة
الاول	بحث روائي في حكمة الخلق	٢٢٥
الثاني	تحقيق عميق علمي واجتماعي في حكمة خلق الانسان	٢٣١
الثالث	تصريح الحكماء والفلاسفة والمتكلمين في حكمة الخلق	٢٣٤
الرابع	بحث علمي وروائي تحليلي واجتماعي في الخلق والمعرفة بالله جل وعلا	٢٣٩
الخامس	بحث اجتماعي في الخلق والحاجة	٢٤٤

فهرس ما جاء في تفسير سورة الطور

يدور البحث فيها على فصلين :

الاول في عدد آيات السورة وهي ثمان عشرة آية

		رقم الصفحة
الاولى	فضل السورة وخواصها	٢٥٢
الثانية	عرض السورة	٢٥٣
الثالثة	حول النزول	٢٥٤
الرابعة	القراءة ووجهها	٢٥٥
الخامسة	الوقف والوصل ووجههما	٢٥٦
السادسة	اللغة	٢٥٧
السابعة	بحث نحوي	٢٧٣
الثامنة	بحث بياني	٢٨٣
التاسعة	الاعجاز	٢٩٧
العاشرة	التكرار	٣٠٠

		رقم الصفحة
الحادية عشر	حول التناسب	٣٠٢
الثانية عشر	الناسخ والمنسوخ والمحكم والمتشابه	٣٠٦
الثالثة عشر	تحقيق في الاقوال وبيان المختار منها	٣٠٧
الرابعة عشر	تفسير القرآن بالقرآن وبيان التأويل	٣٢٧
الخامسة عشر	ذكر جملة المعاني	٣٤٦
السادسة عشر	بحث روائي	٣٥٣
السابعة عشر	بحث فقهي	٣٦٣
الثامنة عشر	بحث ديني ومذهبي	٣٦٥

الفصل الثاني : في مواضيع الحكم القرآنية والمعارف الاسلامية ،

المبحوث عنها في هذه السورة وهي خمس مقاصد :

الاولى : وفيها أمران :

		رقم الصفحة
أحدهما	تحقيق تاريخي وعلمي في العرب الجاهلية وشبهاتهم في البعث والجزاء	٢١٢
ثانيهما	بحث عميق علمي في المعاد والعذاب الجسمانيين	٢١٦

البصيرة الثانية وفيها امور جمة

		رقم الصفحة
الاول	بحث علمي في النعم الحسي والروحي في الجنة تفصيلا او إستحقاقا	٣٧٧
الثاني	بحث روائي في الجنة ونعيمها	٣٨٢
الثالث	بحث قرآني وروائي فيما ينتهيه الانس في الجنة	٣٨٥
الرابع	سؤال عن دفع فضولات الجنة	٣٨٩
الخامس	في ساعة الجنة وحوائها ولاينفد نعيمها	٣٩٢

البصيرة الثالثة وفيها ثلاثة امور

		رقم الصفحة
أحدها	المتقون وحور عين في الجنة	٤٠٠
ثانيها	تحقيق روائي في حورعين وتزويجهن في الجنة	٤٠٤
ثالثها	عذارى الجنة والتوالد فيها	٤٠٩

البصيرة الرابعة : وفيها خمسة امور

		رقم الصفحة
الاول	بحث قرآني وتحقيق مذهبي في الاطفال يوم القيامة	٤١٣
الثاني	بحث علمي في الذرية	٤١٦
الثالث	بحث إجتماعي في ذرية النبي ﷺ وآله وأهله وعترته وامته	٤١٩
الرابع	أئمة أهل البيت عليهم السلام وذرية النبي ﷺ	٤٢٢
الخامس	تحقيق روائي في فصل ذرية النبي الكريم ﷺ	٤٢٩

البصيرة الخامسة وفيها امور اربعة

		رقم الصفحة
احدها	تحقيق عميق قرآني وروائي في حقيقة الشرك	٤٣٣
ثانيها	بحث تاريخي في العرب الجاهلية وشركهم	٤٤١
ثالثها	بحث علمي وإجتماعي في إبطال الشرك	٤٤٤
رابعها	تحقيق قرآني في حرمة الحنة على المشرك والمكذب	٤٤٩

PRINCETON
UNIVERSITY
LIBRARY